بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار



دور المرأة ومكانتها زمن الصراع الإسلامي الفرنجي
(491- 691هـ = 1098- 1291م)

إعداد الطالبة
سمر محمد محمد أبو سلمية

إشراف
أ.د رياض مصطفى شاهين

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي في قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية غزة – فلسطين .

1434هـ / 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

[يوسف: ٧٦]

الإهـــــــــــــداء

إلى والدي الكريمين براً بهما وامتناناً لهما .

إلى زوجي عضداً وعوناً.

إلى أولادي محمد وسحر وأحمد ومحمود ومصطفي ولينا وندي .

وإلى الشعب الفلسطيني المجاهد الصامد.

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع حباً و تقديراً.

شكـــــر وتقديـــــــر

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل العلمي شكري وامتناني، وأخص بذلك الأستاذ الدكتور رياض شاهين الذي تكبد العناء والمتاعب في سبيل إخراج هذا البحث إلى النور، ولم يبخل عليَّ بوقته وجهده وعلمه؛ كما زودني بما هو متاح لديه من مصادر ومراجع، فله مني كل الشكر والامتنان والتقدير. كما وأسجل شكري وعرفاني إلى أساتذتي في قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور محمد حسونة على تفضله بقراءة الرسالة وتنقيحها لغوياً ونحوياً .

وكذلك أتقدم بالشكر إلى زميلتي هبة بستان على ما قدمته لي من مساعدة خلال فترة البحث، و لكل العاملين في مكتبتي : الجامعة الإسلامية و جامعة الأقصى.

الفهـــرس

المختصرات:

الكلمة الرمز:

توفى : ت .

الجزء : ج .

دون مكان نشر : د. م .

دون تاريخ نشر : د. ت .

دون طبعة : د. ط .

دون ناشر : د. ن .

قبل الميلاد : ق. م .

الطبعة : ط .

العدد : ع .

كيلو متر : كم .

متر : م .

مجلد : مج .

ميلادي : م .

هجري : هـ .

المختصرات الأجنبية

Act. No. : Act number
Doc. No. : Documents Number
Ed. : Editor
Loc, cit : (L. Loco citato)in the place
Op.cit : (L. opera citatoe) in the work
p. : page
Vol. : Volume
Ibid:
P.P.T.S Palestine Piligram Tesxt Society

R.H.C.-H.Occ Recuiel Des Historiens Des Croisades Occidentaux

ملخص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة دور المرأة ومكانتها زمن الصراع الإسلامي الفرنجي منذ أن وطئت أقدام الفرنجة(الصليبين) إلى المشرق الإسلامي عام 491هـ / 1098م، حتي جلائهم عن بلاد الشام نهائياً عام 691هـ / 1291م.

وقد تطرقت الدراسة إلى دور المرأة العربية من خلال مشاركتها سياسياً في تدبير شئون الحكم، التي ساست أمور الدولة بحكمة، فكانت على درجة كبيرة من الهمة وعلو الكلمة، واتساع النفوذ، وتمتعت بقدر كبير بقوة الشخصية والدبلوماسية، فضلاً عن مشاركتها في القتال، فصحبت المرأة الرجال إلى ساحة الحرب؛ لمداواة المرضي، وتضميد جراح الجرحى وبث روح الحماسة في نفوس المقاتلين لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين .

كما أوضحت الدراسة دور المرأة الصليبية (الفرنجية) سياسياً وعسكرياً، فقد كانت من أولى الجموع التي صحبت الحملات الصليبية العسكرية إلى الشرق، فتطرقت في الحديث عن كيفية وصولها إلى دفة الحكم في الشرق، ودورها عسكرياً وكما رصدت الدراسة كيفية مشاركتها للقتال إلى جانب الجنود في أرض المعركة ضد المسلمين، والترفيه عنهم. وتوضيح مكانتها في المجتمع الصليبي في الشرق على الرغم من قلة المعلومات المتاحة لدي الباحثة.

كذلك بينت الدراسة دور المرأة المسلمة في الحياة العلمية والدينية، فأقبلت على مجالس العلم والدين، ودأبت الكثيرات منهن في طلب العلم، فتنقَلنَّ بين الشام ومصر للسماع من كبار المحدِّثين والعلماء، فتميزت الدراسة برصد أسماء النساء اللواتي اشتغلن بالفقه والحديث رواية وتدريساً، بالإضافة إلى الأدب والوعظ، كما بينت دورها في إنشاء المراكز العلمية والدينية والإنفاق عليها للحفاظ على استمراريتها .

كما تناولت الدراسة مكانة المرأة المسلمة في المجتمع، حيث تبوأت مكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي، فحازت المرأة على الكثير من الألقاب التي تدل على التقدير والاحترام، فضلاً عن اهتمامها بملابسها وزينتها من خلال ارتيادها الحمامات العامة، وبالإشارة إلى دورها في الحياة العامة من خلال امتهانها بعض الحِرف والمهن التي كانت تعمل بها في ذلك العصر. والحديث عن أهم العادات والتقاليد السائدة في ذلك المجتمع.

كما بينت الدراسة مدي تأثر المرأة الفرنجية بالحياة في الشرق وذلك من خلال العادات والتقاليد الإسلامية، متمثلاً في عدة نواحي: منها ارتيادها للحمامات العامة، والملابس الشرقية، وتعلم فن الطبخ الشرقي والشراب وحفلات الزفاف.

كما أوضحت الدراسة مظاهر الانحلال والفساد في المجتمع الفرنجي من خلال اختلاط النساء بالرجال؛ مما تترتب عليه انتشار الرذيلة والزنا وشرب الخمر.

كما أظهرت الدراسة دور المرأة الإصلاحي الاجتماعي من خلال وعظ النساء ونشر الوعي الديني وتصحيح العديد من المفاهيم الخاطئة في المجتمع . كما ساهمت المرأة في بناء المراكز الاجتماعية مثل : الأربطة والخانقاوات لإيواء المطلقات والأرامل ووعظهن وتفقههنَّ في الدين، منعاً من انحرافهنَّ.

ذُيل البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال الدراسة.

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعين به، و نستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادٍ له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

حظيت دراسة الحروب الفرنجية (الصليبية) باهتمام المؤرخين والباحثين المحدثين في الشرق والغرب على حد سواء، باعتبارها إحدى حلقات الصراع بين الشرق والغرب في العصور الوسطى وذلك بسبب ما تركته من آثار في تاريخ الكثير من الأمم، وما ترتب عليها من نتائج هامة، وعلى الرغم من كثرة الأبحاث والمؤلفات التي تناولت الحروب الفرنجية إلا أنها لم تتناول كل مراحلها، ولم تظهر كل خفاياها، فاقتصرت على ذكر الأحداث السياسية والعسكرية، وتجنب التعرض للأحداث الاجتماعية، فهي ميدانٌ هامٌ وحقلٌ خصبٌ أمام الباحثين من أجل إلقاء الضوء على كثير من جوانبها الخافية.

ومهما يكن من الأمر فإنَّ الكشف عن أبعاد الحضارة الإسلامية ودور المرأة فيها أمر مهم وخطير وخاصة و أنَّ المسلمين تعرضوا إلى حملات هجومية في قضية المرأة واتهام الإسلام بإقصائها من الحياة الاجتماعية، ومثل هذا البحث يأتي للإسهام في الرد على تلك الادعاءات من خلال تسليط الضوء على دور المرأة ومكانتها في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطي.

كانت المرأة في مجتمعها الجاهلي مجهولة القدر، مجحودة الفضل، ترزح تحت أعباء ظالمة وتقاليد جائرة حتى إذا ما جاء الإسلام أنصفها وبوَّأها مكاناً سامياً، ولم تحظ المرأة في تشريع سماوي أو وضعي بالتقدير بمثل ما حظيت به المرأة المسلمة، فلقد كرمها باعتبارها إنسانة، وكرمها باعتبارها ابنة، و زوجة، وأماً، وكرمها باعتبارها عضواً في المجتمع([1])، ومنحها الحقوق والواجبات مثلها مثل الرجل، كما أعطاها حق التصرف فيما تملك بالبيع والشراء ، فالمرأة نصف المجتمع، هذه حقيقة يعرفها كل عاقل، ويؤيدها الواقع، وحينما نرجع إلى القرآن الكريم نجد أنَّه رسم للمرأة شخصية متميزة قائمة على احترام الذات وكرامة النفس، وأصالة الخلق، وقد جاء عن الرسول صلي الله عليه وسلم : " النساء شقائق الرجال "([2])

فإن للمرأة المسلمة مكانة رفيعة في الإسلام وأثراً كبيراً في حياة كل مسلم فهي المدرسة الأولى في بناء المجتمع الصالح، فكانت عضواً فعالاً لها مشاركاتها البارزة، وكان ذلك واضحاً من خلال كتب التراجم والتاريخ التي زخرت بتراجم العديد من النساء ممن كان لهن دور في

---

[1]- بن صالح السحيم، الإسلام أصوله ومبادؤه، ج1، ص 59.

[2] – أبي داوود، سنن أبي داود، ج1، ص 299 رقم الحديث 236.

حركة المجتمع، وبنائه الحضاري، و يضاف إلى ذلك ما تذكره المصادر المشار إليها في تراجمهن من الثناء العطر على سيرتهن وحسن خلقهن وتمسكهن بدينهن، مما يجعلهن قدوة للمرأة المسلمة، ويساعد الباحثين على دراسة أعمالهن وإبرازها باعتبارها صورة من الصور الحضارية للمجتمعات الإسلامية في العصور الإسلامية الوسيطة.

أسهمت المرأة المسلمة بدور مهم ومتنوع في الحياة العامة خلال القرنيين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية، ومجالات العمل الخيرية المتنوعة، مع السعي لإبراز مشاركتها إلى جانب الرجل في الجهاد ضد الفرنجة وغيرهم في ذلك العصر حسب طاقتها، وكذلك مشاركتها ونجاحها في تدبير شئون الحكم والسياسة والحفاظ على الملك، كذلك إبراز ظاهرة تخصص النساء في علوم متنوعة وعلى رأسها العلوم الشرعية ومنها علم الحديث، حيث تميزت المرأة في ذلك التخصص ونالت أعلي الدرجات العلمية وفاقت الرجل في ذلك وحاز بعضهن على لقب مسندة زمانها" مسندة الدنيا"، وكذا برعت في علم القراءات والتفسير والفقه والأدب واللغة والخط، وقد بدا ذلك الأثر جلياً للمرأة المسلمة في حواضر وبلدان العالم الإسلامي، كما أوضحت لنا كتب التاريخ والتراجم والطبقات، في الوقت نفسه لم يكن للمرأة الفرنجية أي دور في الجانب العلمي يذكر حسب ما ذكرته المصادر وكتب التراث .

وكان للمرأة حضور في الجانب الخيري والاجتماعي فقد وجدنا التسابق في بناء المدارس والمؤسسات الاجتماعية، والإنفاق على أعمال الخير في ذلك العصر يدل على وعي ديني وسياسي وثقافي .

ولم تحظ المرأة في عصر الحروب الفرنجية باهتمام الباحثين والدارسين، وكل ما ورد عنها في المصادر والمراجع عبارة عن شذرات لا تشفي غليل الباحثة، فقد وقع اختياري عليه ليكون موضوعاً للبحث و هدفاً للدراسة وجعلت عنوانها" دور المرأة ومكانتها زمن الصراع الإسلامي الفرنجي من 491- 690هـ / 1098- 1291م " .

أسباب اختيار الموضوع:

١- قلة وندرة الدراسات الأكاديمية الجادة التي تناولت المرأة في ذلك العصر في المكتبة العربية حسب علم الباحثة رغم أهميته .

2- إبراز مكانة المرأة في كلا المجتمعين الإسلامي و الفرنجي الصليبي .

3- التّعرف إلى نشاط المرأة المسلمة في الحياة العامة ومساهمتها في خدمة مجتمعها في ذلك العصر.

4- إبراز دور المرأة ومشاركتها في السياسة والحكم والإدارة في ذلك العصر.

5- توضيح دور المرأة في إثراء التعليم من خلال إنشاء المراكز العلمية والدينية ورعايتها للعلماء والطلاب.

6- إبراز دور المرأة الصليبية في المجال العسكري ومشاركتها القتالية في الحروب الصليبية في ذلك العصر.

7- الكشف عن أثر المرأة الواضح في الجوانب السياسية والاجتماعية والعلمية والعمرانية في ذلك العصر.

8- إدراك الآثار الحضارية للأوقاف الخيرية التي أوقفتها المرأة الأيوبية والمملوكية في ذلك العصر.

9- تناثر المعلومات في المصادر التاريخية حول موضوع الدراسة وضرورة جمعها وإخراجها في إطار دراسة علمية تبين دور ومكانة المرأة في ذلك العصر.

10- إبراز مدي تأثر المرأة الصليبية بالمرأة المسلمة في بعض الجوانب الاجتماعية.

أهداف الدراسة :

1- إيضاح مشاركة المرأة المسلمة والفرنجية في بلاد الشام ومصر في النشاط السياسي وإدارة شؤون الحكم دورها في القتال في عصر الصراع الإسلامي الفرنجي ونجاحها في ذلك.

2- توضيح دور المرأة المسلمة في الحياة العلمية والدينية وإقبالها على مجالس العلم، وإبراز ظاهرة تخصص النساء في علوم متنوعة وعلى رأسها العلوم الشرعية ومنها علم الحديث حيث نالت أعلى الدرجات العلمية وفاقت الرجل في ذلك، و كما برعت في الأدب والغة والخط والفقه.

3 -إبراز مساهمة المرأة المسلمة في عصر الحروب الصليبية في تنشيط الحركة العلمية بإنشاء المدارس المستقلة والملحقة بالمساجد، والأعمال الخيرية لخدمة مجتمعهن في ذلك العصر.

4- توضيح أثر الوقف في دعم النشاطات والأعمال التي قامت بها المرأة المسلمة وساعدت على استمرارها ورعايتها لمدة طويلة.

5 –التركيز على إيضاح صفات الخير في نساء ذلك العصر من خلال تراجمهن ليكنَّ قدوة لنساء العصر الحاضر.

الدراسات السابقة:

1- " المرأة في مصر المملوكية " لأحمد عبد الرازق ، الهيئة المصرية للكتاب ، عام 1999م، تناول المؤرخ في ذلك الكتاب دور المرأة في مصر في عصر المماليك منذ نشأتها حتى

سقوطها؛ أي أكثر من قرنين ونصف هجريين من الزمان ويعد من أهم الكتب الحديثة، التي أفادت دراستي كثيراً خاصة في الفصل الرابع.

2- "الجهود العلمية للمرأة في القرنين الخامس والسادس الهجريين" لناجية عبد الله إبراهيم، تناولت فيه جهود المرأة العلمية في العراق، على الر غم من أنه يتحدث عن دور المرأة في التعليم في العراق إلا أنه أفاد دراستي في الفصل الثالث .

3- "خاتونات البيت الأيوبي- كنموذج لدور المرأة في العصور الإسلامية " منى سعد محمد الشاعر، القاهرة 1424هـ،2003 م وهي مقالة تحدثت فيها عن دور خاتونات البيت الأيوبي في إنشاء المراكز العلمية والاجتماعية ، وأفادني في الفصل الثالث.

4- " المرأة في مصر في العصر الفاطمي" ناريمان عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1992. على الرغم من أنها تستعرض أحوال المرأة في العصر الفاطمي، إلا أنها أشارت إلى بعض الجوانب، التي تخص المرأة بصفة عامة.

منهج الدراسة:

واعتمدت الباحثة خلال هذا البحث على المنهجين : الوصفي و التاريخي التحليلي.

الصعوبات التي واجهت الباحثة في أثناء إعداد الدراسة:

1-تناثر المعلومات الخاصة بموضوع الرسالة في بطون المصادر والمراجع، التي لم تتحدث عن هذا الموضوع بشكل مباشر.

2-استمرار انقطاع التيار الكهربائي.

3-الارتباط بالعمل لساعات طويلة، وصعوبة التوفيق ما بين الدراسة والعمل.

وتغلبت على هذه الصعوبات بفضل الله و ببذل جهد أكبر، والسهر حتى الفجر.

تقسيمات الدراسة:

قُسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، فكان الفصل الأول، بعنوان : " دور المرأة المسلمة في الحياة السياسية والعسكرية زمن الصراع الإسلامي الفرنجي" ، واشتمل على ثلاثة مباحث، حيث عُنْوِنَ المبحث الأول بـــ "المرأة ودورها في مجال السياسة و تدبير شئون الحكم ". وبدأت الفصل بالحديث عن المرأة المسلمة في تدبير شئون الحكم، وإدارة شئون البلاد فأثبتت مقدرة على ذلك من خلال الحديث عن صفوة الملك زمرد خاتون السيدة الأولى في دمشق، فكانت الحاكمة الفعلية لها في عصر كثرت فيه الحروب والفتن، وكذلك ضيفة خاتون بنت الملك العادل المتوفاة عام (640هـــ = 1243م)، وصية عرش حلب عن حفيدها الناصر يوسف لمدة ست سنوات، وابنة أخيها غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد

حفظت ملك حماة لابنها حتى بلغ أشده، وكذلك شجرة الدر التي ساست مصر لمدة ثلاثة أشهر إلا أياماً معدودة، فأنقذت البلاد من خطر الحملة الصليبية السابعة بحسن تدبيرها.

والمبحث الثاني جاء بعنوان : " المرأة و القتال" أشرت فيه إلى دور المرأة في القتال، واصفة حالها بعد وقوعها في الأسر، وتقديم يد العون للمصابين والجرحى، وإثارة الحمية والنخوة في نفوس المقاتلين في الدفاع عن المحرمات وصيانتها، كما ساعدت في تحرير المدن من الفرنجة، كما واجهت خطر الباطنية، كما جاء في مذكرات ابن منقذ، والمبحث الثالث جاء بعنوان : " المصاهرات السياسية داخل البيت الأيوبي وخارجه" .

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان : "دور المرأة الصليبية في الحياة السياسية والعسكرية زمن الصراع الإسلامي الفرنجي" ، واستهللت هذا الفصل بالحديث عن كيفية وصول المرأة الإفرنجية (الصليبية) إلى السلطة في الشرق، على الرغم من قلة المعلومات المتاحة حول ذلك، كما تحدثت فيه عن أشهر من تولين الحكم في الإمارات الفرنجية في الشرق، وعن مشاركتها في الحملات العسكرية على بلاد الشام ومصر ومشاركتها في القتال إلي جانب الجنود في المعارك ضد المسلمين منذ بداية التحاقها بالحملة الصليبية الأولي حتى الحملة الصليبية السابعة، هذا إلى جانب أنها عرضت نفسها للمتعة وتسلية الجنود الصليبيين ؛ مما أدي إلى انتشار الرذيلة والانحلال الخلقي في مجتمعهم؛ وإفساد شباب المسلمين .

الفصل الثالث جاء بعنوان : " المرأة و التعليم " أشرت فيه بداية إلى طرق تعليم المرأة التي تمثلت في منازل العلماء والمسجد وتعلمها علي يد امرأة مثلها، والرحلة العلمية في طلب العلم، كما تناولت فيه جهود المرأة في الناحية العلمية والثقافية ودورها في نشر العلم، فتتبعت فيه تراجم النساء اللواتي برعن في حفظ القرآن الكريم وعلم الحديث والفقه و الوعظ والإرشاد والتصوف والكتابة والخط العربي والشعر من خلال كتب التراجم وكتب التاريخ ، كما أشرت فيه إلى دورها في بناء المراكز العلمية والاجتماعية ورعايتها لها مثل : المدارس والمساجد والخوانق والترب والربط .

الفصل الرابع جاء بعنوان: "دور المرأة في الحياة الاجتماعية "، فقد تناولت فيه مكانتها في المجتمع، ودورها في العادات والتقاليد، مروراً بالاحتفالات الدينية والاجتماعية، والملابس وزينتها، والتنزه والتسلية، ومظاهر تأثر المرأة الفرنجية بالحياة في الشرق، وذلك من خلال العادات والتقاليد الإسلامية، وظهر هذا التأثر الواضح في عدة نواحي مثل : ارتياد الحمامات، الملابس، والطعام والشراب وحفلات الزفاف وغيرها، مبينة مظاهر الانحلال الخلقي وانتشا ر الرذيلة في كلا المجتمعين، وذكرت فيه آثار اختلاط النساء بالرجال، والغناء والخمور والبغاء موضحة دور الدوائر الحكومية والرسمية في ذلك.

وبعد هذه الفصول جاءت الخاتمة والتي احتوت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة عبر الفصول السابقة، ثم جعلت بعدها بعض الملاحق ثم المصادر و المراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.

ولابُد لي، وأنا أختم هذا الكلام، من الاعتراف بأن دراستي هذه لم تحقق الإحاطة الكاملة بالحقيقة، والالمام الشامل بكل جوانب الموضوع، فذلك طلب عسير المنال، فمن الصعب لدراسة واحدة أن تفي بكل الجوانب وما قمت بتحقيقه، إنما هو محاولة لشق طريق يمهد لدراسات أخرى مكملة في المستقبل، وأرجو أن أكون قد أضفت ولو اضافة متواضعة، لدراسة دور المرأة ومكانتها خلال فترة الصراع الإسلامي الفرنجي. فإنْ أحسنت الصنع فيها فذلك توفيق من الله عز وجل، وان أخطأت فمن نفسي آملةً من العلي القدير أن يعينني على سداد ثغراتها، وتلافي نواقصها.

الباحثة سمر محمد أبو سلمية

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث :

هذه الدراسة شأنها شأن غيرها من الدراسات الأكاديمية، قد اعتمدت عدداً من المصادر والمراجع والبحوث الحديثة، والتي توزعت في ميادين مختلفة تاريخية وأدبية وجغرافية، فضلاً عن كتب التراجم واللغة والحديث التي يمكن أن يجد فيها الباحث إشارات هامة ومفيدة عن دور المرأة سياسياً واجتماعياً وثقافياً ومكانتها في المجتمع خلال فترة الحروب الفرنجية (الصليبية) من خلالها يمكن رسم صورة واضحة للمرأة في تلك الحقبة التاريخية، وفيما يلي عرض وتحليل موجز لبعضها ([1]) من خلال مؤلفيها :

أولاً – المصادر العربية:

أ- المصادر التاريخية:

1- ابن القلانسي([2]) (ت 555هـ / 1160م) ." ذيل تاريخ دمشق " وهو كتاب مختص بمدينة دمشق، جمع مؤلفه أحداثها السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتي وفاته وقد استفدت منه في توضيح دور المرأة لتدبير الملك في مدينة دمشق في فترة الصراع الإسلامي الفر نجي، وهو كتاب يجمع السياسة والاقتصاد والحالة الاجتماعية .

2- ابن عساكر([3]) (ت 571هـ / 1176م) . في كتابه :" تاريخ مدينة دمشق " وهو كتاب واسع ومتخصص بمدينة دمشق، فقد استعرض تاريخ دمشق، وما حل بها من الأعيان،

---

[1] – وقد نهجنا أسلوب سنة الوفاة للمؤلف في ترتيبها .

[2] – ابن القلانسي، هو أبو يعلي حمز ة بن راشد التميمي الدمشقي، ولد سنة472 هـ / 1079موقد اهتم بدراسة العلوم الدينية والأدبية وأمضى معظم حياته في ديوان الإنشاء في مدينة دمشق، و أصبح رئيسا للديوان، وكان دقيقا وموضوعيا في كل ما تطرق إليه في كتابه، وليس من شك في رئاسته لديوان الإنشاء جعلته مطلعا على كافة الأمور والأحداث ومكنته من الاطلاع على الوثائق الرسمية، ومعظم كتب التراجم التي تحدثت عن ابن القلانسي أتت إلى ذكر نشاطاته وسلوكه وصفاته ، سمع من عز الدين أبي القاسم بن عساكر وغيره، وكان يصاحب الشيخ تاج الدين الكندي ملازماً له، وانتفع به وكان كيساً متواضعاً ، وكانت أسرة ابن القلانسي من أكبر أسر دمشق وأعظمها مكانة، وقد احتفظت أسرته بمكانة مرموقة في دمشق لعدة قرون، توفي في شهر رمضان ودفن بجبل قاسيون. أبوشامة، الذيل على الروضتين، ص 204. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7 ، ص 144 الذهبي، سير، ج 20 ،ص. 361 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 81.

[3]- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الإمام المحدث البارع الحافظ المتقن الضابط ذو العلم الواسع شيخ الإسلام. ومحدث الشام، كان محدث زمانه ومن أعيان الفقهاء الشافعية، غلب عليه الحديث واشتهر به، وبالغ في طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره، رحل وطوف، وجاب البلاد ولقي المشايخ، وكان رفيق الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني في الرحلة، وكان أبو القاسم المذكور حافظاً ديناً جمع بين معرفة المتون والأسانيد . اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 82.

قد أفدت منه في رسم صورة للمرأة ودورها في الحياة العلمية والكتاب يحتوي على التراجم والحوادث التاريخية، و تراجم لشيخات ابن عساكر خلال فترة الدراسة .

3- ابن منقذ([1]) (ت 584هـ / 1188م) كتابه : " الاعتبار" قدم لنا في كتابه العديد من الجوانب الاجتماعية في بلاد الشام، ومن أمثلة ذلك تناوله للمرأة المسلمة في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ومظاهر البطولة الفردية لعدد من النساء في ميادين القتال، كما تحدث عن الحرية الجنسية للمرأة الصليبية، ، وتحليله لسلوكياتهم من الإيجابيات والسلبيات؛ كما أنّ أسامة يقدم لنا تصورا هاما وموضوعيًا لصفات الصليبيين، وقد وصفهم بالشجاعة والاحتراز في الحرب، وقَرَّر أنه لا فضيلة لهم إلا الشجاعة، كما تناول دور المرأة الفلسطينية في المقاومة الشعبية ضد الصليبيين.

4- العماد الأصفهاني([2]) (ت 597هـ / 1200م) . في كتابه : " الفتح القسي في الفتح القدسي " وهو كتاب مكرس لأعمال صلاح الدين العسكرية، حيث يعتبر المؤلف شاهداً على العصر ، من خلال مرافقة المؤلف لصلاح الدين للفترة من 583هـ - 589هـ = 1188- 1194م)، وهو كتاب تميز بأسلوبه الديواني، واشتماله على فقرات خطابية؛ بحيث يصعب على الباحث استخراج الحقائق التاريخية وقد أفدت منه من خلال الإشارات التي أوردها عن المرأة الصليبية ودورها في المجتمع الصليبي خلال فترة الصراع .

---

[1] - هو مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ ابن مرشد بن علي الشيزري، ولد في 27 جماد الآخر 488هـ / 4 يولية 1095م .وكان من كبار رجال بني منقذ أصحاب قلعة شيزر، سكن دمشق على أيام نورالدين محمود، وقام بالهجرة إلى القاهرة، ثم اضطر للإقامة في حصن كيفا، وكان من الرجال المشهورين، والشعراء المبرزين، وكان له علاقات شخصية مع الصليبيين أوقات السلم، وعندما استولى صلاح الدين على مدينة دمشق استدعاه وهو شيخ قد تجاوز الثمانين من عمره، وغمره بإحسانه وعطفه؛ توفى أسامة في 23 رمضان 584هـ 15/ نوفمبر 1188م .ابن منقذ، الاعتبار، مقدمة المحقق، ص6- 131. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 195- 196. عوض، الجغرافيون، ص 245- 247.

[2]- هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد، وكنيته أبوعبدالله بن أبى فرج الأصفهاني، ولدفي أصفهان سنة519هـ / 1125م وكان فقيها شافعيا تفقه بالمدرسة النظامية على يد أبى منصور سعيد بن محمد الرزاز، عمل في خدمة نورالدين محمود بدمشق، وأشرف على ديوان الإنشاء ثم عمل في خدمة صلاح الدين وأصبح كاتبا في الدولة الصلاحية، وكان القاضي الفاضل يثنى عليه ويمتدحه ووصفه" بالزناد الوقاد "صنف العديد من الكتب أهمها" البرق"، "الفتح القسي في الفتح القدسي "وغيرها؛ توفى في رمضان 597ه / حزيران 1201م .الأصفهاني، الفتح، مقدمة المؤلف، ص 6 . أبوشامة، الروضتين، ج5، ص 42 . ابن خلكان، وفيات ،ج5، ص147.

وكتابه : " خريدة القصر وجريدة العصر "أفاد دراستي في ذكر الشعراء الذين تمَّ ذكرهم في الكتاب .

5- ابن شداد ([1]) (ت 622هـ / 1234) . في كتابه :" سيرة صلاح الدين" وهو مخصص لسيرة صلاح الدين، وكان ملازماً له، من هنا تأتي أهمية المصنف كون مؤلفه شاهد عيان للأحداث ومشاركا فيها وقد أفدت منه في دور المرأة الفرنجية في القتال، بالإضافة إلي نقل صورٍ عن الحياة العامة .

6- ابن الأثير([2]) (ت 630هـ / 1235م) في كتابه : " الكامل في التاريخ" وهذا الكتاب غني عن التعريف في حولياته، وقد أفدت منه كثيراً في رسم الصورة السياسية لدي المسلمين والفرنجة فضلاً عن الحياة الاجتماعية .

7- ابن العديم([3]) (660هـ / 1262م) . في كتابه : " بغية الطلب في تاريخ حلب " حيث اختصره المؤرخ في كتاب أسماه " زبده الحلب في تاريخ حلب " وهو كتاب جمع مؤلفه الحوادث العامة للمنطقة وقد أفدت منه كثيراً في فصول البحث، ابتداء من الناحية السياسية في حلب مروراً بالأحوال الاجتماعية .

---

[1]- هو بهاءالدين أبي المحاسن بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي المعروف بابن شداد، ولد بالموصل في شهر رمضان (539هـ /مارس 1145م)، ونشأ بهافي رعاية أخواله بني شداد فنسب إليهم، وكان والده قد توفى وهو حدث صغير، و كان بهاء الدين فقيها شافعيا؛ تلقى علومه على يد شيوخ الموصل والبصرة؛ توفى في صفر 632هـ / نوفمبر 1234م .أبوشامة، الروضتين، ج5، ص 248. ابن خلكان، وفيات، ج7، ص 84- 85 الذهبي، سير، ج 22، ص384

[2]- هو عزالدين بن على بن أبى الكرم محمد بن عبدالكريم الشيباني، ولد بالجزيرة في4جمادى الأولى 555 هـ /12أيار 1160م انتقل إلى الموصل مع والده ،وكان إماما في حفظ الحديث، وحافظ التواريخ المتقدمة والمتأخرة؛ كما كان خبيرا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم، وصنف عدة تصانيف منها كتاب"الكامل" .أبو شامة ، الذيل على الروضتين، ص 105.

[3]- هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم، ولد بعد رأس القرن السادس، وأسمع على بيبرس العديمي، وعمتيه؛ خديجة، وشُهدة. وحدث، وسمع عليه ابن عشائر " منتقى مشيخة الفسوي " ، والأول من " مشيخة ابن شاذان الكبرى " ، وغير ذلك. وكان له معرفة بالأدب، والتاريخ، جيد المذاكرة، حسن المُحاضرة، ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفي بالقاهرة. من كتبه (بغية الطلب في تاريخ حلب) كبير جداً، اختصره في كتاب آخر سماه (زبدة الحلب في تاريخ حلب). ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 303.

8- أبو شامة([1]) (ت : 665هـ / 1266م) . في كتابه : "الروضتين في أخبار الدولتين " وهو كتاب جامع لتاريخ المنطقة، وقد أفدت منه في عدة مواضع منها في الناحية السياسية والاجتماعية، وللمؤلف كتاب آخر وهو تراجم" القرنيين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين " وقد أفدت منه في تراجم عدد من النساء في دمشق في تلك الفترة.

9- ابن شداد ([2]) (ت 684هـ / 1285م) وكتابه: " الأعلاق الخطيرة " في القسم الخاص بدمشق، وقد أفدت من هذا الكتاب كثيراً في رسم صورة للحياة السياسية في حلب، كذلك= استفدت منه المعلومات التي تحدثت عن المآثر العمرانية العلمية والدينية التي أنشأتها نساء الدولة الأيوبية وغيرهن في دمشق وحلب وغيرهما .

10- ابن واصل ([3]) (ت684هـ / 1285م) . في كتابه " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" وهومن المصادر المهمة التي تناولت تاريخ الدولة الأيوبية، وتعود أهميته لما فيه من تفاصيل عنهم، قلما توجد في كتاب آخر، وهو كتاب حاول فيه مؤلفه التأريخ للحوادث المهمة حتى سنة 681ه / 1282 م وقد أفادت الدراسة من هذا المصدر في

---

[1]- هو عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبى بكر بن إبراهيم المقدسي الشافعي، ولد في دمشق في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة 599هـ /يناير 1203يعرف بأبي شامة لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، وصنف كتبا كثيرة أهمها كتاب" الروضتين في أخبار الدولتين " " وكتاب الذيل على الروضتين "، وتوفى في رمضان 665هـ / 1267 م .أبوشامة، الروضتين، ج1، مقدمة المؤلف، ص 7-28. ابن كثير، البداية، ج 13، ص254، 255 . ابن واصل، مفرج، ج3، ص27.

[2]- هو عز الدين محمد بن إبراهيم بن علي الأنصاري الحلبي، ولد سنة 613هـ / 1215م بحلب، من رؤساء الكتاب وهو الذي جمع السيرة للملك الظاهر وجمع تاريخا لحلب، وقام برحلة إلى حران ومصر. وناب عن الملك السعيد بركة خان في مأتم الملك الظاهر بيبرس، في دمشق، سنة 676 هـ / 1277م، وكان معظَّما عند الأمراء محبوبا لديهم. تولى ديوان الرسائل عند هولاكو وغيره من الملوك، واستوطن الديار المصرية بعد استيلاء التتار على حلب. وتوفي بالقاهرة سنة 584هـ / 1285م. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 388. الزركلي، الأعلام، ج6، ص 283.

[3] – هو جمال الدين بن محمد بن سالم أبوعبدالله المازني التميمي، كان فقيها شافعيا، ولد في مدينة حماه(سنة 604هـ/ 1208م) وتلقى فيها علومه، من ثم رحل في طلب العلم لملاقاة العلماء في دمشق وحلب وبيت المقدس والقاهرة والكرك وبغداد وغيرها، ونبغ في علوم كثيرة، وله عدة مصنفات، أقام بمصر مدة طويلة، وعاصر الحملات الصليبية المتأخرة، وسقوط الدولة الأيوبية، وقيام الدولة المملوكية؛ توفى في عام 697هـ/ 1298م. ومن أهم المؤرخين الذَّين نقل عنهم؛ ابن القلانسي، العماد الأصفهاني، وابن الأثير وغيرهم .وابن واصل، مفرج، مقدمة المحقق، ح1، ص16

مواضع كثيرة حيث احتوى على معلومات اجتماعية، وسياسية كان لها أثرها في إثراء الدراسة.

11- المقريزي ([1]) ومن مؤلفاته :

1- "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار".

2- "السلوك في معرفة دول الملوك" .

3- "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين" .

وفي هذه المؤلفات ذكر المقريزي كثيرًا من الحقائق التي أفادت موضوع الدراسة علي امتداده، وتميزت مؤلفاته بأنها نقلت عن عدة أصول اندثر بعضها، كما كتب بأسلوب واضح وبسيط، وتطرق المقريزي في أعماله المختلفة، إلى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والأخلاقية للمجتمع الإسلامي عامة والمصري خاصة. فتعرض في كتابه الخطط بصفة عامة إلى كثير من الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة في بلاد الشام ومصر، وبعض الجوانب التاريخية، لا سيما منشآت المرأة الفاطمية.

أما كتابه الثاني السلوك؛ فهو يتفوق على المؤلفات التاريخية في العصر المملوكي من حيث دقة معلوماته، ووضوح عباراته، وشموليته. وقد أمدني بمعلومات دعمت رسالتي، فكان ملازماً لفصول البحث وخاصة في الفصل الرابع " دور المرأة في الحياة الاجتماعية ".

أما كتابه الثالث " اتعاظ الحنفا" فقد تضمن الدور السياسي للمرأة، ومشاركتها في الحكم أمثال نساء العصر الفاطمي الثاني، ولا سيما دور بعض نساء الطبقة الحاكمة في تدبير المؤامرات ضد الوزراء.

12- القلقشندي ([2]) (ت821هـ / 1418م) في كتابه : " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"

---

[1]- هو تقي الدين احمد بن على المقريزي، ولد بالقاهرة 766هـ/ 1364م، وهو سليل أسرة شيعية فاطمية، ولا خلاف في ذلك. تبوأ صدارة المؤرخين المصريين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، ويكفى دليلا على هذا أن تلاميذه مثَّلوا فطاحل المؤرخين في مصر خلال العصر المملوكي ،وقد تناولت كتابات المقريزي أوجهاً عديدة من تاريخ مصر والشام في عهود مختلفة، توفى في القاهرة عام 845هـ /2 144م . المقريزي مقدمة المحقق، ج1،ص7

[2]- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، المؤرخ الأديب البحاثة. ولد في قلقشندة (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة، سماها ياقوت قرقشندة) ونشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة. وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء. أفضل تصانيفه (صبح الاعشى في قوانين الإنشاء ، ط) أربعة عشر مجلدا، في فنون كثيرة من التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك، وله (حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم ،خ) و (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط) و (ضوء الصبح المسفر، ظ) مختصر صبح الاعشى، و (نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ، ط) الزركلي، الأعلام، ج1، ص 177.

وهو مصدر مهم من مصادر المعلومات حول أكثر من شخصية من النبلاء اللاتين، حيث يتضمن الكتاب نص معاهدة بين السلطان المملوكي الظاهر بيبرس المتوفى عام٦٧٦ه / ١٢٧٧م وسيدة بيروت إيزابيلا أوف إبلين المتوفاة حوالي٦٨٠ه -681هـ / 1282م، كما قام بتفسير وتوضيح العديد من المصطلحات المملوكية .

ب-كتب التراجم والطبقات

لكتب التراجم والطبقات أهمية كبيرة في البحث العلمي، حيث أنَّها تلقى الضوء على الجوانب الفكرية والثقافية، والمذهبية للأشخاص، وتقدم بعض اللمحات الحضارية والاجتماعية، والاقتصادية، وأهم كتب التراجم والطبقات التي اعتمدت عليها الدراسة هي:

1- **ابن خلكان: ([1]) (ت 681هـ / 1282م)** . كتاب :" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " ويُعُّد هذا الكتاب من أهم المصادر في التراجم والتاريخ الأدبي، وتكمن أهميته في كونه مصنفاً اعتمد على مصادر عديدة منها : "تاريخ دمشق "لابن عساكر، و "النوادر السلطانية" لابن شداد، وقد ترجم فيه للعديد من العلماء والفقهاء والقادة السياسيين في حقبة الدراسة.

2- الذهبي([2]) **(ت 748هـ / 1247م)** . يعد كتابه :" سير أعلام النبلاء " من أكبر الموسوعات التاريخية الشاملة التي عنيت بالتراجم والطبقات، ومن خصائص موسوعة الذهبي أنها احتضنت سبعة قرون ونيفاً من تاريخ رجال الإسلام وذلك منذ فجر الدعوة الإسلامية وحتى سنة 746هـ / 1345م، كما أنها تناولت جميع طبقات الشعب وخلفاء وسلاطين وحكام وملوك وأمراء وشعراء ونحاة وتراجم النساء، وقد أفادت الدراسة من هذه الموسوعة في معظم فصول الدراسة وخاصة الفصل الثالث الذي تناول دور المرأة والتعليم من خلال تراجم النساء في كافة المجالات، إذ زودتنا بمعلومات وفيرة عن عدد

---

[1]- هو شمس الدين محمد بن بكر، ولد في أربيل سنة 608هـ = 1211م، وعين في وظيفة نائب قاضي القضاة وهو لم يبلغ بعد التاسعة والعشرين من العمر، ثم عين قاضياً للقضاة في دمشق عام 659هـ = 1260م،،كان ابن خلكان إماماً ذكياً وبارعاً، وإخبارياً عالماً بالشعر والتاريخ وأيام الناس، توفي سنة681هـ = 1282م .انظر، أبو الفداء، المختصر في تاريخ، ج2، ص 350. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 281. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص 210. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص305.

[2] - هو شمس الدين محمد الذهبي، ولد بدمشق سنة 673هـ = 1274 م وبرع في علوم الحديث والقراء ات والتاريخ، صنف مصنفات عديدة بلغت حوالي مائة مصنف، وفي عام 741هـ = 1340م، فقد بصره فانقطع عن التأليف، وأكب على التدريس بمدارس دمشق حتي توفي سنة 748هـ = 1347م،.الذهبي، سير أعلام، مقدمة المحقق، ج1، ص13 - 15. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 10، ص 145، 144. ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص 153- 155.

النساء العالمات والفقيهات والمحدثات والواعظات، وغيرهنّ ممن ورد ذكرهم في الدراسة وهناك مصادر أخري للمؤرخ نفسه أفادت الدراسة في جميع فصولها مثل : " تذكرة الحفاظ" و "العبر في خبر من غبر " و" معجم الشيوخ الكبير" و " تاريخ الإسلام" .

3- تاج الدين السبكي ([1]) (ت 771هـ = 1369م) كتاباه . " الطبقات الشافعية الكبرى" و " معجم الشيوخ " من كتب التراجم الحافلة بتراجم العديد من النساء المحدثات في تلك الفترة التاريخية، مع ذكر أحوالهن العلمية والاجتماعية وقد أفادت دراستنا منهما في الفصل الثالث .

4- ابن العماد ([2]) (ت 1089هـ = 1678م) . كتاب : " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " جمع فيه ابن العماد بين التراجم والحوادث ، مع التركيز على التراجم وذكر فيه الوفيات مرتبة حسب السنين من القرن الأول إلي نهاية القرن العاشر الهجري / السابع إلى القرن السادس عشر الميلادي، وقد أفادت الدراسة الكثير من تراجم الرجال والنساء فكان الكتاب ملازماً لكافة فصول الدراسة.

5- ومن كتب التراجم والطبقات الأخرى التي أفادت الدراسة " الوفيات" لابن رافع السلامي ت 774هـ / 1372م) ، الصفدي ت 764هـ / 1363م، " الوافي بالوفيات".

6- ابن حجر قد ذكر في كتابه : " الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة " (191) ترجمة نسائية متنوعة وموزعة على أجزاء الكتاب، فقد ترجم في الجزء الأول (24) ترجمة والجزء الثاني (96) ترجمة وفي الجزء الثالث (49 ترجمة)، وأما الجزء الرابع فاحتوى على (22 ترجمة).هذا الكتاب أفاد الدراسة لتراجم النساء في الجزء الأول والثاني منه.

---

[1]- هو تاج الدين السبكي، عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر، قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث .وقيل السبكي نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) ، ولد في القاهرة، سنة 727هـ= 1326 م.

وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها ،وكان طلق اللسان، قوي الحجة ،انتهى إليه الأمر إلى قضاء الشام وعزل عنه، وتعصب عليه شيوخ عصره، فاتهموه بالكفر واستحلال شر بالخمر، وأتوا به مقيداً مغلولاً من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق، من تصانيفه "طبقات الشافعية الكبرى" و "معيد النعم ومبيد ،النقم "و " جمع الجوامع " توفي بالطاعون سنة 771هـ = 1369م.انظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء12، ص 137. ابن كثير البداية والنهاية، ج 12، ص 221.ابن العماد ،شذرات الذهب ،ج5، ص 54. الزركلي، الأعلام، ج4 ، ص184.

[2]- هو شهاب الدين أبي الفلاح بن العماد الحنبلي توفي سنة، 1089هـ / 1678م، انظر، ابن العماد، شذرات الذهب، مقدمة المحقق،ج1، ص5-8.

ج- كتب الجغرافيا والرحلات

قدمت كتب الجغرافيا معلومات قيمة عن الكثير من المدن والقرى من الناحية الجغرافية لبلاد الشام ومصر، موضوع الدراسة واستفادت الباحثة من هذه المصادر خلال تعريف الكثير من المناطق الإسلامي في بلاد الشام ومصـــر، أما كتب الرحلات فقد كان لأصحابها دور كبير في جمع المعلومات المتنوعة من خلال مشاهدتهم وتجاربهم وقد أفادت هذه الكتب الدراسة بمعلومات كثيرة لم تذكرها كتب التاريخ وكتب التراجم، ومن هذه المصادر :

1- ابن جبير([1]) (614هـ = 1217م) سجل كل ما شاهده في بلاد الشام في كتابه " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" المعروف برحلة ابن جبير، من خلال زياراته لتلك البلاد، حيث دوّنَ فيها مشاهداته في رحلته الأولي إلى المشرق عام 587هـ / 1182م، والثانية 585هـ / 1189م، والتي دَوّنَ فيها ما شاهده عن أسري المسلمين من قبل الفرنجة ، وعن ما شاهده في دمشق من مآثر عمرانية من قبل نساء البيت الأيوبي، مع ذكر الأوقاف على تلك المنشئات، كما أفادني بمعلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية، مثل إيراد بعض الجوانب الخاصة بالعادات والتقاليد الاجتماعية سواء لدى المسلمين أو الصليبيين على نحو أدى إلى إثراء الرسالة، وتناول ابن جبير كذلك جانبًا مهمًا من جوانب العلاقات السلمية بين الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام، وذلك من خلال التعامل والتبادل التجاري بينهما، وعن اختلاط الفرنجة في بلاد الشام.

2- الحموي([2])(ت: 626هـ /1228م)يعتبر كتابه: " معجم البلدان" من أهم المؤلفات ، فهو بمثابة موسوعة جغرافية قائمة بذاتها نظراً لوفرة المادة التي أوردها وتحدث فيها عن البلدان والأقاليم والمدن والجبال والأنهار، وكتاب معجم البلدان مرتب وفقا

---

[1]- هو محمد بن أحمد الأندلسي، ولد في مدينة بلنسية 540هـ= 1145م، وتلقى العلم على شيوخ عصره في غرناطة، وسبتة، وقام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق الإسلامي، الأولى سنة 578هـ= 1182م، وانتهى منها بعودته إلى بلنسية سنة 581هـ= 1185م، والثانية في سنة 585هـ = 1189م، أي بعد أن استرد السلطان صلاح الدين بيت المقدس، أما الثالثة فكانت في سنة 614هـ = 1217م، ولكن لم يطل به العمر حيث توفي في الإسكندرية في العام نفسه. ابن جبير، الرحلة، مقدمة المحقق، ص6-10. سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص 220. عوض، والجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص283- 287.

[2]- هو ياقوت بن عبدالله، ولد في الفترة الواقعة بين سنتي[2](574هـ - 575هـ = 1181- 1182م) ببلاد الروم، ولكنه وقع في الأسر وهو صغير فاشتراه أحد تجار بغداد كي يعتمد عليه في تجارته، وتنقل ياقوت بين كثير من الأمصار وتوفي بظاهر مدينة حلب سنة 626هـ /1228م م.ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص127. اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص59 .عوض، الجغرافيون، ص73،75

للحروف الأبجدية ولا غنى عنه للباحث في التاريخ والجغرافيا والأدب وتاريخ البلدان خاصة في تحقيق أسماء المدن والبلدان والمعالم الجغرافية([1])، وقد أفادت منه الباحثة من حيث كونه المصدر الأول للتعريف بالبلدان والمدن والقرى التي تناولتها الدراسة.

بالإضافة إلى المصادر سالفة الذكر فقد استفادت الباحثة خلال دراستها من العديد من المصادر الأخرى من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

أضف إلى ذلك ما قدمته لنا المصادر اللغوية من فائدة عظيمة في شرح وتفسير بعض المصطلحات العربية ونخص بالذكر : كتاب"لسان العرب " لابن منظور(ت 711هـ= 1311م)

ثانياً – المصادر الأجنبية

بالإضافة إلى المصادر سالفة الذكر فقد استفادت الباحثة خلال دراستها من العدد من المصادر الأخرى، ولابد للباحث من الاطلاع على المصادر الأجنبية؛ لأنّها تقدم لنا صورة أخرى للوضع في فترة الصراع، فضلا عن أنها تكمل ما أغفلته المصادر العربية. من بينها على سبيل المثال لا الحصر :

1- فوشيه الشارترى ([2]) (fulcher of charters).

وضع كتابه أعمال الفرنجة واعتمدت الباحثة

"Gesta Francorum Iherusale peregrinantium"حجاج بيت المقدس" على الترجمة العربية لهذا الكتاب التي قام بها زيا د العسلي بعنوان : " تاريخ الحملة إلى القدس "والتاريخ الذي كتبه فوشيه هو المؤلف الوحيد الذي كتبه مستوطن إفرنجي محلي يغطى كل الفترة التكوينية الباكرة التي أعقبت الحملة الصليبية الأولى، وكان شاهد عيان لمعظم الإحداث التي دونّها في كتابه، علاوة على أنّه استقى بعض المعلومات الأخرى من شهود عيان، وكذلك من الخطابات المرسلة من بيت المقدس إلى الغرب الأوربي، وعلى هذا فالمادة التاريخية التي قدمها فوشيه غزيرة بحيث غطت جوانب كبيرة من تاريخ الصليبيين في الشرق، وبخاصة في مملكة بيت المقدس الصليبية وماحل ّبمملكة بيت المقدس خلال العقود الثلاثة الأولى، وقد أفادت الرسالة في إشارته بشأن وضع المرأة المسلمة بعد وقوعهن في الأسر، كما أشار إلى دور المرأة الإفرنجية في تقديم العون والمساعدة في القتال ضد المسلمين من تقديم الماء وغيره وأفاد كتاب فوشيه الدراسة في تزويدها بمعلومات عن تأثر الفرنجة خلال حقبة زمنية

---

[1]– البيشاوي، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية ، ص 26.

[2]– فوشيه الشارتري :ولد فوشيه بمدينة شارتر بفرنسا في الفترة الواقعة بين سنتي(٤٤٩– 451ه /١٠٥٨ - 1059م

قصيرة بعادات وتقاليد الشرقيين سواء الاجتماعية منها والاقتصادية وذلك باختلاطهم بالسكان المحليين وزواجهم من المسيحيات الشرقيات.

2- وليم الصوري "William of Tyre"([1])

ويعد كتاب " تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر"

Historia Rerum in Partibus Transmannis Gestaeam، من أهم المصادر الأجنبية المعاصرة التي أر خت للحروب الفرنجية، كون مؤرخه كان من الشخصيات المقربة من البلاط الفرنجي، وقد تم نقل الكتاب إلى اللغة الإنجليزية بعنوان

A History of the Deeds done Beyond the sea والكتاب ترجم إلى اللغة العربية،و قام على ترجمته سهيل زكار بعنوان " تاريخ الحروب الصليبية والأعمال المنجزة فيما وراء البحر" ، وخرج الكتاب في مجلدين، وترجمه أيضا حسن حبشي محمد بعنوان " : تاريخ الحروب الصليبية " فخرج في أربعة أجزاء. وقد تناول وليم الصوري فترة زمنية طويلة لم يتعرض لها من سبقه من المؤرخين اللاتين امثال فوشيه الشارتري، وألبرت دكس، وروبرت الراهب وغيرهم .و توقف وليم الصوري في تاريخه حتى عام 1184 م .وهو يمتاز بأهمية خاصة لأنه يتناول وجهتي النظر الدينية والدنيوية، فيما يتعلق بالأحداث التي رواها، وذلك بحكم المناصب التي تولاها، أما الفترات التي تناولها الكتاب فيمكن أن نقسمها إلى الآتي:

القسم الأول :تناول فيه المؤلف تاريخ الشرق اللاتيني منذ فتح المسلمين لسوريا، أي حوالي 521 – 640 هـــ = 1127–1242م، وقد اعتمد فيه على العديد من المصادر المعاصرة لهذه الفترة، وعلى شهود عيان، أو الذين يكتبون من الغرب الأوروبي فنقل عن البرت دكس وفوشيه الشارتري وريموند داجيل وغيرهم، واعتمد أيضا على شهود عيان ووثائق قبل مغادرة 1162 م (فقد اعتمد فيها وليم - الشرق إلى أوروبا، أما الفترة الثانية الممتدة من) 1128

[1] - ولد وليم الصوري في بيت المقدس عام 524 ه 1130 /م، متجها إلى الغرب الأوروبي لاستكمال تعليمه، وهو ينتمي(لاسرة فرنسية شاركت في الحملة الفرنجية الأولى، وقد عاش وليم في الشرق الإسلامي واتقن اللغة العربية اللاتينية والفرنسية، واتجه وهو في مقتبل العمر إلى الغرب الأوروبي لاستكمال تعلمه هناك، وخاصة في باريس وشارتر كما ذهب إلى إيطاليا، وبعد أن قضى عشرين عاما في أوروبا عاد بعد ذلك إلى الشرق عام 1165 م، وعمل في خدمة الملك وكان مربيا لبلدوين الرابع ومستشارا له، وقد عينه الملك Amalric عموري، واخذ يتدرج في سلك المناصب الدينية عموري رئيسا لأساقفة صور وكاد أن يصل إلى بطريركية بيت المقدس ولكن هرقل رئيس أساقفة قيسارية تمكنوا من الحصول عليها بعد مؤامرة حيكت ضد وليم الصوري إذ بعث هرقل له من سقاه السم وقتله عام 1184م، انظر سمالي المؤرخون، ص179 ، العريني :مؤرخو، ص101 توفيق :المؤرخ وليم الصوري، ص 181 – 187.

Cf.also: Richard,J., The Latin Kingdom. vol. I. p.110, Cahen.op. cit.pp. 16-18.

الصوري على الأرشيفات، والوثائق الملكية، وروايات شهود عيان. منذ أن عاد إلى الشرق مرة ثانية وحتى عام 580 ه 1184 /م، وأصبحت كتاباته على درجة كبيرة من الإتقان، وساعده على ذلك إتقانه العديد من اللغات مثل اللاتينية واليونانية والعربية والعبرية، و لم يراع الترتيب الزمني أحيانا عند ذكر بعض الأحداث، أما فيما يتعلق بالمادة التي زودنا بها يكاد يكون المصدر الرئيس بالنسبة للفصل الثاني من الدراسة، فقد أورد العديد من التفاصيل عن مشاركة المرأة في الحملات الصليبية وقدومها إلى الشرق ، وكيفية وصولها لدفة الحكم، كما تحدث عن دور المرأة السياسي في مملكة بيت المقدس .

3- يعقوب الفيتريJacques de Vitry ([1]) ويعد كتاب تاريخ بيت المقدس من الكتب الهامة التي اعتمدنا عليها لان مؤلفة من المؤرخين الفرنجة الذين تولوا مراكز مرموقة في مملكة بيت المقدس الإسمية، ولذلك فهو من المؤرخين الذين كانوا قريبين من الأحداث بشكل مباشر .وقد زودنا بمعلومات هامة أفادت فصول الدراسة وعلى وجه التخصيص الفصل الثاني والرابع .

[1] - ولد يعقوب الفيتري نحو عام 1180 م، وتلقى تعليما دينيا، ثم أصبح من رجال الدين المرموقين، حيث تبوأ منصب بطريرك عكا، كما انه قام بدور فعال في الحملة الفرنجية الخامسة :انظر :الفيتري، تاريخ،، ص 7- 12.

الفصـــــل الأول

دور المرأة المسلمة في بلاد الشام ومصر في الحياة السياسية والعسكرية زمن الصراع الإسلامي الفرنجي

المبحث الأول: المرأة المسلمة ودورها في إدارة شئون الحكم.

المبحث الثاني: المصاهرات السياسية داخل البيت الأيوبي وخارجه.

المبحث الثالث: المرأة المسلمة ودورها في القتال.

المرأة المسلمة ودورها في إدارة شئون الحكم.

تجلت صورة المرأة المسلمة في إدارة شئون البلاد زمن الصراع الإسلامي الفرنجي في نساء السلاطين والأمراء والجواري، إلى حد يسترعي الانتباه، فهناك أدلة واقعية كثيـــرة تثبت تدخلهن ومشاركتهن في توجيه سياسة الدولة سواء كان بطريق مباشر أو غير مباشر في ذلك العصر، ونختار من بينها أحداث سنة 493هـــ / 1099م، فقد تم قتل شمس الملوك دقاق بن تتش([1]) أمير دمشق مسموماً بتدبير أمه([2])، فقد أورد ابن عساكر رواية، أنَّ أمـــه صـــفوة الملك هذه زينت له جارية، فسمته في عنقود عنب، فثقبته بإبرة وفيها خيط مسموم، ولما أكله تهري جوفه فمات ([3])، والتي ندمت عليه بعد فوات الأوان([4])، وقد ذكر ابن القلانســـي أنَّـــه عندما أشرف دقاق المذكور على الموت طلبت منه أمه أن يوصي بما في نفسه، فأوصـــي أن يكون الأمير ظهير الدين([5]) أتابك([6]) في ولاية دمشق من بعده ([7]) . والغريب أنّ هذه المرأة ،

---

[1]– هو شمس الملوك دقاق أبو نصر بن تتش بن ألب أرسلان، ولي دمشق بعد قتل أبيه تاج الدولة، وذلك في سنة 487هـــ / 1093م وكان دقاق بحلب، فأرسل خادم أبيه ونائبه بقلعة دمشق سراً من أخيه رضوان ملك حلب، فخرج دقاق وقدم دمشق فتملكها. إلى أن توفي، فغلب طغتكين على دمشق، سنة 497هـــ / 1013م ، ودفن دقاق بخانقاه الطواويس رحمه الله. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج34، ص 256.الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص 427.

[2] – هي صفوة الملك زوج السلطان تاج الدولة تتش طلقها ووهبها للأتابك طغتكين إكراماً له على عادة السلاجقة، وهي أم السلطان شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة تتش، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج2، ص 416.

[3] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص 304. الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج37، ص 194.

[4] – عاشور، بحوث في تاريخ الإسلام، ص 373. زكار، مدخل إلى الحروب الصليبية، ص 346.

[5] – طغتكين أبو المنصور الأتابك صاحب دمشق، ومن أمراء السلطان تتش بن أرسلان السلجوقي، فزوَّجه أم ولده دقاق، فقتل السلطان، وتملك بعده ابنه دقاق، وصار طغتكين مقدم عسكره، ثم تملك دمشق بعد موت دقاق، وكان يتصف بالشجاعة والهيبة بجهاده ضد الإفرنج ، ومؤثراً للعدل، توفي عام سنة522هـــ / 1129م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج37، 481.

[6]أتابك، كلمة تركية الأصل ومن بقايا عادات التركمان القديمة، وهي مركبة، من لفظين (أتا) أو" أطا" بمعنى مرب، وبك، بمنى أمير ومعناهما معا مربي الأميرة أو الأمير الوالد .وكانت لقباً يطلق على الأمراء والقواد العسكريين الذين يعهد إليهم بتربية أبناء سلاطين السلاجقة، وتعليمهم وتدريبهم على شؤون الحكم وفنون الحرب، وكان هذا اللقب من أرفع الألقاب في بداية التلقيب به، ثم أصبح بعد ذلك كثير الشيوع والذيوع حتى عرفت به دولة الأتابكة .انظر، الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 17 . دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص11 . ويطلق أتابك على مقدم العسكر والقائد العام للجيش المماليك، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، 18.

[7]– ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص 232 .

شأنها شأن ابنتها الآتية زمرد، فقد أورد الباحثون عن سبب إقدامها لمقتل ولدها دقاق، حرصاً على تقوية الجبهة الداخلية، والتفاف الناس حول الأمير طغتكين زوجها([1]).

وصفها ابن القلانسي بأنها " كانت من النساء المصونات المحبة للدين والصدقات والتنزه عن الظلم بطلب الخيرات مع قوة النفس وشدة الهيبة ومعرفة التدبير فيما توخته في حق ظهير الدين عند وفاة ولدها الملك شمس الملوك إلى أن استقام له الأمر واستقرت في المملكة والدولة والحال وسهلت له المطالب برأيها وهيبتها وسياستها والآمال "([2])، فيبدو أنَّ هذه المرأة كان لها نفوذ كبير وهيبة عظيمة وكلمة مسموعة لدي الجند والعامة كما يفهم من النص الذي أورده ابن القلانسي، حيث أنَّها قامت بتدبير الملك في دمشق بعد وفاة ولدها دقاق، حتى استلام زوجها مقاليد الحكم، فكانت تحكم معه من خلف الستار، فعندما توفيت حزن عليها حزناً شديداً وبالإشارة إلى مكانتها لدي ظهير الدين زوجها " فقلق ظهير الدين لفقدها وتضاعف عليها حزنه وأسفه وتسلم ما خلفته واستخرج ما ذخرته وأودعته وعمل بوصيتها" ([3]).

وقامت بدفن ابنها في الخانقاه([4]) الطواويسية ([5]) التي قد باشرت ببنائها مقابل " جامع الطاووسية" وقد استمد اسمه من الخانقاه المذكورة، والمهم أنها أوصت أن تدفن عند ولدها في " قبة الطواويس" في الشرف الأعلى ظاهر دمشق، وقد نفذ طغتكين رغبتها ودفنها عند ولدها يوم وفاتها في آخر جمادي الأولي سنة 513هـ / 1119م ([6]).

ومن النساء أيضاً اللواتي قدر لهنّ تولي الحكم، وتغيير في الأوضاع السياسية في دمشق زمرد بنت جاولي الخاتون([7])، هي زوجة الملك بوري تاج الملوك([1])، بنت صفوة الملك، أخت الملك دقاق لأمه، وأم الملك إسماعيل شمس الملوك([2])، ومحمود ([3]).

---

[1]- الشواف، دمشق، ص 261.

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص 124.

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص 124.

[4] – الخانقاه ، بالقاف والكاف ، جمعها خوانق ، لفظة فارسية تعني البيت وقيل أصلها خونقاه، أي الموضع الذي يأكل فيه الملك. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص 176. *مادة "خانقاه"*.دائرة المعارف الإسلامية ، النسخة العربية ، المجلد السادس عشر، ص 459.

[5] – الخانقاه الطواويسية، هي الآن معروفة مشهورة بمحلة البحصة وجدرانها الغربية الى طريق الصالحية وبها قبة شاهقة والى جانبها الغربي مسجد ولها فسحة كبيرة وهي غنية بمائها فقيرة مما بنيت لأجله . أبو شامة، الروضتين،ج1، ص 27. النعيمي، الدارس، ج1، ص129. بدران، منادمة الأطلال، ص 282.

[6] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص 124.

[7]- خاتون: لفظ فارسي ،تركي تعني سيدة عريقة الأصل وجمعه خواتين وقد عرف هذا اللقب أيام السلاجقة. الخطيب، معجم الألفاظ، ص155.

فقد وصفها ابن عساكر بأنَّها كانت : " امرأة محبة للخير، مكرمة لأهل العلم، سمعت الحديث من أبي الحسين بن قبيس المالكي ونصر الله بن محمد المصيصي ([4])، الفقيه واستنسخت الكتب وقرأت القرآن على أبي محمد هبة الله بن طاووس([5])، والقرطبي ([6])، وذكرها الذهبي بأنَّها: " كانت كبيرة القدر، وافرة الحرمة ..." ([7]) .

وقيل عنها أيضاً : " من ربات العقل والحزم والدين والصلاح والبر والإحسان " ([8]).

وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الآخر سنة 529هـ / 1133م تدخلت لإصلاح أحوال أتابكية دمشق بسبب فساد أحوال ابنها المذكور بأنه " بالغ في الظلم، وصادر وعذب، ولما علم بأنَّ زنكي على قصد دمشق، بعث يستحثه ليعطيه إياها لهذيان تخيله، ويقول: إنَّ لم تجئ

---

[1]– بوري، تاج الملوك ابن ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق؛ ملكها بعد والده سنة 522هـ / 1129م ، ووثب عليه جماعة من الباطنية فجرحوه. وتوفي سنة 526هـ / 1133م.الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص 437.

[2] – شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طغتكين التركي صاحب دمشق، تملك بعد أبيه سنة526هـ / 1133م ، وقد اشتهر بالشجاعة والشهامة والإقدام في قتاله ضد الإفرنج ، ولكنه كان جباراً ظالماً ، استنقذ بانياس من الفرنج في يومين، وكانت الإسماعيلية باعوها للإفرنج قبل سبع سنوات، فأذاقهم ذلاً وحاربهم وشرد بهم ، ثم حاصر بعلبك ونازل حماة وهي يومئذ للأتابك زنكي، وأخذها منه، وقتل عام 529هـ / 1136م، ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 387 – 390. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج10، ص 409. ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 20– 21. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج23، ص 435. ، تاريخ الإسلام، ج38، ص 222. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص203. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 306.

[3] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص483. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38، ص222.

[4] – هو أبو الفتح نصر الله بن محمد المصيصي، ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي الأصولي الأشعري. سمع من أبي بكر الخطيب، وتفقه على الإمام أبي نصر المقدسي، ودرس بالغزالية، وأفتى واشتغل، وصار شيخ دمشق في وقته. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص25.

[5] – هو المسند أبو طالب الخضر بن هبة الله ابن طاووس المقرئ ولد في دمشق و توفي بها عام 578هـ / 1184م. الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج21، ص 142.

[6] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 167. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 306. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 178.

[7] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38، ص 222. سير أعلام النبلاء، ج19، ص 575. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، 142.

[8]– كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 37.

سلمتها إلى الفرنج، كتب هذا بيده، فَأَشفق النَّاسُ([1])، فحمل صفوة الملك دينها على حسم الداء، فأهلكته، وكثر الدعاء لها "([2]) .

فدبرت الحيلة في قتل ولدها شمس الملوك إسماعيل حيث قتلته في حضرتها، عندما تمادى في غيه وكثر فساده وتواطأه مع الفرنج على بلاد المسلمين، فأمرت غلمانها أن يقتلوه، فقتلوه سنة 529 هـ / 1134م، وأجلست أخاه (شهاب الدين أبا القاسم محمود بن بوري) مكانه ([3]).

وقال ابن واصل : وكان سبب قتل شمس الملوك " أنَّه كان سيء السيرة إلي الغاية القصوى (مع بخل زائد ودناءة نفس) فكرهه أصحابه وأهله ورعيته" ([4])، وفي رواية أخرى ذكر أن سبب إقدامها على ذلك خوفها من زوال الحكم من بيتها : " ... فلما تحققت من أهل الدولة بكمالهم، فخافت على زوال الملك من بيتها؛ لذلك جمعت كبار القوم وقررت معهم أن تقتله وتقيم أخاه" ([5]).

ولكن ابن الأثير يرجع أن سبب قتله هو اتهامه لأمه بأنَّ لها علاقة بأحد القـواد فـأزمع على قتلها فأسرعت هي بقتله ([6]).

لكننا نجد في كلام ابن القلانسي تضارباً في ذكر الأحداث حيث أورد في بداية الحديث عن حياة شمس الملوك إسماعيل بأنَّه أنصف الفقراء والمتعيشين، ورفع عنهم الرسوم الجائرة وأنَّ الدعاء كثر له لعدله في الرعية، وهذا يتناقض مع ما ذكره آخراً عنه، فلماذا سكت عنه طوال فترة حكمه الثلاث، فيبدو أنَّه كتب لإرضاء أصحاب العرش أيا كان يقول ابن القلانسي : " وفي هذه السنة 529هـ / 1134م، شاعت الأخبار في دمشق عن الأمير شمس الملـوك في ارتكاب القبائح والمنكرات، وشرع في المصادرات ... ولما علم بأن زنكي على قصـد دمشق، بعث يستحثه ليعطيه إياها لهذيان تخيله، ويقول: إن لم تجيء سلمتها إلي الفرنج، ثـم

[1] – فظهر أمره للناس، فأشفقوا من الهلاك خاصتهم وعامتهم، وأنهوا الأمر إلى زمرد الملقبة بصفوة الملك، فحملها دينها وعقلها على النظر بما يحسم الداء، فلم تجد بدا من هلاكه. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص 152.الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص 576.

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص 152.

[3]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38، ص 222. سير أعلام النبلاء، ج19، ص 575. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، 142.

كرد علي، محمد، دمشق مدينة السحر والشعر، ص 28.

[4] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص57. ابن أيبك الداودار، كنز الدرر، ج6، ص 518– ص519.

[5]- ابن أيبك الداودار، كنز الدرر، ج6، ص 518– ص519.

[6] – ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 8.

نقل الخزائن إلى صرخد([1])، وشرع في القبض على أصحابه وكتابه وعماله، فخاف العسكر والرعية وأنهوا الحال إلى والدته زمرد خاتون، فحملها دينها القويم الرصين على تدبير قتله" ([2]).

وهذا الكلام يدفعنا إلى التساؤل ، لماذا يقوم بتسليم دمشق للفرنجة، وهو الذي أمضى أيامه في محاربتهم، وكيف يسلم دمشق لزنكي وهو الذي استعاد منه حماة ([3])؟ ، فهذا كلام غير صحيح، وذلك لأنَّ ابن القلانسي أورد رواية تتعارض مع ما ذكره لاحقاً عن الملك إسماعيل شمس الملوك حيث يقول : " أنه ظهر من شهامته وشدة بأسه وشجاعته وإقدامه، ما لم يخطر على بال أحد " ([4]) . ولكن قوله أراد أن يسلم دمشق للفرنجة هذا كلام غير صحيح حيث استطاع شمس الملوك أن يوقع بهم عدة هزائم وفتح عدة حصون مثل حصن اللبوة في البقاع وحصن الراس القريب منه، واسترد بانياس([5]) منهم في عام 527هـ / 1132م، ([6]) وفي العام نفسه استرد مدينة حماة من عماد الدين زنكي بالخديعة، حيث وصل إليها في أول أيام عيد الفطر مخالفاً بذلك كل التوقعات الأمر الذي أذهل أهلها ودفعهم إلى التسليم ([7]). والمهم أنَّ ما ذكره القلانسي هنا دوَّنه بعد مقتل شمس الملوك إرضاء للسيدة الأولى وهي صفوة الملك زمرد خاتون، فقد أعطاها سلطات القاضي العادل الذي لا تهمه إلا مصلحة الرعية واعتبر قتلها لابنها منتهي الحكمة فقال : " تأملت في الأمر تأمل الحازم الأريب

---

[1]- صرخد مدينة في منطقة حوران بسورية وفيها قلعة حصينة. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 401. تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير ، 2ج ، ص 103.

[2]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص 152. ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص57. ابن أيبك داودار، كنز الدرر، ج6، ص 518– ص519.

[3] – حماه : وهي من مدن الشام الداخلية الهامة تقع على نهر العاصي وتشتهر بنواعيرها . كانت في العصر الأيوبي من المراكز الثقافية الكبيرة وبخاصة في زمن ملكها أبي الفدا ، ولذلك تعرف بمدينة أبي الفدا . ينسب إليها كثير من العلماء منهم ياقوت الحموي وابن حجة الحموي وابن واصل جمال الدين محمد بن سالم وابن الفارض شرف الدين عمر بن علي الحموي المصري وابن رزين تقي الدين العامري الحموي وغيرهم. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 300. تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج1، ص 460.

[4] - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص151.

[5] – بانياس مدينة تقع غربي مدينة حماة تقع على البحر المتوسط (سورية) جنوبي مدينة اللاذقية وجبلة. ابن جبير، الرحلة، ج1، ص 115. تعريف الأماكن في كتاب البداية والنهاية لابن كثير، ج2، ص 296.

[6] – ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 42. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص 86.

[7]- ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 109.

والمرتأي المصيب، ولم تجد لدائه دواء، ولا لنفسه شفاء إلا بالراحة منه، فصرفت الهمة إلى مناجزته وارتقبت الفرصة في خلوته " ([1]).

وبعد مقتل ابنها أدارت شئون البلاد إلي جانب ابنها شهاب الدين محمود الذي كان صغيراً، وصارت منذ تلك اللحظة صاحبة الأمر والنهي ؛ أي الحاكمة الفعلية في دمشق([2])، ويذكر الصفدي: " وأقامت زمرد خاتون تدبر المُلك مدةً "([3])، وبسبب دورها السياسي المعروف في مدة حكم آل بوري، لقبها بعضهم بست الشام([4])، ثم تزوجها الأتابك عماد الدين زنكي([5]) والد السلطان نور الدين وصارت إليه إلى حلب ([6]) سنة532هـ / 1138م، وأغلقت خلفها أبواب مدينة دمشق، وكان يهدف من وراء ذلك الزواج السيطرة على دمشق؛ لتحكمها

---

1 - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 153.

2 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 306.

3– الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص204.

4 - بيهم، المرأة في حضارة العرب، ص 286.

5 - هو عماد الدين زنكي، أبو الجود بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده(بالحاجب) ؛ صاحب الموصل ولد سنة 477 هــــ / 1084م، وكان أبوه من كبار قادة ملكشاه حتى لقب بقسيم الدولة وكان الابن الوحيد لهذا القائد العظيم في الدولة السلجوقية وتولى والده آق سنقر حلب سنة 479 هــ / 1086م أي بعد سنتين من مولده، فكانت حلب مهد طفولته وقضى بها أيامه الأولى قد تميز بالشجاعة، وورث عن أبيه آق سنقر القوة التي تعرف العطف والتي لا تبقى على عدو خطر، وورث عنه التخطيط، وهو ذو دهاء ومكر وحيلة، وذكاء نافذ في مجابهة المشاكل الحربية والسياسية، وقد مكَّنه ذلك من اجتياز كثير من الصعوبات ، وكان من الأمراء المقدمين، فوض إليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد في سنة 521 هــ/ 1126م، وله يد بيضاء في قتال الصليبيين، قتل سنة 541 هــ / 1146 م، وهو يحاصر قلعة جعبر قتله نفر من مماليكه غيلة وهو نائم ثم هربوا وختم له بالشهادة رحمه الله تعالى.ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2 ، ص 328 . ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج5 ، ص 29 . ابن واصل مفرج الكروب، ج1 ، ص 26 . أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1 ، ص 373 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12 ، ص 275 . النعيمي، الدارس في المدارس ،ج2 ، ص138

6 - حلب مدينة من مدن الشام، وهي عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، وهي عامرة تقع في وسط البلد وفيها قلعة حصينة واسعة، شهيرة الامتناع، بائنة الارتفاع، معدومة الشبه والنظير في القلاع، ولها سبعة أبواب باب حمص باب الرقة باب قنسرين باب اليهود باب العراق باب دار البطيخ باب انطاكية وباب الأربعين مسدود . ابن جبير، رحلة، ص 94 . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2 ،ص 101. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص143

في أمورها؛ فخابت آماله في السيطرة على المدينة بسبب رفضها ([1])، وقضت ثماني سنوات من الوحدة والإهمال، في مدينة حلب، ولما قتل ابنها محمود طلبت من زوجها زنكي بالتوجه إلى دمشق لأخذ الثأر من القتلة، أملاً في استعادة مجدها السياسي([2]) ولكن هذه المحاولة لم تنجح، فقد قتل زوجها زنكي في حصاره لبعض قلاع الفرات قلعة جعبر، فلم يعد أحد يهتم بها، فقررت الحج عن طريق بغداد ولما انقضى الحج بقيت في المدينة المنورة لعلها تجد في جوار قبر النبي العزاء والسلوان، ولمّا قلَّ ما بيدها من المال، فكانت تغربل القمح والشعير، وتطحن، وتتقوت بأجرة ذلك، إلى أن توفيت عام 542هـ / 1148م ، ودفنت بالبقيع وهي في التسعين من عمرها ([3])، و يبدو أنَّ قلائل من أولئك المشيعين الذين واروها التراب كانوا يعرفون أنَّها هي نفسها الملكة زمرد خاتون ملكة دمشق ويتبين ذلك من قول ابن الوردي في تاريخه: " إنَّها تزوجت بباقلاني فكان إذا غضب عليها لطمها فتقول له : لو عرفتني ما لطمتني " ([4]) ومن أعمالها أنها بنت المسجد الكبير الذي في صنعاء دمشق ووقفته مدرسةً على الحنفية ([5])، وهي من كبار مدارسهم وأجودها معلوماً "([6]).

ولكن أعمالها ومآثرها الخيرية التي ذكرها التاريخ خلق لها كل الأعذار لجريمتها من أجل الدفاع عن الوطن، فالوطن أغلى من الولد .

كذلك نقرأ عن عصمت الدين بنت معين الدين أنر كانت واحدة من ثلاث بنات لمعين الدين أنر([7])، تزوج الثانية صاحب دمشق مجير الدين آبق، والثالثة واحد من أمراء أنر([1])

---

[1] -ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 8. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 306. ابن العبري، مختصر الدول، ج1، ص 124. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 40. ابن أيبك الداودار ، كنز الدرر، ج6، ص 518.ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 178.

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 369.

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 306. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 178 الزركلي ، الأعلام ، 3، ص 49. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 38.

[4] – ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 40.

[5]– وهي التي تعرف بالمدرسة الخاتونية البرانية موجودة في دمشق التي على القنوات بمحلة صنعاء الشام، ويعرف ذلك المكان التي هي فيه بتل الثعالب، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 364. النعيمي ، الدارس، ج1، ص 385. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 178.

[6] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 167. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 306. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 178.

[7] – فأبوها "معين الدين أنر" مقدم عسكر دمشق ومدبر الدولة "كان عاقلا سائسا مدبرا حسن الديانة ظاهر الشجاعة جليل القدر عالي الهمة، موصوفاً بالرأي محباً للعلماء والصلحاء كثير الصدقة والبر" توفي سنة544هـ / 1151م الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص 205

عقد نور الدين الشهيد عقده عليها بدمشق سنة 541هـ / 1147م، في الثلاثين من عمره، وحملت إليه في حلب([2])، إذ كان الهدف من وراء ذلك الزواج وحدة الأمة من خلال رأب الصدع بين دمشق وحلب لتتمكن من مواجهة عدوها وتحرير المقدسات الإسلامية بعد ذلك من أيدى الفرنجة.

ويبدو أن نشأتها في بيت مدبر الدولة ساهم في اطلاعها على كثير من الأمور، وجعلها تدرك حجم المخاطر التي تتعرض لها الأمة، وتتفاعل معها وتهتم بها، فوقفت إلى جانب زوجها "نور الدين محمود" تشاركه هم أمته، وتشد من أزره في جهاده ضد الفرنجة (الصليبين)، وتخفف عنه ما يكابده من مشاق الحكم والإمارة، وتعينه على الطاعة ويعينها؛ لذلك فقد كانت منزلتها عظيمة في نفسه، وحرص على إرضائها وعدم إغضابها، ومن ذلك أنها كانت تكثر القيام في الليل، ونامت ليلة عن وردها فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت نومها الذي فّوت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك (الطبلخانة) ([3])بضرب الطبول في القلعة وقت السحر لتوقظ النائمين حينذاك للقيام، ومنح الضاربين أجراً جزيلاً([4]).

وبعد وفاة "نور الدين" تقدم لخطبتها "صلاح الدين" ([5])عام 572ه/ 1174م، وعقد عليها وكانت له نعم الزوجة، فأحبها "صلاح الدين " حبا شديدا وتعلق بها، وكان يستشيرها في أموره كلها، وما ذكره المؤرخون عن ذلك "إن صلاح الدين كان يصدر عن رأيها" ([6])؛ لما تتميز به من رجاحة عقل وحكمة.

---

[1]- زكار، سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 744. الشواف، دمشق ، ص 260.

[2] – القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص 450.

[3] – الطبلخانة: كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق. والطبلخانة أيضا المكان المخصص من حواصل السلطان لطبول الفرقة وأبواقها وتوابعها من الآلات. القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص 142- 143.

[4] – ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص 345.

[5] - السلطان صلاح الدين الأيوبي :أبو المظفر ايوب الملقب بالملك الناصر، صاحب الديار المصرية والشامية والفراتية،)

ولد عام 532 ه 1137 م، بقلعة تكريت ولم يزل في كنف ابيه حتى شب، ولما ملك نور الدين زنكي دمشق عام 459ه 1154 م لازم نجم الدين ايوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين، ولاه نور الدين شحنكية (شرطة دمشق)دمشق قبل خروجة مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر عام 558 ه 1162 /م، تولى وزارة مصر بعد وفاة عمه سنة 564ه 1169 /م، توفي في 589 ه 1193 /م، ابن خلكان :ج7 ، ص 139 ، أبو شامة :الروضتين، ج2 ، ص-219 218، ابن تغري بردي :النجوم، ج6 ، ص7

[6]- النعيمي، الدارس، ج1، ص389.

ويقول صاحب الروضتين :" وفي آخر صفر تزوّج السلطان بالخاتون المنعوتة عصمة الدين بنت الأمير معين أنر، وكانت في عصمة نور الدين ــ رحمه الله تعالى، فلما توفي أقامت في منزلها بقلعة دمشق، رفيعة القدر، مستقلة بأمرها، كثيرة الصدقات، والأعمال الصالحات، فأراد السلطان حفظ حرمتها، وصيانتها وعصمتها، فأحضر "شرف الدين بن أبي عصرون" وعُدُوله، وزوَّجه إياها بحضرتهم أخوها لأبيها الأمير سعد الدّين مسعود بن أنر بإذنها، ودخل بها وبات عندها، وقرن بسعده سعدها" ([1]) .

كما ذكر ابن كثير: "محبة صلاح الدين لها، وأنَّه كان يكتب لها في أثناء مرضـــه فـــي حران كل يوم كتاباً طويلاً، ولا يصدر إلا عن رأيها"([2]).

وقال عنها المؤرخون:" كانت من أحسن النساء وأعفَّهنَّ وأكثرهن خدمة، متمسكة مـــن الدين بالعروة الوثقى، وكانت لها أوقاف وصدقات كثيرة وبُّر عظيم" ([3]).

وقال العماد الأصفهاني: هي من أعف النساء وأعصمهنَّ وأجلهنَّ في الصيانة وأحزمهنَّ ،(...) ، ولها أمر نافذ ومعروف"([4]).

من أهم أعمالها أنها بنت المدرسة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب، وأوقفت عليها أموالاً كثيرة، وخانقاه خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس، ولها أوقاف كثيرة غير ذلك ([5]).

وظلت عصمت الدين خاتون إلى جانب صلاح الدين تعيش قضيته، وتعينه عليها، حتى توفيت رحمها الله عام 581 ه / 1185م، أي قبل تحرير بيت المقدس بعامين، لكنها شاركت بجهدها ومالها في تحريره ([6]).

هناك مثال آخر على تدخل النساء في شئون الحكم، ألا وهو تدخل سيدات القصر الفاطمي وأميراته في شئون الحكم؛ بسبب تزايد سلطة الوزراء، وما أصاب الخلفاء على أيديهم من المهانة، فكان لهنَّ دور في تعيين الوزراء وإقالتهم، مثلما حدث في عام 544هــ / 1149م

---

[1] – أبو شامة، الروضتين، ج3، ص 243. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 395.

[2] – النعيمي، الدارس، ج1، ص388.

[3]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص 120. ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص 573. النعيمي، الدارس، ج1، ص389.

[4] – البنداري الأصفهاني، مختصر سنا البرق،ج1، ص 128. النعيمي، الدارس، ج1، ص 390.

[5] – الذهبي، تاريخ الاسلام، ج40، ص 120. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 389. ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج4، ص 178.

[6] ـ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص 120.

حين ولي الخليفة الظافر([1]) الفاطمي الخلافة بعد وفاة الحافظ، فدخلت مصر في عهده في فوضي وإضرابات وزاد الصراع على السلطة بين الوزراء، وخصوصاً بين الوزير ابن مصال وبين المظفر الملك العادل ابن السلار والي البحيرة والإسكندرية، وذلك أنَّ الخليفة الظافر استوزر ابن مصال بوصية أبيه له ولم يرض ذلك ابن سلار، فاتفق مع ربيبه عباس على مناهضة ابن مصال، ووقعت الحرب بينهما، وتمكن ابن السلار من دخول القاهرة في يوم الأربعاء 15من شعبان سنة 544هـ / 1149م، فوقف على القصر، وسيَّر إلى الظافر وإلى من يدبره من النساء يعلم بحاله([2])، وانتهي الأمر بولايته للوزارة، واستبد بأمور الوزارة وفرض سيطرته على الخليفة " وتمكن ولم يكن للخليفة معه حكم"([3])

فتدخلت سيدات القصر نظراً لصغر سن الخليفة حيث كان في السابعة عشرة من عمره في شئون الحكم، حيث قتل ابن السلار على يد نصر بن عباس([4])، وتشابكت الأحداث بعد ذلك لتنتهي بمقتل الخليفة نفسه على يد نصر بن عباس([5]) في نصف المحرم عام 549هـ / 1154م([6])، فبعد قتل الظافر أرسلن شعورهنَّ إلى طلائع بن رزيك للاستغاثة به ، ولبى طلائع بن رزيك النداء، وتمكن من هزيمة عباس الذي خرج هارباً إلى بلاد الشام، ولكنَّ الفرنج ما لبثوا أن فتكوا به وقتلوه، وقتلوا معه ابنه حسام الملك([7])، ووقع نصر في أيدي الفرنج حيث أعادوه إلى مصر في قفص من حديد بناءً على طلب أخت الظافر التي بذلت لهم الكثير من الأموال في سبيل ذلك وأباحتهم ما معه([8])، وأدخل نصر إلى القصر وقد قطعت يده

---

[1]– الظافر بأمر الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد ابن المستنصر بالله ولد يوم الأحد، النصف من ربيع الآخر، سنة 527هـ / 1134م؛ وبويع في اليوم الذي مات فيه الحافظ لدين الله، ، وعمره سبع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام؛ بوصية من أبيه له بالخلافة. وكان أصغر أولاده وفيهم أبو الحجاج يوسف وأبو الأمانة جبريل، وهما أسن منه؛ وركب بزي الخلافة. واستوزر الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال، بوصية الحافظ بذلك أيضاً، ونعت بالسيد الأجل الأفضل أمير الجيوش وخلع عليه خلع الوزارة؛ وهو يومئذ من أكابر الأمراء. وصار أبو الكرم التنيسي من ذوي رأيه. المقريزي، اتعاظ الحنفاء ،ج 3، ص193.

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص197.

[3] – ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 25.

[4]– وكان ذلك بتحريض من أسامة بن منقذ وموافقة من الخليفة الظافر. انظر ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 319، 320. ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 41.

[5]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص 209.

[6]– ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 25.

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص 220.

[8] – ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ج1، ص 107.

اليمني، وصلب سحراً على باب زويلة، وكان قتله نخساً بالمسال، وصفعاً بالنعال، وقطع لحمه وشوي وأطعم إياه؛ واشترك في قتله على هذه الصورة نساء الظافر وجواريه([1]).

واستبد الصالح طلائع بن رزيك، فسيطر على الخليفة الفائز([2]) (549- 555ه= 1154- 1159م)، وصار الخليفة معه، ليس له من الخلافة سوى مجرد الاسم فقط، وذلك لصغر سنه([3])، وبعد وفاة الفائز 555ه/ـ 1159م استمرت سيطرة الصالح طلائع على الخليفة العاضد وهو آخر الخلفاء الفاطميين، وزوجه من ابنته ليصير له الملك والخلافة معاً([4]) ولم يرض ذلك سيدات القصر فدبرت ست القصور عمة الظافر الصغرى مؤامرة لقتله فقتل فيها الصالح طلائع بن رزيك سنة 556هـ / 1160م([5])

كما وجد هناك نساء من البيت الأيوبي اللواتي قدّر لهن تدبير وممارسة الحكم مثل : ضيفة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب([6]) ([7])، ولدت عام 581هـ / 1186م في قلعة حلب حيث كان يسكن فيها والدها، فقيل عن سبب تسميتها ضيفة، أنّ والدها كان يستقبل يوم ولادتها ضيفاً فسماها ضيفة تيمناً بذلك([8])، فهي زوجة الملك الظاهر ([1]) صاحب حلب،

---

[1]- المصدر نفسه، ج3، ص 221. ويقول صابن تغري بردي: " فأقمن يضربنه بالقباقيب والزرابيل أياماً، وقطعن لحمه، وأطعمنه إياه، ثم صلب"، النجوم الزاهرة، ج5، ص 311. بينما يقول ابن العماد الحنبلي : " فقطعوا يديه وقرضوا جسمه بالمقاريض وصلبوه على باب زويلة، وبقي سنة ونصف مصلوباً" شذرات الذهب، ج4، ص 153.

[2] – الفائز خليفة مصر الفاطمي وهو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر، توفي في صفر منها وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، ومدة ولايته من ذلك ست سنين وشهران، وكان مُدّبر دولته أبو الغارات. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 301.

[3]- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص 287.

[4]- ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 301. المقريزي، المصدر السابق، ج3، ص 287.

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص 287. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 177.

[6] – هو أبو بكر بن أبي الشكر أيوب بن شادي، الملقب بالملك العادل، أخو صلاح الدين الأيوبي، تنقل في(الممالك في حياة أخيه، حيث كان ينوب، عن صلاح الدين في بلاد الشام في حال غيابه، تملك حلب ثم قلعة الكرك، وآخر الأمر استقل بالديار المصرية سنة 596 ه/ 1199م، وملك معها بلاد الشام وبلاد اليمن سنة 612هـ /1215 ـم ، وكان ملكاً عظيماً ذا رأي ومعرفة، وافر العقل حازماً في الأمور، توفى سنة 615 هـ / 1218 م ، للمزيد عن ترجمته، انظر ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5 ، ص74 . اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ج4 ، ص 25 .ابن تغري بردي،.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6 ، ص196.

[7] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 312. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص 437.

[8] – أبو الفداء ء، تاريخ المختصر، ج2، ص 477. ابن العديم ، زبدة الحلب، ج1، ص510. ولكن بعض المصادر أوردت اسمها " صفية بنت الملك العادل" انظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص222.

وأم العزيز صاحب حلب، وجدة الناصر يوسف سلطان الشام ([2])، وقُدَّر لها أن تتصدر السلطة، فأطلقوا عليها لقب "الصاحبة" ([3])، وهو يعني الوزارة لأنَّ لقب الوزير هو الصاحب، كما أطلق عليها ابن العديم " بالملكة خاتون"([4])، فقد وصفها المؤرخون بأنَّها كانت" ملكة جليلة عاقلة "([5]) . وتزوجها الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب، في عام 609هـ/1212م، وزفت إليه من مصر، وكان الظاهر قد تزوج قبلها بأختها غازية، فولدت منه ابناً مات صغيراً، ثم ماتت فزوَّجه العادل بضيفة([6])، وأنجبت له العزيز محمد الذي حكم حلب، وعندما مات ولدها العزيز حاكم حلب، ترك من بعده ابنه الناصر يوسف وكان عمره سبع سنوات، فقامت بتدبير مملكة حلب مرتين علي أتم وجه([7])، المرة الأولي عند وفاة زوجها وتولي ابنها الملك العزيز الذي كان يبلغ أربع سنوات، إلي جانب أتابكه الوصي شهاب الدين طغريل ويقول الذهبي : " وكانت هي الكل إلى أن اشتد . . . " ([8]). والمرة الثانية عند وفاة ابنها وتولي ابنه الناصر يوسف وكان يبلغ السبع سنوات، فتصدرت جدته "ضيفة" بنفسها للحكم إلى جانب وزرائه الذي دام ست سنوات، فكانوا لا يبرمون أمراً إلا بعد الرجوع إليها، والعلامات على التواقيع والمكاتبات إلى الستر العالي جدة السلطان الناصر يوسف فيعلموها بما اتفقوا بينهم، ثم تأذن لهم بعد ذلك ([9])، " وَكَانَت من المرجوع إِلَيْهَا فِي أُمُور المملكة "([1])،

المقريزي، السلوك، ج1، ص 79. 222، ولكن يبدو أن اسمها "ضيفة ". وذلك ما ذكره ابن العديم في كتابه ، زبدة الحلب، ج1، ص513 ، بأن اسمها" ضيفة " ؛ لأنه يعتبر شاهد عيان لتاريخ هذه المرحلة، وخدم في بلاطها وانظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص312. وكذلك أبو الفداء في تاريخه ، ج2، ص 477.

[1]– هو غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، الملقب بالظاهر أبو منصور، وكان من خيار الملوك وأسدهم سيرة، ولكن كان فيه عسف ويعاقب على الذنب اليسير كثيرا، وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء، أقام في الملك ثلاثين سنة، وحضر كثيرا من الغزوات مع أبيه، وكان ذكيا له رأي جيد وعبارة سديدة وفطنة حسنة، توفي في سنة 613 هـ /1216 م.انظر، ابن العبري، تاريخ مختصر، الدول، ص 142 . أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1 ، ص 390 . الذهبي، تاريخ الإسلام،، ج48، ص392 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13 ، ص85

[2]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص437

[3] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 312. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص 437.

[4] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 488.

[5]– ابن العديم، المصدر السابق، ج1 ، ص437. ابن العميد، تاريخ الأيوبيين، ص 32.

[6]– ابن العديم، المصدر نفسه،ج1، ص437، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج5، ص312.

[7] – ابن العميد، تاريخ الأيوبيين، ص32.

[8] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص 216.

[9] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص494. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 313.

وقد تحدث المؤرخون عن حكمها بأنها " تصرفت كالسلاطين ونهضت بالملك أتم نهوض ولكن بعدل وشفقة وبذل وصدقة ، وعملٍ، وحذلقة([2])" ([3]). فمدحها ابن واصل بأنَّها: " كانت عادلة في الرعية، كثيرة الإحسان والتحنن إليهم والشفقة بهم، أزالت المظالم والمكوس في جميع بلاد حلب، وكانت تؤثر الفقراء والزهاد والعلماء وأهل الدين، وتحمل لهم الصلات الكثيرة، ولم تزل صدقاتها دارة وإحسانها واصلاً "إلى كل من يفد إلي بابها، وما قصدها أحد إلا رجع مجبراً مجبوراً" ([4])، وقد ذكر بأنها كانت ذات شخصية قوية تضاهي ملكة مصر شجرة الدر ، حازمة، أمينة ، فسارت على نهج سياسة زوجها وحكمته ([5]).

أما بالنسبة لسياستها الخارجية تميزت بالحزم و القوة ، ويقول ابن خلدون : " قامت بتجهيز العساكر للدفاع عن حلب ضد أطماع الخوارزمية([6])، و قامت بفتح العديد من الحصون " ([7])، ومن ذلك ما حدث عام 615ه/ 1218م، عندما توفي زوجها الملك الظاهر غازي، طمع صاحب الروم كيكاؤوس السلجوقي في الاستيلاء علي حلب، واتفق مع الملك الأفضل علي صاحب سيمساط ، أن يفتح بلاد حلب وبلادها ويسلمها إلي الملك الأفضل، ثم

---

[1] – الذهبي، العبر في تاريخ من غبر، ج3، ص 221.أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج2، ص 477. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 170. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص 211. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 168. ا ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 299. ابن القلقشندي، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ج2 ،ص 83. النعيمي، الدارس، ج1، ص 86.

[2]– حذلقة من كلمة حذلق الرجل تحذلق، إذا أظهر الحذق وادعى أكثر مما عنده، و جاء في اللسان الحذلقة : التصرف بالظرف والمتحذلق هو المتكيس وقيل هو الذي يريد أن يزداد على قدره . الجوهري، الصحاح ، ج1، ص 1128. الزبيدي، تاج العروس، ج25، ص 148.

[3]– ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 213. أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج1، ص 427 . الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46 ، ص 437.

[4] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 313. الصفدي، الوافي بالوفيات، 5، ص 251.

[5]– قلعة جي، حلب القديمة والحديثة، ص 45.

[6] – تنسب الدولة الخوارزمية إلي نوشتكين أحد الأتراك في بلاك السلطان ملكشاه السلجوقي، ثم اشتهر ولده محمد الذي عين حاكم على خوارزم ولقب خوارزم شاه، وبدأت هذه الدولة في التوسع، فشملت بلاد ما وراء النهر ومن مدنها بخاري وسمرقند، وصار صراع بينها وبين سلاجقة الروم، الذين تفرقوا وانهارت دولتهم بمقتل طغرلبك بعد معركة قرب الري سنة 590هـ / 1193م، فسيطروا على العراق، وتقلدوا الحكم رسمياً من الخليفة العباسي ، وكانت لهذه الدولة وقعات كثيرة ضد التتار، وآخر ملوكهم جلال الدين منكوبرتي خوارزم الذي حارب التتار؛ للمزيد انظر: ابن الأثير، الكامل، ج12، ص 106. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج42، ص19، ص 21. ابن خلدون، العبر، ج5، ص 94 . بن صالح المحمود، عبد الرحمن، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ج1، ص 94. الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين،ج1، ص 348.

[7]– ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 357.

يفتح البلاد الشرقية التي بيد الأشرف ابن العادل ويتسلمها كيكاؤوس وتحالفا على ذلك، وعندما رأت ضيفة خاتون والدة الملك العزيز أطماع الروم السلاجقة في حلب، فخافت من أمراء حلب أن يسلموها للملك الأفضل لميلهم له، و بعث الأتابك طغريل إلي أخيها الملك الأشرف، يستدعيه لنجدة ابن أخته العزيز وكان يعسكر على بحيرة قُدس([1]) في مقابلة الصليبيين ونصحه بالتعاون مع أخته لمواجهة الخطر السلجوقي، لأنَّ السلاجقة سوف لا يقفون عند حلب، ووعده بأن يجعل الخطبة والسكة باسمه، ويعطيه ما يختار من أعمال حلب ([2])، وفي رواية لابن العديم أنَّ الأتابك أرسل إلى القاضي زين الدين إلى العادل يستصرخه على عز الدين كيكاوس والأفضل علي، فكتب العادل إلى ابنه الأشرف موسى يأمره بأن يرحل إلى حلب مع قواته، ويحلّ مكانه المجاهد أسد الدين شيركوه الثاني صاحب حمص في مقابلة الصليبيين ([3])، جمع الأشرف موسى قواته وسار بهم إلى حلب، وخيّم بالميدان الأخضر واجتمع مع الأمراء والأعيان واستوثق منهم، ثم تابع طريقه فنزل وادي بزاعة ([4])، وانضّم إليه الأمير العربي مانع بن حُدَيثة مع قواته وهو من عرب طيء ([5]) وحارب الحلبيين على جبهتين عسكرية وسياسية وقاد الجبهة العسكرية الأشرف موسى، بينما قادت الصاحبة ضيفة خاتون الجبهة السياسية بالدهاء والحيلة، فبذرت بذور الشقاق بين عز الدين كيكاوس وأمرائه ([6])، فقاتلهم وكسرهم وانهزموا إلى بلادهم ، حتى وصل إلى تل باشر فحاصرها واستولى عليها، كما استولى على رعبان، وتل خالد، وبرج الرصاص، ثم عاد إلى حلب ([7]).

وفي عام 634ه/ 1236م، أقامت الملكة خاتون تحالفاً مع أخيها الملك الأشرف موسي الأيوبي وغيره من ملوك الأيوبيين إلي مخالفة أخيها الملك الكامل ([8])، وذلك عندما ساورتها

---

[1]– بحيرة قدس ، القاف والذال وآخرها سين مهملة وهي بحيرة مستوية عن حمص في جهة الغرب، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 84.

[2] – ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 308.

[3]– ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 451.

[4] – بزاعة، أو بزاغة بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان. انظر ابن جبير، الرحلة، ج1، ص 93.

[5] – أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج3، ص 119.

[6]– الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج1، ص 101.

[7] – ابن العميد، تاريخ الأيوبيين، ص10. أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج3، ص 110. ابن الوردي، تاريخ الوردي، ج2، ص 133.

[8]– الملك الكامل، ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ملك الديار المصرية تحت حكم والده عشرين سنة وبعده عشرين سنة، وملك دمشق وحران وآمد، وله مواقف مشهورة ، وحسنت سياسته فيها، كان عارفا بالأدب، له شعر، وسمع الحديث ورواه.واتجه إلى توسيع نطاق ملكه، وله مواقف مشهورة في الجهاد بدمياط، وكان ذكيا مهيبا ذا بأس شديد، عادل منصف له حرمة وافرة، وسطوة قوية، ملك

الشكوك عن حق أم عن خطأ، بأن الكامل كان يخطط المكائد لأخذ حلب، فاتفق معها الأشرف الذي كان بدوره غير راضٍ عن تقسيم البلاد الأرتقية ([1])، لم يبق بيده غير دمشق وبلادهـا وكانت لا تفي بما يحتاجه ، فطلب منه الرقة([2]) ؛ ليتقوى بها، ولكن الكامل رفـض، عنـدما بلغه أيضاً أنَّ الملك الكامل يريد أن ينفرد بمصر والشام، وينتزع دمشق منه، فتغير بسـبب ذلك([3]).

ومما زاد الوحشة بين الصاحبة ضيفة وأخيها الملك الكامل، قيام الكامل بالزحف إلـى دمشق ومحاصرتها في عام 635ه / 1237م واستسلم له الصالح إسماعيل([4])، ونقلـه إلـى بعلبك ، وراح يعد العدة للزحف إلي حلب ([5])، ومما ذكره ابن واصل في تاريخه : "عنـدما قصد الملك الكامل مدينة دمشق وتملكها، فخاف القائمون على تدبير مملكة حلب خوفاً شديداً، فغلب على ظنونهم بأنه سوف يقصدهم "([6])، فأعدّوا العدة لحصار حلب المتوقع، فاسـتدعت الصاحبة ضيفة الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين وباقي إخوته وأقاربه والأمراء على اختلاف طبقاتهم، فحلفوا للملك الناصر ولجدته الصاحبة أم الملك العزيز، ثم استحلفت أكـابر البلد والرؤساء وثم الأجناد والعامة، واستعدت للحصار، فأمرت بنقـل الـذخائر والأقـوات والأحطاب وكل ما يحتاج إليه الحصار، ونقلت أحجار المنجنيق إلـى أبـواب حلـب، كمـا

مصر ثلاثين سنة يباشر أمور الملك بنفسه، كان فيه جبروت، لما مات لم يحزن عليه الناس بسبب تنازله عن بيت المقدس للصليبيين توفي سنة 635 هـ/ 1237 م ، بدمشق، ودفن بقلعتها.الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 4، ص 123 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13 ، ص 174 ، 173. الزركلي، الأعلام، ج 7 ، ص28 .

[1] – ابن العديم، زبدة حلب، ج1، ص 175.

[2] - الرقة :وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي، الحموي، معجم البلدان، ج3، ص58.

[3] – أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج1، ص 419.

[4]– الملك الصالح إسماعيل (الأول)هو عماد الدين، أبو الجيش، وقيل أبو الجيش بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد الأول بن الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي، سادس ملوك الأيوبيين في دمشق وبصرى، وخامسهم في بعلبك قتل بمصر سنة، 648 هـ / 1250 م ،كان في البداية حاكم لبعلبك وبصرى ثم حكم دمشق خلفاً لأخيه المتوفى الملك الأشراف في سنة 635 هـ / 1237 م، وقد رفض الكامل صاحب دمشق تولي الصالح إسماعيل لدمشق، فهاجمها وأخذها منه ثم رحل الصالح إسماعيل إلى بعلبك وعاد متحالفاً مع المجاهد صاحب حمص ليأخذ دمشق من الكامل سنة 637 هـ / 1239 م ، وحتى يضمن الاحتفاظ بدمشق لنفسه قام بالتحالف مع الصليبيين وعقد معهم اتفاقاً .انظر، ابن واصل، مفرج الكروب، ج3 ، ص 275 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13 ، ص 210 . المقريزي، السلوك، ج1 ، ص 407 .ابن العماد، شذرات الذهب، ج5 ، ص241 .

[5]– جب، هاملتون، دراسات في التاريخ الإسلامي صلاح الدين الأيوبي، ص220.

[6] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 179.

استخدمت جماعة من الخوارزمية وغيرهم، كما وصل قنغر التركماني ([1]) وقدمته على التركمان، كما أرسلت إلى سلطان الروم غياث الدين كيخسرو لطلب النجدة، فأجابها وأرسل إليها نجدة من أجود عساكره للدفاع عن مدينة حلب، كما سيَّر غياث الدين رسولاً للملك الكامل يخاطبه في الامتناع عن قصد حلب، إلا أنَّ الأخبار توافدت من دمشق بموت الكامل عام 635هـ / 1238م ([2]).

بعد ذلك انطلق جيش حلب من الدفاع إلي الهجوم وفي سنة 636ه/ 1238م، أرسلت الصاحبة ضيفة حملة عسكرية تأديبية بقيادة المعظم فخر الدين توران شاه بن صلاح الدين لحصار مدينة حماة وكانت تحت يد الملك المظفر([3])، فقصدوا في البداية معرة النعمان([4])، فأخذوها، واستولوا على ما بها ثم حاصروا قلعتها التي بناها الملك المظفر، فسلمت إليهم بالأمان، فملوكها ورتبوا أمورها، ثم توجهت القوات الحلبية إلى حماة و فرضوا الحصار عليها، كان الملك المظفر قد بني سوراً من اللبن في جهتها القبلية، ونهبوا رساتيقها([5]) أي الضياع والقرى المجاورة لها ، وبقي الحصار مفروضاً عليها لمدة عام، فضجروا من الحصار، حتى أرسلت الصاحبة والدة الملك العزيز بالتوقف عن ذلك وعودة العساكر إلى حلب، وضاق الأمر على الملك المظفر من هذا الحصار وأنفق فيه أموالاً كثيرة واستمرت

---

[1]– كان قنغر أميراً من التركمان، جمع إليه جمعاً من التركمان، بعد موت الملك العزيز عام 634هـ / 1236م، وعاث في أطراف بلاد حلب، من ناحية قورس وغيرها، ونهب ضياعاً متعددة، وكان يغير ويدخل إلى بلد الروم، فخرج إليه عسكر من حلب، فكسر ذلك العسكر، ونهبه وتخوف أمراء حلب، أن يكون ذلك بأمر ملك الروم، فسيَّروا رسولاً إلى ملك الروم، في معناه، فأنكر ذلك، وأمر برد ما أخذه، من بلد حلب، فرد بعضه، وكف عن العيث والفساد. ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 189.

[2]– ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص180

[3] - هو الملك المظفر هو محمود بن محمد المنصور بن عمر المظفر بن شاهنشاه، تقي الدين، ولد سنة 599 هـ / 1202م، صاحب حماة ، كان شجاعا كريما ذكيا محبا للعلماء، ولي حماة سنة 626 هـ / 1228 م، بعد انتزاعها من أخيه الناصر قليج أرسلان، واستمر إلى أن توفي سنة 642هـ / 1244 م .انظر: أبو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج1 ، ص 417 . المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2 ، ص 90 .ابن العماد، شذرات الذهب، ج4 ، ص 336 . الزركلي، الأعلام،ج7، ص182

[4] – معرة النعمان : فسمّيت بذلك لأنّ الجبل المطلّ عليها سمّي النعمان، و للمدينة سبعة أبواب وهي بلدة بين حلب وحماة، كثيرة التين والزيتون ينسب إليها أبو العلاء أحمد ابن عبد الله المعري الضرير المشهور بالذكاء. البكري، المسالك والممالك، ج1، ص 379. القزويني، آثار البلاد، ج1، ص 109. ابن بطوطة، الرحلة، ص 29.

[5]– الرُّستاق: والجمع الرَّساتِيقُ لفظ فارسي معرب ويقال بالعربية رُزْداق وهي السواد و القرى، انظر : ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص 116.

المعرة في يد الحلبيين ([1]). لم يكن قصد الصاحبة والدة الملك العزيز من حصارها لحماة هو أخذ المُلك من ابن أخيها الملك المظفر وإنما أرادت التضييق عليـــه ؛ ليتنـــازل عـــن طلـــب المعرة([2])، ويقول ابن واصل : " إنما أرادت أن تنتقم منه بأخذ المعـــرة ومحاصــــرة حمـــاة وإشغال سره ، عقوبة على ما فعل من انحيازه للملك الكامل ومظاهرته عليها بعد اتفاقه معها " ([3]).

وفي عام 638هـــ / 1240م تنازل الملك الحافظ أرسلان شاه ابن الملك العادل أبـــي بكر بن أيوب عن قلعة جعبر([4]) وبالس([5]) وسلمهما إلى أخته ضيفة خاتون صــــاحبة حلـــب وتسلم عوض عنها إعزاز([6]) وبلاداً معها تساوي ما تنازل عنه؛ وكان سبب ذلك أنَّ الملك الحافظ المذكور أصابه فالج وخشي من أولاده وتغلبهم عليه، ففعل ذلك لأنَّه كان ببلاد قريبة إلى حلب لا يمكنهم التعرض إليه ([7]) عوضاً عن خوفه من الخوارزمية الذين قد عاثوا فســـاداً في تلك المناطق، وسيَّر من حلب من تسلم قلعة جعبر، ووصل الملك الحـــافظ إلـــى حلـــب، واجتمع بأخته الصاحبة، وأنزل في الدار المعروفة بصاحب عين تاب تحت القلعة وسلمت إلى نوابه قلعة إعزاز ([8]).

بعد أن سيطر الملك الجواد يونس بن مودد بن الملك العادل([9]) على دمشق بعد مـــوت الكامل، فأظهر الطاعة للملك العادل بن الملك الكامل، فأرسل رسولاً إلي حلب، يطلب مـــنهم

---

[1] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 182. أبي الفداء، تاريخ أبى الفداء، ج2، ص 463. تاريخ المختصر ، ج3، ص 162. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 163.

[2] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 497. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص193.

[3] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 182. أبي الفداء، تاريخ المختصر، ج2، ص 463. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 163.

[4]– جعبر : هي قلعة تقع الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، وكانت قديماً تسمي دوسر، فملكها رجل من بني قشير أعمي يقال له جعبر، فنسبت إليه. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 141. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص 335.

[5]– بالس: فهي مدينة علي شط الفرات صغيرة ، وهي أول مدن الشام من العراق. الإصطخري، المسالك والممالك، ص62.

[6] – إعزاز، قرية من قري حلب، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 316.

[7] – أبي الفداء، تاريخ المختصر، ج2، ص 471 . ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 165 .

[8] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص497.

[9] – هو يونس بن مودود بن محمد بن أيوب، السلطان الملك الجواد مظفر الدين ابن الأمير مظفر الدين(ابن الملك العادل أبي بكر)، نشأ في خدمة عمه الكامل، ويقال إن أمه كانت إفرنجية، فوقع بينه وبين عمه الكامل، فتألم، وجاء إلى عمه المعظم، فأكرمه، ثم عاد إلى مصر، واصطلح هو والكامل وكان جوادا مبذرا للخزائن،

معاضدته وانتماءه، فلم يصغوا إليه، وامتنعت الصاحبة أن تدخل بينه وبين الملك العادل ، فتنازل الملك الجواد يونس للملك الصالح عن دمشق في عام 636ه/ 1238م، أن يعوضه عنها بالرقة وسنجار([1]) وغيرها، فأرسل الملك الصالح لعمته صاحبة حلب، يعرفها بذلك، ويبذل من نفسه الموافقة على ما تريده، ويطلب المساعدة له، والمعاضدة له على أخذ مصر من أخيه العادل، فأجابته بأنَّها :" لا تتدخل بينه وبين أخيه، واكتفت بقول : وأنكما ولدا أخي، ولم تجبه إلى ما اقترح " ([2]).

ولكن الملك الصالح أصر على أن تكون علاقته بعمته صاحبة حلب جيدة ؛ لأهميتها في أن تكون له حليفاً وعوناً له في الصراع ضد أيوبي الشام، فأراد التقرب إليها مما يدلل على ذلك، رواية ابن العديم أن في عام 637ه/ 1239م أنه كان موجوداً في القاهرة ، وقت إلقاء القبض على الملك العادل الثاني ودخول الملك الصالح نجم الدين أيوب القاهرة : " يقول سُيرت رسولاً إلى الملك العادل الثاني أهنئه بكسره الإفرنج على غزة، وأطلب أن يسير عماته بنات الملك العادل، معي إلى أختهن الملكة إلى حلب، فاستحضرني الملك الصالح أيوب، وقال لي:" تقبل الأرض بين يدي الستر العالي، وتعرفها أنني مملوكها، وإنها عندي في محل الملك الكامل، وأنا أعرض نفسي لخدمتها، وامتثال أمرها فيما تأمر به، وحملني مثل هذا القول إلى السلطان الملك الناصر" ([3]) .

تحرك الخوارزمية نحو حلب عام 638هـ / 1240م وموقف الصاحبة منهم.

و في عام 637هـ / 1239م، وضع الخوارزمية أيديهم على أوشين، من بلد البيرة وطمعوا في أطراف باب البيرة، واستولوا على قلعة حران، حين كان الملك الصالح محبوساً بالكرك، وامتدت أطماعهم إلى البلاد المجاورة لهم، ولم يكتفوا بهذا الأمر بل قاموا بمضايقة الحافظ أرسلان صاحب جعبر وبالس كما مرَّ معنا سابقا وكيف تنازل عنهما للصاحبة مقابل عزاز، و في عام 638هـ / 1240م، أغاروا على قلعة جعبر و بالس، وعاثوا فيهما فساداً

قليل = الحزم، وفيه محبة للصالحين، والتف حوله ظلمة، ثم تزلزل أمره، وكان يحب بالصالحين والفقراء . توفي سنة 641 هـ / 1243 م، ودفن بقاسيون بتربة المعظم العظم .انظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 23، ص185 ، 184. تاريخ الإسلام، ج 47 ، ص 104 ، 103.الكتبي، فوات الوفيات، ج4 ، ص 396 .المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2 ، ص83 ،84

[1] - سنجار ، مدينة مشهورة بأرض الجزيرة بالقرب من الموصل ونصيبين، كثيرة الفواكه والأشجار والعيون(المطردة والأنهار، مبنية في سفح جبل، تشبه بدمشق في كثرة أنهارها وكثرة مياها والبساتين، والعمارات الحسنة فيها .القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج1 ، ص 160 . ابن بطوطة، رحلة، ج1 ، ص111

[2] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 499.

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص 500.

ونهباً، وقتلوا عدداً كبيراً من الناس، ولم يسلم من أهلها إلا من كان خرج عنها إلـــى حلــب وإلى منبج([1])، فأرسلت إليهم عساكر حلب بقيادة المعظم توران شاه بن صلاح الـــدين ووقـــع بينهم القتال، فانهزمت العساكر الحلبية أمام الخوارزمية هزيمة منكرة، وقتل منهم خلق كثير منهم الملك الصالح ابن الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين وأسر مقدم الجــيش الملـــك المعظم المذكور، واستولى الخوارزميون على ثقال الحلبيين وأسروا منهم عدداً لا يحصـــى، ثم كانوا يقتلون بعضهم ليشتري غيره نفسه منهم بماله فأخذوا بذلك شيئاً كثيــراً، ثــم نـــزل الخوارزمية بعد ذلك على حيلان([2])، وكثر عبثهم وفسادهم ونهبهم في بلاد حلب؛ ممـــا دبَّ الرعب والفزع في قلوب أهل المدن والقرى المجاورة ودخلوا مدينة حلــب، واســـتعد أهلهـــا للحصار، ووضع السيف في أهل منبج، فقتلوا خلقاً كثيراً، وارتكب الخوارزمية مـــن الزنـــا والفواحش والقتل ما ارتكبه التتار، ثم رجعوا إلى بلادهم وهي حران وما معها بعد أن أخربوا بلد حلب([3]).

فأرسلت الصاحبة ابن العديم رسولاً للملك الصالح إسماعيل بن الملك الكامل صـــاحب دمشق، لتحليفه للناصر يوسف ولجدته، وطلبت منه نجدة مـــن أجـــود عســـاكره لمواجهـــة الخوارزمية، فأرسل لها نجدة من عسكره تزيد عن العساكر الحلبية بقيادة الملك المنصور ابن شيركوه صاحب حمص، كما قامت بإطلاق سراح الأسرى الداويـــة، الـــذين كـــانوا بحلـــب لاستكفاء شرهم، كما استخدمت الصاحبة سياسية الدبلوماسية و الدهاء، فاستمالت إلى جانبها علي بن حديثة آل الفضل وهو من عرب طئ، أخو مانع الـــذي كـــان يقاتـــل إلـــى جانـــب الخوارزمية، فكانوا أشد بأساً على الحلبيين من الخوارزمية، وبثـــت الشـــقاق بينـــه وبـــين الخوارزمية، فانفصل عنهم، وأمرته على سائر العرب، وزوَّجته بعض جواريهـــا، وأقطعتـــه إقطاعاً ترضيه ([4]) .

[1]– مدينة منبج تقع على الفرات، اليعقوبي، البلدان، ج1، ص 207.

[2] – حيلان : بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الياء آخر الحروف، من قري حلب، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 332. وقد تصحفت في تاريخ الوردي إلي " جيلان" و كذلك في المختصر لأبي الفداء إلي " جبلان" ولكن ذكرت في كتاب زبدة الحلب، لابن العديم " حيلان" .

[3] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 504–505. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 283. أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج3، ص 167.ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 165. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 323. المقريزي، السلوك، ج1، ص 98.

[4] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 505.

وعندما علم الخوارزميون بتجمع عساكر حلب تجمعوا بحران([1])، وعزموا العبور، إلى حلب قبل أن يكثر عددهم، فساروا حتى وصلوا الرقة وعبروا الفرات من الرقة إلى الحبـول إلى تل أرعن إلى سرمين([2]) إلى المعرة وهم ينهبون تلك البلاد ؛ مما أجفل أهلها منهم، ثـم سار الخوارزمية إلى شيزر بغتة من أهلها واستولوا عليها، ثم قصدوا حماة بلا نهب لانتمـاء المظفر للصالح نجم الدين أيوب، ثم ساروا إلى سلمية، ثم الرصافة ([3]) فيقول المقريزي :" إن الخوارزمية كانوا يظنون الناس بأنهم يفعلون ذلك من أجل خدمة السلطان الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر، لاتفاق أهل حلب وحمص ودمشق علـى صـاحب مصـر" ([4]) فسـار المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد صاحب حمص، بعساكره وعساكر حلب ودمشق، وقطع الفرات إلى سروج ([5]) والرها، وأوقع بالخوارزمية، وكسرهم واستولى على ما معهـم مـن المكاسب والأسرى، ثم سارت العساكر الحلبية و الحمصية بقيادة المنصور إلي حران معقـل الخوارزمية فاستولوا عليها وهرب الخوارزمية إلى عانة ([6])واحتموا فيها لأنها بلد الخليفة([7])، فاستولى عسكر حلب على الرقة وسروج والرها ورأس عين وما معها، فبعث بدر الدين لؤلؤ

---

[1] – حران: مدينة تقع قرب منابع نهر البليخ . تقوم عند ملتقى الطرق التجارية في شرق الفرات ولا سيما طريق الشام وطريق الجزيرة . كانت مركزا من أهم مراكز الثقافة الإغريقية السريانية قبل الإسلام، وبقي فيه بعض الصابئة حتى ما بعد خلافة المأمون . حكمها الآشوريون واليونان والفرس والرومان قبل أن يأخذها العرب صلحا سنة 18 هـ /639 م . هي الآن موضع المدينة المسماة (أورفة) من بلاد تركيا . وهناك قرية من قرى حلب تدعى حران وأخرى في غوطة دمشق تدعى حران وإليها ينسب أحمد بن تيمية وعبدالسلام بن تيمية . انظر : الحموي، معجم البلدان، ج2، 235– 236. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 214. تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير ، ج1، ص 450.

[2]– سرمين : قرية تقع غرب حلب، وتكثر فيها البساتين ، وتكثر فيها زراعة والزيتون وتشتهر بصناعة الصابون وينقل إلي مصر والشام للمزيد انظر: ابن بطوطة، الرحلة، ص 29.

[3]– ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 509

[4] – المقريزي، السلوك، ج1، ص 98.

[5]– سروج، بفتح أوله، من السرج، هي بلدة قريبة من حران من ديار مضر، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 216.

[6] – عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد في أعمال الجزيرة و تقع جنوبي قرقيسيا على نهر الفرات وكان اسمها القديم (أناتو ANATHO) يدور الفرات حولها على شكل خليج وكان بها قلعة حصينة تشرف على النهر. هي اليوم مدينة عامرة من مدن الجمهورية العراقية وهي مركز قضاء (عانة) من لواء الديلم. ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص 233.الحموي : معجم البلدان، ج 4، ص72. وللمزيد انظر: موقع الإسلام، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج2، 137.

[7] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 508. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 166. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 323.

صاحب الموصل المعظم توران شاه إلي عسكر حلب بعد تخليصه من الأسـر، ثـم سـارت العساكر الحلبية إلى آمد وحاصروا المعظم توران شاه وأخذوها منه، وأقام بحصن كيفا إلى أن هلك أبوه بمصر، واستولى صاحب حمص المنصور إبراهيم على بلد الخابور، وزينت مدينة حلب أياماً لهذه البشرى وضربت البشائر، ووصلت أعلامهم وأسراؤهم إلى حلب عام 639هـ / 1241م ([1]).

وبعد مرور بضعة أشهر تجهز الخوارزمية ثانية فساروا من عانة وقد تحـالفوا مـع المظفر شهاب الدين صاحب ميافارقين([2])، على قصد آمد، فتوجه المعظم توران شاه لملاقاتهم ، فنزلوا ميافارقين، وتحصنوا بها فقاتلهم بها قتالاً شديداً، وجاءته نجدة من السلطان السلجوقي غياث الدين إلا أنَّه لم يستطع دفع الخوارزمية، فترددت الرسل في عقد مفاوضـات بيـنهم، اتفق الأمر على أن السلطان غياث الدين يُقطعُ الخوارزمية من بلاده ما كان لهـم أولاً، وأن يُعطي ولده إقطاعا من الملكة خاتون – عمته – فعادوا عنه([3])، ثم إنَّه بعد مدة سيّر المظفـر شهاب الدين رسوله، ومعه رسولٌ من الخوارزمية يلتمسون من صاحب حلب إقطاعا، زيـادةً على ما وقع عليه الشّرطُ، فلم يُجابوا إلى ذلك. فلما عادت رُسلهم بالسعي المُخفق ساروا إلـى بلد الموصل وضايقوها. فاستصرخ بدر الدين لؤلؤ بالملك الناصر فسيّر إليه عسـكرا مقدمـه الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم – صاحب حمص – فيقول ابن شداد : لما وصل شهاب الدين غازي دنيسر بعث رسوله إلى شمس الدين لؤلؤ بكلام أغلظ له فيـه. وكـذلك للملـك المنصور أيضاً، وقام بتهديدهم إمَّا أن تنزلوا لي عن الجزيرة بأسرها، وإلاَّ فـالحرب بينـي وبينكم، فأخّروا الجواب إلى أن يُسيّروا إلى حلب يُعرِّفون الملكة، إذ هي صاحبة البلاد، فـلا يكون الجواب إلا منها، فأرسلت لهم إن كان يريد الحرب فهي له([4])، والتقيا بعد ذلك قـرب الخابور عند المجدل، فانهزم المظفر والخوارزمية ونهب الحلبيـون مـنهم كثيـراً ونـزل المنصور إبراهيم في خيمة المظفر غازي واحتوى على خزانته ووطاقه ، وعـاد الحلبيـون وصاحب حمص إلى حلب منصورين ([5]) .

---

[1] - ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 508.

[2] – مدينة ميافارقين من أشهر مدن ديار بكر ، في كوردستان تركيا. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص349 .

[3] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ،ج1، ص 184.

[4] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص185.

[5] – ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 168.

بالنسبة لسياستها الداخلية فقد اهتمت بالجانب العمراني حيث أنشأت فـي "حلـب" مدرسة وجامع" الفردوس"([1]) وجعلتها تربة ورباطاً في العام 633 ه / 1235م، ووقفت عليها أوقافاً عظيمة ورتبت فيها خلقاً من القراء والفقهاء والصوفية كما ينسب إليها" خانقاه ضـيفة خاتون" حيث بنته في العام 635 ه / 1237م، الواقع اليوم في "محلة الفرافرة" أمـام "جـامع الزينبية" و"مدرسة الهاشمية". فقد توفيت الصاحبة خاتون على أثر قرحة في مـراق الـبطن، وازداد ورمها، وحدث لها حمى بسببها في سنة 640هـ / 1242م، ودفنت فـي الحجـرة بالقلعة، تجاه الصفة التي دفن فيها ولدها الملك العزيز رحمهما الله ([2])، و ذكر المؤرخـون أنَّها حين ماتت" أغلقت حلب أبوابها ثلاثة أيام حزنا عليها " (3)، وبعد وفاتهـا تسـلم زمـام الأمور حفيدها الناصر يوسف وقد بلغ من العمر ثلاثة عشرة عاماً، فأخذ يأمر وينهي وجلس في دار العدل ومرجع الأمور للأمير شمس الدين لؤلؤ ولجمال الدولة إقبال الأسود الخصي الخاتوني(4) والوزير القاضي الأكرم جمال الدين القفطي(5). وقد عاصرتها أميرة أخرى من بني أيوب وهي غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبى بكـر محمد بن أيوب بن شادي (ق7هـ/ 13م) والدة الملك المنصور صاحب حماة ([6])، وقد وصلت إلي حماة عام 629هـ / 1231م ، و تزوجت بالملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة، وأنجبت منه ابنين وثلاث بنات أما الابنان فالملك المنصور ناصر الدين أبو المعـالي محمـد والأفضل نور الدين أبو الحسن علي ([7])، ولما مات الملك المظفر صاحب حمـاة فـي عـام 642ه/ 1244م، نصَّبَ مكانه ولده الملك المنصور محمد وعمره حينئذ عشر سنين، والقائم بتدبير المملكة سيف الدين طغريل([8]) مملوك الملك المظفر ومشاركة الشيخ شرف الدين عبـد

[1] - سيأتي الحديث عنه لاحقاً في الفصل الثالث في إنشاء المراكز العمرانية.

[2] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص513. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 313.

[3] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص 437. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 251. المقريزي، السلوك، ج1، ص118.

[4]- وجدنا اسمه عند أبي الفداء في تاريخه باسم " جمال الدين" ، ج2، ص . 477 وكذلك المقريزي، السلوك ، ج1، ص 100. وعرف عند ابن العديم : زبدة الحلب ، ج1، ص 515، باسم "جمال الدولة ".

[5] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص 437 . أبو الفداء، المختصر، ج2، ص 477.اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص . 211أ العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، ص72.

[6]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص209. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص28. العيني، عقد الجمان، ج1، ص 49.

[7] – أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج3، ص 18.

[8]- هو طغريل بن عبد الله الأمير سيف الدين أستاذ دار الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة كان من أعيان الأمراء، شجاعاً حسن التدبير والسياسة للأمور، ولما توفي الملك المظفر قام بتدبير أمور ولده الملك

العزيز بن محمد المعروف بشيخ الشيوخ والطواشي مرشد والوزير بهاء الـــدين بـــن التـــاج ومرجع الجميع في تدبير الأمور إلى والدة الملك المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامـــل ومشاورتها في كل صغيرة وكبيرة([1]).

قد وصفها المؤرخون بأنها : " كانت صالحة دَيِّنَة تحب الخير وأهله وأقامت منار العدل بحماة " ([2]).

وقالوا أيضاً بأنَّها : " كانت من أحسن النساء سيرة وزهداً وعبادة وحفظـــت الملـــك لولدها الملك المنصور حتى كبر وسلمته إليه قبل وفاتها" ([3]).

استطاعت هذه المرأة حفظ ملك حماه وتدبير شئونها منذ وفاة زوجها أحسن تدبير حتى كبر ولدها و تسلم زمام الأمور ([4]). توفيت الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة حماة، رحمها الله تعالى، ليلة الأحـــد تاســـع عشر ذي القعدة أوذي الحجة سنة 656هـــ / 1258م([5]).

لم يقتصر مشاركة المرأة في المجتمع الإسلامي في زمن الحروب الفرنجية على الأحرار منهن، بل كان للجواري نصيبهن في ذلك، من خلال وجودهن في قصور الحكام والسلاطين ، الذين تزوج بعضهم من الجواري، فارتفعن إلى منزلة الأحرار وسيدات القصر([6])، فالأمر الذي نشير إليه هنا أنَّ تأثيرهنَّ بالحياة العامة، لم يكن بالمساحة الضيقة أو المهملة، فيما ذكرت لنا الروايات أنَّ البعض منهنَّ مارسن الحكم لمدة محدودة، نشير إلى ذلك شجرة الدر أو (شجر الدر)([7]) بنت عبد الله، محظية السلطان الصالح نجم الدين أبي الفتوح

المنصور ناصر الدين محمد ، بمراجعة والدته غازية خاتون بنت الملك الكامل .اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص6.

[1]– ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 307. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 287. أبي الفداء، تاريخ المختصر، ج2، 481.اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص 93.

[2]– اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص 28.

[3] – أبي الفداء، تاريخ أبي الفداء، ج3، ص 18.العيني، عقد الجمان، ج1، ص 49. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 3.

[4]– ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2،ص 263.

[5] –أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج3، ص18.

[6]– المقريزي، الخطط، ج2، ص 292. رمضان، أحمد، المجتمع، ص 277.

[7] – تشير المصادر المعاصرة وشبه المعاصرة أن اسمها ورد شجر الدر، بينما المراجع المتأخرة تذكره بصيغة شجرة الدر، ومن الواضح أن تسمية المعاصرين وأشباهم هي الأصح، وقد أيد المؤرخون الأوربيون صحة تسمية شجر الدر، مثال دائرة الموسوعة الإسلامية، لين بول وغيرهم للمزيد انظر : العبادي، تاريخ المماليك، ص 86. حاشية رقم (3) .

أيوب([1]) وأم ولده السلطان خليل ([2]) كانت تركية الجنس([3])، وقيل أنَّها أرمينية ([4])، فقد اعتبرها بعض المؤرخين المعاصرين أولى سلاطين المماليك في مصر ويقول المقريزي : " وتلك المرأة شجر الدر، هي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك..." ([5]). ويعتبرها ابن إياس صاحب" بدائع الزهور"، بأنها آخر سلاطين بني أيوب([6])، كونها زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب، والد توران شاه وأم ولده خليل الذي توفي في حياة أبيه([7]). حيث وصفها الصفدي بأنها : "كانت بارعة الجمال ذات رأي ودهاء وعقل، ونالت من السعادة ما لم ينله أحد في زمانها؛ كان الصالح يحبها ويعتمد عليها " ([8]) وكانت في صحبته وهو ببلاد المشرق في حياة أبيه الملك الكامل، ثم سارت معه لما حبسه الملك الناصر داود ([9])

---

[1]– هو السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي الأيوبي سلطان الديار المصرية ولد بالقاهرة في –سنة 603 هـ / 1206 م وبها نشأ، واستخلفه أبوه على مصر لما توجه إلى الشرق فأقام الصالح هذا بمصر وأصلح أمورها ومهد قواعدها وكان مهيباً عالي الهمة، عفيفاً طاهر اللسان والذيل، شديد الوقار، كثير الصمت، وجمع من المماليك الترك ما لم يجتمع لغيره وكان غاوياً بالعمارة، بنى قلعة الجزيرة، وبنى الصالحية، وبنى قصراً عظيماً بين مصر والقاهرة، يسمى بالكبش، وكان آخر سلطان بني أيوب بمصر .توفي سنة 647 هـ / 1249م .أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1 ، ص 433 .ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13 ، ص 180 . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3 ،ص 350 .ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2 ، ص 222 ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج1 ، ص247 .

[2] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص197. فواز، زينب، الدر المنثور، ص 347.

[3] أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج3، ص13. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 232. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 243. المقريزي، السلوك، ج1، ص118.

[4] أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج3، ص13.

[5] المقريزي، السلوك، ج1، ص 118

[6]– ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص 89.

[7] – أبو شامة، الذيل علي الروضتين، ص 196. ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص 89.

[8] - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 197.اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1،ص 23.

[9] - هو الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن أيوب، ولد سنة 603هـ / 1206م، كان فاضلاً، ناظماً، ناثراً، وقرأ العلوم العقلية وكان حنفى المذهب مثل والده، وله أشعار جيدة، توفى في سنة 656 هـ، / 1160 م، بظاهر دمشق في قرية يقال لها البويضاء وكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5 ، ص 142 . العيني، عقد الجمان، ج1، ص48

بالكرك([1])، ومعها ولدها خليل أيضاً، الذي توفي بعد ذلك وهو صغير، وقاست مع الصالح تلك الأهوال والمحن، ثم قدمت معه مصر عندما أصبح سلطاناً ([2]).

ويشير المؤرخ ابن تغري بردي بقوله: " إليها غالب تدبير الديار المصرية في حياة سيدها الملك الصالح وفي مرضه وبعد موته، والأمور تدبرها على أكمل وجه" ([3]).

وفي خضم الصراع ضد الصليبين (الفرنجة) فقد توجهت الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة الملك الفرنسي لويس التاسع 647هـ / 1248م، فأثبتت مقدرتها وكفاءتها السياسية في أثناء مرض زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحتى وفاته، فقامت بإدارة شئون الحكم والحرب بمساعدة كبار أمراء المماليك وإنقاذ البلاد من خطر تلك الحملة، والحفاظ على وحدة الجيش المصري، إلى أن قدم ولد زوجها الملك المعظم توران شاه([4])، ولم تشر المصادر إلى وقوع أي خلل في الفترة الواقعة بين موت السلطان الصالح أيوب وحضور توران شاه التي استمرت أكثر من ثلاثة شهور ([5])، تولى توران شاه ابن الملك نجم الدين أيوب عرش البلاد و اصطدم بطموح شجر الدر من ناحية وبقوة المماليك ونفوذهم من ناحية أخرى، وانتهي الصدام بمصرعه على نحو مأساوي ومروِّع ، فقتلوه يوم الاثنين السابع والعشرين من محرم لسنة 648هـ / 1252م ([6])، ويذكر المقريزي" بأنَّ المعظم توران شاه مات جريحاً وحريقاً وغريقاً " ([7]). واتفقوا على ولايتها، فحلفوا لها([1]) ؛ لحسن سيرتها

---

[1] – الكرك، وهي اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض بناها الصليبيون على مرتفع يشرف على المنطقة الواقعة في شرق الأردن حتى البحر الميت جنوباً على بعد 35 ميلاً من القدس، وثمانين ميلاً شمال البحر الأحمر .انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4 ، ص 453 .ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2 ، ص70 ، 69 . ابن جبير، رحلة، ص 201 . ابن بطوطة، الرحلة، ص129

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 242. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص23.

[3] – ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج2، ص 242.

[4] – هو الملك المعظم غياث الدين توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب، بعد أن هزم الصليبيين في معركة المنصورة سنة 648 هـ / 1250م، بدت منه خفة وطيش، خرج عليه بسببها مماليك أبيه وقتلوه بالسيف، فهرب إلى برج خشبي فأحرقوا عليه البرج فقفز إلى النيل فقتلوه بالنبال، فمات شر موتة، حريقاً غريقاً، سنة 648هـ 1250 =م .للمزيد عن ترجمته، انظر، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص227 .اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ج4 ، ص 92 ؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1 ، ص 457 .ابن العماد، شذرات الذهب، ج5 ، ص240 .

[5] – الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج2، ص44، ص 61.

[6] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج، ص 243.

[7] – المقريزي، السلوك، ج1، ص 259– 260.

وكياستها في تدبير الأمور؛ لتكون أولى سلاطين المماليك في مصر والشام، وجعلوا المعز أيبك التركماني([2]) أتابكًا لعسكرها([3])([4])، فقبضت شجرة الدر على زمام الحكم بيد من حديد، ولم يكن ابن إياس مغاليا ًحين وصفها بأنها: " صعبة الخلق، شديدة الغيرة، قوية البأس، ذات شهامة زائدة، وحرمة وافرة، سكرانة من خمرة التيه والعجب"([5]) ويحق لها أن تكون ذلك كله فهي صاحبة الفضل في إخفاق حملة فرنجية (صليبية) كبري علي مصر، وهي قد أتت إلى العرش اعترافاً من المعاصرين بذلك الفضل([6])، فكانت ثاني امرأة تسلمت الحكم في الإسلام([7])، وأول امرأة تسلمت الحكم في مصر بعد الفتح الإسلامي([1]).

---

[1]- ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج1، ص 42.

[2] – لفظ أيبك من التركية بمعنى "الأمير القمر" وكان في الأصل مملوكا لأولاد التركماني، وهم بنو رسوم في اليمن فعرف بأيبك التركماني، ثم انتقل لخدمة الملك الصالح أيوب . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص19 .

[3]– أبو الفداء، المختصر، ج2، ص495. العيني، عقد الجمان، ج1، ص3.

[4]– المعزّ عز الدين أيبك التركماني الصالحي صاحب مصر، جهاشنكير الملك الصالح كان ذا عقل ودين، تزوج من شجرة الدر و تسلطن سنة 648هـ / 1250م، ثم أقاموا معه باسم السلطنة الأشرف يوسف بن الناصر يوسف بن أقسيس وله عشر سنين وبقي المعزّ أتابكه وهذا بعد خمسة أيام من سلطنة المعز فكان يخرج التوقيع وصورته رسم بالأمر العالي السلطاني الأشرفي والملكي المعزي، ثم بطل أمر الأشرف بعد فترة مديدة ، وكان أيبك عفيفا طاهر الذيل لا يمنع أحدا حاجة ولا يشرب مسكرا، كثير المداراة للأمراء وبنى المدرسة المعزّية على النيل ووقف عليها وقفا جيدا .الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص 198. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص268.

[5] ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص89.

[6] عبد الرازق، المرأة، ص 54.

[7] – تعتبر رضية الدين سلطانة دلهي في الهند أول امرأة تولت الحكم في الإسلام، وقد استمر حكمها أربع سنوات (634- 638هـ/ 1236- 1240م) وقد عاصرت شجرة الدر وهي ابنة السلطان التتمش المؤسس الحقيقي لدولة سلاطين المماليك في الهند، وقد تولت السلطنة بعد وفاته، سنة 634 هـ /1236 م ولم تكن هناك شخصية صالحة للملك من بعده سوى شخصية ابنته "رضية الدين " التي فضلها أبوها على أخوتها الذكور لذكائها وحسن إسلامها، وقد سماها مؤرخو الهند باسم "ملكة دوران بلقيس جهان "، أي فتنة العالم، وقد بذلت هذه السلطانة جهوداً عظيمة في إدارة شئون الدولة، ولكنها اصطدمت في النهاية بمجلس أمراء المماليك الذين حقدوا عليها بسبب زواجها من رجلٍ فارسيٍ يُدعى "جمال الدين ياقوت"، كان يشغل منصب قائد الفرسان، فثاروا ضدها ولم تستطع السلطانة أن تُسكت حركة التمرد، وانتهى الأمر بمقتلها في (25 من ربيع الأول 637هـ= 25 من أكتوبر 1239م) وتولّي أخوها السلطان "معز الدين" عرش البلاد. وتتشابه ظروف توليها الحكم مع شجرة الدر، فكان مصيرهما القتل . شبارو، تاريخ المشرق العربي، ص 214. الشحود، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، ج 5 ، ص 111، ص 122 للمزيد انظر أيضاً: أرشيف المجلس العلمي – موقع الألوكة، ج10، ص 3764. www.majles.alukah.net

ومنذ بداية حكمها وجهت اهتمامها للتخلص من بقايا الحملة الصليبية السابعة، فأطلقت سراح الملك لويس التاسع من أسره مقابل فدية كبيرة من المال علـــي أن يســـلم الإفـــرنج (الصليبين) مدينة دمياط للمسلمين، فسلمها الإفرنج بعد أن ظلت بأيدهم أحد عشر شهراً وتسعة أيام، وبعدها خرج الملك لويس التاسع ملك فرنسا إلى عكا بعد أن أخذت عليـــه الأيمـــان ألا يتعرض لبلاد المسلمين ([2]) .

ثم أخذت تتقرب إلى العامة والخاصة من رعاياها([3])، فأغدقت عليهم الأموال لتكسب ودهم، " فشرعت [شجرة الدر] في الخلع للأمراء و الأعطيات" ([4])، وَخُطِبَ لهـــا علـــى المنابر بمصر والقاهرة، في أيام الجمع وكان الخطباء يقولون على المنبر بعد الدعاء للخليفة : " احفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والـــدين أم خليـــل المستعصـــمية صاحبة السلطان الملك الصالح " ([5])، و يقولون في الدعاء أيضاً : " اللهم أدم سلطان الســـتر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين، والدة الملك الخليل " ([6]) . ونقش اسمها على النقـــود المتداولة في ذلك الزمان، وكانت صيغة النقش هي التالية: "المستعصمية الصـــالحية، ملكـــة المسلمين، والدة المنصور خليل "([7]) .

فقد ذهب بعض مؤرخي الغرب أمثال " دنكان " بـــأنَّ شـــجرة الـــدر عنـــدما نعتـــت بالمستعصمية بأنها كانت جارية للخليفة المستعصم بالله([8]) العباسي (1242/ 1258م) ، قبل

[1]- القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص 497. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 219. شبارو، تاريخ المشرق العربي، ص 214– 215.

[2]– أبو الفداء، المختصر، ج2، ص495. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 361. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 219. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 288.

[3] – الصلابي، السلطان المظفر سيف الدين قطز، صـــ76.

[4] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص 401.

[5] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 197. أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج2، ص 495. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 219.

[6]– المقريزي، السلوك، ج1، ص 118.

[7] -ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 209. المقريزي، السلوك، ج1، ص 118. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 288. وذكر العبادي في كتابه قيام دولة المماليك الأولى، ص119، توجد بالمتحف البريطاني عملة ذهبية ضربت في القاهرة على عهد شجرة الدر بتاريخ 648هـــ / 1250م، تحمل ألقاب الملكة التي ذكرناها.

[8] – هو الخليفة العباسي، المستعصم بالله عبد الملك بن المستنصر بالله العباسي، كان حليماً كريماً سليم الباطن، قليل الرأي. رزق الشهادة على أيدي التتار، سنة 656 هــ / 1257 م . للمزيد عن ترجمته،

أن يشتريها الصالح نجم الدين أيوب([1])، ويروي "ابن الفوطي " أنَّ الخليفة العباسي "الناصر لدين الله (ت 622 ه/ 1225مـ) كانت لديه جارية تركية تسمى "شجرة الدر"، مقربة إليـه، وكانت تكتب خطاً جيداً ، وتقرأ له المطالعات الواردة عليه لما تغيَّر نظـره، ويملـي عليهـا الأجوبة، وتوفيت سنة 634 هـ /1236 م) ودفنت في تربة الخلاطية ببغـداد ([2])، فلعَّـل مؤرخي الغرب التبس عليهم الأمر بين شجر الدر المصرية وشجرة الدر العراقية . ويبدو أن شجرة الدر أقرت نسبة كلمة المستعصمية في سكتها وخطبتها نسبة للخليفة العباسي المسعتصم بالله، وذلك ترضية للخليفة العباسي كي يعترف بشرعية حكمها، وكـذلك الصـالحية نسـبة لزوجها الصالح نجم الدين أيوب.

وقال غيره: وكانت تعلم على المناشير([3])([4]) والتواقيع ([5]) " والدة خليل " ([6])، وبقيـت على ذلك مدة ثلاثة أشهر إلى أن خلعت نفسها([7]) ويرجع سبب عزلها إلى أنَّ الرأي العام في مصر والعالم العربي الإسلامي لم يكن ليقبل بقيام امرأه بتولي زمام الحكم، ذلك أنَّ النظريـة السياسية الإسلامية تستوجب أن يكون حاكم البلاد رجلاً ([8])، فقام العلماء والخطباء يندون بتوليتها لأمور المسلمين على منابرهم، وفي دروسهم وفي المحافل العامة، والخاصة وكـان من أشد العلماء غضباً وإنكاراً الشيخ الجليل "العز بن عبد السلام ([9])" رحمه الله" ؛ لتوليتهـا

انظر، اليافعي، مرآة الجنان ، ج4 ، ص . 107 ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13 ،ص 204 .ابن العماد، شذرات، ج5 ، ص2

[1]– Duncan, David: Scholarly views Shajarat al-Dur ,p51- 69

[2]– ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ج1، ص 27.

[3] – المقصود بذلك المكاتبات الخاصة بالمملكة، حيث كانت لها أسماء مختلفة منها: مناشير وتواقيع وتقاليد ورسائل وكتب، وجرت العادة أن السلطان يكتب خطه على كل ما يأمر به، أمّا مناشير الأمراء والجند وكلّ من له إقطاع، فإنَّه يكتب عليه علامته. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 408 و المناشير جمع منشور والمنشور في أصل اللغة خلاف المطوي . القلقشندي، صبح الأعشى، ج13، ص 162.

[4] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج43، ص210.السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 219.

[5]– التواقيع فهي جمع توقيع معناه نسخة الأمر، والعلامة السلطانية : هي كل ما يكتبه السلطان بخطه علي صورة اصطلاحية وكان لكل سلطان علامة وتوقيع . القلقشندي، صبح الأعشى، ج13، ص 144وما بعدها.

[6] – أبي الفداء، المختصر، ج2، ص 495.ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 209. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 361.

[7]– ابن كثير، البداية والنهاية،ج13، ص209.

[8] – قاسم، وآخرين، تاريخ الأيوبيين، ص 128. الصلابي، السلطان سيف الدين قطز، ج1، ص90.

[9]– هو العز بن عبد السلام، الملقب (بسلطان العلماء)،ولد بدمشق سنة 577 هـ / 1181م ونشأ فيها وكان العز ناسكاً ورعا آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، ولي بدمشق خطابة الجامع الأموي والإمامة فيه، ولما جاء إلى مصر ولي خطابة جامع عمرو بن العاص، والقضاة والتدريس بالمدرسة

وكان يحذرهم من تولية امرأة لأمور المسلمين([1])، وكذلك رفض الخليفة العباسي الاعتـــراف بالسلطانة الجديدة، وأرسل الخليفة العباسي من بغداد إلى الأمراء الذين كانوا بمصـــر يقـــول لهم: اعلمونا إن كان ما بقي في مصر عندكم من الرجال من يصلح للسلطنة، فـــنحن نرســـل إليكم من يصلح لها، أما سمعتم في الحديث عن الرسول صلى النبي صلي الله عليه وســـلم : " لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة "([2])، وأنكر عليهم ذلك الأمر إنكارا وحضهم وهددهم بالرجوع عن توليتها مصر، فعندما علمت بذلك خلعت نفسها ([3]). كما اتسمت ردود فعل الأيوبيين ببلاد الشام بالعصبية وعلى رأسهم السلطان الناصر يوسف ورفضوا الاعتراف بهذا التتويج ([4]).

فتزوجت من عز الدين أيبك التركماني الصالحي الجاشنكيري([5]) ثم تنازلت لـــه عـــن الحكم برضاها، بعد أن حكمت ثمانين يوماً، برهنت خلالها على كياسة عظيمة وذكاء وافر([6]) وتم هذا التنازل في أواخر جمادى الثانية في سنة 648 هـــ/ 1250م، إلى أن اتفقت المماليك البحرية على إقامة عز الدين أيبك الصالحي في الحكم لأنَّه إذا استقر أمر المملكة في امـــرأة على ما هو عليه الحال تفسد الأمور ولقب الملك المعز، وهو أول ملك تركي تملك مصر في أواخر ربيع أول سنة 648هـــ / ابريل 1250م، وأبطلت السكة والخطبة التي كانـــت باســـم شجرة الدر([7]) .

الصالحية، نبغ العز بن عبد السلام في أصول الدين والتفسير، وبرع في الفقه حتى صار أعلم أهل عصره فيه، وانتهى به الأمر إلى مرتبة الاجتهاد .له مؤلفات عديدة في الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام، والتصوف، منها القواعد الكبرى، وبحار القرآن، والفرق بين الإيمان و الإسلام وغيرها .توفي سنة 660 هـــ / 1262م. انظر، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 207 . السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج5 ، ص 80. ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج5 ، ص301. الكتبي، فوات الوفيات، ج1 ، ص 287. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2 ، ص 51 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13 ، ص . 235 . ابن تغري بردي، المنهل الصافي ،ج 2 ، ص 127 .الزركلي، الأعلام، ج4 ، ص21 .

[1]– الصلابي، السلطان سيف الدين قطز، ج1، ص90.

[2]– ابن حسام المتقي الهندي فوري، كنز العمال، ج6، ص 79 رقم الحديث 14922.

[3]– كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 288.

[4] – قاسم، وآخرون، تاريخ الأيوبيين، ص 128. الصلابي، محمد، السلطان سيف الدين قطز، ج1، ص90.

[5] – الجاشنكير ، وهو الذي يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم ونحوه ، وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاشنا بجيم في أوله قريبة في اللفظ من الشين ومعناه الذوق ولذلك يقولون في الذي يذوق الطعام والشراب ، والثاني كير وهو بمعنى المتعاطي لذلك ويكون المعنى الذي يذوق . القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 432.

[6]– المقريزي، السلوك، ج1، ص 118. عبد الرازق، المرأة، ص 54.

[7] - أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج2، ص 495. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 262.

وبعد خمسة أيام من توليه السلطنة ثار الأمراء على أيبك وذلك على أن يتولى أحد من أبناء البيت الأيوبي، ثم اتفق الأمراء من مماليك البحرية على اختيار واحد من بنـــي أيــوب يجتمع الكل على طاعته، فأقاموا في السلطنة، الملك الأشرف الأيوبي([1])، كما ساعدت شجرة الدر عز الدين أيبك على التخلص من فارس الدين أقطاي الذي سبب لهم مشاكل عديــدة فـــي حكم البلاد والذي كان يعد من أشرس قادة المسلمين في عصره، كما كانــت لكلمتــه صـــدى واضح في تحركات الجند بكل مكان ([2])، فخشيه أيبك لذلك أقدم علي الــتخلص منـــه وأراح المسلمين من شره ([3]).

وفي عام 655هـ / 1257م، تزايدت الوحشة بين الملك المعز أيبك وبين شجر الدر فكانت شديدة الغيرة فعزمت على قتل زوجها الملك المعز، بعد أن علمت بأنه يريد الـــزواج ببنت الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فحاكت المــؤامرات ضـــده وتزعمــت المعارضة الداخلية من المماليك البحرية الذين رفضوا هذا الزواج، فخيل إليها أنَّه ربما عـــزم على إبعادها أو إعدامها؛ لأنَّه سئم من حجرها عليه واستطالتها؛ فعزم على قتلهـــا، فعاجلتـــه وعزمت على الفتك به وتملك غيره علي مصر ([4])ويقول ابن تغري بردي : " وكانت مستولية على أيبك في جميع أحواله ليس له معها كلام" ([5])، فطلبت صفي الدين إبراهيم بن مـــرزوق وكان مقيماً في الديار المصرية وله تقدم في الدولة ووجاهة عند الملوك فاستشارته في ذلـــك ووعدته أن يكون الوزير والحاكم في الدولة، فأنكر عليها ذلك ونهاها عنه فلم تُصغِ إلى ذلك، وطلبت مملوكها الطواشي محسن الجوجري الصالحي وعرفته ما عزمت عليه ووعدته الوعد الجميل إن قتله ([6]).

ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 91. باقسيس، ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . أبي الفداء، المختصر، ج2، ص495.

[1] – هو الملك الأشرف موسى بن يوسف صاحب اليمن المعروف بأفسيس، ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . أبي الفداء، المختصر، ج2، ص495.

[2] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص119ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 217. ، قال ابن خلدون في سبب قتل أيبك لأقطاي: "إن اقطاي وقف بوجه طموح الأمير أيبك في الاستيلاء على الملك الأشرف والاستبداد بالسلطنة والاستقلال بها فرصد له قطز وبهادر وسنجر الغنمي وقتلوه ". تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 363

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 217.

[4]– ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ج1، ص 162.اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص 23.

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 243.

[6]– اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص 17. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج2، ص243.

فزادت الوحشة فيما بينهما، وعزم المعزُّ على قتلها و إنزالها من القلعة إلى دار الوزارة وكانت شجر الدر قد استبدت بأمور المملكة ولا تطلعه عليها، وتمنعه من الاجتماع بأم ابنه وألزمته بطلاقها، ولم تطلعه على ذخائر الملك الصالح ([1]) .

فأقام الملك المعزُّ بمناظر اللوق([2]) أياماً، حتى بعثت شجرة الدر تسترضيه وتلاطفه، فاستجاب لدعوتها، فطلع القلعة وقد أعدت له شجرة الدر خمسة من الخدام واتفقت معهم على قتله، فلما كان يوم الثلاثاء 23ربيع الأول لعام 655ه/ أبريل لعام 1257م، ركب الملك المعز من الميدان بأرض اللوق وكان المعزُّ يلعب الكرة وصعد إلى قلعة الجبل آخر النهار ودخل إلى الحمام ليلاً ليغتسل، فأغلق عليه فوثب عليه الخدم فقتلوه في الحمام ([3]) ، وأشيع أنَّ المعزَّ مات فجأة في الليل، فلم تصدق مماليكه بذلك وقام الأمير سنجر الغتمي – وهو يومئذ شوكة البحرية وشديدهم – وبادر هو والمماليك إلى الدور السلطانية، وقبضوا على الخدام والحريم وعاقبوهم، فأقروا بما جرى. وعند ذلك قبضوا على شجرة الدر، فأراد مماليك المعزِّ قتل شجرة الدر، فحماها الصالحية، ونقلت إلى البرج الأحمر بالقلعة، وتمَّ صلب الذين اتفقوا معها على قتل المعز أيبك، وأقيم ابن المعز في السلطنة ([4]) وحملت شجرة الدر إلى أمه وأرادت أن تشفي غليلها، كما ذكرنا كانت تمنع أيبك من زيارتها فهجرها هي وابنها وأمرت جواريها بضربها بالقباقيب حتى فارقت الحياة عام 655ه/ 1275م([5])، ويقول المقريزي: " فضربها الجواري بالقباقيب إلى أن ماتت، وألقوها من سور القلعة إلى الخندق، وليس عليها، سوى سروال وقميص، فبقيت في الخندق أياماً وأخذ بعض أراذل العامة تكة سراويلها ثم دفنت بعد أيام وقد نتنت وحملت في قفة، بتربتها"([6]) بقرب قبر السيدة نفيسة ، حيث أشار الذهبي إلى: " إنها أودعت أمولاً كثيرة فذهبت، وكانت حسنة السيرة هناك لكن هلكت بالغيرة "([7]).

وقد أثنى عليها المؤرخون المعاصرون لدولة المماليك، فيقول ابن تغري بردي : " وكانت خَيِّرة ديِّنة رئيسة عظيمة في النفوس، ولها مآثر وأوقاف على وجوه البر معروفة بها"

---

[1]- المقريزي، السلوك، ج1، ص 132.

[2]- اللوق: هو خط قديم متسع ينتهي إلى الميدان المعد لركوب السلطان عند وفاء النيل، وقد عمر به الأبنية وسكانه من رعاع الناس وأوباشهم . القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 408.

[3]- المقريزي، السلوك، ج1، ص 133

[4] أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 11.

[5] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص199.العبادي، تاريخ الأيوبيين، ص 115.

[6]- المقريزي، السلوك، ج1، ص133.

[7]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص200.

([1]) ويقول ابن العبري : "و كانت تركية داهية الدهر لا نظير لها في النساء حسناً و في الرجال حزماً " ([2])، فكانت شجرة الدر من ربات البرِّ والإحسان، فأوقفت مدرسة عُرفت باسمها وكذلك حماماً عُرف بحمام الست ([3])، ومن مآثرها الجامع الذي بنته بخط الخليفة بمصر بقرب مشهد السيدة سكينة بنت الحسين – رضي الله عنهما – ودفنت فيه حين موتها وهو مقام الشعائر لغاية الآن ولها جملة مآثر ومبان خيرية بمصر وخلافها من البلاد التي تملكت عليها ([4])، وهكذا انتهت حياتها على هذا النحو بعد أن كانت ملء الأسماع والأبصار، والذي وقع لها من تملكها الديار .

ومن النساء اللواتي سجل لهن التاريخ دور في تدبير شئون الحكم أم علي زوجة عزِّ الدين أيبك، فبعد مقتل شجرة الدر أجمع أمراء المماليك على تولية علي ابن أيبك، فأعلن سلطاناً على مصر عام 655هـ / 1257م. وقد لقب السلطان الجديد بالمنصور وكان في الخامسة عشرة من عمره فاختير أحد الأمراء – وهو سيف الدين قطز– أتابكاً له. فيشير المؤرخ بيبرس المنصوري إلى سلطتها " الملك المنصور فإنه كثير اللعب وليس له التفات تدبير المملكة وكانت الوالدة (هي) التي تدبر الملك تدبير النساء" ([5]) في تلك الأثناء تقادمت الأخبار بوصول التتار إلى أبواب بغداد وقتلهم الخليفة العباسي 656ه/ 1258م والملك المنصور صغير لا يعرف تدبير المملكة!، فما كان من قطز إلا أنه استغل فرصة خروج الأمراء للصيد 657هـ / 1259 م ، وقبض على الملك المنصور علي وأخاه وأمهما ([6]).

لم يقتصر دور المرأة في حفظ الملك وتدبير شئون البلاد، بل تعدى الأمر إلى أنَّها كانت تطلب الشفاعة لدي الحكام، ولتهدئة الظروف السياسية والعلاقات المتوترة بين الحكام، وتوجد العديد من المواقف التاريخية ما تثبت ذلك، فقد روى أنَّ كريمة السلطان نور الدين، وأخت الملك الصالح بن نور الدين زنكي، جاءت إلى السلطان صلاح الدين لتشفع لأخيها عنده، وتطلب الصفح عن أهالي حلب، فأكرم صلاح الدين وفادتها، ولبى مطالبها وأطلق سراح الأسرى من أهالي حلب، وداوي جرحاهم، حتى يطيب خاطرها، ووهبها عزاز من أعمال حلب، وترك الملك الصالح حاكماً على حلب بعد أن أقرَّ الصلح معه، نزولاً على رغبة

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 245.

[2] – ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج1، ص160.

[3] – كحالة، أعلام النساء، ج2، ص288.

[4] – فواز، الدر المنثور، ص 348.

[5] –المنصوري، مختار الأخبار، ص 10.

[6] –عاشور، مصر والشام في عصر المماليك، ص 166– 167.

الأهالي التي حملتها إليها ([1]).ومن النساء اللواتي كانت لهن منزلة عظيمـة عنـد أزواجهـن السلاطين، "الست السوداء " بنت الفقيه نصر زوجة السلطان الكامل محمد بن العادل وأم الملك العادل الثاني،([2]) وكانت أحظى النساء عنده حيث استطاعت بذكائها أن تبعد ابـن الكامـل الملك الصالح نجم الدين عن ولاية العهد في الديار المصرية، وجعل لابنهـا ولايـة العهـد، عندما غادر الملك الكامل مصر الديار المصرية إلي بلاد الشرق صحب معه ابنـه الصـالح، وترك ابنه العادل في الديار المصرية بقلعة الجبل مع أمه ، تصرفت بحكم مصر إلى جانـب ابنها ومما يدل على ذلك قول ابن واصل:" والخزائن والأموال بحكمها " ([3]) . كما أنَّ هنـاك من الشواهد التاريخية تدل على الإجارة وطلب العون من النساء أمثال ربيعة خـاتون بنـت أيوب أخت الملك العادل([4]) "زوجة مظفر الدين صاحب إربل"، حيث أنَّهـا أجـارت الحـاج العراقي من القضاء عليهم من قبل الباطنية في أثناء خروجهم لقضاء فريضة الحـج ، مثلمـا حدث في سنة 608هـ / 1210هـ كانت فتنة عظيمة بمكة وسببها أن باطنياً وثـب علـى قريب للشريف أبي عزيز قتادة – صاحب مكة – فقتله وكانت أم الكيا حسن – صاحب قلعة ألموت([5]) – قد قدمت حاجة مع الحاج العراقي، فركب الشريف، أبو عزيـز فـي الأشـراف والعربان وقصد الحاج العراقي، فنهبهم نهباً ذريعاً ورموهم بالحجارة والنبل، فانتقل الحـاج العراقي إلى الحاج الشامي واستجاروا بهم وكان في الحاج الشامي ربيعة خاتون بنت أيـوب أخت الملك العادل، فأجارت الحاج العراقي ومنعت أبا عزيز مـنهم ولـولا إجارتهـا لهـم لاستؤصلوا عن آخرهم وذلك بعد أن نهب من الحاج العراقي من الأحمال والجمال مالا يمكن

[1] – أبو شامة ، الروضتين، ج1، ص 279. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج41، ص 100.

[2] – أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج2، ص 431.ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 173.

[3] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 17.

[4] – هي ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب بن شادي ولدت سنة 561 هـ / 1165 م، وهي أخت الناصر صلاح الدين، الملك العادل، كانت فاضلة تقية . تزوجت أولاً بالأمير سعد الدين مسعود بن الأمير معين الدين أنر، فلما مات تزوجت بالملك المظفر صاحب إربل فبقيت بإربل دهراً معه .فلما مات قدمت إلى دمشق . وخدمتها العالمة أمة اللطيف بنت الناصح بن الحنبلي .فأحبتها وحصل لها من جهتها أموال عظيمة وأشارت عليها ببناء المدرسة بسفح قاسيون .فبنتها ووقفها على الناصح والحنابلة وتوفيت بدمشق سنة 643 هـ / 1245م، في دار العقيقي التي صيرت المدرسة الظاهرية دفنت بمدرستها تحت القبو.الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 47 ، ص 162 . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4 ، ص 449 . النعيمي، الدارس ، ج1 ، ص 391.الزركلي، الأعلام، ج3 ، ص16 .

[5] ـ قلعة الموت قلعة حصينة من نواحي قزوين .ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2 ، ص251 .

وصفه([1])، ثم لما أرادوا دخول مكة منُعوا منها، فما زالت ربيعة خاتون بأمير، مكة حتى أذن لهم، فدخلوا وقضوا حجهم ([2]) .

و لعبت خوند بنت بركة خـــان ([3]) زوجـــة الظـــاهر بيبـــرس([4]) (658 – 676ه = 1260– 1277م) بعد موته، دوراً مهماً في تثبيت السلطة لابنها السعيد بركة وذلك بالتخلص من منافسه الأمير بدر الدين يلبك الخازندار([5]) نائب السلطنة، وقامت بدس السم له في كأس سكر وليمون فشربه ومات بعد يومين، وَرَشَتْ طبيبه المعالج بثلاثة آلاف دينار حتى يساعدهم على موته([6]) فكانت تتمتع أيضاً بنفوذ عظيم ليس فقط على ابنها ولكن أيضاً على أمراء الدولة بدليل أنَّه عندما شبَّ الخلاف سنة 676ه / 1277م، بين الملك السعيد([7]) وأمرائه لم يجد خيراً من أمه ليبعث بها للتفاوض مع الأمراء في الصلح فأظهروا لها كل احترام واشترطوا عليهـــا

---

[1] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 211.

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص 211.

[3] – هي الخاتون بنت بركة خان والدة الملك السعيد بمصر، وزوجة الظاهر بيبرس، وكانت من سادات النساء كثيرة المعروف، والإحسان، والصدقات، وقفت جميع الكتب التي بالخزانة الظاهرية وتوفيت سنة 683هـــ / 1285م، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص 81.

[4] – هو الملك الظاهر بيبرس الأول، ركنوا الدين، البندقداري العلائي الصالحي، الملك الظاهر، صاحب الفتوحات و الإخبار والآثار، مولده بأرض القپچاق، سنة 625 هـــ / 1227م، وأسر فبيع في سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة، فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، وبقي عنده، فلما قبض عليه (الملك الصالح نجم الدين أيوب)أخذ بيبرس، فجعله في خاصة خدمه، ثم أعتقه، رابع من تسلطن بمصر والشام من المماليك البحرية الأتراك، وتلقب بالملك القاهر، أبي الفتوحات ثم ترك هذا اللقب وتلقب، بالملك (الظاهر)، وكان شجاعا جبارا، يباشر الحروب بنفسه، وله الوقائع الهائلة مع الصليبيين التتار وله الفتوحات العظيمة، توفي سنة، 676 هـــ / 1277م ودفن بالمدرسة الظاهرية الكبرى بدمشق .ابن كثير، البداية والنهاية ،ج 13 ص 321 .ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1 ، ص 308 .الزركلي، الأعلام، ج2 ، ص79 .

[5] - الأمير بدر الدين بيلبك بن عبد الله الظاهري الخازندار المتوفي عام 676هــ/ 1274م. ابن تغري بردي، المنهل الصافي ، ص 512– 514.

[6] – ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص 94.

[7] – السعيد بن الظاهر محمد بن بيبرس السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي بركة خان ابن السلطان الملك الظاهر، ولد سنة ثمان وخمسين بالعش من ضواحي القاهرة، سلْطنه أبوه وهو ابن خمس سنين أو نحوها وبويع بالملك بعد والده وهو ابن ثماني عشرة، وكان شابا مليحا كريما فيه عدل ولين وإحسان إلى الرعية ليس في طبعه ظلم ولا عسف يحب الخير ويفعله، ولكونه شاباً عجز عن ضبط الأمور فخلع من السلطنة وحمل إلي الكرك، وتوفي عام 678هـــ / 1280م.انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص 262.

شروطاً كثيرة، التزمت لهم بها وعادت إلى ولدها؛ لتخبره نتيجة وساطتها ([1]). فمنعه من حوله الدخول تحت تلك الشروط، ؛ مما جعله يخسر ملكه في نهاية الأمر([2]).

وتكررت هذه القصة في دولة سلاطين المماليك أكثر من مرة عندما تدخلت نساء السلاطين للإصلاح بينهم وبين أمرائهم([3])، ويروى المقريزي كيف تطرف بعض الولاة سنة 737هـ في مصادرة التجار وانزال المظالم بهم، فقام كثير من كبار الأمراء ليشفع للتجار ولكن السلطان لم يسمع لأحدهم قولاً، حتى إذا قامت ست حدق زوج السلطان الناصر محمد في رفع الظلم عن التجار وعندئذ استمع السلطان لرجائها ونفذ رغبتها فوراً([4]).

وكثيراً ما نقرأ في الكتب المعاصرة أن زوجة أحد السلاطين أو جاريته تسببت في الغاء مكس من المكوس، كما قال ابن حجر عن طغاي زوج الناصر محمد : " وبسببها أبطل الناصر محمد عن مكة المكس([5]) الذي كان يؤخذ على القمح([6])، وعندما أدرك المعاصرون سلطة النساء ونفوذهن صاروا يوسطونهن لقضاء حوائجهم، فإذا تعذر على تاجر قضاء مطلب عند أهل الدولة، بحث عن الطريق الذي يوصل به شكواه إلى حريم السلطان، وعندئذ تقضي حاجته فوراً([7])، وقد حكى السخاوي عن العلم البلقيني أنه توصل إلى منصبه عن طريق زوجته" لمزيد اختصاصها بخوند العظمى" ([8])

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص336 . المقريزي، السلوك، ج1، ص 217. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 332. عبد الرازق، المرأة، ص 54.

[2] – ابن أيبك الداوادار، كنز الدرر، ج8، ص 255، ص 228. أبو الفدا، المختصر، ج 4، ص 19.

[3] – عاشور، المجتمع المصري، ص 153.

[4] – المقريزي، السلوك، ج2، ص 412.

[5] – مكس في البيع : إذا جبي مالاً، والمكس هو النقص والظلم. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص 742.

[6] - ابن حجر، انباء الغمر، ج1، ص 101. الدرر الكامنة، ج2، ص 221. ترجمة طغاي أم آنوك.

[7] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص 144.

[8] – السخاوي، الضوء اللامع، ج12، ص 25. ترجمة خديجة ابنة أمير حاج.

المصاهرات السياسية داخل البيت الأيوبي وخارجه

لعبت المصاهرات ([1]) السياسية دوراً تاريخياً هاماً في تاريخ تلك المرحلــة مــن ذلــك العصر، فكان الزواج يتم بين الأسر الحاكمة في العصر الأيوبي في مصر وبلاد الشام؛ لتقوية الصلات بينها والحفاظ على رباط القربى وصلة الدم بين أبناء البيت الأيوبي؛ ومن نماذج تلك الزيجات:

1- زواج ملكة خاتون([2]) بنت الملك العادل من الملك المنصور الأيوبي صاحب حماة.

2 - المصاهرة بين الملك العادل والملك الظاهر على ابنته الخاتون الجليلة ضيفة خاتون بنت الملك العادل، فقد أراد الملك الظاهر غازي صاحب حلب التقرب والتودد إلى عمه العادل بعد الخلاف الذي وقع بينهما بعد مناصرته لأخيه الأفضل حاكم دمشق ضد عمه العــادل، فتبــين للظاهر أن عمه العادل أصبح الحامي الوحيد للبيت الأيوبي، فلم يجد أمامه سوي مصــالحته عن طريق مصاهرته لكسب وده و الحفاظ على مملكته في حلب والمناطق التابعة لها، وهذا ما قاله النعيمي:" اصطلح الملك الظاهر مع عمه العادل وتزوج بابنته" ([3]) وفي سنة 609هــ / 1213م، سيّر الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شداد إلى الســلطان الملــك العــادل، يستعطفه لخطبة ابنته ضيفة، فَزوَّجها منه وتصافيا ([4]) وزال ما كان بينهما من الأحن"([5]).

[1] - المصاهرة في اللغة مصدر صاهر، يُقَال: صاهرت القوم إذا تزوجت منهم . وأصل المصاهرة المقاربة صهره وأصهره قربه وأدناه و الصِّهْرُ أَهْل بَيْتِ الْمَرْأَةِ ، وَقَال الأْزْهَرِيُّ : الصِّهْرُ يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم كالأبوين، والأخوة وأولادهم، والأعمام، والأخوال، والخالات، فهؤلاء أصهار زوج المرأة أيضاً . الأزهري، تهذيب اللغة، ج6، ص68. ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص 471.

وفي الاصطلاح : هِيَ حُرْمَةُ الختونة .الأزهري، تهذيب اللغة، ج6، ص68. أبو الفتح، المغرب في تعريب المعرب، ج2، ص 83. ابن عياض، مشارق الأنوار، ج2، ص 52. الموسوعة الفقهية الكويتية، ج 37، ص367. لقوله تعالي : "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا" [الفرقان:54].

[2]- ملكة خاتون الأيوبية هي المشهورة بأم المظفر ملكة بنت الملك العادل الأيوبي (أخت زهرة خاتون)، زوجة الملك المنصور الأيوبي، قيل عند وفاتها حزن عليها زوجها حزناً شديداً حيث لبس الملابس الزرقاء، مما حمل شعراء العصر أن يرثوا زوجته مع الإشارة إلى حال زوجها من الحزن الشديد والتأثر العميق. وقيل أيضا بأنها كانت من أجمل النساء خَلقاً وأحسنهن خُلُقاً، مع براعتها في الحديث النبوي الشريف وفي العلوم الدينية الأخرى(ت: 616هــ/1219م) ينظر ترجمتها: ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 114. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج44، ص 324.

[3] - النعيمي، الدارس، ج1، ص 260. المقريزي، السلوك، ج1، ص 49.

[4] - ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص212. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 128.

[5]- أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج1، ص 388.

وكان الظاهر قد تزوج قبلها بأختها غازية في حياة أبيه الناصر فتوفيت عنده([1])، فاهتم الظاهر غازي بتقوية علاقاته مع عمَّه و في عام 613ه/ 1215م، سـيّر الملـك الظـاهر القاضي بهاء الدين بن شداد إلى السلطان الملك العادل، وكان قبل ذلك قد أرسل القاضي نجـم الدين بن الحجاج – نائب القاضي بهاء الدين في الحكم بحلب – ، فوجد من الملك العادل قبولاً عظيماً، طيَّب قلبَ الملك الظاهر، وبسط أمله، وطلب منه أموراً ثلاثة أحدها: أن يكون الملك العزيز محمد ولده وليَّ عهد أبيه وقائماً بمُلك حلب وبلادها بعده. وثانيها: أن يـزَوِّج الملـك العزيز ابنة الملك الكامل، وثالثها: أن يكون صُلح الملك الظاهر وصُلح الملك العـادل مـع الفرنج واحداً، وفكسهما ([2]) معهم واحداً ([3]) قال القاضي بهاء الدين:" فتوجهت إلـى الـديار المصرية، فأنهيت إلى السلطان الملك العادل هذه الفصول، فأجاب إلى تولية الملك العزيز عهد أبيه، وإلى الموافقة في الصلح والفكس مع الفرنج، وأما فصل التزويج فقال: هذا لا يتعلق بي، فاجتمع بالملك الكامل وتحدث معه فيه قال: فاجتمعت بالسلطان الملك الكامل، وخاطتبه فيـه، فأجابني إليه وأخذت يده على ذلك "([4]). ويشير ابن كثير: أن الظاهر كان ذكيا وذا رأي سديد وفطناً، حيث جعل المُلك من بعده لولده العزيز غياث الدين محمد، وكان حينئذ ابـن ثـلاث سنين، وكان له أولاد كبار ولكن ابنه هذا الصغير الذي عهد إليه كان من بنت عمـه العـادل وأخواله الأشرف والمعظم والكامل، وجده وأخواله لا ينازعونه، ولو عهد لغيـره مـن أولاده لأخذوا الملك منه ([5]) وبذلك الاتفاق الذي تم بينه وبين عمه حافظ على وحدة البيت الأيـوبي، عوضاً عن ذلك ضمن بقاء مملكة حلب في نسله، وتقوية الجبهة الإسـلامية فـي مواجهـة الفرنجة.

3- مصاهرات الملك الكامل محمد.

كان الملك الكامل طموحاً فأراد أن يحقق مكاسب عسكرية، ومحاولة تحقيق مشـروعه الكبير بضمِّ الشام إلى مصر وتشكيل مملكة واحدة منهما تحت حكمه ([6])، ولم تمتّد ممتلكـات الكامل من مصر حتى الجزيرة، وحسب، بل اعترف به جميع ملوك بني أيُّوب سُلطاناً أعظـم عليهم، ومرجعاً للبيت الأيوبي دون أن يخرج أيُّ منهم عن طاعته، وتحقَّق بذلك القسـم الأوَّل

[1]- ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص166.

[2] – فكسهما: لم أجد لها تفسيراً في المعاجم اللغوية، ولكن انظر حاشية رقم 6، ابن واصل، مفرج الكروب ، ج3، ص 237، نجد أن محقق الكتاب ذكر معناها: نكثهما.

[3]- ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 237.

[4] - المصدر نفسه، ج3، ص 237.

[5]- ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 85.

[6] – الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج1، ص338.

من مشروع الكامل، وهو ضَمُّ الشَّام إلى مصر تحت حكمه، وهذا الحُلم كان يراود كُــلَّ مـــن شعر بتفوقه من ملوك بني أيوب، ولتحقيق كامل المشروع تحرَّك الكامل بقوَّاته من مصر عام 629هــ-1231م بعد أن مهَّد لنجاح مشروعه بسلسلة من المصاهرات ربط بها، من يخشـــى معارضتهم من الملوك الأيوبيين، فقد زوَّج ابنته فاطمة خاتون ([1]) من الملك العزيز صـــاحب حلب، كما زوج الكامل ابنته الأخرى غازية خاتون([2]) من الملك المظَفــرّ صـــاحب حمـــاة، ويقول اليونيني :" وقد قضيت أمانيه بملك حماة ووصلته بخاله الملك الكامل كان يتمنى ذلـــك لما كان بالديار المصرية"([3]).

فعندما زادت الوحشة بين السلطان الكامل و الملك الأشرف موسي وقيامه بتكوين حلف ضد أخيه الكامل، أرسل الملك الأشرف للناصر داود صاحب الكرك يستميله لجانبه يقول له : " إن وافقتني جعلتك ولي عهدي وأوصيت لك بدمشق وزوجتك بابنتي فلم يوافقه الناصـــر على ذلك لسوء حظه ورحل إلى الديار المصرية إلى خدمة الملك الكامل وصار معـــه علـــى ملوك الشام فَسُرَّ به الملك الكامل وجدد عقده على ابنته عاشوراء التـــي طلقهـــا منـــه " ([4]). فنلاحظ أن الزيجات السياسية التي كانت تعقد في البيت الأيوبي تبدو كتحالفات سياسية .

كذلك تمت المصاهرة بين البيتين بحماة وحلب عام 645ه/ 1247م، عندما قام السلطان الناصر يوسف بتزويج أخته عائشة خاتون بنت الملك العزيز محمد من الملك المنصور محمد بن الملك المظفر صاحب حماة، فأنجبت له الملك المظفر الثاني آخر ملوك حماة من البيت الأيوبي([5]).

وثمة مشروع زواج كان سيعمل على تتويج علاقات التآلف والمودة بين المسلمين والصليبين، ذلك المشروع هو زواج الملك العادل سيف الدين أبي بكر الأيوبي بالأميرة الإنجليزية جوانا

[1]- فاطمة بنت محمد بن الملك العادل الأيوبية (ت-656هــ/1258م)، أخت غازية خاتون، محدثة، من ربات البر والإحسان، وقفت بحلب مكاناً للصوفية . روت الحديث النبوي الشريف بمكة المكرمة، وسمع منها العلّامة لسان الدين الخطيب توفيت عام 656هــ/1258م). كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 103.

[2]- مرت ترجمتها سابقاً .

[3] – اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج 1، ص 28.

[4]- ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 13، ص 29. أبو الفداء، تاريخه، ج2، ص 457. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص 28. المقريزي، السلوك، ج1، ص 107. الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج1، ص338

[5]- أبو الفداء، تاريخ المختصر، ج1، ص 487. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 173. المقريزي، السلوك، ج1، ص 107. النويري، نهاية الأرب، ج31، ص239.

أخت الملك ريتشارد قلب الأسد، ففي الوقت الذي فتح فيه ريتشارد باب المفاوضات مع صلاح الدين، أناب الأخير أخاه الملك العادل في مفاوضة ريتشارد وقد تعثرت تلك المفاوضات بسبب تمسك ريتشارد على ارجاع بيت المقدس إلى ما كانت عليه قبل موقعة حطين([1]) وليس أبلغ من إجابة صلاح الدين على ذلك بقوله " القدس لنا كما هو لكم، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم، فإنه مسري نبينا ومجتمع الملائكة، فلا تتصور أن ننزل عنه ولا نقدر على التفريط بذلك بين المسلمين"([2]). ولم يقنط ريتشارد من تمسك صلاح وصلابة رأيه، رغم أن فكرة السلام بالطرق الدبلوماسية جديدة على العصور الوسطي والجديد دائماً يتطلب الصبر والحكمة، ومعالجة الموضوع من زوايا أخرى وبطريقة جديدة ويكون على العاطفة فيها أقوى من العقل ([3]).

فأنفذ ريتشارد رسوله إلى الملك العادل 587هـ / 1191م يقترح عليه زواجه من أخت ريتشارد أرمل وليم الثاني ملك صقلية، على شرط أن تكون القدس وما مع المسلمين للعادل، عكا وما مع الصليبيين لجوانا، وأيضاً شرط أن العادل يحكم البلاد وتقيم زوجته جوانا في القدس وبصحبتها الرهبان والقسيس فقط وأن يرضي العادل قادة الصليبيين الشرقيين وهيئتي الداوية والإستبارية ببعض القري ([4])، ومن الطريف أن العادل رحب بذلك أجل ترحيباً كبيراً ورأى في ذلك عين الصواب، وشاور أخاه صلاح الدين، فوافقه وقبل الفكرة ورحب بها([5]).

ولم تلبث أن ظهرت العقبة في سبيل تنفيذ هذا المشروع، ولكنها لم تأتِ من جانب صلاح الدين أو ريتشارد قلب الأسد وإنما أتت من جانب الأميرة جوانا التي أبت أن " تمكن مسلم من غشيانها" كذلك طلب ريتشارد من العادل أن يعلن اعتناقه للديانة المسيحية – يروي أبو شامة –أن بعض الفرنجة خوَّفوا أخت ريتشارد من عاقبة الزواج من العادل وعنفوها

---

[1] – الحويري، الأوضاع الحضارية، ص 250.

[2] – ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 182– 183.

[3]- سعداوي، نظير، الحرب والسلام، ص 38– 39.

[4]– ابن الأثير، الكامل، ج12، ص 72.أبو شامة، الروضتين، ج 2، ص45 – 50.أبي الفدا، تاريخ أبي الفداء، ج 3 ، ص80 قال رنسيمان: إن ريتشارد قدم عروضه الجديدة بعد بضعة أيام من تقديم مقترحاته الاولى ورفض صلاح الدين لها ؛ وزاد عما أورده ابن الاثير: وأن يتيسر للمسيحيين التردد إلى بيت المقدس ؛ وإعادة صليب الصلبوت، وإطلاق سراح الأسرى من الجانبين. رينسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 115 – 116.

[5] – ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 195.

وقالوا لها بما معناه " هذه فضيحة فظيعة، وسبة شنيعة وقطع على النصرانية وطيعة وأنت عاصية للمسيح لا مطيعة" ([1])، وعندئذ عرف العادل أنها خديعة وصرف نظره عن الموضوع.

وإن كان ذلك لم يمنع من وجود الزيجات السياسية خارج البيت الأيوبي كما تمَّ بين الأيوبيين وسلاجقة الروم عام 635هـ/ 1237م، حيث تم العقد علي غازية خاتون ابنة الملك العزيز محمد على السلطان غياث الدين بن كيقباذ، لكنها لم تحمل إليه لأنه توفي فتزوجها الملك السعيد بن الملك الصالح إسماعيل ([2]) . وفي نفس العام سير ابن العديم من حلب رسولاً ، إلى بلاد الروم لعقد الوصلة بين السلطان الملك الناصر، والسلطان غياث الدين كيخسرو، على أخت السلطان كيخسرو، ملكة خاتون بنت كيقباذ ([3])، وهي ابنة خالة الملك العزيز، والد الملك الناصر ([4]).

وهذا ما يسمي بزواج المقايضة من أجل استمرار التحالف السياسي بينهما وتوكيد العلاقات الحسنة بين مملكة حلب وسلاجقة الروم.

---

[1]- أبو شامة، الروضتين، ج2، ص 193.

[2] - ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 494. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص 210.

[3]- الملك كيقباذ علاء الدين صاحب بلاد الروم، كان من أكابر الملوك وأحسنهم سيرة، وقد زوّجه العادل ابنته وأولدها، وقد استولى على بلاد الجزيرة في وقت وأخذ أكثرها من يد الكامل محمد، وكسر الخوارزمية مع الأشرف موسى . ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 170.

[4] -ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 494. المقريزي، السلوك، ج1، ص 85.

المرأة و القتال

فرضت الحروب الفرنجية (الصليبية) الجهاد علي المسلمين رجـــالاً ونســـاءً وغلمانـــاً وشيوخاً، بما قاموا به من مجازر جماعية مدروسة بدقة بالغة ومخطط لها بخبث ودهاء ضد المسلمين، دامت أكثر من قرنين من الزمان في القرنين السادس والســـابع الهجـــريين(12-13م)، وفي ظل العدوان الصليبي، كان للمرأة العربية نصيبها المتميز في القتال والدفاع عن المقدسات الدينية والوطنية، وقد وصف لنا الأمير أسامة بن منقذ وغيره من المؤرخين صوراً من حياة المرأة العربية المسلمة التي شاركت في القتال ضمن إمكانياتهـــا عنـــدما تقتضـــيه الضرورة، مع الرجل جنباً إلى جنب أو من خلفه، هذا إلى جانب دورها في إعداد وتنشـــئة ذلك الجيل الذي واجه وقاوم الاحتلال الفر نجي (الصليبي) و نجح في طرده من البلاد فـــي ذلك العصر، وهذا يعني أنها لم تكن حبيسة الدار أو معزولة عن مجري الأحداث السياســـية والعسكرية التي كانت تحيط بها بل كانت تعيش حياتها مثل سابقتها من النساء العربيات على مرِّ التاريخ، مع الاحتفاظ التام بعادتها وتقاليدها ودينها وشرفها وأصالتها .

وسنتعرض في هذه الدراسة إلى أمور عدة تدلل على مشاركة المرأة في القتال ضد الفرنجة وغيرهم، كلما سنحت لهن الفرصة لذلك، بالرغم من قلة المعلومات التي أمدتنا بها المصادر العربية عن المرأة المسلمة ومشاركتها في القتال في تلك الفترة التاريخية الحاسمة، إلا أنه استطعنا أن نقدم صورة واضحة عن مشاركتها للقتال من خلال الأدبيات المعاصرة لتلك الأحداث في ذلك العصر، ومن وجه نظرنا لا تتمحور مشاركتها حول حملها السلاح والقتال إلى جانب الرجل في ساحات القتال، ضد المحتلين الفرنجة (الصليبين) فقط، ولكنها تحمل وجوه عدة، وأول تلك الوجوه تحملها عبء الوقوع في الأسر في يد المحتل، علماً بأن المرأة قد تدفع الثمن فادحاً لكونها الأم والزوجة والابنة في عصر دارت فيه رحى المعارك بدموية بين الفريقين المتناحرين، وقد وصفت المصادر العربية مظاهر الاحتلال الإفرنجي لبلاد الشام، وما فعلوه بأهله، ومـــا أن وطئت أقدام الغزاة الأرض الإسلامية حتى شرعوا يقتلون المسلمين، ويأسرونهم ، ويسبون نساءهم وأطفالهم ، ويدمّرون ما تصل إليه أيديهم من مظاهر الحضارة والعمران ؛ وهو ما أشارت إليه المصادر التاريخية، فاستباحوا أنطاكية سنة 491هـــ / 1098م وأعملوا السيف في رقاب أهلها ، "وسُبي من الرجال والنساء والأطفال ما لا يدركه حصر" (1)، وفى يوم الجمعة 22 شعبان 492 ه 15 /يوليو 1099 م تمكن الصليبيون من اقتحام المدينة بعد حصار لها دام خمسة أسابيع"ولبث الفرنج في البلدة أسبوعًا يقتلون فيه

[1]- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 220.

المسلمين"(1)، فاستبيحت المدينة، وتعرضت لأبشع المجازر التي شهدها التاريخ فقد كانت إبادة سكان المدينة شبه تامة، وقد أفاضت المصادر المسيحية المعاصرة لتلك الفترة في وصف وحشية وهمجية الصليبيين" فقد كانت المجزرة التي اقترفت في كل مكان في المدينة مخيفة جدا، وكان سفك الدماء رهيبا جدا لدرجة عانى منها حتى المنتصرون من أحاسيس الرعب والاشمئزاز (2)" "فما تأتّى لأحد قط انه سمع أو رأى مذبحة كهذه المذبحة" (3).

ويعترف فوشيه بالأسلوب الوحشي ضد سكان القدس عند اقتحام المدينة فيقول" لو كنت هناك لتلطخت قدماك حتى الكواحل بدماء القتل ى .ماذا أقول ؟ لم يبق منهم أحد ولم يرحموا امرأة ولا طفلا " (4)

وقد ذكر ابن كثير عن سيطرة الفرنجة على معظم ديار بلاد الشام قائلاً : " تغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس ونابلس([5]) وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان(6) والكرك و الشوبك([7]) وطبرية(8) وبانياس وصور وعثليت(1) (...) وقتلوا خلقاً لا يعلمهم إلا

---

[1] – ابن الأثير، الكامل، ج9 ، ص 19 ، مجهول، أعمال الفرنجة، ص119 ،. 118الصوري، تاريخ، ج1 ، ص435.

[2] -الصوري، تاريخ ،ج1 ، ص436 .

[3] – مجهول، أعمال الفرنجة، ص120

[4] – الشارترى، تاريخ الحملة، ص75

[5] – نابلس :تقع في وسط فلسطين وتعتبر عاصمة الإقليم الجبلي، تبعد عن القدس شما لا 69 كم (وكلمة نابلس هي تحريف عن(الاسم اليوناني نيا بوليس شيدت نابلس غربي مدينة شكيم المدمرة على يد فاسبسيانوس في موقع قرية مابرثه في الفترة ما 72ق.م.ثيودريش وصف، ص. 126 بورشارد، وصف، ص. 108 الحموي، معجم،ج5 ، ص .248 .

[6] – عسقلان، مدينة فلسطينية على ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد 12 كم إلى الشمال من غزة، وقد زارها الإدريسي وهي خاضعة للاحتلال الصليبي ووصفها بأنها معدودة في أرض فلسطين.ا نظر : الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1 ،ص356 .المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 174. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4 ، ص122 . البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص 940.

[7] – الشو بك :تقع الشوبك على يمين وادي عربة بين الطفيلة ومعان والى الشمال الشرقي من البتراء، وقد بنا الصليبيون قلعتها(على قمة جبل عا لِ يطل على البحر الميت، وأقيمت بهدف مراقبة المنطقة الشرقية من المملكة وحمايتها؛ شيدها الملك بلدوين .الأول سنة 509 ه 1115 /م.سميت القلعة باسم مونتريال .الشارترى، تاريخ، ص . 158.الصوري، تاريخ،ج1 ، ص559 .

[8] – طبرية :مدينة في الغور على الشاطئ الغربي للبحيرة المعروفة باسمه ، وهي مدينة محاطة بالأسوار وهي قوية التحصين، .وتقوم في الجهة الجنوبية من المدينة قلعة أعاد تحصينها الصليبيون حينما احتلوا المدينة، في عام 492 هــ/ 1099م وفى زمن الاحتلال الفرنجي احتفظت طبريا باسمها، وأضافوا إليها بعض الاستحكامات القوية، حيث أحاطوا المدينة بخندق، وبنوا بعض التحصينات على الجبل المجاور لمنع الاعتداءات الخارجية

الله وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان ما لا يحد ولا يوصف"([2]) وبهذا يكون الصليبيّون قد بسطوا نفوذهم على معظم المدن الكبرى في بلاد الشام ، في حين انحصر الوجود الإسلاميّ في حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض الأعمال التابعة لها.

نري أن الفرنجة في حروبهم مع المسلمين لم يفرقوا بين امرأة ولا شيخاً ولا وليداً، ولا شاباً، فكانوا يقتلونهم بصورة وحشية وهوما يشير إليه فوشيه شارتر بقوله بحق النساء وعدم احترامهم لهنّ " أما النساء اللائي وُجِدْنَّ في خيام الأتراك، لم يرتكبوا شراً معهن، وإنما بقروا بطونهن بحرابهم فحسب" ([3])!!.

وهكذا يفتخر فوشيه دي شارتر، بأن رفاقه من الصليبيين، لم يفعلوا أي شيء مع النساء المسلمات سوي بقر بطونهن، وهذا يوحي لنا بأن معاملة النساء في ذلك الوقت كانت أقسى من ذلك بكثير.

ويقول آخر: "فغالباً ما كانت النساء في بلاد الشام يقعن ضحية في الأسر"([4])، ومن ذلك ما أورده أبو شامة: "وفي سنة إحدى وستمائة فيها جاءت الفرنج حماة بغتة وأخذوا النساء الغسالات من باب البلد على العاصي"([5]).

كذلك تحدث الشعراء بوضوح في شعرهم عن ضروب الفواجع التي حلت بالمدن الإسلامية على إثر الغزو الفرنجي (الصليبي)، فالشعر يعبر بصدق عن الحالة التي كان يعيشها

للمدينة، الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 363. الحميري، الروض المعطار، ص 385، ص 386. خسرو، سفر نامة، ص 48. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 129.

Albert d,Aix: op. cit,p. 516.

[1] - عتليت: اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر. الحموي، معجم البلدان، ج3 ، ص 201

أما قلعة عتليت:هي قلعة الحجاج تقع جنوب حيفا وكانت ضمن اقطاعية حيفا ثم انعزلت عن حيفا واصبحت تابعة لمنظمة(الداوية، واصبح لمقدم الداوية في عتليت نفس حقوق سادة قيسارية وحيفا حيث كانت قلعة الحجاج او قلعة عتليت تقع بين

هاتين الاقطاعتيين، وقد تمتع مقدم الداوية في عتليت بهذه الحقوق لأول مرة عام648 647 هـ/ 1249–1250معندما ذكر اسمه بين سادة قيسارية وحيفا كشريك كامل، انظر، المقريزي:السلوك، ص 527 ، العيني، السيف، ص197. رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص546

[2] – ابن كثير ، البداية والنهاية، ج16، ص 457.

[3] – شارتر، الحملة، ص 122.

[4] – ابن منقذ، الاعتبار، ص 93.

[5] – أبو شامة، الذيل علي الروضتين، ص77 . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 172. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 5.

المسلمون في ذلك العصر، ومن ذلك ما ذكره القاضي الهروي – وقيل: هي لأبي المظفر الأبيوردي([1])-([2]):

أحل الكفر بالإسلام ضيماً يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسلم أمسى سليباً ومسلمة لها حرم سليب
وكم من مسجد جعلوه ديراً على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوق([3]) وتحريف المصاحف فيه طيب
أمور لو تأملهن طفل لطفل في عوارضه([4]) المشيب
أتسبى المسلمات بكل ثغر وعيش المسلمين إذاً يطيب
أما لله والإسلام حق يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوي البصائر([5]) حيث كانوا أجيبوا الله ويحكم أجيبوا

إن الشاعر في تلك الأبيات عدَّدَ أصناف الشقاء التي حاقت بالمسلمين إثر الغزو الفرنجي (الصليبي) بألم، ومنها ما أصاب نساء المسلمين في المجتمع الإسلامي، من سبي وقهر واغتصاب على يد الفرنجة، فكان متألماً من بني قومه أن يخلُّوا بين النساء وسائر المحرمات وبين الأعداء إذا هم ظلوا متخاذلين عن المشاركة في الجهاد لدفع العدوان عن ديار المسلمين([6]) حتى إذا ما وصل إلى صورة سبي النساء المسلمات صرخ بأعلى صوته من أعماق إحساسه، بسؤال يهز أعماق السامعين أتسبي المسلمات بكل ثغر ؟ ؟

نري في هذا الإلحاح ما يدل على الألم الشديد مما حاق بنساء المسلمين إثر هذه الحروب، بقايا من الإحساس القبلي بعار العشيرة، إذا أضيمت نساؤها ؟ لو سلمنا بوجوده فإننا نلمح في

---

[1] – أبو المظفر الأبيوردي، هو محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد، ينسب إلى أبيورد (مدينة بخراسان بين سرخس ونسا) الحموي، معجم، ج1، ص 286، وكان أديباً مشهوراً توفي سنة 507هـ / 1113م، عنه انظر: ابن الأثير ، الكامل، ج9، ص 152. اللباب، ج1،ص 27. الحموي، إرشاد الأريب، ج6، ص 341. أبو الفداء، المختصر، ج2، ص 47. ابن خلكن، وفيات، ج4، ص 444، ص 449. الذهبي، سيرأعلام، ج19. ص 283– 292.

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 152.

[3] – الخلوق والخلاق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران . مصطفي، وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص 253.

[4] – أي برز وظهر والعارضان : جانبا الوجه. ابن منظور، لسان العرب، ج3، 160.

[5] – البصائر جميع بصيرة : وهي قوة الإدراك والفطنة

[6] – الساريسي، نصوص من أدب عصر الحروب الصَّليبية ص 33.

الوقت نفسه، أن الإسلام طالب بالدفاع عن الحمى والمحرمات، والنساء أولى هذه المحميات في الإسلام ([1]).

وبعد أسر النساء كان يتم استغلالهن أسوأ استغلال في الأعمال الشاقة ، فيشير فوشيه الشارتري، في معرض حديثه عن استيلاء الفرنجة على مدينة قيسارية([2]) عام 494هـ / 1101م، إلى وقوع عدد كبير من نساء قيسارية في أيدى الفرنج([3])، الذين حملوهن إلى منازلهم، وأبقوا على حياتهن في نظير قيامهن ببعض الأعمال المنزلية في بيوت الفرنجة، ويشير فوشيه دي الشارتري إلى أن هؤلاء النسوة نجون من القتل بسبب مهارتهن في الأعمال المنزلية، فيقول : " ولكن نساء كثيرات نجون بحياتهن لأنهن يستطعن إدارة الطواحين اليدوية"([4])، وكما بيع قسمٌ منهن في سوق النخاسة بما فيهن الجميلة والقبيحة ([5])، كذلك يشير وليم الصوري إلى تلك الأعداد الغفيرة من النسوة العرب اللاتي أسرهُنَّ بلدوين الأول عقب غارته على بعض البلاد المجاورة لمملكة بيت المقدس، لكي يعملن في منازل الفرنجة كخدم وعبيد([6]). ومن ذلك أيضاً هجوم جوسلين Joscelin ـــحاكم الرها أواخر عام 513هـ / 1119م، على مدينة منبج وبعض أعمال حلب الشرقية، وإيقاعه الهزيمة بمن فيها من المسلمين، حيث " أسر رجالاً ونساءً"([7])، وفي مدينة يافا([8])كان يتم استغلالهن قسراً في

[1] – المرجع نفسه، ص 33.

[2] – قيْسارِيّةُ: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، وبعد الألف راء ثم ياء مشددة: بلد على ساحل بحر الشام تعدّ في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، وكانت قديما من أعيان أمهات المدن واسعة الرّقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل . الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 421. توجد مدينة أخري تحمل نفس الاسم تقع في آسيا الصغرى انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 267.

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 225. ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 325.

[4]– الشارتري، تاريخ الحملة، ص115.

[5]- المصدر نفسه، ص 115.

[6] – الصوري، تاريخ الحملة، ج1، ص 489.

[7]– ابن العديم، زبدة من تاريخ حلب، ج1، ص 395.

[8] – يافا: إحدى المدن الفلسطينية المشهورة والاسم مشتق من اللفظة الكنعانية يافي بمعنى الجميل تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب من مصب نهر العوجا، وهى من أقدم موانى العالم وقد بناها الكنعانيون وفتحها عمرو بن العاص، وصفها المقدسي " بأنها تقع على ساحل البحر ولكنها بلده صغيره" اما أبو الفداء فقد وصفها بأنها بلدة جميلة ولها ميناء وهي محصنة جدا، وأسواقها مكتظة بالتجار، اما الإدريسي فقد وصفها بأنها نزهة بيت المقدس وتحيط بها الأشجار البرتقال والليمون . الإدريسي، نزهه المشتاق، ص 364، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 385 148 .الحموي، معجم، ج5 ، ص 426 .شراب :معجم، ص726 .

الأعمال الغير الشريفة بالحانات([1])، كما تعرضت النساء المسلمات الأسيرات للتنصير بالقوة ([2]).

قد وصف لنا الرحالة ابن جبير في كتابه " الرحلة " عن حال النساء اللواتي وقعن في الأسر لدي الفرنجة في مدينة صور المحتلة، بعد الاستيلاء عليها بحد السيف التي وصلت لدرجة الذل والمهانة لا يمكن وصفها، وكيف كان يتم معاملتهن معاملة قاسية، جعلته يشفق ويحزن عليهن كقوله : " ومن الفجائع التي يعاينها من حلّ بلادهم أسرى المسلمين يرسفون في القيود ويصرفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد والأسيرات المسلمات كذلك في أسواقهم خلاخيل الحديد فتنفطر لهم الأفئدة ولا يغني الإشفاق عنهم شيئا"([3]). إذن استخدم الفرنجة النساء المسلمات في بيوتهم كخادمات ومربيات لأبنائهم([4]). والجدير بالذكر أن بعض النساء المسلمات فضلنّ الموت على البقاء في الأسر لدى الفرنجة ومن ذلك ما ذكره ابن منقذ في " الاعتبار " أنَّه لما كان في شيزر([5]) يحارب الباطنية، جاءت أمه إلى أخت كبيرة له، ووضعتها على روشن أي على النافذة أو شرفة في داره، يشرف على الوادي العميق في جهة الشرق ثم قالت له : يا بني لقد أجلستها على الروشن حتى إذا جاء الباطنية إلينا رميتها في الوادي، فتموت خيراً لها من الوقوع في الأسر([6])، ويتضح من ذلك على العزة والكرامة لتلك النوعيات من النساء في ذلك العصر([7]). وقوله أيضاً : " كان في الجند رجل كردي يقال له " أبو الجيش " وله بنت اسمها " رفول " اختطفها فارس إفرنجي ، وقد جُنَّ جنون والدها الذي

---

[1]- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 141- 141. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 251. عاشور، فايد، الحروب الصليبية، ص 155. زكار، فلسطين في عهد المماليك، ص 550. الغامدي، جهاد المماليك، ص 184.

[2]- الشارتري، تاريخ الحملة، ص 218. الدويكات، إقطاعية طبرية، ص 306.

[3] - ابن جبير، الرحلة، ص 282. أبو شامة، الذيل علي الروضتين، ص77 . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 172. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 5.

[4] - الصوري، تاريخ الحملة، ج1، ص 489.أبو عون، إقطاعية حيفا، ص 173.

[5] - شيزر: بتقديم الزاى على الراء، وفتح أوله: قلعة تشتمل عليها كورة بالشام، قرب المعرّة، بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الأرند ، عليه قنطرة فى وسط المدينة، وعندها هضبة سماها مؤلفو العرب " بعرف الديك" ويلتف عندها نهر العاصي من جهات ثلاث ، فهي أشبه بشبه جزيرة من الناحية الجغرافية، وقد تم حفر خندق في الصخر الواصل من شبه الجزيرة والبر، وهناك تم تشييد القلعة الحصينة ولها ثلاثة أبواب، وقد تأثرت شيزر بالزلزال المدمر الذي وقع في بلاد الشام عام 552هـ / 1157م . الإصطخري، مسالك الممالك، ص 61، الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 383 . البغدادي، مراصد الاطلاع ، 2، ص 836.

[6] - ابن منقذ، الاعتبار، ص 124.

[7]- ابن منقذ، الاعتبار، ص 124. عوض، الجغرافيون، ص 250 .

أخذ يسير هائماً على وجه في شيزر وما جاورها باحثاً عنها وبعد بضعة أيام وجدناها غرقانة في نهر العاصي ، بجثتها طافية وعليها ثوب أزرق وقد رمت نفسها من على فرس الإفرنجي الذي سباها فغرقت وعلّق ثوبها في شجرة الصفصاف، فسكنت لوعة أبيها أبي الجيش " ([1]) .

وتقدم لنا تلك الروايات أضواء على ذلك العصر، ونفسية المعاصرين لها وتوضح لنا كم المآسي التي عاشوها، فالأسر لدي الفرنجة كان يعتبر كارثة كبري لدي المسلمين([2])، فها هو الأب يهدأ قلبه عندما يعلم أن ابنته اختارت الموت وفضلته على الاغتصاب من ذلك الإفرنجي.

ومما يدل على تنوع أساليب المقاومة لدي النساء وهو إنفاقها الأموال في سبيل الله ؛ لنتال الأجر والثواب، فأنفقت أموالها لتحرير الأسرى، اعترافاً منهن على تلك الجهود التي يبذلها هؤلاء الأسري ودورهم في مقاومة الاحتلال الفرنجي (الصليبي) وخاصة أسرى المغاربة ؛ لأنهم غرباء لا أهل لهم في تلك الديار، ويشير ابن جبير بوضوح " والخواتين من النساء وأهل اليسار والثراء إنما ينفقون أموالهم في هذه السبيل"([3]).كما قامت "ست الشام " بنت أيوب بن شادي أخت صلاح الدين ، بإنفاق أموالها على صناعة الأشربة والأدوية والعقاقير كل سنة بألوف الدنانير، وتفرقها على الجرحى والمرضي من المدنيين والعسكريين([4]) . والوجه الآخر للمقاومة النسائية ، يتضح كذلك من خلال الصور المشرفة التي تناولت مشاركة المرأة المسلمة إلى جانب الرجل أو من خلفه ضد الغزو الفرنجي (الصليبي)، ومن ذلك ما حدث في عام 492هـ / 1099م في أثناء حصار الفرنجة (الصليبيون) لمدينة القدس، فكانت تنقل الصخور والأحجار للمقاتلين المسلمين لقذفها علي القوات الفرنجية (الصليبية) ([5]).

وفي عام 533هـ / 1138م، هاجم الفرنجة (الصليبيون) حصن بزاغة ، وكان ذلك الحصن تملكه امرأة ، وقد صمدت الحامية الإسلامية بذلك الحصن أمام ضربات الفرنجة لمدة سبعة أيام، ثم سلموه للفرنجة بعد أن أخذوا عليهم المواثيق والأمان إلا أنهم غدروا بهم وقتلوا كل من وجد في ذلك الحصن ([6]) وهذا من أخلاقهم .

---

[1] - ابن منقذ، المصدر نفسه، ص192.

[2] - عوض، الجغرافيون، ص 250 .

[3] - ابن جبير، الرحلة، ص 282.

[4] - أبو شامة ، الروضتين، ج2، ص 53. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 34. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 100. النعيمي، الدارس، ج1، ص 391.ا

[5] - ريموندا جيل، تاريخ الحملة ، ص 246 .

[6]- ابن العديم، زبدة الحلب ، ج1، ص316

كما تولت النسوة الدمشقيات جلب الذخيرة والطعام والمياه إلــى المقــاتلين، كــذلك تضميد الجرحى المصابين ، وكن يقاتلن في صفوف الرجال جنباً إلي جنب وذلك في أثنـــاء الحصار الذي فرضته الحملة الصليبية الثانية على مدينة دمشق عام 543هـــ / 1148م([1]) حتى تضرعن لله تعالي بكشف الغمة وانكسار الفرنجة في الحملة الصليبية الثانية وهذا ما قاله الذهبي : " فلما كان أهل دمشق في الاستغاثة والتضرّع إلى الله، وأخرجوا المصحف العثماني إلى صحن الجامع وضجّ الناس والنساء والأطفال مكشوفو الرؤوس، وصدقوا الافتقار إلى الله فأغاثهم "([2]) .

كما ساهمت المرأة في دخول مدينة دمشق تحت حكم نور الدين زنكـــي فـــي عـــام 549هـ / 1154م، فيذكر أبو شامة بأنه عندما عزم نور الدين على أخذ دمشق حاصـــرها " وَيُقَال إِن امْرَأَة كَانَت على السُّور فدلت حبلا فَصَعِدُوا فِيهِ وَصَارَ على السُّور جمَاعَة ونصبوا السلالم وَصعد جمَاعَة أُخْرَى ونصبوا علماً وصاحوا بشعار نور الدّين فَوَقع على أهـــل الْبَلَـــد الخذلان وَكسر بَاب الْبَلَد وَدخلت الخيالة مِنْهُ وَملك نور الدّين دمشق " ([3]).

علماً بأن المرأة المسلمة في زمن الصراع الإسلامي الفرنجي قد لعبت دوراً بارزاً في استثارة حماسة وشحذ همم الرجال على القتال ضد الفرنج، مع علمهن بما ســيحل بهـــن نتيجة فقدانهن للزوج أو أقربائهن، ومن أمثلة النساء اللواتي كنَّ يحرضن على القتال لـــيس فقط أزواجهن، بل أقربائهن علي مقاومة المحتل، تلك المرأة الشيزرية التي حثت أحد أقربائها في شيزر على القتال عندما أيقن الهلاك، فأراد الهرب والعيش بسلام، فوبخته على فراره، حسب رواية " ابن منقذ " فذكر بقوله : " فقالت أي شيئاً تريد تعمل؟ قال آخذ مـــا قـــدرت عليه، وانزل من الحصن بحبل وأعيش بالدنيا. قالت بئس ما تفعل، تخلي بنات عمك وأهلـــك للحلاجين وتروح؟ أي عيش يكون عيشك إذا افتضحت في أهلك انهزمت عنهم؟ اخرج قاتـــل عن أهلك حتى تقتل بينهم ومنعته من الهرب" ([4]).

---

[1]- علي، محمد كرد، دمشق مدين السحر والشعر، ص 30. بن موسي، نظرة عربية، ص 138. الفراني، المقاومة الشعبية، ص 182 .

[2] – الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج2، ص 463.

[3]- أبو شامة، الروضتين ، ج1، ص 301، ولكن هذه الرواية انفرد بها ابن القلانسي بذكر أن تلك المرأة كانت يهودية هي التي ساعدت قوات نور الدين من علي السور ، انظر ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، ج1، ص 504

[4] – ابن منقذ، الاعتبار، ج1، ص 124.

كذلك تِلْكَ المرأة الّتي قطعت شعرها وقالت لأحد المجاهدين : "اجعلْه قَيدًا لفرسك في سبيل الله "([1]) . وكذلك عندما أرسل الخليفة العاضد([2]) يستنجد بنور الدين زنكي بعد أن رأى من ضعف قواته في دفع الفرنجة عن مصر، فجعل في الكتب شعور النساء وقال : "هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج، فشرع في تيسير الجيوش " ([3]).

وفيما روي أن الملك العادل طلب من الواعظ سبط ابن الجوزي أن يحث الناس على الجهاد لما شاهد من فتور في العزائم والفتور عن الحرب، فاستجاب سبط ابن الجوزي لهذا الطلب، فأشار سبط ابن الجوزي أن تقصَّ النساء شعورهن لتستعمل في الأدوات اللازمة في الحرب([4])، وهذا ما ذكره سبط ابن الجوزي([5]) في أحداث عام 607هـ / 1211م حيث قال : " خرجتُ من دمشق بِنيَّة الغزاة إلى نابلس، وكان المَلِك المعظَّم بها، فجلستُ بجامع دمشق في ربيع الأوّل(...) وكان قد اجتمع عندي شعور كثيرة من التّائبين، فقال : فعملتُ من الّتي اجتمعت عندي شكلا لخيل المجاهدين وكرفسات([6])، فأمرتُ بإحضارها عَلَى الأعناق، فكانت ثلاث مائة شكال، فلمّا رآها النّاس ضجّوا ضجَّةً عظيمة ،(...)، فأتينا نابلس، وخرج المُعَظّم فالتقانا وفرح بنا، وجلستُ بجامع نابلس، وأحضرت الشّعور، فأخذها المعظّم، وجعلها على وجهه وبكى وخرجنا نحو بلاد الفرنج، فأخربنا وهَدّمنا وأسرنا جماعة، وقتلنا جماعة، وعُدنا سالمين مَعَ المعظَّم " ([7]).

---

[1]- أبو شامة، الذيل علي الروضتين ، ص 69. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43 ، 30 .ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج7، ص 35.

[2]- هو العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي المصري الرافضي ، ولد في أول سنة ست وأربعين وخمسمائة، وأقامه الصالح بن رزّيك، بعد هلاك الفائز، وهو آخر الخلفاء الفاطميين . انظر الذهبي، العبر ، ج4، ص 197، ص 198 . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 334، ص 357.ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج6، ص 368.

[3] - ابن الأثير، الكامل ، ج9 ، ص 238. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2 ، ص 73. مجير الدين العليمي الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص 312.

[4]- علي، محمد كرد، دمشق مدينة السحر والشعر، ص 29.

[5]- سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان ، ج8، ق2، ص 544- ص 545. وبعد أن انفض المجلس تلقاه والي دمشق المعتمد بن إبراهيم، وكان من خيار الناس ، فمشي معه حتى باب الفرج، حتى ركب فرسه، والناس خلفه وعلى يمينه وشماله، ابن كثير : البداية والنهاية، ج13، ص 64.

[6]- كرفسات ، : والكَرْفَسَةُ : مِشْيَةُ المُقيّدِ ، الذي يقيد به البعير . الأزهري، تهذيب اللغة ، ج10، ص 229.

[7]- أبو شامة، الذيل علي الروضتين ، ص 69. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43 ، 30 .ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج7، ص 35.

ومن هذا النص أثبتت نساء دمشق روحهن الجهادية وأنهن يقفن إلى جانب الرجال، بل كنّ السبب في إذكاء حماسهم الجهادي . ويقع في هذا المعني مشاركة مغنية آل مرة، المعروفة بالحضرمية، لتثير حماس قومها عندما قدموا إلى دمشق لحرب التتار، فوضعوا نسائهم خلفهم ليستميتوا في القتال، فكانت تغني:

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لا قينا جذاما وحميرا

ما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضمرا

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تتكسرا

سقيناهم كأسا سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا([1])

فصدقت ما قالته فكانت الكسرة أولاً على المسلمين، ثم كان الدحر والقتل للتتار.

زد على ذلك ما ذكره ابن منقذ حيث يقول:"شاهدت من نخوات النساء عجباً"([2])، وهو ما قامت به احدى نساء بلاد الشام من قتل زوجها المدعو علي بن عبد بن أبي الريداء والذي كان من رجال خلف بن ملاعب ([3])أمير أفامية ([4]) وكان يغير ويستولي علي القوافل، فلما قتل ابن ملاعب انتقل علي ابن أبي الريداء إلى خدمة الإفرنج في كفرطاب([5])، فكان ينهض بالإفرنج إلى المسلمين يغنمهم ويبالغ في أذى المسلمين وأخذ مالهم وسفك دمهم حتى قطع سبل المسافرين" ([6]). فكانت زوجته " تنكر عليه فعله وتنهاه فلا ينتهي." ([7])، فاتفقت هي وأخوها على قتله، " وأخفته في البيت إلى الليل. واجتمعت هي وهو على زوجها علي ابن أبى الريداء

---

[1]- المقريزي، السلوك، ج2، ص 232. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 216- 217.

[2]- ابن منقذ، الاعتبار، ص 127.

[3]- خلف بن ملاعب الأشهبي الملقب سيف الدولة ، كان كريما شجاعا جبارا ظالما، يقطع الطريق، ويخيف السبيل، وكان في يده حمص وأفامية، فكتب الولاة بالشام إلى السلطان ملك شاه وشكوا إليه خلف ابن ملاعب، ، فافتتحوا حمص وسيروا خلف بن ملاعب في قفص حديد إلى السلطان ملك شاه ، وحبس ابن ملاعب، وبقي في حبسه إلى أن أطلقته خاتون امرأة السلطان ملك شاه ، ثم احتال الباطنية عليه في القلعة حتى قتلوه غيلة في سنة تسع وتسعين وأربعمائة. ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج7، ص 3354.

[4]- أفامية مدينة قديمة حصينة تقع في الشمال الغربي من مدينة حماة وقرب مدينة معرة النعمان بسورية . بناها الملك سلوقس اليوناني ودعاها (أباميا) باسم أمه ، وهي اليوم أطلال . قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري : ولولاك لم تسلم أفامية الردى ويسميها بعضهم فامية بغير همزة، للمزيد انظر : الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 227 . تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج1 ، ص49.

[5]- كفرطاب وهي بلدة صغيرة من جند حمص غربي حلب . الحموي، معجم، ج2، ص 234.

[6] - ابن منقذ، الاعتبار، ص 128.

[7] - المصدر نفسه، ص 128.

فقتلاه " ([1]) ثم هربت إلي شيزر، " فقالوا : لها ما حملك على فعل ذلك، قالت: غضبت للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر، فأرحت الناس من هذا الشيطان([2]). فقدر لها المسلمون فِعلها وعملوا علي إكرامها واحترامها([3]).

وبذلك لم تأخذ الناس ولا قادتهم هوادة فيمن كانوا يفتون في عضد المسلمين أو يتهمون بأنَّ هواهم كان مع الصليبيين كما مرَّ معنا أن صفوة الملك زمرد خاتون، عندما علمت أنَّ ابنها شمس الملوك متعاون مع الصليبيين وأراد أن يسلم مدينة دمشق للفرنجة دبرت من يقتله، فكانت بلادها أغلي من ابنها الخائن ([4]).

ففي مدينة نابلس شاركت المرأة الفلسطينية في قتل الفرنجة (الصليبيين)، بأسلوبها الخاص حيث قامت امرأة مسلمة بالزواج من إفرنجي فقتلته، وكانت تحرض ابنها على مقاومة الفرنجة، فكان يحتال على الحجاج الفرنجة(الصليبين) " ويتعاون هو وأمه على قتلهم، فاتهموه بذلك " ([5]) وهذا النوع من المقاومة يدل على حسن التخطيط والإعداد الجيد لدى المرأة المسلمة، ولم يكتب لهذه المقاومة الفردية الاستمرار، فقد تم اكتشاف أمر هذا الشاب وما يفعله بالحجاج المسيحيين، فقبضوا عليه وعاقبوه بسمل عينيه ([6]) .

ومن صور البطولات النسائية في بلاد الشام زمن الصراع الإسلامي الفرنجي ، تلك المرأة الشيزرية التي يقال لها نضرة بوزر ماط أسرت ثلاثة من الإفرنج عندما كانت مجموعة من حجاج الفرنجة عائدين إلى أفامية فتاهوا في الطريق فدخلوا شيزر، فخرج الناس لقتالهم فوقع القتل فيهم، وفيمن خرج مع الناس تلك المرأة المذكورة أدخلتهم بيتها واحداً تلو الأخر فاجتمع لديها ثلاثة من الإفرنج ، فقامت بسلبهم ثم دعت قوماً من جيرانها لقتلهم ([7]). وكذلك يروي أن امرأة استطاعت بواسطة جمالها وذكائها، أن تمكن المسلمين من أسر أشهر عتاة الفرنجة، وأشدهم أذى على المسلمين، ألا وهو جوسلين صاحب تل باشر([8]) وإعزاز([9]) وعينتاب([1])،

---

[1]– المصدر نفسه، ص 128.

[2]– المصدر نفسه، ص128.

[3]– المصدر نفسه، ص128.

[4]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص 152.

[5]– ابن منقذ، المصدر نفسه، ج1، ص 139. البيشاوي، المقاومة، ص375

[6] – المصدر السابق، ج1، ص 140.

[7] – ابن منقذ ، الاعتبار، ج1، ص 129.

[8]– تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة تقع شمال حلب ، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 40.

[9] – إعزاز، عَزَازُ:بفتح أوله، وتكرير الزاي، وربما قيلت بالألف في أولها، والعزاز الأرض الصلبة: وهي بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم، كانت بلدة مشهورة ظاهرة المحاسن واسعة الفناء تعرف قديما بتل

والروندان([2]) وغيرهما، فدس له نور الدين زنكي جماعة من التركمان ليحتالوا عليه، " فنزلوا عينتاب وفيهم امرأة لم يكن أجمل منها، فجعلوها في طريق الملعون جوسلين لعلمهم بولعه بالنساء الحسان، كأنها تحتطب، كمنوا له الرجال من التركمان، فلما بلغ جوسلين نزول التركمان بعينتاب خرج بنفسه (...)، فمرَّ بطريقه إلى تلك المرأة فلما رآها ذهل عقله، فراودها فأنعمت له، وأتت به إلى تلك الشجرة بالقرب من كمين التركمان، فلما صار عليها ضمت رجليها ويديها وخرجوا عليه فأخذوه أخذ الكف وأتوا به إلى نور الدين، وهو نازل على حمص فأعطى التركمان عشرة آلاف دينار و المرأة ألف دينار" ([3]). "وكان أسره من أعظم الفتوح على المسلمين وأصيبت النصرانية كافة بأسره، وعظمت المصيبة عليهم بفقده " ([4]). فاستطاع نور الدين بعد ذلك فتح جميع الحصون التي كانت بيده.

كذلك أثبتت لنا الحملة الفرنجية (الصليبية) السابعة 647 ه/ 1249م دور المرأة المسلمة خلال ذلك الصراع العنيف بين المسلمين و الفرنجة على أرض مصر كما تجدر الإشارة إلى دور شجرة الدر التي حفظ لها التاريخ حكمتها في أصعب المواقف التي مرت بها الدولة الأيوبية حينذاك، فقد قامت بدور مجيد حيث أخفت وفاة زوجها عن الجيش المصري الذي يقاتل الفرنجة في دمياط آنذاك، وكانت تعلم بخطها مثل علامته وتقول: " السلطان ما هو طيب، وتمنعهم من الدخول إليه " (5)، فقد تحملت الموقف بكل شجاعة ورباطة جأش ودارت العمليات العسكرية في موقعة المنصورة(647هـــ / 1249م)، كأن السلطان لم يمت حتى وصل توران شاه من حصن كيفا و تولى القيادة في مصر (6)، ولو علم الجيش بوفاة الملك الصالح نجم الدين لدب الضعف والتخاذل والتواكل فيهم، وأفلتت زمام الأمور من أيدى قادة المماليك، وذلك لم يحدث بفضل الله ومن ثم بفضل حنكة شجرة الدر وحسن تدبيرها للأمور، استطاعت شجرة الدر بفعل حنكتها السياسية، أن تحفظ للجيش وحدته وتماسكه، وأن تحول دون تصدّع صفوفه، وانفراط عقده، كما استطاعت أن تبعث في الجنود روح مواصلة الجهاد،

إعزاز. وكانت قلعتها مبنية باللّبن والمدر، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 118. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص 937. الغزي، نهر الذهب، ج1، ص128.

[1] ـ عينتاب، وهي مدينة من جند قنسرين تقع شمالي حلب، الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 105.

[2] ـ الروندان : هي قلعة من جند قنسرين وهي قلعة حصينة على جبل مرتفع ذات أعين وبساتين وفواكه. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 145.

[3] – ابن أيبك الداودار، كنز الدرر، ج6، ص 555– ص 556.

[4] – أبو شامة، الروضتين، ج1، ص 82.

[5] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص197. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص198.

[6] – الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين، ج2، ص44، ص 61.

ومتابعة الكفاح، دونما ضعف أو خور أو ميل إلى الخضوع والاستسلام (1)، فيقول ابن خلدون: " وأبلى أمراء الترك في ذلك اليوم بلاءً حسناً وقفوا مع شجرة الدر زوج السلطان تحت الرايات ينوهون بمكانها، فكانت لهم الكرة وهزم الله العدو" ([2]) . وهذا يدل على نجاح مهمتها في ذلك الحدث الخطير، بأن تنقذ البلاد وتدير شئونها في فترة عصيبة من أحرج فترات التاريخ المصري.

على أي حال فقد شاركت المرأة المسلمة في تحرير مدن إسلامية كانت واقعة تحت احتلال الفرنجة حسب طاقتها، فكانت تسقي الماء للجنود، وتطبب الجرحى و وتجر المناجنيق([3]) مع أنها تحتاج لطاقة بشرية هائلة، ومثال على ذلك ما حدث في عام 663هـ / 1264م، عندما اتجه السلطان الظاهر بيبرس، لتحرير مدينة أرسوف من الاحتلال الفر نجي (الصليبي) وخلال حصار جيش المسلمين للمدينة : " كانت النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال، ويعملن في جرّ المناجيق " ([4]). ولم يكن دور المرأة المسلمة قاصراً على مواجهة الفرنجة (الصليبين)، بل إن الأمر تعدى إلى مواجهة عناصر الباطنية (الشيعة الإسماعيلية) ([5]) الذين كانوا أحياناً أشد خطراً على المسلمين من الصليبيين أنفسهم .

ومن حوادث المروءة والشرف ما قامت به المرأة المسلمة في ذلك العصر ضد الباطنية، ما وصفه لنا أسامة بن منقذ في كتابه : " الاعتبار" ومن ذلك ما حدث في عام 507هـ / 1112م " عندما ثار مجموعة من الباطنية (الحشاشين) في شيزر مستغلين غياب أمراء بني منقذ ومعهم غالبية رجال المدينة، واستطاعوا السيطرة على قلعتها، فعلم بذلك رجال المدينة، فلعبت النساء دوراً هاماً في ذلك الحدث حيث قمن بمساعدة الرجال في دخول المدينة من

---

[1] – الصلابي، السلطان سيف الدين قطز، ج1، ص88.

[2] – ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 807. عاشور، الحركة الصليبية، ص 57.

[3] – المناجيق، مفردها منجنيق، اسم أعجمي وهي آلة حربية قديمة كانت تستعمل لأغراض الحصار، ترمي قذائف عرفها العرب واستخدموها في حروبهم، القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص 152، 143.

[4] – المقريزي ، السلوك ، ج2، ص 21 .

[5] – الشيعة الإسماعيلية: هم إسماعيلية الشام الذي يأخذون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق (ت : 145ه / 756م) فقد نجح أتباعه في إقامة الدولة الفاطمية في أخريات القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) غير أنه قد === حدث بينهم انشقاق بعد موت الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (ت 487هـ / 1094م) أنه قد حدث ونادوا بإمامة ابنه نزار وبطلان ابنه الآخر المستعلي وانتقل أتباعه الذين ينتمون إليه إلى مصر، وقد عرف فرع الشام في التاريخ باسم الإسماعيلية النزارية وباسم الحشيشية أيضاً، ولعبت هذه الطائفة دوراً بارزاً في الصراع الإسلامي الفرنجي، وباتوا خطراً يهدد العالم السني من حين لآخر، للمزيد انظر : ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص 44. حتي، فيليب و آخرون، تاريخ العرب، ص82، ص 83.

خلال قيامهن برمي الحبال من الطاقات فدخلوا، واستطاعوا قتال الباطنية وأخذهم بالسيف من كل جانب، فلم يسلم منهم أحد "([1]).

فقد ارتدت أم ليث الدولة يحيي زردية وخوذة، وتسلحت بسيف وترس، وشاركت في القتال ضد الباطنية، وأخذت تستحث الشبان على الصبر في القتال([2])، بل إن والدة أسامة بن منقذ زودت ابنتها الكبرى بالسلاح، وأمرتها بالخروج للقتال، وأظهرت نخوة " أشد من نخوات الرجال" على حد تعبير أسامة نفسه. ولم يقتصر أمر القتال على الشابات المسلمات فحسب بل يروي أسامة أن عجوزاً من جواري جده يقال لها " فنون" أخذت سيفاً وخرجت إلى القتال، وأبلت فيه "وما زالت كذلك حتى صعدنا وتكاثرنا عليهم وصدوهم لئلا يصل شيء من آذاهم ويقع المحظور في النساء" ([3]) . فلم تسلم نساء المسلمين من هجمات التتار ففعلوا القبائح بهن في المدن الشامية التي استولوا عليها، فقاموا مثلاً بنهب دمشق وحرق مدارسها ومساجدها وقتل أهلها وأسر نسائها، فيصف ابن كثير أحوال النساء عشية هجمة المغول على تلك المدينة " فسبوا خلقاً كثيراً من بنات المشايخ وأولادهم" (4).

والجدير بالذكر أن المرأة ساهمت بنصيب كبير في هذه المعارك، وهذا يدل على أنّها كانت تشارك في التصدي للغزاة، وتلبسن لبس الفرسان، لدرجة أنه لا يمكن التمييز بينها وبين الرجال من حيث الشجاعة والقوة. ومن الممكن القول بأن المرأة المسلمة كانت تعمل في الجبهة الداخلية التي هي أساس نجاح جبهات الصراع الحربي مع الفرنجة(الصليبيين) وساهمت في صنع تاريخ الأمة الجهادي.

---

[1] – . ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 303. ابن منقذ، الاعتبار ، ص 164

[2]- ابن منقذ، الاعتبار ، ص 124.

[3] – المصدر نفسه، ص 160 .

[4]- ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 10.

الفصل الثاني

المرأة الصليبية ودورها في الحياة السياسية والعسكرية زمن الصراع الإسلامي الفرنجي

المبحث الأول: مكانة المرأة الفرنجية (الصليبية) في المجتمع الصليبي .

المبحث الثاني: دورها السياسي .

المبحث الثالث: دورها في الحياة العسكرية .

مكانة المرأة الإفرنجية (الصليبية)في المجتمع الصليبي

خرج الفرنجة من غرب أوروبا في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد/ الخامس الهجري، على هيئة حملات عسكرية متتالية، قاصدين الشرق الإسلامي، حيث نجحوا في تأسيس أربع إمارات صليبية، عدا الكثير من القلاع والحصون التي استولوا عليها([1])، وكان للفرنجة (الصليبيون) بالشرق نشاط واسع متعدد الأوجه أسهمت فيه المرأة الإفرنجية([2])(الصليبية) بدور فعّال يتفق ومركزها الاجتماعي من جهة والأوضاع والتقاليد المتوارثة التي عاشت في ظلها في الغرب الأوروبي من جهة أخري ([3])، فقد أخذت المرأة الإفرنجية حيزاً غير قليل من كتابات المؤرخين المسلمين، ولكن لم يخصصوا لها مواضيع مستقلة، بل جاءت صورتها ضمن السياق العام للأحداث، وقد يفسر ذلك بقلة عدد النساء الإفرنجيات اللائي أقمن في بلاد الشام؛ بسبب أن معظم الذين كانوا يقصدونها كان من فئة الرجال المقاتلين كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين المعاصرين([4])، ولكن مع مرور الوقت قد تزايدت أعدادهن حيث تم جلبهن من أوروبا، ومن ناحية أخرى لم تكن المرأة في أوروبا في العصور الوسطي، في وضع تحسد عليه، فقد اعتبرتها الكنيسة شيطاناً، فهي التي حرضت آدم على ارتكاب المعصية، وأدى ذلك إلى خروجه من الجنة؛ لذلك نظرت إليها نظرة كلها احتقار وامتهان([5])،

[1] - عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص 481.

[2] - فقد تمَّ ذكرها في المصادر العربية باسم " إفرنجية" وهو اشتقاق من " فرنسية" وهذا ما جاء في تعريف لأبي الفدا:"الإفرنج هم أمم كثيرة وأصل قاعدة بلادهم فرنجة ويقال فرنسة وهي مجاورة لجزيرة الأندلس من شماليها " أبو الفدا، المختصر في تاريخ البشر، ج1، ص 137. ليس هناك فرق في التسمية، وإن كانت تلك التسمية لا تقتصر على المرأة الفرنسية فقط، وإنما تشمل جميع النساء الأوربيات اللواتي شاركن في الحروب الصليبية، وأطلق عليها الصليبية، لوضع الصليب علي صدورهن ، وهذا ما عبّر عنه الأصفهاني في حوادث سنة 586هــ 1189م " وعلى لبتها صليب " العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 186.

[3] - عاشور، المرأة الأوربية، ص 44.

[4] - نعنعي، عبد المجيد، وآخرون، صورة المرأة الصليبية، ص 316. بوتشيش، إبراهيم عبد القادري، مجتمع الصليبيين، ص 12- ص17

[5] - اتخذت الكنيسة من المرأة موقفاً متناقضاً، ففي الوقت الذي نظرت إليها نظرة احتقار، بجلتها واحترمتها بوصفها ممثلة للسيدة مريم العذراء انظر :

فالنصوص العربية تجمع على مكانة المرأة الإفرنجية داخل مجتمعها، وتذكر مختلف الأدوار التي قامت بها في الحياة السياسية والعسكرية، ونسوق في ذلك السياق ملكة وصفها المؤرخون وعلى رأسهم الكاتب العماد الأصفهاني بأنها " امرأة كبيرة القدر وافرة الوفر وهي في بلدها مالكة الأمر"([1])، ثم يتحدث بأنها قدمت في مركب بصحبتها خمسمائة فارس بحاشيتهم وخيولهم وكان لها من الأموال ما يكفي للإنفاق على هؤلاء الأتباع الذين كانوا طوع يديها، لا يقدمون شيئاً ولا يؤخرون أمراً إلا بأمرها([2]).

وقوله أيضاً : " أَلْقَت الرّيح إِلَى سَاحل زيب([3]) بطستين خرجتا من عكا بِجَمَاعَة من الرِّجَال وَالصبيان وَالنِّسَاء وفيهَا امْرَأَة محتشمة غنية مُحْتَرمَة فأخذتا وَأَخذُوا وَأخذت وجَدَّ الفرنج فِي استنقاذها فما استنقذت"([4]).

كما أن قرارات المجامع أو المجالس العليا القضائية الصليبية جعلتنا نتعرف إلى الوضع الخاص أو الشخصي للمرأة النبيلة أو الحرة في المجتمع الصليبي في القرن 6هـ / 12م، فقد وجد نص صريح في القانون يقر بأحقية الفتاة في وراثة الإقطاعيات، ولكن في الواقع يوجد شرط وحيد للتصريحَ بذلك هو أن جميع الورثة من الذكور يفضلون على الفتيات في إرث المقاطعة أو الإقطاعية، إذا كانت القطع أو الإقطاعيات الموروثة من قبل الأبوين عددها أقل من عدد الأولاد وأيضاً فإن الترتيب في الميلاد بالنسبة للفتيات يلعب دوراً كبيراً في هذا الموقف، فمثلاً الفتاة الكبرى ترث إقطاعية بأكملها بعد أن يكون كل الذكور قد نالوا حقوقهم

Holt, Andrew: The Snare of the Devil Women, Sin, and Crusades Propaganda,p3.

وانظر أيضاً : غانم، آمال حامد ، التأثيرات، ص 326.

[1] – العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188. حمادة، محمد ماهر، الوثائق التاريخية، ص 207–208.

– [2] العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188. بوتشيش، إبراهيم عبد القادري، مجتمع الصليبيين، (1/12174) المكتبة الإسلامية الشاملة.

[3]– قرية الزيب: هي قرية كنعانية عرفت باسم أكزيب، عرفها الفرنج باسم أمبرت نسبة إلى الفارس الصليبي الذي استولى عليها سنة 497هـ / 1104م، تقع على مسافة 14كم شمال عكا، الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 162. بوشارد، وصف، ص 34.

[4]– أبوشامة، الروضتين، ج4، ص 164.

من الإرث أما البقية فيقتسمن ما تبقي، ويتوقف هذا الحق أيضاً إذا كان يشرف على الإقطاعية ولو فارس واحد([1]).

وكان القانون يتيح للمرأة أو السيدة حق امتلاك الإقطاعية عن طريق الشراء ، ولكن جاك دي ابلين Jean d,Iblin قد رفض واستنكر هذا القانون خصوصاً بالنسبة للفتيات اللائي لم يتزوجن([2]) .

وعلى كل حال فإنّ ملكية اقطاعية بالنسبة للمرأة تلزمها بالتزامات لا تجب على النبيل أو الوريث الذي يمتلك إقطاعية، فهي يجب عليها أن تخضع خضوعاً كاملاً للأمير أو الحاكم وأن توفي بنصيبها إليه من الهدايا والعطايا والهبات وحتى إقراضه مثلها في ذلك مثل الرجال، ويوجد التزام آخر وهو أنّ المرأة يجب أن توكل بمهام إدارة إقطاعتيها هذه إلى أحد الفرسان أو تجعلها تحت رعايته طالما أنّها كانت غير متزوجة، ولكن في هذا الوضع إذا رفض الملك أو الأمير أو الحاكم أن يمنحها هذا الحق فإنها في هذه الحالة تكون مضطرة أن تتخذ زوجاً لها([3]).

بيد أنه على الرغم من هذه الحرية التي تمتعت بها المرأة الإفرنجية والمكانة المتألقة التي حازتها في هرمية المجتمع، فإنّ حرية زواجها لم تكن بيدها([4])، ودون أن نعمم هذا الحكم، فإنّ النصوص القليلة الواردة في هذا الشأن تثبت ذلك، فعندما حاول الملك ريتشارد قلب الأسد أن يزوج أخته للملك العادل، لقي معارضة لأنّه وضع أخته تحت يد مسلم دون مشاورة البابا!([5])، وبالرغم من أن هذا المنع اتخذ مرجعية دينية سياسية، حيث لم يمانع الملك الإنكليزي في تزويج ابنة أخته بدل أخته، فإنّ هذه السلوكيات تعكس مدى إمكان تطبيق مثل

---

[1] - حسين، مقالات وبحوث، ص 158.

[2] – حسين، مقالات وبحوث، ص 159.

[3] – المرجع نفسه، ص 159.

[4] - صدر بعد سنة 573 ه 1177 /م، القانون الذي يجيز لوارثة الاقطاع أن تختار لها زوج من بين الثلاثة الذين يرشحهم الملك، على أن بلدوين الثالث عرض، في سنة 545 ه 1150م، على كونستانس أميرة إنطاكية أن تختار واحدا من بين ثلاثة رجال تقدموا لخطبتها، ومع ذلك لم يجبرها على .أن تقبل احدا منهم، انظر رانسيمان:تاريخ الحروب، ج 1، ص 477 ، هامش(3)

[5] – ابن شداد، النوادر السلطانية، ص. 203.

هذه القرارات على المرأة دون الرجل، وتعويض امرأة بأخرى وكأنها مجرد سلعة تستبدل حسب رغبة الرجل أو ذوي النفوذ الديني وأصحاب القرارات.

وعلى العموم، فالقاعدة السائدة لدى الإفرنج أنَّ المرأة الثيِّب تتزوج بإذن البابا، بينما المرأة البكر يزوجها أهلها([1])، وفي كلتا الحالتين، لا نلمس موقعاً لحرية الزواج لدى المرأة الإفرنجية.

وفي رواية ثانية، ذكر الأصفهاني([2])أنَّ ريتشارد قلب الأسد ولى ابن أخته الكونت هنري مدينة صور بدل المركيس الذي ترك زوجته، فتزوجها هنري وهي حامل، مما أثار استغراب المؤرخ العربي الذي تساءل بنوع من الحيرة كيف أن الحمل لم يحل دون زواجها، حيث ينسب الولد إلى الملكة([3]) ويعلق ابن الأثير على هذه الحادثة بقوله: " وهذه قاعدة الأمة المشركة"([4]).

ومسألة الزواج الخاصة بالنساء المالكات للإقطاعيات قد وجدنا أن السيد أو الوصي عليها يستطيع أن يرغمها على الزواج، ولكنَّ الآراء كلها اجتمعت على أنَّ الطمع كان له النصيب الأكبر في مسألة زواج السيدات المالكات، فكان السادة يتكالبون على هذا الزواج وذلك للإثراء من وراءه([5])، و وهناك أمثلة توضح مدي التكالب على الوارثات النبيلات الصليبيات أدت إلى وجود مشاكل سياسية خطيرة خاصة في مملكة بيت المقدس([6])، كان لها أخطر النتائج على المملكة الصليبية، فالبعض من الفرسان المغامرين المفلسين، والأبناء الصغار من الفرسان الذين ليس لهم اقطاع، وفدوا إلى الشام الفرنجية ليجربوا حظهم مع النبيلات صاحبات الإقطاع، وقد نجح في ذلك جاي لوزيجنان؛ مما أدى إلى غيرة المنافسين الأقل حظاً، ويروى أنَّ كارثة حطين التي أدت إلى سقوط بيت المقدس عام583هـــ / 1187م، في أيدى المسلمين، كان سببها المباشر انتقام رجل إنجليزي يسمي جيرارد دي ريد فورد، فشل في طلب يد امرأة، فقد أتى جيرارد إلى الأراضي المقدسة كفارس لا هدف له، يلتمس حظاً موفقاً، فوعده ريموند الثالث صاحب طرابلس بأنْ يزوجه من القاصرة وارثة البترون الثرية بصفته

---

[1] – ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 305. العماد الأصفهاني، الفتح القدسي، ص 266.

[2]– العماد الأصفهاني، الفتح القدسي، ص. 590

[3]– العماد الأصفهاني، الفتح القدسي، ص 89. ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 147.

[4] – ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 147.

[5] - حسين، مقالات وبحوث، ص 160- 161.

[6] – Miller: The Latin in the Levant,p.521 .عاشور، المرأة الأوربية، ص 44 . الحويري، الأوضاع الحضارية لبلاد الشام، ص 78.

الوصي عليها، ولكن وصول أحد الأثرياء بيزا غَيَّرَ الوضع، فقد أتي بميزان وضع السيدة الوارثة في إحدى كفتيه، وفي الكفة المقابلة أكياس الذهب، وبالطبع زوَّجه من وارثة البترون التي يبدو أنَّها كانت ذات جمال وافر، ولم ينسَ الرجل ذلك الصدود وحالفه الحظ في مجال آخر، فقد التحق فارساً بهيئة الداوية، وتدرج في سلم الوظائف الكبرى إلى أن صار صنجيلاً ثم بعد ذلك مقدماً للهيئة، ولكنه لم ينسَ مطلقاً أن ريموند خدعة مرة، فرد إليه الصفعة ليلة حطين، بأنَّ حث الملك الضعيف على رفض استراتيجية ريموند([1]).

وثمة مثال آخر لفارس محظوظ وهو رينودي شاتيون([2])– الذي عرفه العرب باسم أرناط– الذي أتى إلى الشام 544هـ / 1147م، ليجرب حظه ضمن حاشية لويس السابع ملك فرنسا، وقد كان ابناً أصغر لا إقطاع له واستطاع أرناط الزواج بالأرملة الأميرة كونستانس الوصية على الوريث الشرعي لإمارة أنطاكية، فحكم الإمارة لصالح ابن الزوجة([3]) . ويبدو أنَّ ذلك الزواج كان غير متكافئ، فانتشرت حوله شائعات محلية، وخاصة أنَّ البطريك الذي عارض ذلك الزواج، فما كان من المغامر الفرنسي إلا أن قام بتجريد البطريك من ملابسه، ولطخه بالعسل، وتركه وليمة الذباب خلال يوم صيف طويل([4])، وقدر لأرناط أن يقع في أسر المسلمين في أثناء قيامه بحملة لسرقة الماشية، وبقي سجيناً في حلب لمدة خمسة عشر عاماً، وبعد أن أطلق سراحه ، وجد زوجته قد توفيت، وأنَّ ابن زوجته اعتلى عرش أنطاكية، ومن ثم تطلع باحثاً عن وريثة أخرى، فوجد فرصته المنشودة في البارونة الأرملة صاحبة الأردن([5]) .

---

[1]- Miller: The Latin in the Levant,p.521.

[2] – رينو دي شايتون :هو فارس فرنسي خدم في جيش بلدوين الثالث، تزوج من كونستانس أميرة أنطاكية، وفي الفترة ما بين 555– 572هـ / 1160– 1177م، وقع أسيرًا في يد المسلمين، وفي تلك الفترة توفيت زوجته كونستانس ففقد مكانته، وفي عام 573 هـ/ 1177 م تزوج من أستفاني بنت فيليب دي ميللي فأصبح صاحب إقطاعية شرق الأردن ، خاض عدة معارك مع المسلمين وفي عام 583هـ / 1187م قتله صلاح الدين بعد معركة حطين .ابن شداد، سيرة، ص 51 مجهول، ذيل، ص 277 ، 986، 869،الصوري، تاريخ ،ج 2 ص814 ، 1066 .

[3] – الصوري، تاريخ، ج2، ص 814– 815. طقوش، تاريخ الزنكيين، ص 295.

[4]– Miller: The Latin in the Levant,p.522.

[5]– الصوري، تاريخ الحروب الصليبية ،ج 2 ص814 ، 1066 . Miller: Op, Cit, pp522- 523

أما بالنسبة للتجارة فإنّ السيدة أو المرأة الصليبية من الممكن لها أن تعمل بالتجارة وهي أيضاً تكون تحت سيطرة الزوج كاملة الذي يكون مسئولاً في هذا الوضع على أن يقوم بسداد ديونها إذا تراكمت عليها ([1])، كما أشار ابن جبير إلى إشراف النساء الصليبيات على المعاملات التجارية من خلال فرض الضرائب على القوافل التجارية الإسلامية والفرنجية، من خلال امتلاكها للحصون، بقوله : "وهناك حصن كبير من حصون الافرنج يعرف بتبنين([2])، وهو موضع تمكيس ([3])، القوافل، وصاحبته خنزيرة تعرف بالملكة، وهو أم الملك الخنزير صاحب عكة"([4]).

كما يجب عليها أن تحصل على موافقة الزوج كي تلجأ إلى القضاء حتى لو كانت هذه المسألة ترتبط بجريمة قتل، وهذا نص القانون : " إن المرأة المتزوجة لا تستطيع أن تلجأ إلى العدالة ولو كان هدف اللجوء هو جريمة قتل إلا بعد أن تحصل على موافقة الزوج"([5]).

وكانت المرأة تستدعى إلى قاعة مغلقة في المحكمة كي تشاهد زوجها يدافع عنها حتى لو أدى ذلك إلى تهديده باستخدام الأسلحة، ولكنَّه إذا رفض الزوج الدفاع عنها فهي تستطيع أن تلجأ في هذه المسألة إلى فارس آخر([6]).

وكانت القوانين الكنسية في الواقع تهتم بحماية حقوق المرأة وخصوصاً المادية فإذا أدينت المرأة في قضية ضرب مثلاً فإنّ الغرامة أو الدية التي تدفعها تبلغ نصف الدية التي يدفعها الرجل في نفس الموقف، وعندما تريد أن تبيع إرثها أو أي شيء من ممتلكاتها فإنها يجب أن تحضر بشخصها إلى مبني المحكمة؛ لُتِقرَّ البيع فربما كانت مجبرة على البيع أو يمكن لزوجها الاستيلاء على إرثها، ولذلك فإنها عندما تحضر بشخصها إلى المحكمة فإنها تقوم بحلف اليمين أو القسم على أنها غير مجبرة على البيع وأنها تود البيع فعلاً بإرادتها([7]).

هناك بعض القوانين تعتبر كقرائن توضح أهمية وضع المرأة في هذا المجتمع اللاتيني وكيفية الاهتمام الشديد بحياتها وخصوصاً حياتها الزوجية، فمثلاً يمنع القانون طرد زوجته

---

[1] – حسين، مقالات وبحوث، ص 162.

[2] تبنين، بلدة مطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور .ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2 ، ص14

[3] – المكس هو النقص والظلم وتَماكَسا في البيع : تَشاحَّا . وماكَسَه : شاحَّهُ . الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص 742.

[4] – ابن جبير، الرحلة، ص 115.

[5] – حسين، مقالات وبحوث، ص 161.

[6] – المرجع نفسه، ص 162.

[7] – المرجع نفسه ، ص 162.

المصابة بمرض عضال أو خطير كمرض البرص أو الصرع مثلاً إلا إذا قام بإثبات ذلك، فتوضع الزوجة التي يتهمها زوجها تحت رعاية أو ملاحظة عدد من السيدات لمدة 15 يوماً من الممكن أن تزداد إلى شهر وذلك للتحقق من حالة السيدة وإثبات صدق الزوج([1]).

تبين لنا على الرغم من حقها في امتلاك الأملاك لكنَّ حرية التصرف في أملاكها لم يكن بيدها، فكانت تعامل المرأة معاملة القاصر الذي يجب على الدولة حمايته حتى لو كانت الحماية ضد الزوج، إذن لم تصل المرأة الصليبية إلى درجة التمتع بهذا الحق الإنساني كالذي تمتعت به المرأة في الإسلام([2]).

وهكذا فدائماً إنَّ وضع المرأة في المجتمع الإفرنجي في الشرق يظهر لنا ، وكأنه غربي أكثر منه شرقي، لتأثرهم وتطبيقهم للنظام الإقطاعي الغربي.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 163.

[2] – شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، ص 232.

دورها السياسي

أما فيما يتعلق بنظام الحكم والإدارة في الإمارات الإفرنجية في بلاد الشام، فقد نقل الفرنجة (الصليبيون) إلى الشرق نظامهم الإقطاعي الغربي([1])، فمن أركان النظام الإقطاعي في غرب أوروبا أنَّ الإقطاع كان يورث للابن الأكبر أو للابنة الكبرى([2])، فقد طبق ذلك النظام الوراثي في مملكة بيت المقدس وأنَّ التاج لا يتحقق عن طريق الانتخاب([3])، وهو ما عَبَّرَ عنه الأصفهاني بقوله : " وعادتهم إذا مات ملك ينتقل ملكه إلي ولده وسواء في هذا الميراث بين الذكور والإناث، فيكون الملك بعد الابن وإن لم يخلف ابنا للكبرى، فإذا توفيت عن غير عقب كان للصغرى"([4]). فإذا كانت الملكة التي آلت إليها المملكة الصليبية قد توفيت وتركت ورثة لزواجها لأكثر من زواج واحد، فإن أبنائها من الزوج الأول يكون من حقهم وراثة العرش([5])، ويتقدم في ذلك الذكور على الإناث، ونلاحظ أن الإناث من الزواج الأول يكون لهن الأفضلية في الوصول إلى العرش عن الذكور من الزواج اللاحق([6])، فالبنت من الزواج الأول لها الأسبقية في أن تكون ملكة عن الولد من الزوج الثاني([7])، مع أن الولد من الزواج الثاني له الأسبقية على أخت أكبر منه ولدت من نفس الزواج الثاني([8])، وتكون الوصاية إلى أقرب الأقارب سواء من الذكور أم من الإناث، ولكن إذا لم يبقَ أطفال من الزواج الأول، فإن التاج يعود إلى الابن الأكبر من الزواج الثاني([9]).

[1] - ويقول براور :أن النظام الاقطاعي الصليبي في مملكة بيت المقدس، يقوم على أساس النظام الاقطاعي، وهو النظام الوحيد الذي كان يعرفه الغرب، وان كان قد تم تعديله لمواجهة الظروف المحلية والتحديات الخاصة.
انظر:براور،عالم الصليبيين،ص128 .

[2] – عاشور، المرجع السابق، ص 44. السيد، الحروب الصليبية ، ص 215

[3] . D. Ibelin, Jean, Le Livre dejean D, Ibelin, pp. 428-429-
السيد، الحروب الصليبية، ص 213.

[4] – العماد الأصفهاني ، الفتح القسي، ص 260.

[5] - D. Ibelin, Jean, : L e Livean D, Ibelin, pp. 601- 603.

[6] – علي، عبد الحفيظ محمد، مشكلة الوراثة، ص7–8.

[7] – المرجع نفسه، ص 7–8.

[8] – D. Ibelin, Jean ,Op. Cit,pp.597- 599.

[9] – علي، مشكلة الوراثة، ص 8. عبد الهادي، الحروب الصليبية، ص213.

والجدير بالذكر أنَّ التاج لم يخرج من نفس العائلة حتى في حالة الانتخاب([1])، وكل ما في الأمر هو أنه كان يشترط في وريثة الإقطاع أن تكون تحت وصاية رجل أو زوج أو السيد الإقطاعي([2]) حتى يتسنى لها النهوض بالوظيفة الأساسية للمقطع، وهي الحرب ([3]) .

إنَّ نصوص المؤرخين المسلمين تمدنا بصورة وإن كانت تعتريها المحدودية والاختصار حول نظام الحكم السياسي في الإمارات الإفرنجية في بلاد الشام، فمن خلالها تبين لنا بـــأن ذلك النظام لم يكن يستند دائماُ على مبدأ توريث الحكم للابن، ونسوق في هذا الصدد نموذج لبلدوين الرابع ([4])(1174– 1185م= 577– 582هــ) الذي أوصي بالملك لبلدوين الخامس ([5])(1185– 1186م = 581– 582هــ) ، الذي لم يتجاوز سن الخامسة حينذاك ملكاً على بيت المقدس، وتولي ريموند الثالث([6])، صاحب طرابلس الوصاية عليه لمدة عشر سنوات([7])، وبعد وفاة بلدوين الخامس انتقل الحكم لأمه " سبيلا " Sibylla ([8])الأخت الكبرى لبلدوين الرابع المجذوم ، التي عشقت فارساً قدم إلي الشام، فسلمت الملك إليه ويشير المؤرخ

---

[1]– الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص 85– 148.

[2]– فينظر إلى المرأة الصليبية بأنها قاصر لا تستطيع ممارسة أعمالها بدون وصي عليها .

[3]– حسين، مقالات وبحوث، ص 158.

[4] – تولى بلدوين الرابع المجذوم وهو سادس ملوك الفرنجة ابن الملك عموري الأول، العرش بعد وفاة أبيه 569ه 1174 م، أصيب بالجذام من صغره، انظر :الصوري، تاريخ الحروب، ج2 ، ص972 .

[5] – الملك بلدوين الخامس :هو ابن سبيلاSibylla أخت بلدوين الرابع من زوجها الأول وليم أوف منتفرات الذي توفى بعد ثلاثة أشهر من زواجهما بمرض خطير، وكان عمر بلدوين الخامس عند تولى الحكم مع خاله لم يتجاوز الخامسة . الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2 ، ص 988 ، ، عاشور، الحركة، ج2 ، ص 762، رينسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2 ، ص710

[6]– ريموند الثالث، كونت طرابلس، ورث طرابلس عن أبيه ريموند الثاني الصنجيلي ، وهو ابن خال عموري الأول وبلدوين الثالث من جهه الأم، قد تزوج بالقومصة، صاحبة طبرية، وانتقل إليها، وأقام عندها بطبرية، فكان ملك الفرنجة بلدوين الرابع وكان مجذوماً، أوصى بالملك إلى ابن أخت له، وكان صغيراً، فأصبح ريمون وصياً عليه ، فمدحه ابن الأثير " وقام بسياسة الملك وتدبيره؛ لأنه لم يكن للفرنج ذلك الوقت أكبر من شأناً، ولا أشجع ولا أجود رأياً منه، فطمع في الملك بسبب هذا الصغير؛ فاتفق أن الصغير توفي، فانتقل الملك إلى أمه، فبطل ما كان القمص يحدث نفسه به" انظر : ابن الأثير، ج9، ص 169. وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2 ، ص 976 .

[7] – الصوري، وليم، الحروب الصليبية، ج4، ص 335– 336. رينسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 54– 66. عثامنة، خليل، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي ، ص 86– 87.

[8] هي ابنة الملك عموري الأول وأخت الملك بلدوين الرابع وأمها الملكة آجنيس كورنتاي، تولت حكم مملكة بيت المقدس، بعد وفاة ابنها بلدوين الخامس، توفيت بعد حصار عكا 1191م، الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 988.

ابن الأثير هذه الحادثة بوضوح " إن هذه الملكة هويت رجلاً من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه كي([1])، فتزوجته، ونقلت الملك إليه، وجعلت التاج على رأسه، وأحضرت البطريك والقسوس والرهبان والإسبتارية([2]) والداوية ([3])والبارونية([4])، وأعلمتهم أنها قد ردت الملك إليه، وأشهدتهم عليها بذلك، فأطاعوه"([5]) هذه الطريقة تؤكد على الأقل عدم انفراد الملكة بقرارها الذي كان يستلزم تزكية أهل الحل والعقد وأصحاب المشورة من رجال الدين والفرسان.

---

[1]– جاي لوزنيان(Gay Lusignan) ويعرف أيضا باسم كي أوجي، وهو الابن الأصغر لهيو الثامن سيد بيت لوزنيان أحد البيوت الحاكمة في إقليم بواتيه الفرنسي، وكان هيو الثامن (Hugh vIII) قد ذهب إلى فلسطين عام558 – 559هـ / 1164–1165م) ووقع في الأسر في معركة حارم بينما كان يقوم بمساعدة بيوهموند الثالث(Bohemond III) أمير إنطاكية ضد المسلمين وجاي لوزينان هو الزوج الثاني لسيبلا الأخت الكبرى للملك بلدوين الرابع المجذوب، وهو نفسه الملك الذي وقع أسيراً في معركة جطين . وبعد إطلاق سراح الملك جاي لوزنيان أتى إلى صور في 585 هـ/ 1189م، يطلب دخولها فمنعه المركيز (كونراد) الذي كان يقود المقاومة الفرنجية فيها ذلك الوقت، وقال له:إ نني نائب الملوك الذين وراء البحر، وما أذنوا لي في تسليمها لك، الأصفهاني، الفتح القسي، ص 80 ، ابن شداد، النوادر، ص 77 ، ابن الأثير، الكامل، ج 11 ، ص257 . أبو شامة، الروضتين، ج2 ، ص140 .الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص1061 ، 1059

141، عاشور، الحركة، ج2 ، ص 821 ، رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3 ، ص 48– 51– 52.

[2] – الاسبتارية : ترجمة لـ Hospitallers هي هيئة عسكرية أسسها القديس أمالفي، وهو من مدينة أمالفي الإيطالية Amalfi أنشئت في البداية كمستشفي في القدس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري ، كان لهذه الهيئة فعاليات حربية إلي جانب دورها الخيري والعلاجي وشاركت بقوة في صنع التاريخ الحربي للصليبين . للمزيد حول هذه الهيئة انظر : مقامي، نبيلة، فرق الرهبان والفرسان، ص 13– 14. عوض، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية والعسكرية في مملكة بيت المقدس، ص 33، 34، 35. براور، عالم، ص193 .

[3]– الداوية: ترجمة Templarsو الكلمتان معاً وردتا في الوثائق التي نشرها . حمادة، الوثائق السياسية، ص. 148.التي أسسها في الأصل الفارسان هيودي باين و جودفري السانت أوميري، وذلك في عام 512هـ / 1118م، وقد قامت هذه الهيئة في الأصل بحماية الطريق الواقع بين يافا والقدس ، والداوية كانت من أشد العناصر الصليبية عداءً للمسلمين، فقد شاركت مع الاسبتارية في صنع تاريخ المعارك الحربية التي وقعت بين الصليبيين والمسلمين ، للمزيد حول هذه الهيئة انظر : عوض، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية والعسكرية في مملكة بيت المقدس، ص 39 وما بعدها .

[4]– البارونية : جمع لبارون وهو لقب نبيل و شرف كبير . بوتشيش، ، مجتمع الصليبيين، ج1، ص12142 المكتبة الإسلامية الشاملة.

[5] – ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 169. وأشار العماد الأصفهاني إلى سبيلا وزوجها بقوله : " واجتمع الفرنج عليها، فقالت لهم : زوجي أقدر وهو أحق، بالملك وأجدر (. . .) وأخذت التاج، فوضعته على رأس زوجها " انظر :الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 45.

والنموذج الأخر الذي يدل على بروز مكانة المرأة الإفرنجية الصليبية في حكم الإمارات الفرنجية الصليبية في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، يتمثل في بنات الملك بلدوين الثاني ملك بيت المقدس (1118- 1131م)، عندما توفي الملك تمَّ تتويج ابنته الكبري ميلسيند([1]) وزوجها فولك الأنجوي([2])؛ لعدم وجود ذكر في ذريته ([3]) الذي كان قبل ذلك كونت آنجو وابنهما القاصر بلدوين الثالث حكاماً مشتركين، وعلى الرغم من محاولات فولك للتفرد بالحكم وتنحية ميليسند لم يلقَ الدعم الكافي لخلعها، وأجبر على أن يحكم مع الملكة، وعندما توفي سنة 1142م/ 538هـ ([4])، وكان عمر ابنه بلدوين الثالث ثلاثة أعوام، فقامت ميليسند بدور الوصية عليه، وعندما بلغ بلدوين الثالث السن القانوني رفضت تسليم السلطة لابنها، وحرصت على الاستئثار بالسلطة لنفسها ، وإهدار حق ابنها في الميراث الشرعي، فاتفقت مع بطريك القدس على أن يعاد تتويجها هي الأخرى مع ولدها وحكمت على مدى سبع سنوات أخري، وعندما تطور الصراع في القدس، شكلت الأم والابن إدارة منفصلة لكل منهما وأصدر كل منهما المراسيم باسمه ([5])، واستمرت ميليسند في الإمساك بزمام السلطة، وكانت الملكة ميليسند على قدر كبير من المقدرة والكفاءة السياسية ، مما جعلها

---

[1] - ميلسيند :وهي كبرى بنات الملك بلدوين الثاني، ووريثة عرشه تزوجت من فولك عام 522 هـ/ 1128م وتولت حكم المملكة بعد(وفاة زوجها سن 538 هـ/ 1143 م وقد دخلت في نزاع على العرش مع ابنها الملك بلدوين الثالث حينما حاولت الاستئثار بالسلطة ولكنها اضطرت في النهاية إلى التنازل عن العرش والإقامة في مدينة نابلس.الصوري، تاريخ، ج 2 ص637-636 .

[2]- فولك الأنجوي :هو فولك الخامس كونت أنجو، وكان أرملاً، زار الأراضي المقدسة، وكان على علاقة طيبة مع الملك بلدوين الثاني وتزوج من ابنته مليسند عام 1129 م، وكان قبل تتويجه حاكما لعكا وصور William of Tyre. Vol. 2. Pp. 608-609. رينسمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 284.

[3]- الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص 85- 148. ماير، هانس، تاريخ الحروب الصليبية ، ص 160.

Runciman, A History of the Crusades, V,2, p . 185-187.

[4]- يذكر ابن القلانسي في أحداث سنة 538هـ/ 1142م خبر وفاة فولك بقوله " ورد من ناحية الإفرنج بهلاك ملكهم الكند إيجور ملك بيت المقدس بعلة عرضت له كان فيها إتلاف نفسه، وأقيم ولده الصغير وأمه مقامه في الملك ورضي الإفرنج بذلك واستقامت الحال عليه" ذيل تاريخ دمشق، ج1، ص 169.

[5]- الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2 ، ص 799 -800 . بلدوين، مارشال، الدويلات اللاتينية تحت حكم بلدوين الثالث، ص191 .

Jacques' de, Vitry, A History of Jerusalem, pp . 97- 99

للمزيد انظر بالتفصيل عن ذلك :

ماير، هانس، تاريخ الحروب الصليبية، ص 203- 207. رينسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 538-539. البيشاوي، سعيد : نابلس، ص 86- 87.

تسيِّر دفة الحكم في المملكة بنجاح ([1]) واتخذت من رجالات المملكة الأقوياء مستشارين وقـــادة، وعينت مانسيس دي هيرج Manasses de Hiergen ([2]) قائداً عسكرياً ومستشاراً لها، ويبدو أنها حكمت بالسلطة الكافية؛ لإرضاء الرجال البارزين في المملكة؛ لخبرتها في الأمور المدنية والعسكرية؛ لأن بلدوين الثالث لم يستطع أن يجمع ما يكفي من التأييد ليحل محلها، فقد مدحها الكاتب والمؤرخ وليم الصوري بقوله : " كانت ميليسند والدة الملك امرأة عظيمـــة الحكمـــة، وذات خبرة كبيرة أنواع الأحوال المدنية، وكانت قد سمعت كثيراً عن المنزلة فـــوق العاديـــة للمرأة المسلمة"([3]). من خلال هذا النص نجد مدى تأثرها بما سمعته عن تدبير المرأة المسلمة للملك فكانت الملكة زمرد خاتون ملك دمشق معاصرة لها التي كان لها نفوذ كبير في دمشق، فيقول عنها ابن القلانسي مؤرخ دمشق : " بأنها كانت مسؤولة عن دمشق"([4]). وفي عام سنة 545هــ/ 1152م، حيث أجبرت على الموافقة على تتويج ابنها تحت تأثير الـــرأي العـــام ، وعندما صارت له اليد العليا أخيراً، استمرت ميليسند تلعب دوراً مؤثراً في سياسة مملكـــة بيت المقدس ([5]).

والجدير بالذكر أنَّ الزيجات السياسية ومشاكلها وأثرها السلبي على مملكة بيت المقدس بـــدأت منذ قدوم فولك الأنجوي من الغرب الأوروبي إلى الشرق وزواجه من ميلسند بنـــت بلـــدوين الثاني([6])، والتي عندما تولت عرش المملكة بعد وفاة زوجها أصبحت وراثة النساء ضـــرورة مطلقة، وصار قرار 1127م قاعدة قانونية بالنسبة لوراثة النساء في مملكة بيت المقدس([7]).

[1]– انظر : رينسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2 ، ص376. البيشاوي، نابلس، ص 87.

[2] – مانسيس دي هيرج :هو ابن هوديرنا دي ريشل Hodierne de Reth، شقيقة الملك بلدوين الثاني، ، وأشار وليم الصوري إلى أنَّه كان أحد أقارب المكلة ميلسند، فضلا عن انه كان صديقا حميما لها، ونال منزلة ممتازة لديها، و قد استفاد من تأييد المكلة له .انظر :الصوري، الحروب الصليبية، ج2 ، ص 240 ، رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2 ، ص376 . البيشاو ي، نابلس، ص87،

[3] –الصوري، الأعمال المنجزة، ج2، ص 436.

انظر : .Runciman: The Crusaders in the East, p. 147

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 389– 390.

[5]– سميث، تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية، ص 181. عاشور، المرأة الأوربية، ص 47

[6] الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ص 85– 148. راجع عبد الهادي، مشكلة الوراثة، ص 122– 143.

[7] – ليس قرار عام 1127م قراراً صدر بالفعل بخصوص ما يتعلق بحق النساء في ميراث النساء في ميراث عرش المملكة الصليبية، ولكنه العام الذي وصل فيه فولك الأنجوي إلى بلاد الشام وصار زوجا للملكة ميليسند . انظر: عبد الهادي، مشكلة الوراثة، ص 85– 122. الحروب الصليبية، ص 215– 216.هامش رقم 2.

ويعتبر حكم المرأة بنفسها أمراً نادراً في تلك الفترة التاريخية، كان له نتـــائج ســيئة على المملكة مما أوقع المملكة فريسة للصراع ، حيث صرفتهم تلك النزاعات علـــى الســلطة إلي انشغالهم عن قتال المسلمين إلـــي حـــد كبيـــر خـــلال الفتـــرة (536– 556ه= 1143– 1163م)([1]).

وأنموذج آخر لم يكن أقل شأناً ألا وهو محاولة العديد من نساء الفرنجة السيطرة على زمام الأمور في الممالك الصليبية، مستغلات صغر الورثة الشرعيين، فلم يمتنعن عن طلـــب المساعدة من المسلمين أو من الإمبراطورية البيزنطية في تحقيق مصالحهن وأطماعهن فـــي تسيير دفة الحكم، ومن ذلك ما قامت به أليس– Alice أخت ميليسند؛ بطلب العـــون مـــن المسلمين من أجل تحقيق الزعامة لنفسها، فكانت تتقرب أحياناً إلى القوى الإسلامية المجاورة ؛ لطلب العون والمساعدة ضد منافسيها السياسيين من الصليبيين ومن ذلك ما حدث في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد (السادس الهجري) ، بعد أن تزوج بوهيموند الثاني صاحب إمارة أنطاكية الفرنجية (الصليبية) من الأميرة أليس بنت بلدوين الثاني ملك بيت المقدس (1118– 1131م) الثانية ، وأنجبت له طفلة صغيرة هي الأميرة كونستانس([2])، فلما قتـــل بوهيمونـــد الثاني أرادت الأميرة أليس أن تستأثر بحكم الإمارة وتحرم ابنتها صاحبة الحق الشرعي من الحكم، فقادت ثورة داخلية ضد فولك الأنجوي زوج أختها الكبرى ميليسند باعتباره مغتصـــباً للعرش ([3])، ولتحقيق غرضها لم تحجم الأميرة أليس عن التآمر ضـــد المصـــالح العامـــة للصليبيين، فاتصلت بعماد الدين زنكي صاحب حلب، وأرسلت إليـــه رســـالة ســـرية تطلـــب مساعدته للوصول إلى حكم أنطاكية مقابل تعهدها بالتبعية له، ومع الرســـالة هديـــة وفـــرس مطهم([4])([5])، حتى تم إجبارها على ترك زمام السلطة إلى ريمون دي بواتيه، وهو أمير غربي

---

[1]– عبد الهادي، الحروب الصليبية م، ص 214

[2] - كونستانس :هي ابنة الأمير بوهيمند الثاني ووريثته، كانت والدتها أليس بنت الملك بلدوين الثاني وأخت الملكة ميسلند وإبنة خالة الملك بلدوين الثالث، زوجها الملك فولك أوف أنجو لريموند يواتيه الذي توفي في إحدى معاركه مع نور الدين ، ثم تزوجت من رينو دي شايتون.الصوري، تاريخ،ج2 ، ص663 ، 658 ،790، 804

[3]– الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص 85– 148. عاشور، المرأة الأوربية، ص 47. معلوف، الحروب الصليبية، ص 154. السيد، الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فيتري،ص216.

[4]- Runciman, A History of the Crusades, V,2, p. 199-200. عاشور، المرأة الأوربية، ص 47. معلوف، الحروب الصليبية ، ص 154.

[5]- المطهم: من الناس أو الخيل هو الحسن التام كل شئ منه على حدته، فهو بارع الجمال. ووجه مطهم، أي مجتمع مدور.الجوهري، الصحاح، ج5، ص 1977. ابن منظور، لسان العرب، ج12، 372.

كان من النبلاء المحليين تم استدعاؤه لكي يتزوج من ابنتها([1]). فأنجبت منه ابنها بوهيموند الثالث وتوفي زوجها تاركاً خلفه طفلاً صغيراً، فتولت أمه كونستانس الوصاية عليه، تحكم إلى جانبه في الإمارة([2])، وكما مرّ معنا أن تزوجت هذه الملكة من رينود شاتيون(أرناط) عام542ه/ 1153م، فحكم الإمارة بوصفه زوج الأميرة كونستانس و نيابة عن ابنها، ولكن ذلك لم يدم طويلاً حيث وقع أسيراً في يد المسلمين عند قيامه بالإغارة على قطعان الماشية من جبال اللكام إلى سهل نهر الفرات وسجن في حلب عام 555هـ / 1160م([3])، أثار وقوع رينود شاتيون في الأسر وغيابه عن المسرح السياسي مشكلة قانونية في أنطاكية، حيث أصبحت تلك الإمارة دون رجل قوي يحكمها ويدافع عنها، وبخاصة أن الرأي العام لم يساند الأميرة التي ادَّعت أن السلطة عادت إليها، ورغبت في السيطرة على زمام الأمور بنفسها، مما دفع بلدوين الثالث إلى التدخل في ترتيب أوضاع تلك المدينة وحل المشكلة، حيث أعلن ابنها الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره وريثاً شرعياً للإمارة([4])، محافظاً بذلك على حقوقه الشرعية في الحكم، وعهد بالحكومة إلى البطريك إيمري حتى يبلغ الأمير سن الرشد. والواقع أن الأميرة كونستانس عارضت هذا القرار، واستنجدت بالإمبراطور البيزنطي مانويل الذي لم يرض هو الآخر عن الأسلوب الذي تمَّ بموجبه حل المشكلة([5]).

ولم يلبث الإمبراطور مانويل الذي توفيت زوجته ايرين في نهاية عام 554هـ / 1159م، أنْ تزوج من الأميرة ماري ابنة كونستانس في شهر محرم عام 556هـ / كانون الثاني عام 1161م، التي فضلها على ميليسند أخت ريموند الثاني كونت طرابلس وبذلك انتصرت الأميرة الأنطاكية وتمكنت من تثبيت أقدامها في حكم الإمارة([6]).

وقد ذكر المؤرخ الصليبي المعاصر وليم الصوري " أنَّ مملكة بيت المقدس قد وصلت إلى درجة كبيرة من الفوضى، عندما اشتد المرض ببلدوين الرابع، وانتشر البرص في جميع أجزاء جسمه، وأصبح واضحاً أنَّ الملك لا يستطيع القيام بأعباء وظيفته، مما زاد نفوذ والدته وخالة جوسلين الثالث وإثارة مشكلة وراثة العرش في المملكة من جديد، وأنَّ المصلحة العامة للملكة تقتضي تنحية الملك؛ إذ كان لا بد من بحث عن عريس آخر مناسب للأميرة

---

[1]– سميث، تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية، ص 181.

[2]- الصوري، تاريخ، ج2، ص 868- 869.

[3] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص 488. الصوري، تاريخ، ج2، ص 868- 869. طقوش، تاريخ الزنكيين، ص 314- 414.

[4]– الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 868- 869.

[5] – المصدر نفسه، ج2، ص 868- 869.

[6] – المصدر نفسه،ج2، ص 871- 873.

سيبلا شقيقة الملك الكبرى، وقد وقع الاختيار على الأمير جاي لوزينان (الذي حضر خصيصا من فرنسا في 575 ه 1180 م، ليتزوجها ([1]). وكان هذا الزواج بداية جديدة لشقاق وخلاف داخل المملكة الصليبية، إذ أن ّنبلاء المملكة رفضوا الإذعان لهذا الزواج([2])؛ لأن معني ذلك أنَّ جاي لوزجنان سيصبح وصياً على المملكة، وربما يصبح ملك المستقبل للملك الصليبية، وهو الأمر الذي لم يقبله الأمراء الصليبيين أن يخضعوا لغريب عنهم، ويشير جاك دي فيتري أنَّ زواج جاي لوزجنان من سيبلا شقيقة بلدوين الرابع، كان ضربة قاضية للملكة الصليبية؛ لأنه دفع ريموند الثالث كونت طرابلس إلى توقيع هدنة مع صلاح الدين دون الرجوع إلى جاي لوزجنان، معتمداً في ذلك على مساندة نبلاء المملكة له([3]).

ولكنَّ الأحداث أثبتت أنَّ جان لوزجنان لا يصلح للوصاية، ولذلك تقرر عزله من أمر الوصاية، وقرر الملك بلدوين الرابع تجريد جاي لوزجنان منها([4])، وازداد نشاط حزب المعارض بقيادة ريموند الثالث وباليان دي إبلين، ورينو أمير صيدا، وقررت المحكمة العليا في مارس 581هـ 1183م تتويج بلدوين الخامس ملكاً على بيت المقدس، ورأى بارونات المملكة أنَّ تتويج بلدوين الخامس أنسب طريقة لحرمان جاي لوزجنان من الوصاية([5]).

غير أنَّه قد تم اختيار ريموند كونت طرابلس بالإجماع وصياً على مملكة بيت المقدس 582هـ / 1184م([6])، وتفاءل الناس عندما انتقلت الوصاية من جاي لوزجنان إلى ريموند كونت طرابلس([7]). على أنَّه عندما مات بلدوين الخامس في مدينة عكا عام 583هـ /1186م([8])، أعطي الأمل لجاي لوزجنان من جديد على أنْ يصبح ملكاً على عرش المملكة الصليبية باعتباره زوجاً :" لسبيلا" الوريثة الشرعية للمملكة الصليبية([9])، فوقعت فريسة للانقسامات من جديد.

---

[1]- المصدر نفسه، ج4، ص 253- 334، وقد جعل وليم الصوري لأثر الزيجات السياسية على عرش المملكة عنوان " صراع المصالح الشخصية".عاشور، الحركة، ص 738.

[2]- عبد الهادي، الحروب الصليبية، ص 218.

[3]- Jcques de Vitry ,A History of Jerusalem, pp . 9 8- 99

[4] - الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج4، ص 253- 334.

[5] - L a Mont, Feudal Monarchiyin the Latin Kingdom,p.45 .

[6]- L, Estoire d,Eracles,II,pp.17-18

[7] L, Mont, Op. Cit,p.32

[8] - L, Estoire d.Eracles, is, p.9.and see, L a Mont, Op. Cit,p.33,

[9] - عبد الهادي، تاريخ الحروب الصليبية، ص 219.

ومع هذه فإنْ بارونات المملكة قرروا عقد اجتماع في نابلس من أجل تتويج إيزابيلا، البنت الصغري للملك عموري الأول من زوجته الثانية لكي يصبح زوجها " هيمفري الرابع دي تورون"([1]) "Humphrey iv de Turon" ملكاًعلى بيت المقدس .

وعند قدوم الحملة الصليبية الثالثة بعد هزيمة الصليبين في معركة حطين عام 583هـ/ 1187م، وكان على رأسها ملوك وأباطرة أوروبا، على الرغم من هوة الخلافات بين الصليبين في بلاد عن طريق تدخل فيليب الثاني ملك فرنسا وفردريك بارباروسا إلى جانب كونراد مونتفرات في الصراع على عرش مملكة بيت المقدس ضد جاي لوزجنان([2])، بينما ساند ريتشارد قلب الأسد جاي لوزجنان للوصول إلى عرش المملكة([3])، وقد حاول كل من جاي لوزجنان وكونراد مونتفرات الفوز بالزواج من سبيلا، صاحبة الحق الشرعي في عرش المملكة . وهكذا يتضح أنَّ الصراع بين الأمراء الصليبيين بسبب وراثة عرش مملكة بيت المقدس قد حوّل جهود الصليبيين عن قتال المسلمين .

وبعد وفاة سبيلا عام 589هـ/1191م، صار جاي لوزجنان على العرش مملكة بيت المقدس باعتباره زوجاً لإيزابيلا، صاحبة الحق الشرعي في المملكة، بينما تراءى للبارونات القدامى بالمملكة بزعامة باليان ابلين أن يرشحوا كونراد مونتفرات " للزواج من إيزابيلا للتخلص من بيت لوزجنان([4]).

وبعد مغادرة فيليب الثاني الشرق عائداً في بلاده، تولى ريتشارد قلب الأسد مشكلة الوراثة في مملكة بيت المقدس، ورغم عدم قناعه ريتشارد بكونراد مونتفرات إلا أنه تقبل عرض بارونات المملكة وذلك بزواجه من ايزابيلا([5]) بعد تطليقها من هيمفري سيد تبنين([6]) وتم الزواج عام 590هـ / 1192م، غير أنَّه لم يمر أسبوع على هذا التتويج حتى قتل مونراد مونتفرات على يد اثنين من الحشاشين([7])، فتزوجت إيزابيلا من هنري دي شامباني بعد يومين

---

[1]- همفري الرابع :ينتمي إلى أسرة تضم أربعه يحملون نفس الاسم قام بتأسيسها همفري أ وف ثيرون الأول الذي تمكن من تكوين إقطاعية صليبية على حساب إمارة الجليل الصليبية في الأراضي الجليلية حول قلعة تبنين، التي وقد خلفه في حكم الإقطاعية بقية الأسر ة؛ تزوج أبيه همرفي الثالث من استيفاني ابنة فيليب دي ميللي، الذي توفي في حياة أبيه همفري الثاني وورث .همفري الرابع عن جده همفري الثاني كنداسطبل المملكة ممتلكاته.الصوري، تاريخ،ج2 ، ص627 ،797،974،1021،1022.

[2] - L, Estoire d.Eracles ,p. 151.

[3]- رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 75- 88.

[4] 0 L, Estoire d.Eracles ,p. 151.

[5] - رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 78- 81.

[6] - L, Estoire d.Eracles ,p. 192.

[7] - رينسمان، المرجع السابق، ج3، ص 82- 83.

فقط من مقتل زوجها كونراد، وصار هنري كونت شامباني ([1])، ملكاً على بيت المقدس باعتباره زوجاً لإيزابيلا، بينما غادر " جاي لوزجنان" بلاد الشام جزيرة قبرص([2]) .

غير أنَّ زواج هنري دي شامباني قد أثار مشكلة كبيرة حسبما ذكر جاك دي فيتري؛ لما أثير حوله من شكوك في حرصه بالفوز بعرش المملكة الصليبية دون مراعاة الصالح الصليبي العام([3]). ولما قتل هنري دي شامباني عام 595هـ / 1197م؛ انتقل عرش المملكة الصليبية إلى أماليريك لوزجنان([4]) نتيجة زواجه من ايزابيلا صاحب الحق الشرعي في عرش المملكة، وقد بدأ أماليرك لوزجنان عهده بتوقيع اتفاقية سلام مع المسلمين وذلك في 597هـ / 1198م على أن تكون مدتها خمس سنوات وثمانية شهور([5])؛ لأن كلا الجانبين كان في حاجة إليها، وفي عام 602هـ / 1204م حرص أماليريك لوزجنان على تجديد المعاهدة مع الملك العادل والتي تمت بالفعل في عام602هـ / 1204م، إذ كان الصليبيون منشغلين في حرب بين انطاكية وأرمينية حول وراثة عرش أنطاكية([6]).

وفي هذه الفترة مات آماليرك لوزجنان في عام 603هـ / 1205م لينتقل عرش المملكة الصليبية إلى " إيزابيلا" من جديد، وقد ماتت هي الأخرى بعد زوجها بأيام قليلة لتتولي عرش المملكة ابنتها " ماريا" التي كانت قد أنجبتها من زوجها كونراد مونتفرات([7])، وتقرر تعيين يوحنا إبلين سيد بيروت وصياً عليها.

وظل يوحنا إبلين وصياً على الملكة ماريا حتى بلغت عام 606هـ / 1208م، سبعة عشر عاماً([8])، وحان الوقت للبحث عن زوج لها، فوقع الاختيار على يوحنا بريين([1]) الذي قام ملك

---

[1] – عرف في المصادر العربية باسم كوندهري حيث يقول ابن الأثير : " وهذا الكوندهري ابن اخت ملك أفرنسيس من أبيه وملك إنجلترا من أمه" انظر : ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 147. ابن خلدون، تاريخه، ج5، ص 330.

[2] – جوانفيل، مذكراته، ص 40.عبد الهادي، الحروب الصليبية، ص221.

[3] – Jcques de Vitry , A History of Jerusalem, pp . 96- 98.

وراجع أيضاً رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص 127- 128.

[4] – ويشير ابن الأثير بوضوح إلى تلك الحادثة بقوله : "أن الفرنج ليس لهم ملك يجمعهم، وأن أمرهم إلى امرأة، وهي الملكة، اتفقوا وأرسلوا إلى ملك قبرس واسمه هيمري، فأحضروه، وهو أخو الملك الذي أسر بحطين، كما ذكرناه، فزوجوه بالملكة زوجة الكند هري، وكان رجلاً عاقلاً يحب السلامة والعافية". ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 147

[5] – ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 147.

[6] – عبد الهادي، الحروب الصليبية، ص222.

[7] – Eracles, , Op. Cit, pp.407- 408.

[8] – Eracles, Op. Cit, pp. 317- 318.

فرنسا فيليب الثاني بترشيحه للزواج من ماريا، فصار بذلك ملك بيت المقدس باعتباره زوجاً للملكة ماريا مونتفرات([2]).

وما كاد يوحنا برين يعتلي عرش المملكة الصليبية عام 608هـ / 1201م، حتى قبل عرضاً جديداً من الملك العادل بتوقيع هدنة مدتها خمس سنوات أخرى؛ أي ينتهي العمل بها عام 613هـ / 1215م([3]).

وفي بداية الهدنة بين العادل ويوحنا بريين، ماتت الملكة ماريا مخلفة وراءها طفلة تدعى يولندا، ليصبح يوحنا على عرش مملكة بيت المقدس باعتباره وصياً على الملكة يولندا.

ويولندا هذه هي الزوجة المقبلة للإمبراطور فردريك الثاني([4]) والمكلف بالخروج على رأس حملة صليبية لإنقاذ اللاتين في الشرق، وقد تم الزواج بالفعل عام 624ه/ 1225م([5]).

والجدير بالذكر أنَّ البابوية حرصت على إتمام هذا الزواج على الرغم من المماطلات العديدة التي قام بها فريدريك الثاني، وهو زواج سياسي هدفت به البابوية إلى إجبار فردريك على ضرورة التوجه إلى الشرق على وجه السرعة([6]).

وعلى الرغم من أنَّ الإمبراطور فريدريك الثاني قد أتم هذا الزواج في عام 623هـ / 1225م، إلا أنه لم يتوجه إلى الشرق إلا في عام 625ه/1228م، ووقع اتفاقية سلام أبرمها الإمبراطور مع الملك الكامل متمكناً بموجبها بالفعل من استرداد بيت المقدس عام 626هـ

---

[1] - حنا بريين:هو حاكم بيروت الفرنجي الذى وصف بانه رجلا عاقلا متزنا، وقد اختير وصيا على عرش مملكة بيت(1210م، بعد وفاة الملك عمورى الثاني (عمورى لوزينان)عام 1204 م، فعادت المملكة - المقدس في الفترة ما بين 1205م إلى صاحبتها ايزابيلا، ثم ابنتها الكبرى ماري من هنري دي شمباينى، وهى دون سن الرشد، فقد تقرر وضع المملكة تحت وصاية يوحنا بريين، وفي عام 1208 م بلغت الأمير سن الرشد وتزوجها يوحنا دي بريين والذى كان في سن الستين من عمره، ومارى ستة عشر سنة وتم تتويجه ملكا على مملكة بيت المقدس الفرنجية في صور، وانجب منها ابنة وحيدة هي (بولاند)التي أصبحت بعد وفاة أمها وريثه مملكة بيت المقدس، عاشور:الحركة، ج3 ، ص907 – 908 :-310 -306 .Estoired Eracles.op. cit.pp انظر.

Estoired ' **Eracles**.Loc. cit.p. 317

[2] – رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 214– 242.

[3] – قاسم، عبده، قاسم، علي، الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ص90.

[4] - هو الإمبراطور فريدريك الثاني بن الإمبراطور هنري بن الإمبراطور فريدريك، قيصر رومية، ومالك ألمانيا ولمبرديا وإيطاليا وصقلية ومملكة الشام وغيرها . بن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ج1، ص 190.

[5] – جوانفيل، مذكراته، ص 40. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص466.

[6] – عبد الهادي، الحروب الصليبية، ص 224.

/1229م([1])، هذا إلى جانب الشريط الساحلي من عكا إلى يافا والناصرة وغربي الجليل بما فيه من حصون، مثل تبنين والقرين وما يحيط بصيدا، على أن يكون للمسلمين المسجد الأقصى وقبة الصخرة إلى جانب حرية التردد إليهما، وأداء شعائر الصلاة، وأنْ يتمَّ تبادل الأسرى بين الطرفين، وأن تستمر الهدنة لمدة عشر سنوات وأربعة شهور([2]).

وهكذا يتضح من هذا العرض الخاص بالزيجات السياسية داخل الكيان الصليبي في بلاد الشام، أنها أحد العوامل الأساسية في انهيار الكيان الصليبي في بلاد الشام، ذلك أن الزيجات السياسية وما سببته من اضطرابات وعدم استقرار داخل المملكة الصليبية حتمَّ على الصليبيين الدخول مع المسلمين في معاهدات وهدن سلام بدلاً من الدخول معهم في حرب لا طائل من ورائها غير الخراب والدمار، وكانت هذه رؤية جاك دي فيتري فيما تسببته الزيجات السياسية من خور عزائم الصليبيين وفقدانهم للحماسة الصليبية([3]).

عندما أخذ صلاح الدين يتأهب لإنزال ضربته الكبرى بالصليبيين في حطين، حيث قامت " سيبل " زوجة بوهيموند الثالث أمير أنطاكية بارتكاب خيانة كبري ضد القضـــية الفرنجيـــة الصليبية تحقيقاً لطموحاتها ومصالحها الخاصة، ذلك أنها دأبت عندئذٍ على إجراء اتصـــالات سرية مع صلاح الدين، أطلعته فيها على خطط الفرنج الصليبيين وتحركاتهم ، ويذكر المؤرخ أبو شامة : " وكانت امرأة إبرنس أنطاكية تعرف بدام (مدام) سَيبل فِي مولاة السُّلْطَان عينـــا لَهُ على الْعَدو تهاديه وتناصحه وتطلعه على أسرارهم وَالسُّلْطَان يكرمها لذَلِك وَيهْدِي لَهَا أنفس الْهَدَايَا" ([4]) .

ويعزو جاك دفتري السبب الذي مكن صلاح الدين من السيطرة على بيت المقدس وملحقاتها ؛ إلى انشغال الفرنجة بشئونهم الداخلية ؛ وتدخل النساء في الحكم ([5]).

وأخيراً نكتفي بالإشارة إلى مارغريت زوجة لويس ملك فرنسا، وهو الملقب بالقديس ، فقد صحب زوجته في حملته المشهورة إلى مصر، في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، وقد حملت إشارة الصليب هي الأخرى ، وكانت معه تسانده وتدعمه في حملته، ويذكر جوانفيل – مؤرخ هذه الحملة أن مارغريت كانت طوال إقامة زوجها في

---

[1]– عن هذه الاتفاقية راجع ، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8 ق/ 2، ص 635، وراجع أيضاً : المقريزي، السلوك، ج1/ ص 230.

[2] – Eracles, Op. Cit, p. 374.

[3] – Jcques de Vitry , A History of Jerusalem, pp. 63- 64 .

[4]– أبو شامة، الروضتين، ج4، ص 35.

[5] Jcques de Vitry,A History of Jerusalem, pp . 9 8- 99.

الشرق– تقوم بدور المستشار الأول له، صاحبة الرأي المسموع في الأمور كلها حتى لو كان رأيها مخالفاً لآراء مستشاريه ([1]). حيث وصفها بأنه " سيدة أعمالها"([2]).

ومن المعروف أنَّ الفرنج (الصليبين) في هذه الحملة استولوا على دمياط سنة 647هـــ / 1249م، لكنهم ظلوا ساكنين فيها قرابة خمسة أشهر قبل الشروع في الزحف جنوباً تجاه المنصورة، وطوال تلك الفترة ظلت مارغريت توجه سياسة الملك حتى إذا ما زحف الملك على رأس جيشه إلى داخل البلاد، ولعبت مارغريت في دمياط دوراً هاماً حيث كانت حلقة الوصل بين الصليبيين في الداخل والعالم الخارجي، حيث يروي جوانفيل أنَّ الملكة منعت الرجال من البيازنة والجونيين من الهرب من مدينة دمياط؛ بسبب الجوع الذي لاقوه في قلة الأقوات وانتشار الأمراض حيث تعهدت بشراء الأقوات وكل ما يلزمهم من الأسواق، وأدخلتهم تحت نفقة الملك الخاصة([3])، ولكنَّ ذلك لم يتم؛ بسبب انهزام الفرنجة في المنصورة وأسر الملك، وعلى أرض دمياط وضعت ولدها التي أسمته حنا الحزين؛ لأنه ولد بعد أسر أبيه بثلاثة أيام([4])، وعندما تم الصلح مع المسلمين في مصر سنة 1250م/ 648هـــ، أفرج عن لويس التاسع من محبسه بالمنصورة، غادر دمياط إلى بلاد الشام، حيث عزم على تجميع قواته هناك ومن ثم العودة إلى بلاده فرنسا، التي كانت أمه الملكة بلانش تدير شئونها في غيابه، ولكن مارغريت أشارت على زوجها الملك لويس بالبقاء في بلاد الشام حتى ينجز عملاً يعيد إليه ماء وجهه، بعد هزيمته النكراء في مصر([5]).

من صور الصداقة بين المسلمين ونساء الفرنجة ما تحدثت عنه المصادر الإسلامية، ما قامت به ازابيلا([6])، ملكة بيروت عام (667 هـــ /1268م) بعقد الاتفاقيات بينها و بين

---

[1]– جوانفيل ، مذكرات جوانفيل، 23

[2] – المصدر نفسه، ص 131.

[3] المصدر نفسه، ص 149. نسيم، العدوان الصليبي على مصر ص 255.

[4] جوانفيل، مذكرات جوانفيل ، ص 23

[5] المصدر نفسه، ص 149– 150. عاشور، المرأة الأوربية، ص 49.

[6] ابنة الملك يوحنا الثاني إيلين، فانتقل الحكم إليها فكانت ملكة قبرص، تزوجت هذه الملكة سنة 670هـــ / 1272م، رجلاً إنجليزياً يدعي هامو الغريب ، الذي كان له علاقة مع ملك إنجلترا إدوارد، لم يلبث أن توفي في العام التالي فكان لا يثق في نوايا هيو الثالث ملك قبرص، فأوصي قبيل وفاته بوضع زوجته ملك بيروت تحت حماية السلطان بيبرس، ولما علم هيو الثالث بذلك أقدم على محاولة جريئة بخطف الملكة إيزابيلا كي يزوجها في قبرص من الشخص الذي يختاره لها، ولكن السلطان بيبرس احتج على هذا العمل وهدد بضرورة تنفيذ وصية زوجها هامو، وإعادة الملكة إيزابيلا إلى بيروت حيث اتخذت لنفسها حرساً من المماليك، وعاشت هذه الملكة بعد وفاة بيبرس، وتزوجت مرتين ثم ماتت سنة 670هـــ / 1272م، تاركة حكم بيروت إلى أختها أشيفا، واستمرت بيروت في حكم أسرة ابلين إلى أن سقطت نهائياً في يد السلطان الأشرف

بيبرس ومدتها عشر سنوات([1])، فقد ذكر القلقشندي ([2]) أنَّ هذه الملكة قد وثقت ببيبرس إلى درجة أنَّها كانت عندما ترغب في حب السفر إلى جهة ما، تذهب بنفسها إلى بيبرس وتستودعه بلادها([3])، كذلك مارجريت أرملة يوحنا حاكمة صور، عندما أحذ قلاوون يتجهز في سوريا لشن هجوم على الفرنجة الذين لم يدخلوا في الهدنة التي انعقدت سنة 1283م، فبادرت السيدتان الأرملتان أشيفا ومارجريت اللتان تحكمان صور وبيروت إلى أن تطلبا من قلاوون عقد هدنة فاستجاب لهما([4])

وبذلك فقد تمتعت المرأة الإفرنجية (الصليبية)بامتيازات واسعة ومكانة مرموقة على الصعيدين السياسي والاجتماعي في الإمارات الصليبية، فالمرأة أو La dama (مدام) كما يطلق عليها العرب تستطيع أن تحكم الإمارة وتمارس شئون الحكم بسبب الحرية التي نالتها في مجتمعها ([5]) . أثبتت ذلك من خلال شخصيتها الاعتبارية التي أثارت جموحها، في مجال السيطرة والسيادة، وهي الصفات التي حملتها معها المرأة الغربية إلي الشرق زمن الحروب الفرنجية الصليبية(6) .

خليل بن قلاوون عقب سقوط عكا سنة 690هـ / 1291م . رينسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 586- 587. العبادي، تاريخ المماليك، ص 190. حاشية رقم 1.

[1] – انظر الملحق رقم 1 عن هذه الاتفاقية التي عقدت بين بيبرس وإيزابيلا .

[2] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 39. الصلابي، المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام ،ج1، ص130

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى ، ج4، ص 40-41.

[4] – رينسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 668.

[5] – حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، ص 168.

[6] -عاشور، المرأة الأوربية، ص 44. دويكات، إقطاعية طبريا، ص 123.

دورها في الحياة العسكرية

وعلى الرغم من أنَّ خطاب البابا أوربان الثاني([1]) فـــي كيلرمونـــت ([2])عـــام488ه/ 1095م الذي دعا فيه للقيام بالحرب الصليبية الأولي عام 490هــ / 1097 م، كان خالياً من دعوة النساء للمشاركة في الحرب المقدسة إلا أنه لم يتوقع مشاركة المرأة في هــذه الحملـــة، والمؤرخون الذين سجلوا خطبته في كليرمونت يذكرون أنَّه منع النساء من المشـــاركة فـــي الحرب الصليبية ([3])، فأوربان ومعاصروه أرادوا أن تكون هذه الحملة خالصة تضم الرجـــال فقط ، ولكن من الصعب عليهم منع النساء والأطفال وكبار السن والمرضى الـــذين نـــذروا أنفسهم إلى الذهاب للأراضي المقدسة والانضمام للمقاتلين ([4])، وتصف كتـــب المـــؤرخين والحجاج الذين رافقوا الحملة الصليبية الأولى، مناظر مروعة تـــدل علـــى هجـــر الرجـــال زوجاتهم، بينما تتحسر الزوجات أسفاً على فقدان الصحبة وحماية رفقائهن([5]).

ولكنَّ في الحقيقة لم تقتصر الحملة الصليبية على الرجال فقط ، ولم تقبع كل النساء في بيوتهن بعد رحيل الرجال للشرق ، فضمت الحملة الصليبية الأولى أعداداً كبيرة من النساء من مختلف مستويات المجتمع صحبت الفرسان الصليبيين([6])، فيذكر سميث أنَّ النساء قدَّمْنَ الأموال وساعدنَّ في بيع ممتلكاتهن للأديرة من أجل الذهاب إلى بيت المقدس ليس فقط لتكفير الذنوب بل من أجل المشاركة في القتال في الحرب المقدسة ([7])، فاختلف الباحثون الغربيون حول سبب خروجها والانضمام إلى الحملة الصليبية الأولي، فمنهم من أرجع ذلك إلى أسباب اجتماعية واقتصادية ودينية وعسكرية، بما أن فرنسا وهي الوطن الأم التي خرجت منها الحملة الصليبية الأولى 490هــ /1096 م، كانت خارجة من أزمة الجفاف

---

[1] -أوربان الثاني :كان صديقا وتلميذا لجريجوري السابع حامل لواء حركة الإصلاح الكلونيه، وقد نازع كليمنت الثالث على البابوية إلى أن انفرد بها من سنة 1088- 1099م وهو الذي أطلق جماح الحركة الصليبية، الشارتر ى، تاريخ الحملة، ص 87 ، هامش3

[2] – كليرمونت:هي من المدن الفرنسية الواقعة في إقليم اوفرين جنوبي فرنسا.الصوري، تاريخ،ج1 ، ص 186.

[3] – T Maier, Christoph : The roles of Women in the crusade, p70 برندويج ، جيمس، الدعارة، ص 173.

4 – سميث، الحملة الصليبية الأولي، ص 69.

[5]– مجهول، أعمال الفرنجة، ص 321. الشارتاري، الاستيطان في بيت المقدس تاريخ الحملة الصليبية الأولى ، ص 127. حسين ، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، ص172-173.

[6] – الصوري، الأعمال المنجزة، ج1، ص 462. وانظر أيضاً: براور، الاستيطان الصليبي، ص 143. James , Michael ,Women and War, P . 72

[7] – سميث، الحملة الصليبية الأولي، ص 91.

والقحط ، فأردن استبدال معيشتهن والحصول على حياة أفضل للعيش([1])، فإنَّ القانون الكنسي يؤيد حق المرأة في تولي نذر الحرب الصليبية ولكن اشترط أن يرافقها أحد أقربائها من الذكور لحمايتهن ([2])، والمعروف أنَّ نساء أوربيات قَدِمْنَّ بصحبة أزواجهن من أجل تقديم الخدمات والرعاية الزوجية التي لا يمكن الاستغناء عنها([3])، وكذلك ليساهمن في الحرب([4])، ويشير المؤرخ الصليبي فوشيه دي شارتر Foucher de Carters إلى النساء الصليبيات اللائي كن بصحبة أزواجهن، في الحملة الصليبية الأولى، وحضرن حصار انطاكية([5]). ويتحدث فوشيه أيضاً عن زوجة الأمير ريموند الصنجيلي، والتي صحبت زوجها خلال الحملة الصليبية الأولى، واستمرت بجواره خلال أحداث تلك الحملة([6]). كذلك كان بصحبة الأمير بلدوين البولوني زوجته، الإنجليزية غوتيرا Guteree أو جودهيلد Godhilde والتي توفيت قبل استيلاء الصليبيين على أنطاكية، وزوجة الأمير ريموند الصنجيلي، وزوجة الأمير بوهيموند الثاني النورماني الكونتيسة كونستاس بنت فيليب ملك فرنسا (ت 1108م) والتي أنجبت له ابنه بوهيموند الثاني الذي ورثه في حكم أنطاكية ([7]).

ويذكر وليم الصوري أن عدد الذين حاصروا أنطاكية " كانوا ثلاثمائة ألف محارب، إضافة إلى النسوة والأطفال " ([8]). كذلك يتحدث وليم الصوري عن الجمع الغفير من الصليبيات اللاتي قتلن في أثناء زحف الصليبيين في آسيا الصغرى([9]).

وقد أخذت الحماسة الدينية كثيراً من النساء الأوربيات، لدرجة أن بعضاً من النساء الحوامل خرجن بصحبة جيوش الحملة الصليبية الأولى، غير عابئات بما يواجهن من متاعب الطريق، ويشير وليم الصوري إلى أنَّ عدد كبير من هؤلاء النسوة الحوامل، وضعن حملهن قبل موعدهن، في أثناء عبورهن أسيا الصغرى، في المنطقة الواقعة بين بيثينيا([10]) وبيسيديا

---

[1]- عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص 443.

[2]- Albert of Aachen: Histor ia Hierosolymitana,281,288,317 ، سميث، الحملة الصليبية الأولي ، ص 69. ديورانت، الحضارة، ج14، ص19. زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص 54.

[3]- Michael, James: Women and War, p. 72

[4] – ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج1، ص 392.

[5] – شارتر، تاريخ الحملة، ص1 11.

[6] – المصدر نفسه، ص 111.

[7]– انظر : الصوري، الأعمال المنجزة، ج1، ص 253، 275، 477، ج2، ص 67.

[8] – الصوري، الأعمال المنجزة، ج1، ص 281.

[9] – المصدر نفسه، ج1، ص 248– 249.

[10] - بيثينيا: يقع إقليم بيثينيا في الركن الشمالي الغربي من آسيا الصغرى في مواجهة القسطنطينية انظر :

Pisidia([1])، نتيجة العطش الشديد والحرارة المستمرة، ونتيجة عدم قدرتهن على المشي " تدحرجن على طول الطريق، غير مباليات بجنسهن، لقد تدحرجن وهن نصف عاريات، يشغلهن خطر الموت الوشيك، أكثر من المحافظة على الاحترام اللائق بأنوثتهن"([2]).

ومما يؤكد وجود عدد ليس بقليل من النساء الصليبيات، صحبت جيوش الحملة الصليبية الأولى، ما ذكره فوشيه دي شارتر من مقتل عدد كبير منهن في أثناء المعارك التي دارت بين المسلمين والصليبيين، في الأحداث التي صاحبت هجوم المسلمين على الصليبيين، في مطلع عام 495هـ / 1102م، قبيل استيلاء الصليبيين على طرسوس([3])، كذلك وجود أعداد كبيرة من النساء الصليبيات، في معركة الرملة الثالثة، عام 498هـ / 1105م([4]). وبذلك يعتقد أنَّ الفرنجة (الصليبين) خططوا منذ البداية الاستقرار والاستيطان في الشرق؛ مما دفع الكثير من نساء الفرنجة الصليبيات إلى البقاء مع أزواجهن([5]) ؛ ليتناسلوا على هذه الأرض، ليضمنوا لهم البقاء، مما شجع نسائهم على الهجرة إلي الشرق طيلة فترة وجودهم في تلك الفترة التي دامت أكثر من قرنين منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر.

على أى حال فقد شهدت الحملة الصليبية الأولى 488هـ /1096م، مشاركة أعداد كثيرة من النساء، لا تعد ولا تحصى، فهناك زوجات رافقن أزواجهن وراهبات وخادمات وعاهرات ونساء ذات وضع مبهم ([6]) .

وهناك أمثلة كثيرة على قدوم النساء بصحبة أزواجهن في أثناء الحملات الصليبية اللاحقة، فقد شملت زوجات الملوك الذين قدموا للشرق، ومن ذلك زوجة ملك فرنسا لويس السابع اليانور آكيتاين فقد صحبت زوجها خلال الحملة الصليبية الثانية عام541هـ/ 1144م، وقدم معها العديد

Ramsay: The historical geography,p94. رايس، تمارا، السلاجقة، بغداد، ص 48. هامش11، غانم، أمال حامد، التأثيرات، ص 327.

[1] – بيسيديا Pisidia تسمي انطاكية بيسيدياAntioch of Pisidiaوتسمي أيضاً Antocheia Colonia وتقع على نهر مايندر بين بحيرتي Colonia أكريدور واق شهر، وبجوار مدينتي Neapolisو انظر : لتسرنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 184- 186. غانم، آمال حامد، التأثيرات، ص 327.

[2] – الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 249- 250.

[3] – طرسوس (أنطرسوس) مدينة بين انطاكية وحلب، وكانت من الثغور، تقع على ساحل بحر الشام. انظر : البلاذري، فتوح البلدان، ج3، ص 746. القزويني، آثار ، ص 219. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص48.

[4] – شارتر، الحملة إلى بيت المقدس، ص 182.

[5] – Brahim EL Kadiri Boutchich: The Image of the Crusade, P5-9 .

[6] – حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، ص172-173.

من النساء ([1])، وكما استمر دعاة الحرب الصليبية والمنظمون لها خلال القرنين الثاني عشـــر والثالث عشر الميلادي (السادس والسابع الهجري) في جلب النساء من غرب أوروبـــا وجـــزر البحر المتوسط إلى الشرق لسد حاجة المجتمع (الفرنجي) الصليبي في بلاد الشام بصورة مستمرة دون انقطاع ([2])، وقد استرعت هذه الحقيقة أنظار المسلمين، كذلك تحدث العماد الأصفهاني في حوادث سنة 585هـ / 1189م عن أولئك النسوة الأوربيات اللواتي خرجن من غرب أوربـــا واتجهن إلى الشرق الإسلامي" وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة إفرنجية ... اغتربن لإســـعاف الغرباء "([3])، فيذكر ابن جبير قدوم النساء مع أزواجهم في رحلاتهم التجارية إلى مدينة عكـــا "أنَّها قاعدة الإفرنج بالشام وملتقي التجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق"([4]). وقد ضمت قوافل التجار نسائهم اللائي صحبهم الرجال حتي يقمن على خدمتهم في أثناء رحلاتهم التجارية، وداخل الأحياء التجارية التي أقاموها في بلاد الشام([5])، كما يؤكد جيمس بـــاول فـــي دراســـته للحملة الصليبية الخامسة أن 3% من النساء اللواتي شاركن فيها كن معروفـــات بأســـمائهن([6])، وتتابع وصول الملوك الصليبيين وبصحبتهم زوجاتهم إلى بلاد الشام، ومن ذلك مارغريت مـــن بروفانس التي صاحبت زوجها لويس التاسع في الحملة الصليبية الســـابعة ، عـــام647هـــــ / 1249م ([7]) وكما جاء في تحليل الباحث الإسرائيلي لبنيامين كيدار لقائمة الركاب الذين كانوا على ظهر السفينة الصليبية المتوجهة إلى بلاد الشام لدعم قوات لـــويس التاســـع عـــام 648ه/ 1250م ، أن عددهم يبلغ 453 راكباً و أن 9% منهم كانت من النساء ، لم يعرف بالضبط ما هي أدوارهن، فقد صحبت خمسة عشرة منهنَّ على يد أزواجهن ([8])، فاستمر تتـــابع وصـــول الصليبيين وبصحبتهم زوجاتهم إلى بلاد الشام، فيروي جوانفيل أنه في أثناء وجوده فـــي بـــلاد الشام، عام 651هــ / 1253م، وفد عليهم فارس صليبي وبصحبته زوجته وأبناؤه([9]). وطوال الفترة التي أقام خلالها الصليبيون في بلاد الشام ؛ امتلأت المدن الصليبية بالنساء الصليبيات، من

---

[1]– T Maier, Christoph :The roles of Women in the crusade p 74.
Michael, James: Women and War, P.72

[2] – عاشور، المرأة، ص45

[3]– الأصفهاني، الفتح القسى، ص 106 .

[4]– ابن جبير، الرحلة، ج1، ص 211.

[5]– هايد، تاريخ التجارة في الشرق، ج1، ص145– 175.

[6] - Powell, James: The roles of women in the Fifth Crusade, P.294-301.

[7]– Christoph : The roles of Women in the crusade, p 74

[8] - Kedar , Benjamin Z, The passenger List,p272-4 .

[9]– جوانفيل، مذكرات جوانفيل، ص 259.

ذلك ما يرويه المقريزي : أنه عندما استولى بيبرس على أنطاكية عام 666هـ / 1267م، وجد عدد غفير من النساء حيث " اجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوي النساء والأولاد "([1]).

فقد لعبت المرأة الصليبية (الإفرنجية) دوراً بارزاً في الحروب (الفر نجية)الصليبية، تتمثل في جوانب عدة ومنها ما قدمته للجنود الفرنجة (الصليبيون)العديد من الخدمات، فكن يساعدن المحاربين في أثناء المعركة، ويحضرن لهم الطعام والمـاء، ويسعفن الجرحى، ويستحثنهم على القتال، هذا بالإضافة إلى تلبية احتياجاتهم ومطالبهم الجنسية ([2])، وقد سجل صاحب كتاب أعمال الفرنجة عن مشاركتهن في أثناء حصار نيقية([3])488 هـ/ 1097م عن ذلك بقوله : " وقد أسدين إلينا في ذلك اليوم معونة عظمى ويداً مشكورة إذ حملن الماء لرجالنا ليطفئوا ظمأهم ولم ينقطعن عن حثهم على القتال و الدفاع "([4])، من خلال هذا النص تبين مشاركتهن في القتال منذ قدومهن للشرق، فلم تتوقف النساء عن حث أزواجهن والأمهات أولادهن ليكرسوا أنفسهم للمشاركة في الحملات الصليبية ([5])، ومن أمثلة ذلك عادلة زوجة ستيفن بلوا الذي شارك في الحملة الصليبية الأولى عام 487هـ / 1096م، كان يكتب لها الرسائل عن أوضاع الحملة، فإذا به يترك الحملة في أثناء حصارها لمدينة أنطاكية عام 491هـ /1098م ويعود لأوروبا بعد أن رأي صعوبة الموقف وما لاقيه الصليبيون في أثناء الحصار من شدائد هناك، فما كان من زوجته التي بلغ من شدة خجلها وامتعاضها، أنها لم يطمئن لها بال حتى بعثت به مرة أخرى إلى الشرق ليشترك في حملة صليبية جديدة ([6]).

ومن الخدمات التي قامت بها نساء الفرنجة في المجال العسكري بأنهن قَدَّمْنَ المساعدة في التحضير للهجوم في أثناء الحصار لمدينة القدس عام 492هـ / 1099 م، ويوضح ألبرت آخن مؤرخ الحملة الصليبية الأولى كيف تمَّ جمع النساء والأطفال والمشتغلين في أدوات الحصار في مكان واحد ، وبدؤا بصنع مواد لحماية أبراج الحصار والآلات الأخرى من نيران

---

[1]- المقريزي، السلوك، ج1، ص 567

Baldric of Dol :Historia Jerosolim,p.57. Michael: Women and War, p.73. -[2]
برندويج، الدعارة، ص 173. أمبرويز، الحملة الصليبية الثالثة، ج31، ص 31. معلوف، الحروب الصليبية، ص 25.

[3]- نيقية NICAEAمدينة تقع على بحيرة تسمى باسمها، تقع شرقي بحر مرمرة، وهي من أعمال القسطنطينية كان العرب يسمونها (نيقية)، ويسميها الترك (أزنيك) القزويني، آثار البلاد،ج1، ص250. موقع الإسلام، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج2، ص396.

[4]- مجهول، أعمال الفرنجة، ص 39.

[5]- زكار، الموسوعة الشامية ، ج31، ص 31.

[6] – رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 360. سميث، الحملة الصليبية ، ص 129.
http://en.wikipedia.org/wiki/Crusades#cite_ref-Gabrieli-1984_22-0

المسلمين([1])، وكما يقول بالدريك Baldric لعبت النساء أدواراً استراتيجية هامة في رفع معنويات الجنود المحاربين والتعاطف معهم من خلال الدعاء والصلاة لهم في أثناء القتال ([2]).

لم تتوانَ نساء الفرنجة في تقديم الدعم المعنوي وإثارة حماستهم للقتال، بل قامت بتجهيز أبنائها لقتال المسلمين، وهذا ما حدث في الحملة الصليبية الثالثة وكما يقول ابن الأثير: " حدثني بعض الأسري منهم أنَّ له والدة واحدة ليس لها ولد سواه ، ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته، وجهزته بثمنه وسيَّرته لاستنقاذ بيت المقدس من أيدي المسلمين"([3])، فهذه الرواية تدل على نموذج المرأة الصابرة وعلى مدي ايمانها بقضيتها فهي تبذل الغالي و النفيس من أجل استرداد بيت المقدس، على الرغم من جهلهم وفساد عقائدهم و نعوذ بالله من ذلك فهم في ضلال مبين، وهو ما تفعله النساء المسلمات اليوم من تقديم العديد من الشهداء في سبيل تحرير الوطن.

لم يقتصر دور المرأة الفرنجية على الشابات في تقديم الدعم والعون للجنود، فكان لعجائزهم دور لا يقل أهمية في الأمور العسكرية وهو رفع الروح المعنوية وتحريضهم على مواصلة القتال والحماسة في نفوس المقاتلين، ولا يدعن فرصة لوجود الاستسلام مكاناً في نفوسهم، بل كنّ يعتبرن المشاركة في القتال عبادة، فقد تحدث المؤرخ العماد الأصفهاني عن ذلك بقوله : " وأما العجائز فقد امتلأت بهن المراكز وهن يشددن تارة ويرخين تارة، ويحرضن، وينخين، ويقلن : "إن الصليب لا يرضي إلا بالإيباء، وإنه لا بقاء له إلا بالفناء، وأن قبر معبودهم تحت استيلاء الأعداء" ([4]).

وقصة مارغريت من بروفانس التي قدمت إلى الأراضي المقدسة بصحبة أخيها ، في زمن حصار صلاح الدين لبيت المقدس عام 583هـ / 1187م، فاشتركت في الدفاع عن المدينة فشهدت تسليمها للمسلمين ، ودفعت الفدية ومقدارها خمسة دنانير، ثم انطلقت إلى طرابلس، وشاركت مع المقاتلين في حصار عكا عام 586هـ / 1190م ، وتروي كيف وضعت الوعاء على رأسها لحمايتها وكانت تجلب الماء للرجال المحاصرين من قبل صلاح الدين عند أسوار عكا، فأصيبت بجروح نتيجة لتعرضها لسهم من سهام المسلمين ، ثم وقعت

---

1 - Albert of Achen : Historia H ierosolymitana, pp. 408-9 . Michael: Women and War in the High and Late Middle Ages Reconsidered, p.76.

2 – Baldric of Dol: Historia Jerosolim,p. 107 .

3 – ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 184.

4 – العماد الأصفهاني، الفتح القسي ، ص 188.أبو شامة، الروضتين، ج4، ص 107. العليمي، مجير الدين، الأنس الجليل، ج1، ص 361

في أسر المسلمين([1])، كما ساعدت نساء الفرنجة في جـــر آلات الحصـــار وملـــئ الخنـــادق بالماء([2]) في أثناء الحصار لمدينة عكا([3]).

ويشير باول صاحب كتاب "الحملة الصليبية الخامسة إلى " أن النساء الصليبيات قَدَّمْنَ الدعم للجنود الصليبيون في أثناء حصارهم لمدينة دمياط عام611ه/ 1213م الذي استمر أكثر من عام بقوله أن : " النساء اللواتي يجلبن الماء، دون خوف، والحجارة، والنبيذ والخبز للمحاربين " ([4]) .

ويولي باول عنايته بالأدوار الأخرى التي اضطلعت بها النساء الصليبيات في الحملة الصليبية الخامسة، لا باعتبارهُنَّ مجرد مرافقات لأزواجهن وجلب المياه للجنود ولكن أيضاً كطاحنات للحبوب، ومشرفات على الأسواق، وكنَّ يبيعن الأسماك والخضروات للصليبيين([5])، وعملن كحارسات للمعسكر الصليبي لحفظ الأمن والنظام داخل المعسكر الصليبي؛ ولمنع الفرار في أثناء استعداد الجنود لمحاصرة مدينة دمياط، مثل: ما قامت به مارغريت زوجة لويس التاسع، وعملن كممرضات لإسعاف المرضي والمحتاجين، لما تعرضت له تلك الحملة من الأمراض الناجمة عن الأوبئة"([6]).

1– Hodgson: Women, Crusading and the Holy Land, p. 48
Finucane: Soldiers of the Faith, p. 178 . Susan B. Edington and Sarah Lambert :Gendering the Crusades, 98. T Maier, Christoph, The roles of Women ,in the crusade, p65 .

2– كان من عادات الإفرنج في حروبهم إقامة خنادق حول المدن المحاصرة لمنع زحف المسلمين نحوهم مثل ما وقع في أثناء حصار مدينة دمياط. نظر: ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص. 105

3 – Susan B. Edgington, Sarah Lambert: eds.Gendering the Crusades,pp. 89-90

4- Powell, James: The Role of Women on the Fifth Crusade,p.3oo. Anatomy of a Crusade,1213-1221,p .142-6. Michael: Women and War, p.74 .

5 – وما يدلل على ذلك ما ذكره جوا نفيل في مذكراته في الحملة الصليبية على مصر ، عند هجوم المسلمين على معسكر الفرنجة في المنصورة عام 1249م– 648م، أن النساء تولين البيع في المعسكر الصليبي حيث قمن بتحذير وانذار الحامية الصليبية بهجوم المسلمين على المدينة فقمن بالصراخ . للمزيد انظر : جوا نفيل، مذكرات جوا نفيل، ص 108.

6– Powell, James: The Role of Women on the Fifth Crusade,pp.300-301
. Michael, James: Women and War, p.75-76 . كريستي، أدب الحروب الصليبية، , ص84.

والجانب الآخر الذي قامت به المرأة الفرنجية منذ الخطوات الأولي للحركة الفرنجية الصليبية في بلاد الشام؛ خروجهن لإسعاف الغرباء، وإسعاد الجنود الصليبيين والترفيه عنهم بتسبيل أنفسهن لهم للاستمتاع بهن حتى لا يتسرب الملل إلى نفوس المحاربين في الغربة، وقد أشارت المصادر العربية والغربية المعاصرة إلى قيام المرأة الإفرنجية (الصليبية) بامتاع الجنود الصليبيين، لاعتقادهن أن بعملهن ذلك عبادة، إذ أنّ الجيش الصليبي الذي حاصر أنطاكية؛ كان يحتوي على عدد من العاهرات ([1])، فذكر العماد الأصفهاني أنه في سنة 585هـ / 1189م عن استقدام النساء من الغرب من أجل ترفيه الجنود الصليبيون بقوله: " وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة إفرنجية مستحسنة ، متحلية بشبابها وحسنها متزينة، وقد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجرائر، واغتربن لإسعاف الغرباء، وتأهبن لإسعاد الأشقياء(...) فوصلن وقد سبلن أنفسهن، وقدمن للتبذل أصونهن وأنفسهن وذكرن أنهن قصدن بخروجهن تسبيل فروجهن، وأنهن لا يمتنعن من العزبان، وأنهن لا يتقربن بأفضل من هذا قربان" ([2]). وكما ذكر ابن كثير : " فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر"([3]) ؛ ليثبتوا على الحرب و الغربة([4]).

أما ول ديوارانت فيقول :" لقد قدمت العاهرات للغزاة متعاً أشد خطراً من السكر" ([5]).

ولقد وصف أحد الإفرنج عادة النساء فقال : رحن يجرن أذيال الفجور؛ إذ كن يفدن بالمراكب والزوارق، وهنا يتألم ويقول : رُحماك اللّهم ! أبمثل هذا السلاح يسترد ميراث الرب([6]).

ويوضح جوانفيل الوضع عشية استيلاء الفرنجة على دمياط عام 647هـ / 1248م بأن البارونات قاموا بإعداد الاحتفالات و الولائم العظيمة بينما معظم الجيش فقد انصرفوا لمعاشرة الساقطات([7]).

---

[1]- . Baldric of Dol: Historia Jerosolim,p.34.

Michael: Women and War, p.73

وانظر أيضاً. أمبرويز، الحملة الصليبية الثالثة، ج31، ص 31. معلوف، الحروب الصليبية، ص 25. برندويج، جيمس، الدعارة، ص 173

[2]- العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 186، 187. ، أبوشامة، الروضتين، ج4، ص 105

[3]– ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 334.

[4] – ابن كثير، المصدر نفسه، ج13، ص 334.

[5] – ديورانت، قصة الحضارة، مج 4، ج15، ص 23.

[6] – مجهول، الحرب الصليبية، ج2، ص215. السامرائي، التقاليد والعادات، ص 231 . النقاش،العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ص 152.

[7] – جوانفيل، مذكراته، ص 108.

فكان لهن تأثير سيء على كلا الطرفين، أما على الجانب الفر نجي(الصليبي)، نجد أنَّ الدعارة انتشرت في صفوف الجيوش الفرنجية الصليبية ([1])، فقد لوثن الجيش برذائلهن، وأدي إلى انتشار العديد من الأمراض بين الجنود([2])، فقد أثر ذلك تأثيراً سلبياً على قواتهم العسكرية، وخاصة في زمن الحروب، حيث أرجعوا أن سبب إخفاق الجيش ونكساته في بعض المواقع كان عائداً إلى النساء، و ذلك منذ الخطوات الأولي للحركة الفرنجية الصليبية في بلاد الشام؛ إذ أن الجيش الذي حاصر أنطاكية؛ كان يحتوي على عدد من العاهرات، وعندما حلت الكوارث بهم أرادوا أن يخلصوا أنفسهم من الخطايا والتوبة إلى الله، فبادروا إلى الصوم لثلاثة أيام، وعملوا على طردهن من صفوفهم ، وإغلاق الحانات ([3])، كما قاموا بفرض عقوبات قاسية على جريمة الزنا ([4] حيث لم يسمح للنساء الصليبيات في أثناء حصارهم لإحدى المدن بالركوب حتى لا يربكن تحركات الجيش ويشكلن عبأً عليه ([5])، ومن ذلك أيضاً ما قام به ريتشارد قلب الأسد عام 587هـ / 1191م، حين غادر عكا متوجهاً نحو عسقلان، لقتال المسلمين، فقد منع النساء من مرافقة الجيش، واستثني من ذلك الغسالات، مما أسخط الجنود الذين حرموا الراحة والنعيم ومعاشرة النساء الساقطات([6]).

فهذا جاك دي فيتري أسقف عكا الذي لا يحب ولا يميل مطلقاً للعاهرات والذي يقول عنهن أنهنَّ السبب في كل المتاعب والمشاكل، ويتحدث عن ما قامت به نساء الفرنجة من دس السم لزوجها في الطعام لتخلص منه كي ترتبط بعشيق لها قدم من الغرب([7]) .

---

[1]- عن ذلك الجانب بالتفصيل انظر :

Jcques de Vitry: A History of Jerusalem ,p.64

[2]- حسين، مقالات وبحوث، ص 173.

[3]- William of Tyre: AHistory of the deeds done beyond the sea, Vol .1,P. 220

-كما وصف رايموند داجيل الصليبيين في ظروف حصار انطاكية على أنهم زناة، داجيل، رايموند، تاريخ الفرنج غزاة بيت المقدس، ص 89. سميث، الحرب الصليبية الأولي، ص 135. معلوف، أمين الحروب الصليبية، ص 45- 46.

[4] - " يتم تجريد الزاني والزانية من ملابسهما، ويجبرا على المشي حول الجيش وأيديهما مكبلة خلف ظهريهما، والجلادون يضربونهما بشدة بالعصي حتي يخاف الآخرون من رؤيتهم لتلك المعاملة القاسية ، فلا يقعوا في نفس الجريمة" Albert of Aacchen: Historia Hierosolymitana, p. 379

[5]- زكار، الموسوعة الشامية، ج6، ص 433.

[6]- أمبرويز، الحملة الصليبية الثالثة، ص 355. مونروند، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 106.ديورانت، قصة الحضارة، مج4، ج15، ص 42. الدويكات، فؤاد عبد الرحيم، إقطاعية طبرية، ص 309. النعيرات، إقطاعية بيسان، ص 212.

[7] – Jcques de Vitry, A History of Jerusalem ,Trans.by . stewart,p.64

فانتشرت أسواق الخمارات، وبائعات الهوي في المدن الصليبية ([1]) وخاصة في مدينة عكا كان يوجد بها "الحي الأحمر "الذي حقق شهرة واسعة في ذلك المجال ([2])؛ لأنها من أهم الموانئ التي تستقبل السفن الإفرنجية (الصليبية) القادمة من الغرب الأوروبي بالعاهرات من أجل الترفيه عن الجنود الصليبيين ([3])، وبذلك فقد حطت من مكانتها في المجتمع الصليبي الناجم عن الحرية الجنسية التي ذكرها مؤرخون كانوا شهوداً على ذلك العصر ([4]).

فكانت النساء الصليبيات سبباً في المتاعب والمشاكل التي لحقت المملكة اللاتينية كونها كانت عيناً للمسلمين مقابل حصولها على الهدايا الكثيرة التي كانت تنقصها، والدليل على ذلك ما جاء في قصة مدام سيبل التي ذكرت أنفاً ، كذلك فيما روي عن الملك المعظم أنه برع في استمالة الفرنجيات بالمال والهدايا، من أجل الحصول على المعلومات الضرورية، التي تساعد في صد الهجوم الصليبي المتوقع على بلاد الشام ([5]).

أما على الجانب الإسلامي فقد انزلق العديد من الجهال والفسقة من جيش المسلمين لتعامل معهم من أجل هؤلاء النسوة، ليعلموهم على عورات جيش المسلمين، فقد فتنوا بهن، فكانوا يترددون على تلك الأماكن باستمرار؛ لضربهن قبابهن بالقرب من معسكر جيش المسلمين ([6])، فيقول المؤرخ العماد الأصفهاني : " وأقمن في قباب معروفة معلومة، وانضم إليهن أترابهن من الحسان الشواب، و فتحن أبواب الملاذ، وسبلن ما بين الأفخاذ (...) وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية وعجبوا كيف تعّبدن بها بترك النخوة والحمية، وأبق من المماليك الأغبياء جماعة ابتلوا الغواية، فمنهم من رضي فأقام ومنهم من ندم فعاد" ([7]).

عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 129. حسين، مقالات وبحوث، ص 165.

[1] – الأصفهاني، الفتح القسي، ص 181. الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص 361. عوض، الحروب الصليبية، ص 122. دويكات، إقطاعية طبرية، ص 309.

للمزيد انظر : برندويج، جيمس، الدعارة، ص 174.

[2] – براور، عالم الصليبيين، ص 221.

[3] – العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 186.

[4] – ابن منقذ ، الاعتبار، ص 161. عوض، دراسات نقدية، ص122.

[5] – الشيال، الجاسوسية في الحروب الصليبية، ص 249.

[6] – العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188.ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص 308.أبو شامة، الروضتين، ج4، ص 106 . ابن كثير، البداية والنهاية ، ج13، ص 334. العليمي، الأنس الجليل، ج1 ، ص 362.

[7] – العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188. أبو شامة، الروضتين، ج4، ص 105 . الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص 66.العليمي، مجير الدين، الأنس الجليل، ج1 ، ص 362.

فهذا يعني أن الصليبيين استخدموا كافة الوسائل لقتال المسلمين حتى الجنس؛ للوصول إلى غايتهم ومصالحهم، و ونجحت خطتهم بذلك لتثني عزم المجاهدين عن مواصلة القتال، ومن أمثلة انحطاطهم ذلك ما حدث عام 491هـ / 1098م، عندما استخدموا إحدى نسائهم في التفريق بين عمر والي عزاز وسيده رضوان([1]) حيث فتن بها([2])، فسهلت تلك المرأة لإقامة علاقات ودية بين عمر هذا وبين الفرنجة (الصليبيين)، بتشجيع من الفرنجة، فكانت النتيجة أنَّ جودفري غنم مغانم كبيرة، من وراء ذلك ودخول عزاز ضمن ممتلكات جودفري ، فعين عمر حاكماً عليها تابعاً له([3]). فلم يتورع الملك لويس التاسع عن استخدام النساء الفرنسيات كجواسيس لجمع المعلومات عن المعسكر الإسلامي في أثناء حصاره لمدينة دمياط، من خلال إغرائهن للجنود المسلمين بعد وقوعهن في الأسر، بما لهن من سحر وفتنة! ولكن الأمر لم يتم حيث كان الجنود المصريون يقومون بقتل الأسيرات الفرنجيات فور وقوعهن في أيديهم باعتبارهن محاربات يحلن قتلهن([4]).

أما عن مشاركة المرأة الصليبية في العمليات العسكرية إلى جانب الجيش في أرض المعركة، منذ قدومهم إلى الشرق، فقد أثارت تلك القضية جدلاً لدى الباحثين الغربيين وعلى رأسهم "هيلين نيكلسون " حيث استبعدت مشاركة المرأة في الأمور العسكرية، المتمثل في حمل النساء للأسلحة ولبسها للخوذة والدروع وركوبها للخيل، ولكنها توافق على أن المرأة قامت بالمشاركة حسب ما يوافق أنوثتها، ولكن في الحالات الضرورية القصوى، إذ تقول أن جسم المرأة ضعيف لا يستطيع أن يتحمل مثل تلك الأسلحة الثقيلة؛ معتمدة في تفسيرها على صمت المصادر الغربية المعاصرة عن ذكر تلك الوقائع التي تؤكد مشاركة النساء في القتال إلي جانب الرجل في أثناء حصار عكا 586هـ / 1189م ([5])، ولكن ميغان ماكلوجين قد اختلف عنها فقد أشار في مقالته " المرأة المحاربة " أنه وجد عدداً مذهلاً من النساء الأوربيات في العصور الوسطي، قد تم وصفهن بالمحاربات في مراجع العصور الوسطي !

---

[1] - هو رضوان، فخر الملوك بن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بن داود .من ملوك السلاجقة وصاحب حلب ولد سنة 488 هـ / 1094 م، تولى حكم حلب بعد وفاة والده وكان ملكاً جباراً ، كريماً. توفي سنة 507 هـ / 1113م .انظر، ابن الأثير، الكامل، ج8 ، ص504 ، 503، ج9 ، ص4 ،11، 151. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1 ، ص 296 . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 19 ، ص 315 .العماد، شذرات الذهب، ج2 ، ص 22

[2] –ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص 132. Runciman: History of the Crusades, Vo l.I, p257.

[3] – ابن العديم، زبدة الحلب، ج2 ص 132. زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوي الإسلامية، ص 75 –76.

[4] - شلبي، محمود، شجرة الدر، ص37.

[5] – للمزيد أنظر : Nicholson, Helen: Women on the Third Crusade, pp. 335- 349

واستخدام كلمة "محاربة" للدلالة على اشتراك الإناث شخصياً في الأعمال العسكرية، وكمشاركات نشيطات في الحرب، من خلال لبسِهنّ للدروع وتسديدهن للضربات في أرض المعركة، حيث يقول أنَّه تمَّ وصفهن أحياناً من قبل المؤرخين بأنهن نساء محاربات شاذات واستشهد بقوله بعدة أدلة لها علاقة بحالات الطوارئ مثلاً : نساء دافعن عن القلاع في حالة غياب أزواجهن، وبعض النساء انتزعن السلاح للدفاع عن منازلهن عند تهديد الغزاة([1]) . وما وصفه أيضاً رينسمان عن شجاعة النساء بقوله : " فإنَّهن ضارعن أزواجهن وإخوتهن في الشجاعة، فكم امرأة نبيلة تم ّالالتجاء إليها لتتولي الدفاع عن قلعتها أثناء غياب زوجها "([2])، فقد يتفق ذلك القول مع الروايات والتي قد تم ذكرها في المصادر العربية؛ إنَّ بعض المؤرخين المسلمين لم يعاصروا الحروب الصليبية فحسب، بل شاهدوها بالعيان أو ساهموا في مجريات أحداثها. كما أنهم عايشوا الصليبيين وعرفوهم عن قرب، فجاءت معظم النصوص التي أوردوها في مصنفاتهم عن طريق المشاهدة والمعاينة الميدانية، أو في أقل الأحوال السماع المباشر الموثوق في صحته([3])؛ مما يجعل اللوحة التي رسموها عن الصليبيين أكثر دقة ووضوحاً، وهي لوحة لا تعتريها اختلافات جوهرية بين جمهرة المؤرخين المسلمين، مما يعفي الباحث في معظم الحالات من عنصر المقارنة للوصول إلى الحقيقة.

وقد أثرتنا المصادر العربية كثيراً في ذلك المجال، حيث سلطت الكتابات الإسلامية الأضواء، على الأدوار العسكرية التي أدتها المرأة الإفرنجية من خلال مشاركتها في القتال إلى جانب الرجال، وفي هذا السياق يذكر ابن الأثير في سياق الأحداث التي أعقبت سقوط القدس بيد المسلمين عام 583هـ / 1187م، وتحركهم لمحاصرة عكا أنَّ الفرنج عَظُمَ عليهم ذلك الأمر، فأخذوا يحشدون الحشود ويجنّدون أنفسهم، " فحشروا وحشدوا حتى النساء"([4])،

---

[1] McLaughlin, M EGAN: The Woman Warrior: gender, P .196.

[2] رينسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 509.

[3]– نذكر على الخصوص المؤرخ ابن شداد صاحب كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" الذي كثيراً ما أشار إلى ما يؤكد أنه كان شاهد عيان للأحداث كقوله: " وكنت من جملة الحاضرين"، "وكنت في خدمته " (يقصد السلطان العادل)، و" ذكر رسالة يسيّرني فيها الملك العادل إلى السلطان "، و" حضرت لإنشاء عقد الهدنة" ، و" توجهت رسولاً" . ومما يؤكد مصداقيته أنه حين لا يحضر الحدث، يؤكد ذلك كقوله: "وتأخرت عن حضور هذا الزحف، لما عراني من مرض"، و" حدثني بعض الأسرى"، "وهكذا بلغني على ألسنة الجماعة"

[4] - ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 69 . ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 289. وقد ذكر ابن خلدون عن خروج النساء للقتال في أثناء الحملة الصليبية الثالثة: " فحتي النساء اللواتي يجدن القوة على الحرب " وهذه الرواية تؤكد خروج النساء اللواتي تمرسن على القتال . ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 318.

وعند سيرهم لمحاصرة عكا كان من ضمنهم النساء الصليبيات اللواتي "يبارزن الأقران "([1])، ويذكر ابن واصل شيئاً عن ذلك حيث يشير إلى مشاركة النساء الصليبيات في وقعة عكا العظمي في القتال : " خرجت النساء من بلادهن متبرزات وسِرْنَ إلى الشام متجهزات " ([2]).

ويوضح ابن كثير في ذلك الصدد " أن الفرنج خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول، حتى النساء المخدرات والزوانى والزانيات الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات"([3]).

وقد لفتت مشاركة المرأة الإفرنجية في الحروب انتباه المؤرخ الأصفهاني، فخصص لها حيزاً هاماً مشيراً إلى أنَّ النساء الإفرنجيات كن يقتدين بالفرسان ويقاتلن، فلا يرتدين إلا السوابغ في أثناء الحروب([4])، وهو ما عبّر عنه الأصفهاني بقوله : " وفي الفرنج نساء فوارس، لهن دروع وقوانس([5])، وكن في زي الرجال، ويبرزن في حومة القتال، ويعملن عمل أرباب الحجا وهن ربات الحجال، وكل هذا يعتقدنه عبادة " ([6]) . ويتفق ذلك القول مع ما ذكره المؤرخ الصليبي المجهول صاحب كتاب " صلاح الدين وسقوط بيت المقدس" : " حتى النساء حاربت كالرجال بجانب إخوتهن في السلاح ، ولم يتوقفن إلا بعد أسرهن، كان يوم الأبطال والنساء الجبارات "Amazons" ([7]) أليس ذلك ما تفعله المجندات الإسرائيليات اليوم وغداً إلى جانب الجنود .

وهذا يدل على أنَّ الحروب الصليبية كانت حرب جماعية شاملة اشترك فيها كل الطبقات من أوروبا الملوك والأمراء والنبلاء حتى النساء شاركن فيها علـــى اخـــتلاف طبقـــاتهن، و خروجهن بنية القتال ضد المسلمين([8]) .

---

[1] – ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 70. ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 289.

[2] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص333. ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص 612.العمري، المسالك والممالك،ج1، ص 79.

[3] – ابن كثير ، البداية والنهاية، ج12، ص 335.

[4] الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188.

Brahim EL Kadiri Boutchich: The Image of the Crusade Woman through Islamic ,P.5-9

[5] - القونس : البيضة و جمعها قوانس وهي تقع في مقدم الرأس وأعلى بيضة الحديد وعظم ناتئ بين أذني الفرس وجادة الطريق. مصطفي، إبراهيم و آخرون، المعجم الوسيط ، ج2 ، ص 762 .

[6] – العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188.

[7] – مجهول، صلاح الدين وسقوط بيت المقدس، ص 217.

[8] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 334.

كما تبين لنا استخدام النساء الصليبيات في تلك الوقعة لما تعانيه مملكة بيت المقدس من نقص شديد في القوة البشرية طوال مدة وجودها في بلاد الشام، فقد أدى ذلك لانخراط النساء الصليبيات في صفوف القتال إلى جانب الرجال([1]) كذلك الدفاع بقوة من أجل الحفاظ على ما تبقي من كيانهم، وهي صورة تؤكد لنا أن الفرنجة في بلاد الشام كانوا بحاجة لإمدادات كثيرة من الغرب أعقاب سقوط مملكة بيت المقدس .

وأثارت مشاركة النساء الصليبيات في القتال اهتمام المسلمين، ليس فقط اشــتراكها وإنما تمويلها للحروب الصليبية لما تحمله في طياتها من ظواهر جديدة، فقاموا بتسـجيلها، ومن ذلك أنَّ امرأة كبيرة القدر وهي ملكة في بلادها، فلم يذكر المؤرخون اسـمها، قـد وصلت إلي بلاد الشام عام 585هـ /1189م، وبصحبتها خمسمائة فارس بأتباعهم وغلمانهم وقد تكفلت بجميع ما يحتاجونه من نفقات من مؤن وعتاد وهو ما ذكره لنا الأصفهاني بقوله : " وهم يركبون بركباتها، ويحملون بحملاتها، ويثبون لوثباتها"([2]).

وذكر ابن واصل رواية أخري" ومنهن ملكة وصلت مع ملك الألمان ذوات المقـانع مـن الفرنج، مقنعات دارعات يحملن إلي الطعان الطوارق والقنطاريات، وقد وجدت في الوقعـات التي جرت، عدة منهن في القتلي، فما عرفن حتي سلبن"([3]).

ويشير ابن الأثير إلى " خروج ملكة من الفرنج من داخل البحر في نحو ألف مقاتل، فأخذت بنواحى الإسكندرية، وأخذ من معها "([4]). ويذكر المؤرخون المسلمون في موضع آخر أنه كان من جملة الأسرى الذين أسرهم المسلمون في موقعة عكا ثلاث نسوة كـنّ يقـاتلن فـي زي الرجال، على ظهور الخيل، ولم يعرفن حتى سلبن ونـزع عـنهن السـلاح وتـم أسـرهن وبيعهن([5]) .

ويذكر ابن شداد روايته عن حصار عكا، الذي لم يكن هذه المرة شاهد عيان ــ بسـبب مرض اعتراه ــ فنقل الخبر عن جندي شارك في المعركة، أنَّ امرأة إفرنجية كانـت تقاتـل المسلمين بضراوة، ويقول : " وكان داخل سورهم امرأة عظيمة عليها ملوطة خضـراء (أي

[1] – الحويري، الأوضاع الحضارية، ص 165.

[2] العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188. أبو شامة، الروضتين، ج4، ص106. ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص333.

[3] – أبو شامة، الروضتين، ج2، ص 157–158. ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص333.

[4] – ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 54.

[5] – الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188. ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 70. أبو شامة، الروضتين، ج4، ص 106. ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص333.

عباءة) فما زالت ترمينا بقوس من خشب حتى جرحت منا جماعة وتكاثرنا عليهـا وقتلناهـا وأخذنا قوسها وحملناها إلى السلطان فعجب من ذلك عجباً عظيماً" ([1]) .

كما يشير أمبرويز إلى قيام نساء الفرنجة بأعمال وحشية حيث حملن سكاكين كبيـرة، وكنَّ يمسكن بالأتراك الجرحى والأسرى في عكا من شعورهم وينزلن بهم ألاماً مبرحة ومن ثم يقطعون رؤوسهم بالسكاكين([2]). وهذا يدل على الأعمال البربرية والتعصب الأعمى ضـد المسلمين .

كما يؤكد مؤرخو الحروب الصليبية بين الحين والآخر أنَّ امرأة لقيت حتفها فـي أثنـاء القتال ([3]). و مما يرجح على وجود نساء حملن السلاح وحاربن بقوة وشراسة مع الفرسان ووجودهن بين القتلى في أرض المعركة وقد ذكر الأصفهاني: " ركبت أَنا وَالْقَاضِـي بهـاء الدّين ابْن شَدَّاد لمشاهدة القتلى وهم صرعي بعد موقعة عكا " ورأينا امْرَأَة مقتولة لكَونهَـا مقاتلة وسمعناها وَهِي خامدة بالعبرة قائلة " ([4]) .

إلى جانب مشاركتها الجنود في أرض المعركة والقتال في صفوفهم، فكانت تدافع عن نفسها في الأمور الضرورية ومن ذلك ما أشار إليه أسامة بن منقذ في كتابه "الاعتبار" إلـى تلك المرأة الإفرنجية التي هاجمت رجلاً مسلماً، كان يعترض طريق الحجـاج المسـيحيين، وجرحته جرحاً عميقاً في وجهه لتثأر لمقتل زوجها، في أثناء تعرضه لحجاج الفرنجة، فكـان رد فعل المرأة المذكورة ضرب المسلم بكوز خشب أصابته بجرح([5]).

ومن الأدوار التي أدتها المرأة الإفرنجية الصليبية في القتال قامت بالدفاع عـن مدينـة القدس قبيل تسليمها إلى صلاح الدين 583ه/ 1187م، وفي داخل المدينـة كانـت الملكـة "سيبيلا " تتولى أمور الدفاع عن المدينة ومعها البطريرك الكاثوليكي "هيراكليوس"، والأميـر "باليان" وتشجعهم على الصمود ومقاومة الحصار الذي فرضه صلاح الـدين، حيـث لجـأت النساء الإفرنجيات (الصليبيات) من الطبقة الأرستقراطية، بتوجيه من "سيبيلا"، إلى طقوس غريبة أملا في أن تنجي الصليبيين من مصيرهم الذي بات واضحا، فقد قامت سيدات الطبقـة الراقية من الفرنج بحلق شعور بناتهن وَجَرَّدْنَهُنَّ من الملابس، وأخذن في الاستحمام علنا فـي

---

[1]- ابن شداد، النوادر السلطانية، ج1، ص 253. أبوشامة، الروضتين، ج4، ص256.

[2] – أمبرويز، الحملة الصليبية الثالثة، ص 224. مجهول، صلاح الدين وسقوط بيت المقدس، ص 215.

[3] – Alpert of A achen: Historia Hierosolymitana, p . 228.

مجهول، أعمال الفرنجة، ص 110. حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، ص174

[4]– العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 216. أبو شامة، الروضتين، ج4، ص 147.مجهول، صلاح الدين وسقوط بيت المقدس، ص 222.

[5]– ابن منقذ، الاعتبار، ج1، ص 129.

العراء فوق أحد التلال في القدس ([1])، ولكن المدينة المحاصرة لم تكن بحاجة إلى مثـــل هـــذه الطقوس العابثة؛ وإنما كانت بحاجة إلى الرجال المقاتلين والسلاح وإرادة القتال.

ويتبين دور المرأة الإفرنجية عسكرياً أيضاً من خلال الدفاع عن الحصون والقلاع ومن ذلك ما حدث في عام583هـــ / 1187م قبيل معركة حطين عندما قامت أشيفا Eschiva صاحبة طبريا زوجة " ريموند الصنجيلي " بالدفاع عن مدينة طبريا في أثناء محاصرة صلاح الدين لها، فدخلها صلاح الدين وأحرقها، فاحتمت في قلعتها هي وبنوها([2])، فيقول رينسمان:" أنها استماتت في الدفاع عن قلعتها بكل بسالة([3])، وطلبت نجدة من الملك الفرنجي الصليبي، وبعد ذلك طلبت الأمان لنفسها ولولدها ولمالها، فأجابها وَوَفَّي لها بذلك فلحقت بزوجها في طرابلس ([4]) .

وفي حوادث سنة 584هـــ / 1188م ، ذكر ابن الأثير بأنه شاهد بنفسه عند اســـتيلاء صلاح الدين على حصن برزية ([5]) " ورأيت أنا من رأس جبل عال يشرف على القلعة، امرأة ترمي من القلعة عن المنجنيق، وهي التي أبطلت منجنيق المسلمين، فلما رأى صلاح الدين أن المنجنيق لا ينتفعون به، عزم على الزحف"([6]).

ولعَّل جُل هذه القرائن تعكس بالملموس الدور الرائد الذي اضطلعت بـــه المـــرأة الإفرنجيـــة (الصليبية) في المجال العسكري داخل كيان اجتماعي شكلت الحرب حجر الزاوية فيه.

[1] – 7 247-248 . Mayer, op,cit, pp.

وللمزيد أنظر : مجهول، صلاح الدين وسقوط بيت المقدس ، ص 193.

[2] – العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 75.

[3] – رينسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 736، ص 509.

[4] – ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 171. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص 307. العريني، الأيوبيون في الشرق الأدنى، ص 90.

Nicholson Helen,: Women on the Third Crusade, p .345 . Mayer, op,cit, p. 233

[5] ـ حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق، يضرب بها المثل في جميع بلاد الإفرنج بالحصانة. الحموي، معجم، ج1، ص 383.

[6] – ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 54. عاشور، المرأة الأوربية، ص45.

الفصل الثالث

المرأة والتعليم

المبحث الأول : أماكن دراسة المرأة .

المبحث الثاني: جهود المرأة في الناحية العلمية والثقافية.

المبحث الثالث: المصادر الثقافية و العلمية للمرأة.

المبحث الرابع: دور المرأة في بناء المراكز العلمية ورعايتها لها.

تعليم المرأة.

لم يقتصر نصيب المرأة العربية في الحياة العامة على التدخل في بعض شئون الدولة والجهاد ضد الأعداء، إنما شاركت أيضاً مشاركة فعالة في الحياتين العلمية والدينية، ومن المفيد أن نعرف شيئاً عن تعليم النساء المسلمات في تلك الفترة التاريخية، حيث كان أول نداء لتعليمهن من النبي صلى الله عليه وسلم، حيث اعتبرت زوجته عائشة حجة في الدين الإسلامي، فالعلم واجب على الرجال والنساء على السواء ([1]) تلبية لقول الرسول صلي الله عليه وسلم :" طلب العلم فريضة على كل مسلم "([2]) والحديث يشمل النساء، وقد شعرت النساء في القرون السابقة بحاجتهنّ للعلم، فجئن إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وطلبن منه مجلساً خاصاً بهن، ففي "الصحيحين " عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم؛ فقالت : يا رسول ! ذهب الرجال بحديثك؛ فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله؛ فقال : " اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا " ؛ فاجتمعن فأتاهُنَّ فعلمهُنَّ مما علمه الله ([3])، واستمرت المرأة المسلمة في العصور التالية لعصر النبي (صلي الله عليه وسلم) على صلة قوية بكتاب الله وسنة نبيه الكريم عليه السلام، كما كانت على جانب كبير من الاهتمام بالعلم، والدراية، فيما ينفعها في دينها ويهيئها لحياة كريمة هانئة، فقد أتاحت لنا المصادر المعاصرة الفرصة للتعرف إلى تعليم المرأة المسلمة مباشرة أو تلك التي تعرضت له بطريقة غير مباشرة، وتزخر كتب التراجم والطبقات، و كتب التاريخ العام بأسماء الكثير من النساء اللواتي تعلمن الكتابة والقراءة، وروين الحديث وبرعن في الفقه، فكان منهُنَّ العالمات و الفقيهات والمحدثات والواعظات و الأديبات والشاعرات فعددهُنَّ لا يحصى([4]) ، بل وبرز منهن من أتقن علوماً إنسانية أخرى كالرياضيات والفلك والطب والصيدلة، وقابلات، وهن اللاتي كان وجودهن ضرورياً عند

[1] – ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 233.

[2] – ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج1، ص 151. رقم 224.

[3] – البخاري، الجامع الصحيح، ج9، ص 124. رقم الحديث (7310) . مسلم، الجامع الصحيح المسمي صحيح مسلم، ج8، ص39، رقم الحديث 6868.

[4] - صنف أبو الحسن المعافري " تراجم شهيرات النساء" ، وحققته عائدة الطيبي، ونشرته في مجلة " مجمع اللغة العربية" بدمشق . كما صنَّف عمر رضا كحالة " أعلام النساء.

الولادة، وغير ذلك من العلوم التي تناسب طبيعة المرأة، وكنّ مثالاً في التعلم ونشر العلم بمختلف الوسائل([1]).

كما كانت العروس لا تجهز إلا ومعها بعض الكتب الشرعية النافعة، فقد ذكر الإمام الذهبي: " أنَّ البكر كان في جهازها عند زفافها نسخة من كتاب" مختصر المزني([2])"([3]) وفي ذلك دلالة واضحة على اهتمام المرأة بالتعليم وشغفها به وللتبصر ومعرفة الأمور الشرعية بما يصلح حالها وأمر بيتها، وهذا يسجل للمرأة المسلمة مفخرة عظيمة اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء؛ فإن غوستاف لوبون ذكر أنه كثر في العهد العباسي في المشرق وفي ظل الأمويين في الأندلس اللواتي اشتهرن بمعارفهُنَّ العلمية والأدبية، وعدّ ذلك " من الأدلة على أهمية النساء أيام نضارة حضارة العرب "([4]).

ومما يدل على تمتع المرأة بمكانتها بنوع من التقدير الاحترام في تلك الفترة التاريخية أنها لقبت بألقاب عدة ، وهي بطبيعة الحال تعكس تلك المكانة التي وصلت إليها المرأة منها ست الفقهاء و ست الوزراء، وست العلماء، وست الشام، وست الخلق... إلخ، فهو من باب الفخر والتزكية([5]) فضلاً على المكانة العلمية التي وصلت لها المرأة في تلك الفترة، فقد

---

[1] - المزيني ، دور المرأة في العلم والتعليم، ص 4-6"بتصرف"

[2] – المزني هو الإمام العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد، أبو إبراهيم، إسماعيل ابن يحيى بن إسماعيل بن عمرو ابن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي. مولده في سنة موت الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومئة. حدث عن: الشافعي، وعن علي بن معبد بن شداد، ونعيم بن حماد، وغيرهم. وهو قليل الرواية، ولكنه كان رأسا في الفقه. وامتلأت البلاد ب " مختصره " في الفقه، وشرحه عدة من الكبار. انظر ترجمته في : ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 1، ص217. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص 494. العبر، ج 2 ، ص 28. السبكي، طبقات الشافعية ، ج2 ، ص93، 109. والمزني، بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون: نسبة إلى مزينة بنت كلب، وهي قبيلة كبيرة مشهورة. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج3، ص 205.

[3] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص 233.

[4] – لوبون ، حضارة العرب، ص 489.

[5] – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 227، وما بعدها. رمضان، المجتمع، ص 267. مصطفي، المدن في الإسلام، ج2، ص 95.

حظيت الراويات للحديث منهن بألقاب الاحترام : (الشيخة ، الثقة، الفاضلة، العالمة، المسندة، الجليلة، الخيرة)([1]) .

ومن الجدير بالذكر : من ناحية أخرى أن الفتيات لم يكن لهُنَّ مكان في المدارس، فنهلت العلم عن طريق والدها، أو أسرتها([2])، أو بواسطة مدرس خاص، أو على يد بعض النسوة المتعلمات([3]) ، ولكنّا لم نسمع عن وجود مدارس للفتيات خاصة بها أو تعليم مهني لهن في بلاد الإسلام كما في الوقت الحاضر([4])، وكذلك لم تتعلم في الكتّاب([5])، و إن أتيحت لها فرصة المشاركة في حلقات التعليم في المدارس، أو في المساجد والخوانق([6])، والزوايا والربط([7])، فكانت قليلة وفق الضوابط الشرعية، حيث كنّ يجلسنّ في مكان منفرد عن الرجال لسماع الدروس الدينية([8])، فلم يذكر ابن جبير ولا غيره، وجود بنات مع الصبيان في حلقات التعليم سواء في جامع دمشق أو غيره، بل أنَّنا وجدنا نصاً واضحاً وصريحاً في وقفية

---

[1] – جاء في ترجمة فاطمة بنت المحدث التاجر أبي الحسن بن سهل الأنصاري البلنسي، (ت 600هـ / 1204م) نعتها الذهبي بقوله : " الشيخة الجليلة المسندة" الذهبي ، سير أعلام، ج21، ص 412.السبكي، معجم شيوخ، ج1، ص 567.

[2] – جاء في ترجمة آمنة بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشية بأنها " سمعت جدها لأمها أبا المفضل يحيي بن علي القرشي، واستنسخ لها أبوها كتاب السنن لأبي داوود " . انظر :ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 45. انظر أيضاً : العسلي، التربية والتعليم في فلسطين، مج3، ص17.

[3] – أشار ابن عساكر عن ذلك وهو يترجم لعائشة بنت علي السلمية زوجته قائلاً : (أسمعتها الحديث، فاطمة بنت علي العكبرية، في دارها وسمعها أولادها في دارها) انظر : ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 261. كما جاء في ترجمة ست الأمناء بنت أبي طالب عقيل بن حمزة بن علي المتوفاة سنة 695هـ / 1297م، بأنها سمعت الحديث من كريمة وصفية ابنتي عبد الوهاب، وجهمة بنت مسلمة " الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 254.

[4] -ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 233.

[5] – والدليل على ذلك ما ذكره ابن بطوطة في رحلته لزيارة مدينة هنور الهندية حيث قال في تعليم نسائها " أنَّهن جميعاً يحفظن القرآن الكريم. ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتباً لتعليم البنات، وثلاثة وعشرين لتعليم الأولاد. ولم أري ذلك في سواها." على الأقل هذا النص يوضح عدم وجود كتاب لتعليم النساء في تلك الفترة في بلاد الشام ومصر. ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص 278.

[6] – تم تعريفها سابقاً في الفصل الأول .

[7] – الرباط أو رُبط وهي الأماكن التي تمّ إعدادها على الثغور للمجاهدين وصد هجمات الأعداء فقد تحولت مع الوقت هي والخانقات والتكايا والزوايا إلى أماكن للمتفرغين للعبادة من الجنسين ــــ وإن كانت للذكور أظهر وأكثر. بن عبد الله السدحان، الأوقاف وأثرها في المجتمع الإسلامي، ج1، ص 17.

[8] – ابن الحاج، المدخل، ج3، ص 219.

المدرسة البادرائية([1]) بدمشق يمنع دخول المرأة إلى المدرسة منعاً باتاً، وقد حضر السلطان الناصر يوسف بن عبد العزيز حفل افتتاح المدرسة وقُرِئَ أمامه كتاب الوقف وفيه: " ولا تدخلها امرأة، ولا صبي "([2]) فهذا يدل على الأقل أنَّ تعليمهن كان خاصاً، ولكن لا يمكن تعميمه في كافة مناطق بلاد الشام ومصر في تلك الفترة، والدليل على ذلك أن الرحالة العظيم "ابن بطوطة" أنه في رحلته زار المسجد الأموي بدمشق، وسمع فيه عدداً من محدثات ذلك العصر، مثل "زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم"(ت740هـ / 1340م) ([3])، وكانت امرأة ذات قدم راسخ في العلم والحديث، و"عائشة بنت محمد بن المسلم الحرانية"(ت736ه/ 1336م)([4]) التي كان لها مجلس علم بالمسجد، ، وقرأ عليها "ابن بطوطة" عددًا من الكتب ([5])، كذلك لم تشر المصادر التاريخية المسيحية المعاصرة للحروب الفرنجية(الصليبية) لا من قريب ولا من بعيد عن وجود مدارس لتعليم الفتيان أو الفتيات الإفرنجيات (الصليبيات) في العصور الوسطى([6])، ولم تبرز منهُنَّ في أي مجال من مجالات العلوم الإنسانية في تلك الحقبة التاريخية، والدليل على ذلك أَن الباحثين المعاصرين أكدوا أن في العهد الصليبي(الفرنجي) قد أصيبت الحركة الفكرية في بلاد الشام بالركود، بل تراجعت إلى الوراء([7])، ويقر رينسمان أن الحياة العقلية في الشرق الإفرنجي كانت مخيبة للآمال إذا ما قورنت بالحياة العلمية الزاهرة في صقلية وإسبانيا([8])، ويعزو سبب ذلك إلى طبيعة المجتمع الفرنجي الذي تغلب عليه النزعة الحربية والتجارية، فانصرف الفرنجة إلى الشئون الحربية والتجارية، لذلك كان همهم السيطرة على الممتلكات وتأسيس الإقطاعيات، وليس على ترقي الحياة الفكرية أو

---

[1] – البادرائية : سميت تلك المدرسة بذلك نسبة إلى الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البادرائي البغدادي مدرس في النظامية، وكان فاضلاً ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة وإصلاح الأحوال ، والبادرائي نسبة إلى قرية في واسط . ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 229.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 229. النعيمي، الدارس، ج1، ص 154. الشواف، دمشق، ص 267.

[3] – ستأتي لها ترجمة في المحدّثات ، برقم 79.

[4] – ستأتي لها ترجمة برقم 147.

[5] – ابن بطوطة، الرحلة ، ج1، ص 55. ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 233.

[6] – ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 233.

[7] – صالحية، الطب والأطباء في فلسطين، (الموسوعة الفلسطينية)، مج3، ص 391- 392.

[8] – رينسمان، تاريخ، ج3، ص 817.

حتى المساهمة فيها، فوصف مجتمع الفرنجة بأنَّه كان " معسكراً حربيا خشناً، لا روح فيه " ([1])، بل لا وقت لديه للمساهمة في بناء الحضارة ، فالجيوش الفرنجية (الصليبية) إذن لم تبالِ بالمعارف ولا بأصول العلوم([2])، إذا كان ذلك حال مجتمع الفرنجة في الشرق، فينطبق أيضاً على النساء الإفرنجيات اللواتي هنّ جزء من المجتمع الإفرنجي، وعلى أي حال فقد حظيت النساء المسلمات في تلك الحقبة سواء في بلاد الشام وخاصة في دمشق أو في مصر بمكانة كبيرة في مجالس العلم إذ نالت نصيباً وافراً من التعليم لدرجة أنَّ النساء المتعلمات منهنّ قد وصلن إلى مرتبة الشيخة ([3])

---

[1] – صالحية، الطب والأطباء في فلسطين، (الموسوعة الفلسطينية)، مج3، ص 391– 392.المهدي، الحركة الفكرية، ص 35.

[2] – لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 338.

[3] – حجي، الحضارة في عصر المماليك، ص 172. الشواف، دمشق، ص 267.

أماكن دراسة المرأة:

أولاً: منازل العلماء .

حيث يمثل المنزل المدرسة الأولى التي تلقت المرأة فيها تعليمها إذ يلاحظ أن كثيراً من النساء اللاتي اشتهرن بالعلم نشأن في بيوت العلماء، ودرسن على يد آبائهن أو أحد ذويهن من أولي العلم، أو أنهنّ كن يستفدن من الدروس التي كانت تعقد في بيوتهن لتعليم الطلاب حيث كن يستمعن إلى ما كان يلقى في منازلهن من دروس([1])، قال ابن الحاج : بعد أن فصل ما يجب على أولياء الأمور من تعليم ما يعولون من النساء من أحكام شرعية تتعلق بالطهارة والصلاة والصيام وغير ذلك؛ قال : " فيحتاج العالم أن يتبتل لتعليم هذه الأحكام للكبير والصغير والذكر والأنثى "([2]) امتثالاً لقول الله تعالي : { إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات} إلي قوله : { والذاكرين الله كثيراً والذاكرات } وقال عليه الصلاة و السلام : " النساء شقائق الرجال " ([3])، " كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته " ([4])، فسوّى بين الزوج والزوجة والولد والعبد والأمة في هذه الصفات الجميلة، وما زال السلف رضوان الله عليهم على هذا المنهاج تجد أولادهم وعبيدهم وإماءهم في غالب أمرهم مشتركين في هذه الفضائل كلها ([5]). وقد وجدنا في بطون الكتب أمثلة رائعة لهؤلاء، وكانت العناية بالبنات من الظواهر الملموسة، والشواهد تؤكد حرص المحدثين والأكابر منهم بالذات على مستويات عالية من الدراية والمعرفة بالحديث وعلومه، وهذه الشواهد هي أكثر من أن يتسع المقام لذكرها ومن أمثلة ذلك، فقد ذُكِرَ عن أحد القضاة أنَّه كان يجلس إلى طلبته حتى العصر، ثم يدعو بناته وبنات أخيه يعلمهّن القرآن الكريم والعلوم الأخرى ([6])، وقد اعتنى الحافظ المزي ([7]) بأهل بيته ، فكان يحضرهم مجالس السماع لا يستثني من ذلك حتى الجواري([1])، كذلك

---

[1] – المزيني ، دور المرأة في العلم والتعليم، ص 6

[2] – ابن الحاج، المدخل، ج1، ص 319.

[3] – أبو داوود، سنن أبي داوود، ج1، ص 299 رقم الحديث 236.

[4] – البخاري، الصحيح، ج3، ص 111، رقم 7138.

[5] – ابن الحاج، المدخل، ج1، ص 319.

[6] – عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص 227

[7] – الحافظ المزي (654 – 742 هـ = 1256 – 1341 م) هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، محدث الديار الشامية في عصره. ولد بظاهر حلب، ونشأ بالمزة (من ضواحي دمشق) وتوفي في دمشق. مهر في اللغة، ثم في الحديث ومعرفة رجاله. وصنَّف كتباً، منها " تهذيب الكمال في أسماء الرجال – خ " اثنا عشر مجلدا، و " تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف وله في الحديث. ثماني مجلدات قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: أحفظ من رأيت أربعة: ابن دقيق العيد، والدمياطي، وابن تيمية، والمزي، فابن دقيق العيد أفقههم في الحديث، والدمياطي أعرفهم

نقرأ عن الحافظ بن حجر العلامة الذي كانت له عناية فائقة بتدريس زوجاته وبناته الحديث النبوي، وبرز في عائلته غير واحدة ممن أتقنت هذا العلم واشتهرت بالرواية([2]).

كذلك نسمع عن العالم الذي شرح " تحفته " وزوَّجه ابنته، أورد العلماء في ترجمة أبي بكر الكاشاني قصة حسنة تنبئ عن نبوغ بعض النساء في العلم، فقالوا : " تفقه على الإمام أبي بكر السمرقندي وقرأ عليه معظم تصانيفه مثل " التحفة في الفقه" وغيرهما من كتب الأصول، وزوجه شيخه المذكور ابنته فاطمة الفقيهة العالمة([3])، قيل : إنَّ سبب تزويجه بابنته أنها كانت حسناء النساء وكانت قد حفظت " التحفة" تصنيف والدها، طلبها جماعة من ملوك بلاد الروم، فامتنع والدها ، فجاء العالم الفقيه الكاشاني ولزم والدها واشتغل عليه، وبرع في علمي الأصول، والفروع، وصنف " كتاب البدائع" وهو شرح " التحفة" وعرضه على شيخه، فازداد فرحاً به وزوَّجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك، فقال الفقهاء في عصره: " شرح تحفته وزوَّجه ابنته" ([4]).

واستمرت المنازل ودور العلماء تؤدي دوراً تعليمياً لتوافر فرص التعليم بين الأهل مما أهّل بدوره نخبة من النساء العالمات في مختلف ميادين العلم وفروعها، والأمثلة تحتاج إلى مجلدات بما حوته بطون كتب التاريخ والتراجم .

ثانياً: تعلم المرأة على يد امرأة مثلها

وتشير الروايات إلى الميادين التي كانت تمارس فيها المرأة نشاطها العلمي، فكان بيتها الميدان الأول في هذا الشأن، ، فالتعليم في عهد النبوة كان منطلقاً من بيوت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وهذا ظاهر من التوجيه الرباني الكريم لأمهات المؤمنين بأن يبلغن ما كن يتعلمنه في بيوتهن إذ يقول تعالي : [واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً] ([5])، وهنا إشارة واضحة قد أشار إليها ابن عساكر وهو يترجم لعائشة بنت علي السلمية([6])، زوجته قائلاً : (أسمعتها الحديث، فاطمة بنت علي العكبرية ([1])، في

بالأنساب، وابن تيمية أحفظهم للمتون، والمزي أعرفهم بالرجال. الذهبي، طبقات الحفاظ، ج1، ص 108. معجم المحدثين،ج1، ص 133. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 4، ص457 . الزركلي، الأعلام، ج8، 384.

[1] – المزي، تهذيب الكمال " مقدمة المحقق" ج1، ص 36.

[2]– عبد الحميد، عفاف، عناية النساء بالحديث النبوي ، ص 126.

[3]– ستأتي لها ترجمة.

[4] – ابن العديم، بغية الطلب، ج4، ص 290. أبي الوفاء القرشي، طبقات الحنفية، ج2، ص 277.

[5] الأحزاب : آية 34.

[6] عائشة بنت علي بن الخُضر بن عبد الله السلمية، وهي زوجة ابن عساكر وابنة خالته، تاريخ مدينة دمشق، ج69، ص260 ، وهو مثال حي لتعليم الزوج لزوجته .

دارها وسمعها أولادها في دارها)([2])، ويذكر أن فاطمة بنت علي بن الحسين بن سهل بن بشر بن أحمد الإسفرائيني المدعوة سِت العجم، والمعروفة بالعالمة الصغيرة (ت 521ه/ 1127م " سمعت أباها أبا الفرج" ([3])، كانت واعظة ومتعبدة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات وأنَّها أسمعت ابن عساكر"([4])، وإذا كان ابن عساكر في تلك النصوص قد أشار إلى مشيخته في هذا الحديث، فهو في ترجمته لفاطمة بنت الملك المحسن أحمد ([5])، أنه سمع منها الحديث في منزلها بجوار المدرسة العادلية بدمشق([6])، فهو هنا طالب حديث، وهذه الصفة من التواضع التي يتحلى بها المحدثون والفقهاء والمؤرخون وأهل العلم، في تلك المدة، إنّما هي تبرز تواضعهم العملي بعيداً عن الغرور، في حين كان بيت آسية بنت أحمد بن عبد الدائم ([7]) معموراً بالتلاوة والدّرس، وقد سمع منها جماعة([8])،وتناظرها في هذا الأمر العالمة الفاضلة خديجة بنت يوسف المتوفاة سنة (669هـ / 1271م ([9])التي كان منزلها في دمشق، ميداناً لقراءة الكتب، بل أشارت الأخبار أنها قد انفردت بروايات "مقامات الحريري"([10])، وكذلك "زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني" المتوفاة سنة (688هـ / 1290م) ([11])، من النساء اللاتي قضين عمرهن كله في طلب الحديث والرواية، وازدحم الطلاب على باب بيتها في سفح جبل قاسيون([12]) بدمشق، فسمعوا منها الحديث، وقَرؤوا عليها كثيرًا من الكتب، أما "زينب بنت يحيى بن العز بن عبد السلام" المتوفاة (735ه / 1337مـ) ([13])، فقد تفردت

---

[1]– ستأتي لها ترجمة برقم 233.

[2]– ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج69، ص 261.

[3]- المصدر نفسه، ج70، ص 379.

4- ابن عساكر ، تاريخ دمشق، ج70، ص 379. عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص 227.

[5]– فاطمة بنت المحسن أحمد بن السلطان صلاح الدين، سمعت عن ابن حنبل ، وتوفيت سنة 661هـ / 1263م . الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 362. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 32.

[6] – ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق، ج69، ص . كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 32.

[7] – آسية بنت أحمد بن عبد الدائم، ستأتي لها ترجمة لأشهر راويات الحديث برقم 1 .

[8] - كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 32. ،

[9]– خديجة بنت يوسف بن غنيمة العالمة الفاضلة أمة العزيز ، ستأتي لها ترجمة برقم 71.

[10]- الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص 398.

[11] – ستأتي لها ترجمة لاحقاً برقم 112.

[12]– جبل قاسيون يقع في شمال دمشق ويتصل من جهة الغرب بسلسلة جبال لبنان ومن الشمال والشرق بسلسلة جبال قلمون الممتدة إلي منطقة حمص انظر ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ص 115. ابن طولون، القلائد، ج1، ص 37- 44.

[13] – ستأتي لها ترجمة لاحقاً برقم 113.

برواية المعجم الصغير بالسماع المتصل، وقال عنها مؤرخ الإسلام "شمس الدين الذهبي" إنه كان فيها خير وعبادة وحب للرواية بحيث أنَّه قُرئ عليها يوم موتها عدة أجزاء([1])، وكانت "زينب بنت أحمد بن عمر الدمشقية" المتوفاة (722ه / 1322مـــ)([2]) من المحدِّثات البارعات ذات السند في الحديث، ورحل إليها كثير من الطلاب([3]).

ثالثاً: المسجد .

فالمسجد هو الميدان الآخر الذي كانت تمارس فيه المرأة نشاطها التعليمي، تعُلماً وتعليماً، و بهذا تشير إلى حرية المرأة في ممارسة المعرفة، للدلالة على هاتين الحالتين ، ننقل ما ذكره ابن عساكر في ترجمته لزمرد خاتون بنت جاولي([4])، بقوله : " إنّها سمعت الحديث من الفقيهين أبي الحسن بن قيس وأبي الفتح نصر بن أبي طالب بن أبي عقيل الصوري"([5])، والراجح أن هذا السماع كان في المسجد، لكون المسجد هو الساحة الأولى للمعرفة الإسلامية، بل هو المؤسسة الأقدم في هذا المعني، إذا لم تكن المرأة قد شبَّتْ في بيت علم، وقُدِرَ لها التعليم على أحد محارمها، فأين يمكن أن تتعلم؟ وللإجابة عن ذلك يمكن القول : إنهن كن يترددن لحضور حلقات الدرس التي كانت تعقد في المساجد في أماكن مخصصة لهن، ومعزولة عن الرجال حتى لا يكون هناك سبيل للاختلاط([6])، ومن ذلك ما صرح به أبو شامة حيث أشار إلى تعليم النساء أنهن كن يحضرن مجالس الوعظ في المسجد الأموي وجامع الجبل (قاسيون) بدمشق فقال :" وكان يزدحم في مجلس ابن الجوزي ما لا يحصى من الخلق رجالاً ونساءً والنساء بمعزل عن الاختلاط"([7]).

كذلك ما أشار إليه زوج حليمة بنت علي المزملاتي التي برعت في العلم في العصر المملوكي في مصر فذكر " أنها سمعت من وراء حجاب ، وأجاز لها جماعة " ([8])

أما نشاط المرأة في المساجد بصفتها فقيهة، أو شيخة للحديث، أو واعظة؛ فالأمثلة كثيرة، فقد روي أنَّ الشيخة الفاضلة زينب بنت حسين([9]) حضرت مشيخة ابن البُخاري المشهورة،

---

[1] - الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ج1، ص 257.

[2] – ستأتي لها ترجمة برقم 87.

[3] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 248. الفاسي، ذيل التقييد في رواية الأسانيد، ج2، ص 369.

[4] - مرت ترجمتها سابقاً .

[5] – ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج69، ص167. .

[6] – ابن الحاج، المدخل، ج3، ص 219.

[7] – أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص73.

[8] – السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص 399

[9] – ابن رافع ، الوفيات، ج2، ص 45– 46.

واستمع إليها المئات من الطلبة والمُحدثين في دمشق من الوافدين إليها([1]) والمستقرين فيها، وكذلك حال زينب بنت الكمال([2]) التي سكنت الجامع الأموي، وسمع إليها الكثير من أهل العلم ([3]). وأشير إلى أسماء بنت إبراهيم بن عرصة أنها تُلِّقنْ النسوة القرآن الكريم، وتعلمهن العلم([4])، كما أقامت فاطمة بنت سهل([5]) حلقة في المساجد، وكانت تعظ النساء في بعض المساجد ، وأيضاً ما قامت به العالمة الزاهدة القانعة زينب بنت أبي البركات المعروفة بالبغدادية،" بأنها كانت خيرة تعظ النساء وتفقههن " ([6]).

وممن اشتهر من النساء بالتدريس في هذا العهد العالمة فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي الفقيهة ([7])، المعاصرة للملك العادل نور الدين محمود، فقد تصدرت للتدريس في حلب وألّفت مؤلفات عديدة في الفقه والحديث، كما استشارها الملك نور الدين في بعض أموره، واستفتاها في بعض المسائل الفقهية([8]).

وإذا كانت الروايات قد تحدثت عن حرية المرأة في اكتسابها العلم في بيتها أو في ذهابها إلي المساجد، أو في سكناها في الجوامع والربط والزوايا والمدارس، التي أشرنا إلي أعدادها الكثيرة بطوائفها المختلفة، وغيرها من مراكز المعرفة، فإن بعض الروايات تشير إلى أن ربيعة خاتون بنت نجم الدين أخت السلطان صلاح الدين(ت 643هـ / 1245م) أنها حضرت افتتاح المدرسة الصاحبية في دمشق التي أنشأتها، وحضرت درساً للفقيه الناصح الحنبلي([9])، ولكنها جلست من وراء الستر([1])، ولعلّ هذه الرواية فيها إشارة واضحة إلي أن بعض النسوة يفضلن اكتساب المعرفة بمعزل عن الرجال ، لأسباب تتصل بتربيتها وبيئتها.

---

[1]– ابن رافع، الوفيات، ج2، ص 45– 46.

[2] - ستأتي لها ترجمة في المحدثات ، برقم83.

[3] – السبكي، الطبقات الشافعية الكبري، ج3، ص 336. الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 390.

[4] – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 120. كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 408. ستأتي لها ترجمة في المحدثات برقم 10.

[5] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج70، ص 25. كحالة، أعلام النساء،ج4، ص 65. ستأتي لها ترجمة في الفقيهات برقم 6.

[6] – ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 34. اليافعي، مرآة الجنان الزمان ، ج2، 239.

[7] – ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب،ج4، ص 290.ستأتي لها ترجمة لاحقاً في المحدثات برقم 248.

[8] – المصدر نفسه، ج4، ص 290. الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ج2، ص 6.

[9] – هو الشيخ ناصح الدين الحنبلي ولد سنة554 هـ / 1157م، من أهالي شيراز فقيه حنبلي من حفاظ القرآن الكريم ورواة الحديث توفي سنة 643 هـ / 1247م ، ودفن في مقبرة الصالحية بدمشق . ابن

رابعاً: الرحلة([2]) في طلب العلم.

ولم تقتصر رغبة المرأة التعليمية على حصولها على العلم والمعرفة من الدار أو المسجد أو المراكز التعليمية الأخرى بموطنها وبلدها ، بل كانت تقصد البلاد البعيدة، وهي ترتحل في طلب العلم واكتساب المعرفة على يد أكابر العلماء والمحدثين، وكانت رحلة المرأة تتم بصحبة

الأب أو الزوج، أو غيرهما من المحارم([3])، وقد حصلن على إجازات علمية من كبار مشايخ العصر في مختلف المدن([4])، وقد ذكرت لنا المصادر عن ذلك الكثير، فهذه فاطمة بنت سعد الأنصارية([5]) التي ترجم لها ابن عساكر واصفاً رحلتها في طلب العلم، وهي ترافق مرة والدها، وأخرى زوجها، فقال : " وقد ولدت في البحرين، ورحل أبوها إلى أصفهان، فسمعت بها من العالمة فاطمة بنت عبد الله الجوزادنية ([6])، ثم قدم بها إلى بغداد، فسمعت من جماعة من كبار العلماء، ، وقدمت دمشق مع زوجها علي بن نجا الحنبلي، وسمع منها بعض طلبة الحديث([7])، فيما أشير إلى بعض النسوة المحدثات ترددن كثيراً بين بغداد ودمشق وهي تتبع الدقة في الحديث، اشتهرت منها كريمة بنت عبد الوهاب بن علي الزبيرية مسندة الشام([8])،

الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص 120. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 157.ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص 298.

[1] ابن طولون، القلائد الجوهرية ، ج1، ص 243.

[2] يقصد بالرحلة : العالم الذي يرحل إليه الطلاب ويقصدونه من الآفاق العربية والإسلامية طلباً للعلم واكتساب الفوائد، انظر: معروف، علماء النظاميات، ص 243.

[3] حميد، عفاف عبد الغفور، جهود المرأة ، ص 258.

[4] الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ج2، ص 4.

[5] فاطمة بنت سعد الخير بن عبد الكريم الأنصارية، ستأتي لها ترجمة برقم (186) ابن نقطة : إكمال الإكمال، ج2، ص465. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج69، ص 261. الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، 347.

[6] هي الشيخة فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن القاسم بن عقيل، المعمرة الصالحة، مسندة الوقت، أم إبراهيم، وأم الغيث، وأم الخير، والجوزدانية الأصبهانية.، عالمة بالحديث آخر من روى في الدنيا عن ابن ريذه، وهي مكثرة عنه سمعت المعجمين " الكبير " و " الصغير " للطبراني، حدث عنها: أبو العلاء العطار، وأبو موسى المديني، وغيرهم خلق كثير، أطلق عليها الذهبي اسم مسندة أصبهان و جوزدان: قرية كبيرة على باب أصبهان، الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 167 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص 504. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 69.

[7] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 261.

[8] كريمة بنت عبد الوهاب بن علي، محدثة فاضلة روت وأجازت كثيراً، ستأتي لها ترجمة (224)، راجع ترجمتها في ابن المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج 3، ص623. الذهبي، سير أعلام، ج 23، ص92.

وفاطمة بنت أحمد الملك المحسن المحدثة، وست العرب بنت يحيى بن قايماز الخير الدمشقية الكندية الفقيهة المحدثة (ت 684هـــ / 1286م) ([1])، وزينب بنت علي بن فضل الصالحية المحدثة ([2]) وقد استمع الكثير من الفقهاء إلى تلك المحدِّثات والمسندات، وقد تتلمذ عدد من علماء المسلمين على أيديهن من أمثال الحافظ المزي ابن عساكر والبرزالي والذهبي وابن حجر العسقلاني والسخاوي وغيرهم ([3]).

ومما يدل على المكانة الرفيعة التي بلغتها المرأة في رواية وتدريس صحيح البخاري ، استدعاء الأمراء لها من أماكن متعددة لتحدثهم بالصحيح كما هو الشأن مع ست الوزراء بنت عمر([4])، التي استدعاها أمير مصر في عهد الدولة المملوكية للتحديث بالصحيح في بلد يغص بكبار أئمة الحديث ؛ وذلك لعلو سندها في روايته([5]).

تذكرة الحفاظ، ج4، ص1434. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 6، 349. الفاسي، ذيل التقييد، ج 2، ص 393. . ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5، ص212. كحالة ، أعلام النساء، ج4، ص 424.

[1] الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 385.

[2]- زينب بنت علي بن أحمد بن فضل، أم محمد بنت الواسطي امرأة عابدة صوامة قوامة خاشعة قانتة، وتوفيت سنة 695هـــ / 1297م. وقد قاربت التسعين أو كملتها " الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص 370. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 430. ابن فهد الهاشمي المكي، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، ج1، ص63.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع ، ج2، ص 119، رمضان، المجتمع، ص 277. السامرائي، العادات والتقاليد، ص 229.

[4] – وتدعي وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا بن أبي البركات التنوخي أم محمد وتدعى ست الوزراء بنت القاضي شمس الدين الحنفي الدمشقية. ستأتي لها ترجمة لاحقاً برقم 137.

[5] – الذهبي، معجم الذهبي، ج 1 ، ص292.

جهود المرأة في الناحية العلمية والثقافية .

فقد ساهمت المرأة بدور كبير في النهضة العلمية بدور فعال إلى جانب الرجل على حد سواء في ميدان العلوم الدينية وخاصة القرآن الكريم والحديث، والفقه، والوعظ، والعبادة، والعلوم العربية، كاللغة والنحو والشعر والكتابة وفن الخط، وكما يأتي :

أولاً- القرآن الكريم .

وعناية المرأة بالقرآن وحفظه كانت كبيرة في تلك الحقبة، لكونه المصدر الرئيسي في ثقافتها الدينية التي انطلقت من خلالها إلى دراسة علوم الحديث والفقه والوعظ واللغة العربية وآدابها، وإن البداية الأولي لتلك العناية كانت تستند على حفظ القرآن ومعرفته معرفة دقيقة كي تستطيع أداء دورها في الإشراف على من يقرأه بعدها، مع ذلك هناك بعض النساء اللائي وقفت على أخبارهن في هذا المجال وكان عددهن تسعة ، وهن كما يأتي :

1- آسية بنت الشهاب محمد بن خلف بن راجح.

زوجة الحافظ الضياء([1])، نعتها الذهبي بقوله : كانت دينةً خيرةً، حافظةً لكتاب الله ([2])، وقد سمع عليها بالإجازة عن جماعة. قلت: منهم أبو السعادات القزاز ([3]) روى عنها الشمس بن الكمال وغيره. وبالإجازة القاضي تقي الدين سليمان الحنبلي([4])، وتوفيت 633هـ / 1236م.

---

[1]- هو ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور ، أبو عبد الله السعدي ، المقدسي، الجماعيلي، ثم الدمشقي، الصالحي ، الحنبلي، ، الشيخ ، الإمام الحافظ، القدوة، المحقق، المجود ، الحجة، بقية السلف، ، صاحب التصانيف والرحلة الواسعة، ولد سنة تسع وستين وخمس مائة، بالدير المبارك، بقاسيون ، ومن تصانيفه المشهورة كتاب (فضائل الأعمال) مجلد كتاب (الأحكام) ولم يتم في ثلاث مجلدات (الأحاديث المختارة) وعمل نصفها في ستة مجلدات ، (الموافقات) في نحو من ستين جزءاً (ومناقب المحدثين، ثلاثة أجزاء ، (فضائل الشام) جزآن (صفة الجنة) ثلاثة أجزاء، (صفة النار) جزآن ، (سيرة المقادسة)(مجلد كبير، فضائل القرآن مجلد كبير ، ، و غيرها الكثير ، وأنشأ مدرسة بالقرب من الجامع المظفري، ، ولم يزل ملازماً للعلم والرواية والتأليف إلي أن مات ، وتصانيفه نافعة مهذبة، للمزيد انظر ترجمته : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج43، ص 130، 131، 132.

[2] – انظر ترجمتها في : الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج46، ص 143.

[3] – هو أبو السعادات القزاز نصر الله بن عبد الرحمن بن محمد الشيباني الحريمي مسند بغداد سمع جده أبا غالب القزاز وأبا القاسم الربعي وطائفة وتوفي في ربيع الآخر عن اثنتين وتسعين سنة ، توفي سنة 583هـ / 1187م. ، الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 276.

[4] – هو قاضي القضاة مسند الشام تقي الدين بن حمزة بن عمر بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي قاضي الحنابلة بدمشق، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وكان فاضلاً واسع الرواية له معجم في مجلدين، وتخرج به جماعة من الفقهاء مع الدين والتواضع ، توفي سنة خمس عشر وسبعمائة ،

2- أسيا بنت محمد بن عبد الواحد المقدسية ([1]).
حافظة لكتاب الله تعالى وراوية للحديث، ولدت سنة 577هـ / 1181م ،أخت الحافظ الضياء المقدسي، لها إجازة عبيد الله بن شاتيل([2]) ونصر الله القزاز ، قال : روت بالإجازة عن ابن شاتيل .

3- آمنة بنت الزاهد([3]) أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ([4]).

هي الصالحة، العابدة، أم أحمد، المقرئة، كانت البنات بالدير يقرأن عليها، وكانت حافظةً لكتاب الله. ولدت سنة 555هـ / 1160م، بجبل قاسيون روت بالإجازة عن أبي الفتح ابن البطي([5])، وابن المقرب ([6])، وسعد الله بن الدجاجي. روى عنها: أخوها الشيخ شمس الدين([7])، والفخر عليّ بن البخاري ([1])، والشمس محمد بن الكمال. الحافظ لضّياء، وعمر

الذهبي، المعين في طبقات المحدثين ، ج1، ص 230. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 511.

[1] انظر ترجمتها في : ابن حجر العسقلاني، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة، ج1، ص 58.

[2] – هو الشيخ الجليل، المسند المعمر ، عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن نجا بن شاتيل الدباس أبو الفتح بن أبي محمد. الثقة من أبناء المحدثين . سمع الحسين بن البسري وأبا غالب بن البقال وأبا سعد بن خشيش وأبا القاسم الربعي وأبا الحسن العلاف وطبقتهم وحدث نحواً من خمسين سنة وسمع منه أبو سعد بن السمعاني وذكره في تاريخه ، وسمع منه أبو بكر الباقداري وأحمد بن طارق وأبو الفرج بن الجوزي ووثقه ، توفي ابن شاتيل في رجب سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ودفن بباب حرب . (وآخر من روى عنه بالإجازة الزين أحمد بن عبد الدائم. الذهبي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي، ج15، ص 229- 230 . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج41، ص 106.

[3] – ذكرها الذهبي في كتابه توضيح المشتبه باسم آمنة بنت النّجم ، ج1، ص 267.

[4] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص 56، ص57. كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 16.

[5] - نسبة إلي بيع البط وهو محمد بن عبد الباقي بن أحمد سليمان البغدادي الحاجب المعروف بابن البطي يكني أبا الفتح . مسند العراق، كان عفيفاً ديناً محباً للرواية صحيح الأصول . توفي سنة 564هـ / 1168م، انظر : ابن الجوزي، المنتظم ج10، ص 229، ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج1، 160، 161، الذهبي، العبر ج4، ص 188، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 382، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج4، ص 213- 214.

[6] – هو أبو بكر أحمد بن المقرب بن الحسين بن الحسن البغدادي الكرخي، الشيخ الجليل، الثقة، المسند، كيس متودد ، صحيح السماع، وتلا السبع وتفقه، ونسخ الأجزاء، وله أصول حسن، توفي سنة 563هـ / 1186م. الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج39، ص 494.

[7] – هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي قاضي القضاة شمس الدين أبو الفرج ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي شيخ وقته وفريد عصره، كان عارفاً بالفقه كثير النقل صحيح المناظرة وله معرفة بالحديث والأصول العربية، مولده بدمشق سنة 597هـ / 1200م، وتوفي بها سنة 682هـ / 1283م. انظر الفاسي، ذيل التقييد ، ج2، ص 197.

ابن الحاجب ([2])، قال ابن الحاجب: قرأت القرآن على والدها. وقال لي الحافظ الضياء: ما أعلم رأيت امرأةً ولا رجلاً في الخير مثلها. وسافرت معها إلى مكة ، وما أظن كاتبيها كتبا عليها خطيئةً، ولا أعرف لها سيئةً، وكانت كثيرة الصدقة. وتوفيت في دمشق سنة 631هـ/ 1234م. آخر من روى عنها بالإجازة القاضي تقي الدين سليمان.

4- آمنة بنت حمزة بن أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. أخت القاضي تقي الدين سليمان الحنبلي، وزوجة الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي. قال الذهبي : كانت دينة خيرة موافقة، حفظت القرآن العزيز([3])

5- **خديجة بنت الحسن بن علي بن عبد العزيز، أم البقاء القرشية الدّمشقية.** كانت صالحة زاهدة تحفظ القرآن وتشتغل بالفقه، وهي بنت عم القاضي محيى الدين بن الزّكي([4]). سمعت من أحمد بن الموازيني، وهي عمة والد المعين القرشي المحدِّث. توفيت سنة 641هـ / 1243م. قال الشيخ شمس الدين: حدّثنا عنها بالإجازة أبو المعالي بن البالسي ([5]).

---

[1]- هو الفخر ابن البخاري علي بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الصالحي الحنبلي ، أبو الحسن بن أبي العباس مسند الدنيا شيخ جليل وقور مهيب معروف بالديانة والصيانة والورع. روي الحديث قرابة ستين سنة ورحل إليه الطلاب من البلاد، مولده سنة 595 هـ / 1198م، وتوفي سنة 690هـ / 1292م، الذهبي، العبر، ج5، ص 368- 369. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 324. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص 32. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج5، ص 414- 417.

[2] – وهو عمر بن محمد بن منصور الأميني الدمشقي عز الدين المعروف بابن الحاجب، ويكني أبا حفص، كان عالماً بالحديث والبلدان، عمل معجم البقاع والبلدان، وله معجم شيوخه في بضع وستين جزءاً مولده سنة 593هـ / 1232م، انظر الذهبي، العبر، ج5، ص 121. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، جج5. 137- 138. الزركلي، الأعلام، ج5، ص 62.

[3] – الذهبي، تاريخ، ج47، ص 158.

[4] – هو محي الدين أبو المعالي محمد ابن قاضي القضاة زكي الدين علي ابن قاضي القضاة منتخب الدين محمد بن يحيي القرشي المعروف بابن الزكي ، قاضي الشام ، ولد سنة 550هـ - 1155م، وكان فقيهاً إماماً طويل الباع في الإنشاء والبلاغة فصيحاً كامل السؤدد، توفي سنة 648هـ / 1250م. ا ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص 229- 237. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص 124. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 548.

[5] – الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج4، ص 359.

6- رابعة بنت أحمد بن محمد بن قُدامة ([1]).

أم الحافظ عزّ الدين محمد بن عبد الغني. قال الضياء: كانت خيِّرة، حافظة لكتاب الله، ومحدثة ولدت عام 544ه/ 1147م، روى عنها: الشيخ الضياء، والشيخ شمس الدين، والشيخ الفخر بن علي . روت بالإجازة من: ابن البطي، وأحمد بن المُقرّب ([2])

7- شرف الأشراف بنت علي بن موسي الطاووسية الحسنية ([3]).

حافظة لكتاب الله، وعمرها اثنتا عشرة سنة، تروي عن والدها المتوفي سنة 664هـ / 1266م . ([4])

8- عائشة بنت إبراهيم بن صديق زوج الحافظ المزي ([5]).

الشيخة العابدة الصالحة العالمة قارئة القرآن ، يقول ابن كثير :" كانت عديمة النظير في نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها وإقرائها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح، يعجز كثير من الرجال عن تجويده، وختمت نساء كثيرا، وقرأ عليها من النساء خلق وانتفعن بها وبصلاحها ودينها وزهدها في الدنيا " ([6]).

9- فاطمة بنت الشيخ الحافظ علم الدين البرزالي([7]).

حافظة القرآن وسمعت الحديث من جماعة وكتبت ربعة شريفة، وصحيح البخاري، وعدة أجزاء وأحكام مجد الدين بن تيمية ([8]).

ثانياً - جهود المرأة في علم الحديث .

وهو في اللغة ضد القديم ويطلق أيضاً على ما يتحدث به من قليل الكلام وكثيره ([1]) قال تعالي : " فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين " ([2]) .

---

[1] - الذهبي، تاريخ، ج44، ص 479. كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 426.

[2] - المصدر نفسه، ج44، ص 280.

[3] - كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 292.

[4] - المرجع نفسه، ج2، ص 292.

[5] - ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 221.

[6] - للمزيد انظر ترجمتها : ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 221. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 264.

[7] - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 97.

[8] - هو الشيخ الإمام العلامة فقيه العصر شيخ الحنابلة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي الحراني، ابن تيمية. ولد سنة 590هـ/ 1195م، تفقه، وبرع، واشتغل، وصنف التصانيف، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، وكان يدري القراءات، وصنف فيها أرجوزة .وتوفي سنة652هـ /1255م ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص 291، وما بعدها .

وفي الاصطلاح: هو أقوال النبي محمد صلي الله عليه وسلم وأفعاله وتقريرا ته وصفاته الخُلقية و الخَلقية ([3]).

وعنيت المرأة بعلم الحديث وما تميزت به من قدرة عالية من الحفظ، والدقة العلمية، وحرصها الشديد في سماعه وروايته، جعلها موضع اهتمام وتقدير من قبل علماء عصرها، والدليل على هذا أن الذهبي اتهم أربعة آلاف من المحدثين، ولكنه قال عن المحدثات: " وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها " ([4]) . حيث أفرد ابن عساكر في تاريخه جزأين كاملين لتراجم النساء ممن كان لهنّ رواية أو أدب من شيخاته في دمشق وبغداد ([5])، وعلى سبيل المثال لا الحصر، قال في ترجمته لملكة بنت داود : " أخبرتنا العالمة ملكة بنت داود ... وأجازت لي جميع حديثها ... وحضرت دفنها، وكان الجمع متوافراً(رحمها الله)"([6]).

وفي نص ابن عساكر إشارة واضحة إلى مكانة هذه المتصوفة والعالمة الفاضلة، فيما أخبرنا عن إجازتها له في الحديث، وحضور مراسيم دفنها بمعية أقرانه من أهل العلم أمر آخر يدل على مكانتها العلمية، وبروزها في ميدان الدرس .

وفي مكان آخر يلقب فاطمة بنت سهل – وهو يترجم لها – بالعالمة الصغيرة إلي جانب شهرتها ببنت الشام، وفي ترجمته لست العشيرة بنت عبد الله([7]) (سمعت جدها أبا عبد الله، ووجدت سماعها على جزء، فعزمت على قراءته عليها ولم يتفق ...) ([8]).

وفي هذا النص إشارة واضحة، وقيمة علمية يومئ إليها ابن عساكر، وهي حرص المحدِّثين على سماع الحديث من راويه، الذي نسبت إليه الرواية، وهذا أمر يعكس لنا جانب الدقة والتثبيت من رواية الحديث الشريف، في ظل نضج علم الجرح والتعديل، الذي كان وسيلة مهمة من وسائل تنقية الأحاديث الشريفة.

---

[1]– ابن عبد الرسول الأحمد نكري، ، دستور العلماء، ج2، ص 11.

[2]– سورة الطور : الآية 34.

[3]– أبو شهبة ، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث،، ج1، ص 24 إبراهيم ، ناجية، جهود المرأة ، ص 39.

[4] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص 331.

[5]– لقد خصص ابن عساكر من كتابه تاريخ دمشق، الأجزاء 69– 70 لتراجم النساء بلغن المائة وست وتسعين امرأة من النساء.

[6] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج70، ص 127.

[7]– ست العشيرة بنت عبد الله بن محمد بن عبد الواحد السلمية، انظر ترجمتها ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ج69، ص 190، 191

[8] – ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ج69، ص 190، 191. عاشور، بحوث في تاريخ الإسلام، ص 370.

وقد ذكر الذهبي أنه تتلمذ على يد ألفٍ وثلاثة وأربعين شيخاً وشيخة، كان منهم مائة وست شيخات، وقد ذكر سماعاتهن وإجازاتهن ودروسهن مما يقطع بأنه كان يتلقى عنهن العلم مباشرة، وقال عنهن : " ما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها"([1])، في الوقت الذي ذكر عدداً من الرجال المدلسين و المتهمين.

فقد أورد المحدثون الذين أخذوا عن النساء ألفاظاً متعددة منها "أخبرتني"، "حدثتني" و"سمعت عن فلانة"، فلابد أن يكون الحافظ أو المحدث أنه متأكدُ من شخصية من حدثه أو سمع منه أو أخبره، فلابد من معاينة الطالب لشيخه أو شيخته حتى يصح السماع ، وهذا يعني أن المرأة كانت تجلس أمام طلابها أو من وراء ستارة، في مجلس عام أو في الجامع أو الرباط أو الخانقاه أو في البيت وتسمع الحديث الشريف والعلوم الأخرى وعلى سبيل المثال، ذكر الذهبي أنه كان يقرأ للشيخة عزبة بنت محمد الكفربطانية نسبة إلي بلدة كفربطنا في درسها وأن السبكي ([2])، والواني([3])، والمحب([4])، كانوا من المستمعين لها([5]) . قد أورد الذهبي في كتابه "معجم شيوخ الذهبي" كثيرًا من شيخاته، وكان يقول عن بعضهن "توفيت شيختنا".

---

[1] – الذهبي، معجم شيوخ الذهبي،ج1، ص 143– ص 417.

[2] – هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر ابن عثمان بن مسوار بن سوار بن سليم تقي الدين السبكي ، (683 – 756 هـ = 1284 – 1355 م) الشيخ الإمام العالم العلامة العامل الورع الناسك الفريد البارع المحقق المدقق المفسر المقرئ المحدث الأصولي الفقيه المنطقي الخلافي النحوي اللغوي الأديب الحافظ، أوحد المجتهدين، سيف المناظرين، فريد المتكلمين، شيخ الإسلام حبر الأمة، قدوة الأئمة، حجة الفضلاء، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات .ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام. وولي قضاء الشام سنة 739 هـ/ 1340م، واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها، من كتبه " الدر النظيم " في التفسير، لم يكمله، و " مختصر طبقات الفقهاء " و " إحياء بالنفوس في صنعة إلقاء الدروس " و " الأغريض، في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض وغيرها .الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص 483. الزركلي، الأعلام، ج4، ص 302.

[3] - محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الواني أمين الدين ثم الدمشقي الحنفي المؤذن أبو عبد الله ولد سنة 684 وطلب الحديث فسمع من ابن عساكر وابن مؤمن وجماعة وكتب وتعب وحصل الأصول وكان أبوه رئيس المؤذنين وقد تقدم ذكره قال الذهبي كان من أنبه الطلبة وأجودهم نقلا مات في شهر ربيع الأول سنة 735هـ/ 1335م، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 16.

[4]– هو المحدث عبد الله بن احمد بن عبد الله السعدي الصالحي المقدسي الحنبلي ويعرف بابن المحب، ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج 4 ، ص426

[5] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 95.

وقد تفردت بعض المحدثات ببعض الروايات، مثل: "زينب بنت سليمان بن إبراهيم" المتوفاة (705ه / 1305مـــ)([1])، والتي أخذ العلم عنها "تقي الدين السبكي "، كما أجازت بعض العالمات المحدثات لعدد من كبار العلماء، فزينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية المتوفاة (725ه / 1325مـــ)([2]) أجازت "ابن حجر العسقلاني" وقد أورد "ابن حجر" في كتابه "المعجم المؤسس للمعجم المفهرس" كثيرًا من شيخاته اللاتي أخذ عنهُنَّ العلم، وعن اشتراكه في السماع عن الشيوخ مع بعضهن، ووصف بعضهن بأنها مصنفة .

أ– عناية المرأة في التحمل والأداء:

كانت العمدة في القرون الأولى للتحمل على الرواية والمشافهة، وتغير الأمر بعد التدوين بعد القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وأصبح الاعتماد على الكتب والأصول الصحيحة، وصارت الرواية في الحقيقة بقاء سلسلة الإسناد ([3]).

وبالنسبة للحديث وتلقيه على المشايخ كانت هناك طرق عديدة لروايته معروفة بين العلماء وهي في ثمان صور ([4]): السماع والقراءة، والإجازة ، والمناولة، والكتابة، والأعلام، والوصية، والوجادة .

فيبدو أن المرأة في تلك الفترة التاريخية، لم تأخذ جميع الصور أعلاه لكنها أخذت بعضها ، رغم قلة المعلومات الواردة في هذا المجال، إن ذلك يؤكد حرص المرأة وجهدها الدؤوب وسعيها المتواصل في سبيل تحصيل العلم ودراسته ونشره ، وحسبنا دليل على نشاط المرأة في هذا الميدان أن الذين ترجموا لابن عساكر المتوفى سنة 571ه / 1176م) أجمعوا على أنه أخذ العلم عن بضع وثمانين امرأة ([5])، وهذه الإشارة تدل على كثرة النساء المشتغلات بعلم الحديث في ذلك العهد، بحيث إن عالماً واحد من علماء العصر سمع ما يزيد على ثمانين امرأة . بالنسبة للسماع ([6]): دأبت المرأة ونساءً على السواء، ممن كانت لهم

---

[1] - ستأتي لها ترجمة لاحقاً برقم 86

[2]– ستأتي لها ترجمة لاحقاً في المحدثات رقم 92.

[3] – راجع : ابن كثير، الباعث الحثيث، تحقبق أحمد شاكر، ص ١٠٨. حميد، عفاف عبد الغفور، جهود المرأة ، ص 253.

[4]– اليحصبي، الإلماع إلي معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص 69، 71، 88، 95، 99، 101، 117. إبراهيم، ناجية عبد الله، الجهود العلمية، ص 41.

[5] – الحموي، معجم الأدباء، ج13، ص 76. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص 556.

[6] – السماع يمثل أعلي صور التحمل وأرفعها وأقواها، ويراد به سماع الحديث، ويكون إملاء أو تحديثاً من حفظ الشيخ أو بالقراءة من شيء مكتوب ، وفي ذلك يقول السامع : حدثنا ، وأخبرنا وأنبأنا . اليحصبي، الإلماع، ص 96. إبراهيم، ناجية عبد الله، الجهود العلمية، ص43.

معرفة دقيقة وبصيرة واسعة في ميدان تخصصهم، على السماع من أكابر شيوخ عصرها من بلاد الشام ومصر وغيرهم، رجالاً فهي قد تسمع وتحدث عن شيخ واحد، وقد يكون شيخان أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر من ذلك يصل العدد إلي عشرة شيوخ وأحياناً يصل عددهم إلي مائة كما جاء في ترجمة العالمة بالحديث زينب بنت الكمال ومن النساء القرشية([1])، التي كانت تدرس الحديث الشريف في بستانها في الميطور بقاسيون .

أما في القراءة([2])، فهناك من يقرأ على المرأة ولا يسمع منها، قد يأتي طالب العلم إلي المرأة مباشرة ليقرأ عليها كتاباً معيناً ، لدقتها العلمية وشهرتها الواسعة في صحة سماعاتها .

أما الإجازة([3])، فلها أهميتها العلمية في طرق تحمل الحديث وأصول الرواية عند المرأة وقد سارت في اتجاهين فإما أن يجيز لها الشيوخ بالحديث أو الرواية كانت تأخذ الألفاظ الآتية : وأجاز لها ، وجماعة سواهم، وغيرهم، وغيرهما([4]).

والإجازة هنا لم تقتصر علي شيوخ بلدها في بلاد الشام ومصر، إنما تشمل كذلك شيوخاً آخرين في الأمصار الإسلامية الأخرى، كما ورد في أخبار الشيخة المحدثة زينب بنت الكمال، التي أجاز لها علماء من بغداد ودمشق وحلب والعالمة فاطمة بنت سليمان الدمشقية

---

[1] – كريمة بنت المحدث العدل أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن الخضر بن عبد الله بن علي، الشيخة الصالحة المعمرة، مسندة الشام، أم الفضل القرشية، الاسدية، الزبيرية، الدمشقية، وتعرف ببنت الحبقبق ولدت سنة ست وأربعين وخمس مئة. وكانت امرأة صالحة جليلة، طويلة الروح على الطلبة، لا تمل من الرواية ماتت ببستانها بالميطور في سنة641هـ / 1243م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص 92- 39.

[2] – وقد تقدم القراءة على السماع أحياناً لأن الحفظ قد يخون صاحبه، ومنهم من جعلها دون السماع، وتكون القراءة على الشيخ وهو يسمع، مثل قرأت على شيخ وهو يسمع. وإن كان غيره يقرأ قال : أخبرنا قراءة عليه أو سمعت من الشيخ قراءة عليه .

[3] – الإجازة : اعتمدت بعد التدوين في الكتب بالأسانيد الموثوقة تسهيلاً وتيسيرًا على الشيخ وتلاميذه، فمن الصعب قراءة الكتب على كل طالب، ولذلك لم يستحسن العلماء الإجازة إلا إذا كان المجاز له من أهل العلم، وأن تكون في شيء معين وهي أن يستجيز الطالب أحد العلماء فيسمي الطالب بالمستجيز، والعالم بالمجيز وتسمي الحالة تلك بالإجازة، وكان يكتب فيها مقرؤات الطالب على الشيخ وإجازته بها. وتكون الإجازة إما مشافهة أو مكتوبة بخطه . وشرطوا فيها أن يكون المجيز عالماً ممن يجيزه معروفاً بذلك ثقة في دينه وروايته ومن أهل العلم . انظر : اليحصبي، الإلماع، ص 88- 115. النعال، المشيخة البغدادية، المقدمة، ص 23- 24. حميد، عفاف عبد الغفور ، جهود المرأة ، ص 254.

[4] – الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ج1، ص 188- 189.

كان لها إجازات من دمشق وبغداد وأصفهان و القاهرة ([1]) ومن العالمات اللواتي مارسن التدريس عن طريق السماع نذكر الأستاذة الشيخة كريمة بنت علي([2]).

أو هي تجيز الآخرين بالحديث عنها والرواية سواء في بلادها أو من يأتي إليها وافداً عليها، كما أجازت عائشة بنت مسلم الحرانية لابن بطوطة عندما قدم دمشق سنة 726هـ/ 1325م([3]).

وأما الكتابة ([4])، فعلى الرغم من أن المرأة كانت تكتب الكثير وتنسخ الكثير بيدها ومن اشتهرت بجودة الخط وجمال شكله، فإن من كتب عنها يؤكد أهمية الأخبار والأحاديث التي انتفعوا بها .

أما الوجادة وهي تعني وجود الكتب الصحيحة لأئمة الحديث وتناقلوها بالوجادة و التي تحمل صيغة وجدت في كتاب أبيها، وجدت بخط الشيخ الفلاني([5]).

ب- جهودها في التأليف .

إن إقدام المرأة على التصنيف لم يحظ بالاهتمام الكافي، فلم تكن لها مصنفات ذات بال كما هو للرجال، وإذا وجدت فقليلة، وقد ذكر كحالة بعضهن مثل :المحدثة فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي قد صنفت وألفت مؤلفات عديدة في الحديث والفقه، وبعضهن كتبن لأنفسهن مشيخة كما هو حال زينب بنت اسماعيل الخباز([6])، كما ذكرت الروايات التاريخية عن أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي بأنها كتبت بالحديث ولها تصانيف كثيرة، فيقول الذهبي بأنها: كانت سيدة فاضلة صالحة عفيفة، لقبت السيدة أمة اللطيف بالعالمة لما اشتهرت به من علم ذُكر أن

---

[1]- راجع ترجمتها في معجم الذهبي، ج 1، ص248 . ابن رافع، الوفيات، ج1، ص 316.راجع ترجمتها برقم 79.

[2] - راجع ترجمتها في الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج4، ص 28. ابن حجر، الدر الكامنة ، ج3، ص 222. اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ج2، ص 235. فواز، زينب، والدر المنثور، ص 366. الزركلي، الأعلام ، ج5، ص 131

[3]- فيقول ابن بطوطة " ممن أجازني من أهل دمشق إجازة والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت محمد ابن مسلم بن سلامة الحراني، والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي إجازة عامة في سنة ست وعشرين وسبعمئة بدمشق." ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص 50.

[4] - الكتابة : وهي أن يسأل الطالب الشيخ أن يكتب له شيئاً من حديثاً بحضرته أو من بلد آخر ، وتكون الكتابة إما مجردة من الغجازة أو مقرونة بـــ " أجزتك ما كتبت أو إليك " وطريقتها أن يقول في الرواية بها : " كتب إلي فلان " أو حدثنا فلان، انظر: اليحصبي، الالماع ص 83- 87 .

[5]- حميد، عفاف عبد الغفور، جهود المرأة ، ص 254.

[6] – كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 47. ستأتي لها ترجم برقم 80.

لها مؤلفات" ([1]). تأسف عبد القادر بدران بعدم ظفره بترجمة وافية ومفصلة لها، ونعتها بـــ "العالمة" و" الفاضلة " و "صاحبة التصانيف"، وذكر من جملتها " التسديد في شهادة التوحيد" و " بر الوالدين" ([2]). وكذلك المحدثة فيروز بنت المظفر(ت 740هــ / 1339م) لها كتاب في الحديث سمَّتْهُ كتاب الأربعين رواية الصالحات عن الصالحين([3]). كما صنفت فاطمة بنت الملك المحسن أحمد (ت 661هــ 1263م) في الحديث كتاب بعنوان (فضائل فاطمة بنت أحمد) وهي مخطوطة([4]) .

ومن أهم التراجم لأشهر المحدثات في بلاد الشام ومصر مرتبات حسب الحروف الهجائية:

(حرف الألف)

1- آسيا بنت أحمد بن عبد الدائم بن نعمة .

محدِّثة، مقرئة، كان بيتها معموراً بالتلاوة والدرس، وأجاز لها أبو الفخر أسعد بن سعد([5])، وزاهر الثقفي([6])، وابن سكينة البغدادي([7])، وعمر بن طبرزد([8])، وسمع منها جماعة وتوفيت سنة 687هــ / 1290م ([1]).

---

[1] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص 145. النعيمي، الدارس، ج2، ص 88.

[2] - بدران، منادمة الأطلال، ص 238.

[3] - كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 183.

[4] - انظر : كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 32.

[5] - هو أبو الفخر أسعد بن سعيد ابن روح بن محمود بن محمد بن روح الاصبهاني التاجر، ابن أبي الفتوح الشيخ الصالح الجليل المعمر مسند أصبهان مولده في سنة سبع عشرة وخمس مئة ، سمع من فاطمة الجوزدانية (معجم الطبراني الكبير) و (المعجم الصغير) فكان آخر أصحابها موتا . توفي سنة 607هــ / 1209م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ح21، ص 491. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 24.

[6] - هو أبو المجد زاهر بن أحمد بن حامد بن محمود بن أبي طاهر بن أبي غانم الثقفي الأصبهاني، كان شيخا صالحا أضر على كبر وكان صبورا بالطلبة مكرما لهم رحمه الله وتوفي سنة ، 607هــ / 1210م. بأصبهان . البغدادي، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، ج1، ص 273. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 25.

[7] - هو أبو الفرج إسماعيل بن أبي المظفر بن أبي الفرج محمد بن مكارم ابن سكينة البغدادي الأنماطي. شيخ معروف ببغداد من بيت الرواية، توفي باربل سنة 603هــ / 1206م، انظر المنذري، التكملة، م2، ص 107.

[8] - هو الشيخ أبو حفص موفق الدين عمر بن محمد بن معمر الدارقزي ابن طبرزد مسند العصر المؤدب ولد سنة ست عشرة وخمسمائة وسمع من ابن الحصين وأبي غالب بن البنا وطبقتهما فأكثر وحفظ أصوله إلى وقت الحاجة وروى الكثير ثم قدم دمشق في آخر أيامه فازدحموا عليه وقد أملى مجالس بجامع المنصور وعاش تسعين سنة وسبعة أشهر وكان ظريفا كثير المزاح توفي سنة 607هــ / 1209م ببغداد . ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج5، ص 26.

2- **آسية بنت حسان بن رافع بن سمير العامرية الدمشقية**([2]) و سمعت مع أخيها محمد من حنبل المكبر، وتوفيت سنة 676هـ / 1279م.

3- **آمنة بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي بنت الشيخ تقي الدين أم محمد** ([3]).

محدِّثة صالحة حدثت بكتاب السنن للنسائي رواية ابن السني بسماعها من والدها وحضرت على عبد الحق بن خلف جزء ابن عرفة. وحضرت على الكرماني أربعين عبد الخالق الشحامي وسمعت من ابن عبد الدائم أربعين الآجري، سمع منها الذهبي والبرزالي ماتت سنة 740هـ / 1339م ودفنت بتربة الشيخ موفق الدين بسفح قاسيون ([4]).

4- **آمنة بنت محمد بن قدامة المقدسي** ([5]).

محدِّثة ، ولدت بجبل قاسيون بدمشق سنة 555هـ / 1159م، وأخبر عنها قراءة عليها على ابن أحمد بن عبد الواحد المقدسي توفيت سنة 631هـ / 1234م. وذكرها في مشيخته.

5- **آمنة بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشية المعروف والدها بأبي البركات بن القران**([6]). تكنى أم محمد ، سمعت جدها لأمها القاضي أبا المفضل يحيى بن علي القرشي وأبا محمد عبد الكريم بن حمزة واستنسخ لها أبوها كتاب السنن لأبي داود وسمعت بعضه من عبد الكريم بن حمزة وحجت هي وأختها أسماء سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسمع منها ولدها وغيره وحجت بعد ذلك مرتين ووقفت رباطا لسكني الفقراء من النساء.

6- **آمنة بنت الشيخ الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسي أم محمد البعلبكية**([7]).

ولدت عام 637هـ/ 1240م، تقريباً ويقول الذهبي في معجمه :" لم أرَ لها سماعاً، بل أجاز لها العزّ النسابة ([8])، والتاج القرطبي، وابن الصلاح([1])، وجماعة" ([2])، توفيت سنة 725هـ / 1324م.

---

[1]- كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 5.

[2]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص 214.

[3] - ذكرها كحالة " بأمة الرحمن " ، ج1، ص 84. راجع ترجمتها في: ابن رافع، الوفيات، ج1، ص 342. الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج2 ، ص359. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص386. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص413.

[4]- السبكي، معجم شيوخ السبكي، ج1، ص 548

[5]- كحالة، أعلام النساء، ج 1، ص16

[6] - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 45.

[7] - الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ج1، ص 188- 189.

[8] العز النسابة هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي الشافعي قال الذهبي: صدر كبير محتشم سمع من عم والده الحافظ ومن أبي الفهم بن أبي العجايز وطائفة وتوفي سنة 643هـ / 1246م، ابن العماد الحنبلي، ج5، 226.

7- **آمنة بنت التقي محمد بن البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي ([3]).**

. محدّثة حضرت جدها، وسمعت ' الصحيح ' من ابن الزبيدي([4]) وحدثت يقول الذهبي : "وكانت من العوابد ولم أسمع منها([5])، وهي زوجة السيف بن المجد ([6]) ، سمع عليها سنة 671هـ / 1274م. من باب تطهير القلب من الفسق . وتوفيت سنة 692هـ / 1294م".

8- **أبطن بنت عبد الله العجمية أم إبراهيم عتيقة علي بن حسين ابن مناع التكريتي** التاجر أم ولده ([7]) سمعت شيئا من "صحيح مسلم" على أحمد بن عبد الدائم وحديث وكانت صوّامة قوامة جيدة.ماتت بدمشق سنة 729هـ/1330م وقد جاوزت التسعين، سمع منها البرزالي ([1]).

---

[1]هو شيخ تقي الدين ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الإمام العلامة، مفتي الشام ومحدّثها، الشهرزوري ثم الدمشقي، سمع الحديث ببلاد الشرق وتفقه هنالك بالموصل وحلب وغيرها، وكان أبوه مدرسا بالاسدية التي بحلب، وواقفها أسد الدين شيركوه بن شادي، وقدم هو الشام وهو في عداد الفضلاء الكبار وأقام بالقدس مدة ودرس بالصلاحية، ثم تحول منه إلى دمشق، ودرس بالرواحية ثم بدار الحديث الأشرفية، وهو أول من وليها من شيوخ الحديث، وهو الذي صنّف كتاب وقفها، ثم بالشامية الجوانية، وقد صنف كتبا كثيرة مفيدة في علوم الحديث والفقه وله تعاليق حسنة على الوسيط وغيره من الفوائد التي يرحل إليها. وكان دينا زاهدا ورعا ناسكا، على طريق السلف الصالح، كما هو طريقة متأخري أكثر المحدثين، مع الفضيلة التامة في فنون كثيرة، ولم يزل على طريقة جيدة حتى كانت وفاته بمنزله في دار الحديث الأشرفية سنة 643هـ / 1245م . ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 196. أبي الفداء، تاريخ أبي الفداء، ج 3، ص 174

[2] – الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ج1، ص 188- 189.

[3] – كحالة، أعلام النساء، ج 1، ص17.

[4] - ابن الزبيدي هو سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى بن مسلم بن موسى ابن عمران الربعي الزبيدي الاصل البغدادي البصري الحنبلي مدرس مدرسة عون الدين بن هبيرة ولد سنة 546هـ / 1151م ، وروى عن أبي الوقت وأبي زرعة وأبي زيد الحموي وغيرهم وقرأ القرآن بالروايات وتفقه في المذهب وأفتى وكانت له معرفة حسنة بالأدب وصنف تصانيف منها كتاب البلغة في الفقه وله منظومات في اللغة والقراءات وكان فقيها فاضلا دينا خيرا حسن الأخلاق متواضعا وحدث ببغداد ودمشق وحلب وغيرها من البلاد وسمع منه أمم وروى عنه خلق كثير من الحفاظ وغيرهم . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص 372. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 144.

[5] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 177.

[6] – السيف بن المجد الحافظ القدوة أبو العباس أحمد بن عيسى ابن الشيخ الموفق المقدسي الصالحي كان من أعيان الأذكياء ومن خيار الصلحاء توفي بدمشق، نشأ في بيت علم وصلاح وسنة فجده هو الإمام الموفق صاحب المغني. (605هـ-643هـ = 1208م/ 1246م) قال الذهبي: "كان ثقة حافظا ذكيا متيقظا مليح الخط عارفا بهذا الشأن عاملا بالأثر صاحب عبادة وكان تام المروءة أمّاراً بالمعروف قوّالا بالحق ولو طال عمره لساد أهل زمانه علما وعملا ومحاسنه جمّة". قال أيضاً :وصنّف وخرج وسوّد مسودات لم يتمكن من تبييضها . الذهبي، العبر، ج5، ص 244.

[7] – الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج2، ص 357.

9- أسماء بنت أحمد بن سالم بن قاسم المصري النحوي.

محدِّثة سمعت على الصفي إسماعيل بن إبراهيم الدرجي معظم سنن أبي داود وبعضه على أبي بكر محمد بن علي بن المظفر البستي. وسمعت من ابن عبد الدائم جزء ابن عرفة وابن الفرات. ومن ابن الدرجبي، وأجاز لها الرشيد العطار والنجيب والكمال الضرير بن عبد الله بن يحيى بن البانياسي وابن أبي اليسر وغيرهم. سمع منها البرزالي. وكانت تقيم بحصن عكا و روى لها. ماتت في سنة 736ه- 1335م وقيل في سنة 737هـ / 1336م. ومولدها سنة 658هـ / 1260م. ([2])

10- أسماء بنت الفخر إبراهيم بن عرصة ([3]).

ولدت سنة 646هـ / 1250م، وتزهدت فكانت تلقن النسوة القرآن وتعلمهن العلم والقرب وكانت تجهد نفسها فيما يقربها إلى الله قال البرزالي : مع الزهد الحقيقي باطناً وظاهراً توفيت سنة 708هـ / 1311م.

11- أسماء بنت أبي بكر بن أحمد بن عمر المقدسية وهي العالمة الصالحة المسندة توفيت سنة 707هـ / 1307م. سمعت من شيوخ عصرها وروت بالإجازة عن الشيخ علي بن الأخضر ([4])وغيره . وقرأ عليها الحافظ الذهبي كتاب منتقي من جزء ابن عرفة ([5]).

12- أسماء بنت زين الأمناء الحسن بن محمد بن عساكر ([1]) زوجة عماد الدين حسين بن علي بن القاسم بن الحافظ توفيت سنة 680هـ / 1283م. سمعت من أبيها، وأجاز لها المؤيد ([2]).

---

[1] - البرزالي هو الشيخ محمد بن القاسم بن محمد بن يوسف ابن الحافظ زكي الدين البرزالي الفقيه المقرئ بهاء الدين، حفظ وتفنن وسمع الكثير من خلق، كابن الفراء والخولي وحدث وكتب الطباق وكان صالحا، حسن الاخلاق. توفي سنة (713 ه 1313 م) الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 127.

[2] - الفاسي ، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد،ج2، ص 357. ابن حجر، الدرر الكامنة،ج1، ص360. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 4، ص 634.

[3] - ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج1، ص 120 كحالة، أعلام النساء، ج 1، ص43.

[4] - هو تقي الدين عبد العزيز بن محمود المعروف بابن الأخضر الجنابذي الحنبلي البغدادي. يكني أبا محمد كان مسند العراق في وقته. حافظاً متقناً ، ثقة ، حجة، ويعد من محاسن البغداديين وظرفانهم ، صنَّف مجموعات حسنة في كل فن ومنها (المقصد الأرشد في ذكر من روي عن أحمد) مولده سنة 524هـ/ 1129م ببغداد، وتوفي سنة 611هـ / 1214م. انظر : ابن نقطة، التقييد ، ج2، ص 327. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص 38. ابن تعري بردي، النجوم، ج6، ص 211. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج5، ص 46- 47.

[5] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص149.

13 – **أسماء بنت عبد الرحمن بن عبد الواحد الحراني .**

محدِّثة سمعت من إبراهيم بن خليل الحراقي،وسمع منها محمد الواني سنة 706هـ/1309م([3])

14- **أسماء بنت محمد الثعلبية .**

محدِّثة ذات سند في الحديث حدثت وروي عنها وتوفيت بدمشق سنة 733هـ / 1336م، عن خمس وتسعين عاماً ([4]).

15- **أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر.**

محدثة قرئ عليها حوالي سنة 580هـ / 1183م، جزء فيه حديث أبي عمرو عثمان بن أحمد. ([5])

16- **أسماء بنت محمد بن سالم بن أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن الحسن البعلبكي المعروف بابن صصرى ([6]).**

هي العالمة الصالحة المسندة تكني أم محمد بنت العماد وهي أخت القاضي نجم الدين ابن صصرى محدثة ذات دين وصلاح وعبادة وتقي وبر ومعروف([7]) ولدت سنة 638هـ/ 1241م، وسمعت على جدها لأمها مكي بن غيلان خمسة أجزاء الأول والثاني من بغية المستفيد لابن عساكر وغيرها. ومجلس في فضل رمضان ونسخة أبي مسهر وحديث إسحاق بن راهويه قال البرزالي : " لم تقع لنا من روايتها غيرها " حدّث عنها الشيخ برهان الدين وأبو بكر بن العز الفرضي ويروي عنها الشيخ إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي والشيخ

---

[1]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص 348.

[2]- الشيخ الإمام شهاب الدين أبو المعالي بن القاضي رفيع الدين أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد قاضي أبرقوه الهمداني المصري القرافي الشافعي الصوفي. المقرئ الصالح المحدث مسند العصر، عمر فتفرد، وتضرج خدّ الزمان به وتورّد، ألحق الأحفادَ بالأجداد، ورحل الناس إليه من أقاصي البلاد. وكان مباركاً خيراً ديناً، وصبره على الطلبة كثير وإن لم يكن ذلك هيناً، مولده بأبرقوه سنة 615هـ / 1217م وتوفي سنة 701هـ / 1300م. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص 348. الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج2، ص 357. الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص 36. ابن حجر، الدرر الكامنة،ج1، ص360. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 4، ص 634.

[3] – كحالة : أعلام النساء، ج 1، ص 57.

[4] – المرجع نفسه، ج 1، ص 63.

[5] – المرجع نفسه، ج 1، ص 63.

[6] – الذهبي، معجم الذهبي، ج1، ص 187. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 105.ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 120،

[7]- الذهبي، معجم الذهبي، ج 1 ، ص187.كحالة، أعلام النساء ، ج1 ، ص 63.

عبد الله بن خليل الحنبلي([1]) وهذان الشيخان لهما إجازة شرعية منها وغيرهما وحدّثت قديماً قبل أن تموت بخمسين سنة وحجّت مراراً وكانت من الصالحات تقرأ في المصحف ولها أوراد و توفيت سنة 733ه/ 1336م ([2]).

17 – **أسماء بنت محمد بن الكمال بن عبد الرحيم المقدسية** ([3]).

محدِّثة سمعت من أحمد بن عبد الدائم وقرأ عليها محمد الواني .

18– **أسماء بنت يعقوب الحلبية الأصل ثم المصرية المعروف والدها بابن الصابوني** تكنّى أم الفضل أحضرت في الثالثة على العز الفاروثي ، وحدّثت و توفيت في القاهرة سنة 762هـ / 1365م، وقد زادت على التسعين وأرَّخها ابن رافع ([4]).

19– **أسماء بنت أبي بكر بن يونس. الدمشقية، عمة شيخنا أبي علي بن الخلال** ([5])، روت عن: ابن اللتي، وجعفر الهمداني. سمع منها: المزي، وابن تيمية، والبرزاليّ، وجماعة وتوفيت سنة 691هـ / 1294م .

20 – **أفضليّة بنت عبد الحقّ بن مكيّ ابن الرّصّاص. أم الخير القرشية المصرية**، روت بالإجازة عن أبي الفتوح بن الحصري، وتوفيت بالقاهرة. سنة 692هـ/ 1294م([6]).

21– **أمامة بنت عبد السلام البعلبكية .**

محدثة سمعت من جدّتها ست الأهل بنت علوان ([7])، وحدَّثت وماتت سنة 744هـ / 1347م.([8])

21– **أَمَة الآخِر بنت النّاصح عبد الرحمن بن نجم بن الحنبليّ.** محدِّثة توفيت سنة 695هـ ./ 1297م، وهي آخر من مات من أخوتها، ولم ترو شيئاً، واسمها فرد ([1]).

---

[1]– عبد الله بن خليل بن عبد الرحمن جلال الدين البسطامي نزيل بيت المقدس ، صاحب الأتباع ، كان للناس فيه اعتقاد كثير ، مات بالقدس ، وزاويته هناك معروفة ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 272.

[2]- الذهبي، معجم الشيوخ، ج 1 ، ص188. ابن حج، الدرر الكامنة، ج1، ص 120 . كحالة، أعلام النساء ، ج1 ، ص 63.

[3] – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص120. كحالة، أعلام النساء ، ج1 ، ص64

[4] – المصدر نفسه، ج1، ص 120. كحالة، أعلام النساء ، ج1، ص 68.

[5] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 112-113.

[6] - المصدر نفسه، ج52، ص 151.

[7]– ست الأهل بنت علوان بن سعد بن علوان بن كامل البعلبكية الحنبلية، محدثة ذات صلاح ودين وكان أبوها من الصالحين وأسمعت من البهاء عبد الرحمن الكثير من ذلك الزهد لأحمد في أربعة مجلدات وتفردت عنه وكانت ديّنه خيرَّة ماتت في المحرم سنة 703هـ / 1302م، الذهبي، سير أعلام، ج7، ص 384حاشية رقم 1. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 226.

[8] – كحالة، أعلام النساء ، ج1، ص77.

22- أمة الحق بنت المحدث أبي علي الحسن بن محمد بن أبي الفرج البكري ([2]).

نعتها الذهبي بالشيخة، و المسندة، المعمرة، المنفردة. روت عن: جَدِّها، وجدِّ أبيها، وحنبل بن عبد الله، وعمر بن طبرزد، وعبد الجليل بن مندويه، وجماعة. وتفردت بأجزاء عالية. روى عنها: الدمياطي([3])، وسعد الدين الحارثي([4])، وأبو عبد الله بن الزراد([5])، وأبو الحجاج الكلبي، وأبو محمد البرزالي، وخلق. وحدَّثت بدمشق، ومصر، وشيزر، وكان مولدها بمصر سنة 598هـ / 1162م. وتوفيت بشيزر عند أقاربها. ولها إجازة من أسعد بن روح، وعفيفة الفارقانية. ([6]) وتوفيت بشيزر في أواخر من رمضان 685هـ/ 1289م، عن سبع وثمانين سنة([1]).

---

[1] – الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج52، ص 249.

[2] – يقال لها شامية ، انظر : الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج51، ص 219.

[3]– الدمياطي هو الإمام العلامة الحافظ الحجة الفقيه النسابة شيخ المحدثين، شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الشافعي.ولد سنة ثلاث عشر وستمائة. وتفقه وبرع وطلب الحديث فرحل وجمع فأوعى وعمل معجم شيوخه فيه ألف وثلاثمائة شيخ وكان إماماً حافظاً صادقاً متقناً جيد العربية غزير اللغة واسع الفقه رأساً في النسب كيساً متواضعاً. صنف كتاب الخيل والصلاة الوسطى. قال الذهبي: سمعت أبا الحجاج المزي وما رأيت أحداً أحفظ منه لهذا الشأن يقول: ما رأيت في الحديث أحفظ من الدمياطي. مات فجأة في ذي القعدة سنة خمس وسبعمائة. الذهبي، طبقات الحفاظ، ج1، ص 107.

[4] – عبد الرحمن بن مسعود بن أحمد سعد الدين الحارثي المصري الحنبلي. علامة شيخ الحنابلة، شمس الدين ابن قاضي القضاة، سمع من العز الحراني، وغازي، وبدمشق من الفخر علي وجماعة. وأخذ النحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس، والأصول عن ابن دقيق العيد. وحج غير مرة. وكان يدرس الحديث بمدارس كبار، وإذا جرى في حلبة المناظرة لا يعلق الريح له بغبار. مع الوقار الجميل، والسمت الذي لبس له فيه عديل. وصدق اللهجة، === وعفاف المهجة، ولد سنة 671هـ / 1274م، ووفاته سنة 732هـ / 1333م. الحارثي: نسبة إلى الحارثية، إحدى قرى بغداد، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 502. راجع كل من : الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص 453. ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 63.

[5] – شمس الدين أبو عبد الله الصالحي محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء بن الزراد الحرير، الشيخ المسند الرحلة الصدوق وسمع من الكتب الكبار، وتفرد، وروى الكثير، وخرج له شيخنا الذهبي مشيخة. وكان ديناً متواضعاً، يتجر، ويرتفق، ثم ضعف حاله، وافتقر، وساء ذهنه قبل موته، وكان له نظم، مولده 646هـ / 1248م، توفي سنة 726هـ / 1327م. الصفدي، أعيان العصر ، ج2، ص 240.

[6] عفيفة الفار قانية (516-606هـ/1122-1210م) هي العالمة، الفاضلة، الصالحة، المحدثة عفيفة بنت احمد بن عبد الله الفارقي، الأصفهاني. وهي آخر من روى الحديث النبوي الشريف عن صاحب أبى نعيم الأصفهاني صاحب كتاب الحلية، ولها إجازة من جماعة من العلماء، روت المعجمين الكبير والصغير للطبراني ينظر ترجمتها : ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص300 ابن العماد الحنبلي ، الشذرات،ج 5،

23- **أمة الله ابنة الناصح عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي.** امرأة جليلة، كاتبة، فاضلة، شيخة رباط يلدق. سمعت من أبيها. كتب عنها: ابن الخباز، والبرزالي، وسمعت بإربل620ه/ 1224م. في ((صحيح البخاري)) وتوفيت سنة 678هـ / 1280م ([2]).

24- **الشيخة أمة الرحمن بنت إبراهيم بن علي بن الواسطي** ([3])وهي العالمة الصالحة المسندة الفاضلة ست الفقهاء ولدت سنة 632هـ / 1236م. حضرت مجالس الحديث في صغرها ثم سمعت في رشدها ولها إجازات عالية الإسناد كانت صالحة خيرًة ومباركة وعمرت حتي روت الكثير عن ابن العليق وجعفر بن علي الهمداني وعبد العزيز ([4])، وسمع منها ابراهيم بن أبي بكر بن عمر الصالحي وأحمد بن خليل بن كيكلدي العلائي([5]) وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية الصالحية ولها منها إجازة وغيرهم ، توفيت سنة 726هـ / 1325م.([6])

25- **أمة الرحيم بنت الشيخ الفقيه بن أحمد اليونيني** ([7]).

محدِّثة، سمعت مسند النساء من مسند أحمد على والدها، وكانت تكتب وتقرأ وهي زوجة علاء الدين بن عمرون، وهي موصوفة بالعقل والدين قليلة المثل في النساء . ولدت عام 633هـ/ 1236م/ وتوفيت عام 725هـ / 1324م،

26- **أمة العزيز بنت علي محمد بن اليوميني البعلبكية.**

محدِّثة ولدت سنة 607هـ / 1210م/ وأسمعت من نصر الله بن حواري وابن أبي عمرو المسلم بن علان وتوفيت سنة 745هـ / 1348م ([8]).

27- **أمة العزيز بنت نجم الدين المحدث.**

ص19. الفارقانية : نسبة الى مدينة ميا فارقين من اشهر مدن دير بكر ، في كوردستان تركيا. راجع: الحموي، معجم البلدان،ج 4، ص349

[1] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص 321. كحالة، أعلام النساء ، ج1،ص 83.

[2] – المصدر نفسه، ج50، ص 321.

[3] – كحالة، أعلام النساء ، ج1،ص84.

[4] – اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص 276.

[5] – هو الإمام المفتي المحدث صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي، سمع من القاضي تقي الدين سليمان وطبقته فأكثر وحصل وخرج وصنف. مولده سنة أربع وتسعين وستمائة وتوفي سنة إحدى وستين وسبعمائة، وهو عالم بيت المقدس ، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص 201. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص178 رقم الترجمة "3416".

[6] – ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج1، ص 21.

[7] – المصدر نفسه، ج1، ص 21.

[8] – كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 86.

محدِّثة ذات سند في الحديث في بلاد الشام وتوفيت سنة 749هـ / 1349م. وقد جاوزت التسعين .([1])

28 – **أمينة بنت محمد بن عبد الحقّ بن خَلَف.** ولدت سنة 627هـ / 1230م.، وخدمت جدَّها وسمعت منه. وماتت سنة 695هـ / 1296م ([2]).

(حرف الباء)

29- **بدرة بنت الإمام فخر الدين محمد بن أبي القاسم بن تيمية ([3]).**

أم البدر، زوجة العلامة المفتي مجد الدين أبي البركات بن تيمية. وجده شيخنا أبي العباس.. وقد روت بالإجازة عن بعض أصحاب أبي علي الحداد. سمع منها: الدمياطي بإجازتها من أبي المكارم اللبان رحمها الله تعالى توفيت سنة 652هـ/ 1254 م.

30- **بهية بنت الفقيه طَرخان بن أبي الحسن علي بن عبد الله السُّلمي، الدمشقي، الصالحي.**

أم عبد الرحمن. امرأة صالحة، عابدة، لها أوراد وتهجّد. روت بالإجازة عن سعد الخير الأنصاري. وتوفيت في سنة 618هـ / 1224م([4]).

(حرف التاء)

31- **تاج العرب بنت المسلم بن محمد بن غيلان القيسية ([5]).**

محدِّثة سمع منها محمد الواني الجزء التاسع من حديث أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بإجازتها من زين الأمناء بن أحمد بن محمد .([6])

(حرف الجيم)

32- **جليلة بنت إبراهيم بن الخطيب ([7]).**

محدثة سمعت من ابن عبد الدائم في سنة 660هـ / 1263م، بقاسيون بدمشق جزء بن عرفة .

33- **جوزة بنت عبد الله عتيقة ابن عبد الله البلخي وأم أولاده ([8]).**

---

[1] – المرجع نفسه، ج1، ص88.

[2]– الذهبي، تاريخ الإسلام، 52، ص 249.

[3]– المصدر نفسه، ج48، ص 120.

[4] – المصدر نفسه، ج44، ص 397.

[5] – الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ج1، ص 198. تاريخ الإسلام، ج45، ص 282. كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 163.

[6] – هو زين الأمناء، أبو البركات، ابن عساكر، الدّمشقيّ، الشّافعيّ. ولد في سنة أربعٍ وأربعين وخمسمائة.. وكان شيخاً جليلاً، نبيلاً، صالحاً، خيّراً، متعبّداً، حسن الهدي، والسّمت، مليح التّواضع، كيّس المحاضرة، من سروات البلد. تفقّه على جمال الأئمّة أبي القاسم عليّ بن الحسن ابن الماسح. وقرأ برواية ابن عامر على أبي القاسم العمريّ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ج45، ص 281- 282.

[7] – كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 200.

[8] – الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ج1، ص 206.

شيخة معمرة صالحة، كان سيدها ذا مال فحصل لها من جهته جملة فحجت سبع مرات، وتصَدقَّت وأثرت، حدث عنها ابن الخباز، وقرأ عليها ابن نفيس، توفيت سنة 697هـ/ 1399م. وقد قاربت التسعين .

(حرف الحاء)

34– **حبيبة بنت إبراهيم بن عبد الله بن الزاهد أبي عمر بن قدامة أم عبد الله المقدسية** ([1]).
محدثة، ولدت سنة 654هـ/ 1256م، وسمعت من ابن عبد الدائم، أمها حبشية ولم تتزوج أبداً . يقول الذهبي : سمعت منها انتخاب الطبراني لابنه أبي ذر علي بن فارس ولها إجازة محمد بن عبد الهادي وتوفيت سنة 745هـ / 1345م ([2]) .

35– **حبيبة بنت أحمد بن نصر. الحرانية، نزيلة حلب** ([3]) . أجاز لها أبو العباس أحمد بن أبي منصور البرك، والحافظ أبو موسى المديني. وحَدَّثت. فيقول الذهبي : " لا أعلم أحدا روى لنا عنها"([4]) تُوُفّيت في بحلب .سنة 657هـ / 1259م.

36– **حبيبة بنت المفتي تقي الدين أحمد بن العز محمد ابن الحافظ عبد الغني المقدسية** ([5]).
امرأة صالحة عابدة مؤمنة ، سمعت من أبيها، ومن اليلداني([6])، وأجاز لها ابن البيطي، وجماعة . وتوفيت في سنة 703هـ / 1302م .

37– **حبيبة بنت الكمال أحمد ابن الكمال عبد الرحيم** ([7]) . أخت الضياء وزينب. أجاز لها السبط، وسمعت من خطيب مردا([8])، وإبراهيم بن خليل. وهي زوجة الشهاب أحمد بن الناصح. توفيت قبله بيسير، وحدثت توفيت سنة 699هـ / 1299م.

---

[1] – الذهبي، معجم شيوخ ، ج1، ص 218. كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 239.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص 218. ابن حجر الدرر الكامنة، ج1، ص 187.

[3]– الذهبي تاريخ الإسلام، ج48، ص340

[4] - المصدر نفسه، ج48، ص 340.

[5] – الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ج1، ص218، ص 219.

[6] – هو تقي الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم عبد المنعم بن عبدالرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله ابن أحمد بن محمد اليلداني الدمشقي الشافعي. اليلداني الشيخ الامام المحدث المسند الرحال ولد بيلدان في أول سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، وطلب الحديث وهو كبير كان صالحا، مشتغلا بالحديث إلى أن توفي سنة 655هـ / 1259م. انظر : أبو شامة، ذيل الروضتين، 195. الذهبي، العبر، ج5، 223 – 224. الكتبي، عيون التواريخ، ج 20، ص 115 ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 197. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7 ، ص59. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص 70. النعيمي، الدارس،ج1، ص 93 . ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5 ، ص 299.

[7] – الذهبي تاريخ الإسلام،ج52، ص 397.

[8] – نسبة إلى مَرْدا : قرية قرب نابلس الحموي : معجم البلدان، ج5، ص104.وهو الشيخ محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفتح الفقيه أبو عبد الله المقدسي ، النابلسي، خطيب مردا ، ولد بمردا سنة 566ه / 1170م، فكان دين، وخير ، ثقة كثير المروءة ، فكان صالحاً، صحيح السماع . توفي سنة 656هـ 1258م . انظر

38- حبيبة بنت عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل ابن منصور المقدسي، أم عبد الرحمن ابنة الزين ([1]).

محدِّثة ، حضرت على اليلداني وخطيب مردا، وسمعت من إبراهيم بن خليل، وابن عبد الدائم، وأجاز لها من بغداد إبراهيم بن أبي بكر الزعبي وعلي بن عبد اللطيف ابن الخيمي، وفضل الله ابن الجيلي، ومحمد بن نصر ابن الحصري، ومن الديار المصرية سبط السلفي وغيره، ومن الشام البكري وغيره، ومن مكة المرسي، وحدَّثت. سمع منها الذهبي والبرزالي، وذكرها في مسودة ((معجمه)) فقال:" امرأةٌ مباركةٌ وهي الوسطى من أخواتها، مولدها تقريباً سنة 650هـ / 1253م بسفح قاسيون" ([2]) . وتوفيت في سنة 733هـ / 1332م.

39- حبيبة بنت أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم أم محمد المقدسية ([3]).

روت عن خطيب مردا، وابن عبد الدائم، وأجاز لها سبط السلفي، وجماعة، وهي زوجة شمس الدين بن التاج . وتوفيت سنة 733هـ / 1332م.

40- **حبيبة بنت الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي .** وتكني بأم أحمد زوجة الإمام تقي الدين محمد بن محمود المراتبي وأم أولاده روت عن حنبل وابن طبرزد وأجاز لها ابن سكينة وعائشة بنت معمر وجماعة وكانت صالحة قوامة تالية لكتاب الله تلقن نساء الدير . روي عنها الدمياطي وابن الخباز وابن الزراد وابن العطار توفيت سنة 674هـ / 1278م([4]).

41- حَرمة بنت تمام بن إسماعيل بن تمام. أم محمد السلمية، الدمشقية ([5]).

امرأة صالحة عابدة، ذات أوراد وخير. ولدت في حدود الستمائة، وعمرت دهراً. وروت بالإجازة عن: عين الشمس الثقفية([6])، وابن الأخضر، وجماعة. سمع منها: البرزالي، وابن سيد الناس، والشيخ كمال الدين ابن الزملكاني، وجماعة. توفيت سنة 691هـ / 1293م.

ترجمته في الذهبي، العبر ، ج5، ص 235. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص 219. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 283.

[1] - السبكي، معجم شيوخ ، ج1، 553. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص 233. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 187.

[2]- السبكي، معجم شيوخ ، ج1، 553.

[3]- الذهبي، معجم الشيوخ ، ج1، ص 219. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص 233.

[4]- ابن مفلح، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ج1، ص 379.

[5] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 116.

[6] عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج، أم النور الثقفية الاصبهانية مسندة وقتها. سمعت حضورا في سنة أربع وعشرين وستمائة من إسماعيل بن الإخشيذ، وسمعت " جزء أبي الشيخ " من محمد بن علي بن أبي ذرالصالحاني، وتفردت في الدنيا عنهما. وكانت صالحة عفيفة من بيت الرواية والاسناد. حدث عنها الضياء محمد، والزكي البرزالي، والتقي ابن العز، وعدة. وبالإجازة: الشمس عبد الواسع الابهري، والفخر علي، والشمس ابن الزين، وطائفة، وعاشت تسعين عاما. توفيت في نصف ربيع الآخر سنة عشر وست مئة. راجع ترجمتها في ، الذهبي، سير أعلام، ج22، ص 23.

42- **حرمية بنت ناصر بن عبد الدائم** ([1]).
محدِّثة ، روت عن إبراهيم بن خليل .

43- **حليمة بنت عبد الله عماد الدين ابن الملك العادل ، محدِّثة** سمعت سنن الدارقطنى([2]).

44- **حليمة بنت علي بن محمد السلمي / محدِّثة** ([3]).

45- **حليمة بنت عمر .. بن قدامة.**
محدِّثة سمع عليها المجلس الثامن والعشرون من أمالي ابن السمرقندي بإجازتها من ابن طبرزد ([4])

46- **حُمير بنت إبراهيم بن سفيان بن مندة** ([5])
محدِّثة حدثت سنة 556هـ / 1160م، عن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر قراءة.

(حرف الخاء)

47- **خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل ابن العادل بن أبي بكر بن أيوب بن** شادي.
وصفها ابن كثير : أنها كانت رئيسة محترمة ولم تتزوج قط وليس في طبقتها من بني أيوب غيرها في هذا الحين توفيت 723هـ / 1323م، ودفنت بتربة أم الصالح رحمها الله([6]).

48- **خاتون بنت عبد الله فتاة أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم المقدسي** وأم أولاده ([7]).
امرأة دينه خيرة سمعت من خطيب مردا، وإبراهيم بن خليل . وتوفيت سنة 702هـ / 1302

49- **خاتون بنت محمد بن أحمد بن النبيه الدمشقية** ([8]).
وتعرف ببنت الفقيه، محدِّثة سمعت بداريا ([9]).

50- **خديجة بنت الزين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة ([10]).** أم أحمد. شيخة صالحة، عابدة، خيرة، سمعت من غير واحد. وروت بالإجازة عن: أبي المجد زاهر الثقفي، وأسعد العجلي، وأبي الفتح ابن المندائي، و عفيفة الفارقانية، وجماعة. ولدت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ولم يظهر لها شيء عن ابن طبرزد، ولا غيره من الكبار. روى عنها: ابن الخباز، وابن العطار، والمزي، والبرزالي، وآخرون، ذكر علم الدين أنها روت بالإجازة عن أبي جعفر

---

[1]- كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 255.
[2]- المرجع نفسه، ج1، ص291.
[3] - المرجع نفسه، ج1، ص 291.
[4]- المرجع نفسه، ج1، ص 291.
[5] – المرجع نفسه، ج1، ص 302.
[6] – ابن كثير، البداية والنهاية ، ج14، ص 108.
[7]- الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ج1، ص 224
[8]- كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 310.
[9] – قرية كبيرة من قري دمشق .الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 431.
[10]- الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج51، ص 215.

الصيدلاني، وذلك يمكن. وكانت تلقن القرآن، وقد روت الحديث قديما، وهي أم فاطمة بنت حسين التي روت لنا عن ابن الزبيدي، أجازت لنا خديجة مروياتها. وماتت سنة 685ه/ 129م. ــ قبل أخيها عبد الدائم.

51 – **خديجة بنت القاضي كمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيبانيّ، الشافعيّ** ([1]).

روت بالإجازة عن: ابن صباح([2])، وابن اللتي، وابن باسويه([3])، والإربلي([4])، وجماعة. وتوفيت بأذرعات([5]) عند أخيها القاضي محيي الدين في العام وفيات سنة 700هـ/ 1300م.

52 – **خديجة بنت حازم بن عبد الغني بن حازم.**

محدّثة سمع عليها محمد الواني ([6])جزء ابن عرفة سنة 705هـ / 1305م ([7]).

53 – **خديجة بنت حسّان بن ماجد الصّحراويّ** أبوها من أهل جبل الصّالحية ([8]).

روت بالإجازة عن هبة الله بن يحيى ابن البوقيّ([1])، وغيره. سمع منها الشيخ الضّياء، وعمر ابن الحاجب وتوفيت سنة 623هـ / 1227م.

---

[1] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 474.

[2]– علي بن محمد بن يحيى، أبو الحسن الدُّرَيني، ثقة الدولة بن الأنباري. يعرف بابن صبّاح. كان خصيصاً بالإمام المقتفي. بنى مدرسة للشافعية على شاطئ دجلة بباب الأزج، وإلى جانبها رباطاً للصوفية، وأوقف عليهما وقوفاً حسنة. وكان خيِّراً، كثير الصدقة. ولد سنة خمس وسبعين وأربع مائة، وتوفي سنة تسع وأربعين وخمس مائة. وكان خيِّراً، كثير الصدقة. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص 53.

[3]– تقي الدين ابن باسويه المقدسي علي بن المبارك بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن الواسطي البرجوني الفقيه المقرئ، تقي الدين ابن باسويه، وهو لقب لأحمد. قرأ بالعشر على أبي الحسن علي بن المظفر الخطيب وأبي بكر بن منصور الباقلاني. وسمع جماعة وقدم دمشق وسكنها، وأقرأ بها وحدث. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وست مائة. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص 483.

[4] – هو الشيخ محمد ابن الظهير اللغوي محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر مجد الدين أبو عبد الله الاربلي الحنفي المعروف بابن الظهير، ولد بإربل سنة ثنتين وستمائة، ثم أقام بدمشق ودرس بالقايمازية وأقام بها حتى توفي بها ، ودفن بمقابر الصوفية، وكان بارعا في النحو واللغة، وكانت له يد طولي في النظم وله ديوان مشهور، ولد سنة 602هـ / 1206م، ووفاته سنة 737هـ / 1336م. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 332.

[5] – أذرعات: جمع أذرعة جمع ذراع جمع قلة وهو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء، الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 130.

[6] – هو شرف الدين عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن محمد بن أحمد الواني الدمشقي محدث فاضل، وحدَّث بشيء يسير وكتب بخطه وقرأ بنفسه وتفقه ودرس ورحل بنفسه. ابن رافع، الوفيات، ج1، ص 61.

[7] – كحالة، أعلام النساء، ج1، ص321.

[8]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 45، ص 151.

54- خديجة بنت الرضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار الصالحي المقدسية ([2]).
هي العالمة الصالحة المسندة تكني بأم محمد ، ولدت عام 616هـ / 1219م، روت عن القزويني وبهاء الدين عبد الرحمن و شمس الدين أحمد البخاري وابن الزبيدي وغيرهم . وسمع منها ابن مسلم ([3])والمزي والبرزالي وابن المحب والواني وغيرهم ، توفيت سنة 701هـ / 1300م ، عن أربع وثمانين سنة([4])

55- خديجة بنت العبيري ([5]).
محدِّثة ذات دين وصلاح، أسمعت العلم والحديث والفقه وعمرت حتي جاوزت التسعين، قضتها في ملازمة قراءة الحديث وروايته، وتوفيت سنة 570هـ / 1173م.

56- خديجة بنت عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان أم فاطمة المقدسية ([6]).
روت عن خطيب مردا، روت من جزء ابن فيل، وتوفيت في حدود سنة 707هـ 1306 م.

57- خديجة بنت عبد الرحمن بن عمر بن عوض المقدسية والدة الشهاب أحمد بن السلار ([7]). أجاز لها النشتبري([1])، والرشيد بن مسلمة، والحافظ ابن خليل، سمع منها الذهبي الأول من مشيخة ابن مسلمة ، توفيت سنة 720هـ / 1319م. ولها ثمانون عاماً .

---

[1] – محمد بن هبة الله بن يحيى بن الحسن بن أحمد بن عبد الباقي أبو العلاء ابن أبي جعفر الفقيه الشافعي المعروف بابن البوقي من أهل واسط، كان والده إماماً في الفقه والزهد، وأبو العلاء هذا كانت له معرفة تامة بالفقه والخلاف والفرائض والحساب وله فيه مصنفات، قدم بغداذ وسكنها مدة وتكلم مع الفقهاء في مسائل الخلاف وناب في ديوان المجلس عن الوزير أبي جعفر ابن البلدي ي أيام المستنجد، وسمع الحديث بواسط من القاضي أبي علي الحسن بن إبراهيم الفارقي وأبي الكرم نصر الله بن محمد الأزدي وأبي الحسن علي بن هبة الله وغيرهم، وتوفي 590هـ / 1195م. الذهبي، مختصر الذهبي، ج2، ص 90. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص 146.

[2] - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص 2.

[3] – هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصالحي الحنبلي، الزاهد الشيخ الإمام العالم المحدث الفقيه النحوي بركة الإسلام قاضي القضاة ولد 660هـ / 1262م. وقيل 662هـ / 1264م. ومات أبوه – وكان من الصالحين – سنة 668هـ / 1270م.، فنشأ يتيما فقيرا لا مال له، ثم اشتغل وحصل وسمع الكثير وانتصب للافادة والاشتغال، فطار ذكره، فلما مات التقي سليمان سنة 715هـ / 1315م، ولي قضاء الحنابلة، فباشره أتم مباشرة، وخرجت له تخاريج كثيرة .وتوفي سنة 726هـ / 1327م. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص 100. ابن كثير البداية والنهاية، ج14، ص 146.

[4] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 47.

[5] – كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 336.

[6]– الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 228.

[7] – المرجع نفسه، ج1، ص 228.

58- **خديجة بنت القاضي أبي المجد عبد الرحمن بن علي بن قريش المخزومي ([2]).**
وتدعى ست النساء. روت بالإجازة عن: أبي الطاهر بن عوف. روى عنها: الدمياطي. توفيت سنة 645هـ / 1249م.

59 - **خديجة بنت أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم المقدسية ([3]). أم محمد**
محدِّثة ولدت سنة 647ه/ 1250م، 1250هم، وقرئ وسمع عليها من أمالي حمزة الكناني بسفح قاسيون، وروت وأجازت و توفيت سنة 702 ه / 1301م. ([4])

60 - **خديجة بنت المحدث أبي الميمون عبد الوهاب بن عتيق بن هبة الله بن وردان ([5])**
أم الخير المصرية. سمعها أبوها من: عبد اللطيف بن أبي سعد الصوفي، وعبد المجيب بن زهير، وجماعة. وسمعت حضوراً من البوصيري([6]). روى عنها: الدمياطي، وغيره. توفيت في ذي الحجة. وتوفيت سنة . 648هـ/ 1250م.

61- **خديجة بنت عبد الحميد بن غشم بن محمد المرداوي المقدسي([7]). سبط** الشيخ شمس الدين محمد بن الكمال عبد الرحيم المقدسي الحنبلي أم يوسف.
سمعت على شيخ الإسلام عبد الرحمن بن أبي عمر والفقيه علي بن أحمد ابن البخاري "جامع الترمذي" وحديث بمجلس منه وهو من مناقب عبد الله بن عباس إلى آخره في 730هـ / 1329م. وماتت في سنة 734ه/ 1333م.

62- **خديجة بنت عثمان بن محمد بن أبي بكر التوزري([8]).** بنت الشيخ فخر الدين ويقال لها ظبية أم الرمال ([1]) وتدعي ضوء الصباح([2]) وتكني بأم الخير([3]).

---

[1] - عبد الخالق بن الأنجب بن المعمر بن الحسن، الفقيه الملقب بالحافظ أبو محمد ضياء الدين العراقي والنشتبري - بنون بعدها شين معجمة وتاء ثالثة الحروف مفتوحة أو مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعدها راء - الماردينى نزيل دنيسر وماردين. سمع ببغداذ من ابن شاتيل وغيره، وبمصر ودمشق. وكان فقيهاً عالماً، ولد سنة سبع وثلاثين وخمس مائة وتوفي سنة تسع وأربعين وست مائة. انظر ترجمته في الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، ص 418.الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص 54.

[2] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47 ، ص 269.

[3]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص 442

[4] - كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 334.

[5]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص 265.

[6] - البوصيري محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله ابن حياني بن صنهاج بن ملال الصنهاجي شرف الدين أبو عبد الله،، كان من علماء الحديث، توفي سنة 697هـ / 1299م. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ض 343.

[7]- الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 364.

[8] - ذكره كحالة باسم الهوري ، ولكن ورد عند ابن حجر باسم التوزري، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 256. كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 337.

محدِّثة كانت كاتبة جيدة الخط والإنشاء تكتب بخطها الإجازات، وقال أبا الفداء : " توفيت أم الخير خديجة المدعوة ضوء الصباح، وكانت تكتب بخطها في الإجازات "([4]). سمعت بقراءة أبيها على أبي المفاخر يوسف بن محمد بن عبد الله المخزومي وأبي العز يوسف بن محاسن بن يوسف الزيات الواعظ وجعفر بن محمد بن عبد العزيز الإدريسي وتقي الدين عبد القوي بن عبد الله القضاعي ونجيب الدين محمد بن أحمد بن المؤيد الهمداني ابن العجمي "سنن ابن ماجه" بسماعهم لها على عبد العزيز بن أحمد بن باقا البغدادي بسماعه من أبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي بسنده. وقد وجدت سماعها ل"سنن ابن ماجه" على المذكور بخط الأقشهري في ترجمتها فيما جمعه ووجدت على نسخة من "سنن ابن ماجه" بسماعها على يوسف الجميزي لجميع "سنن ابن ماجه" ولبعضها على جماعة من أصحاب ابن باقا مذكورين في ترجمة محمد بن علي بن جابر الهاشمي وسمع بالقراءة عليها محمد الواني في كتاب الجمعة للنسائي، وتوفيت سنة 734هــ / 1334م بالقاهرة، أجازت للبرهان بن صديق الرسام.

63 – **خديجة بنت علي بن وهب القشيري** ([5]).

محدِّثة ولدت بقوص. ([6])

64 – **خديجة بنت عمر بن أحمد الجليلة بن أبي جرادة** ([7]). الجليلة تكني بأم عمر([8]). روت عن الركن إبراهيم الحنفي. ماتت بحماة في عشر التسعين سنة 708هــ / 1307م.

65 – **خديجة بنت الحافظ أبي طاهر السّلفيّ ([9]).**

سمعت من والدها وحدّثت. قال المنذريّ: وقدمت مصر بعد وفاة والدها، واحترمت احتراماً كثيراً، وبولغ في إكرامها، وعادت إلى الإسكندرية.

66– **خديجة بنت محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد المقدسية** ([10]).

---

[1] – انظر ترجمتها في الفاسي، ذيل التقييد، ج2 ، ص 364 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 256

[2] – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 263.

[3] – أبي الفداء، تاريخ المختصر، ج2، ص 37

[4] – أبي الفداء، تاريخ المختصر،ج2، ص 37. كحالة ، أعلام النساء، ج1، ص 337.

[5] – كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 337.

[6] – قوص : مدينة كبيرة واسعة وهي قصبة صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً وكانت محط التجار القادمين من عدن . البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 9.

[7] – الذهبي، ذيل تذكرة الحفاظ ذيوله : ج4، ص 184.

[8] -االذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص231. اليافعي، مرآة الجنان، ج 2 ، ص 235.

[9] – الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج45، ص 151.

[10] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص232.

أم أحمد زوجة أبي بكر بن طرخان، حدث عنها ابن الخباز بحديث من البخاري في معجمه قبل موتها بأربعين عاماً ، وكان مولدها سنة 624هـ / 1227م. روت عن ابن صباح، وابن الزبيدي .

67–**خديجة بنت التّقّي محمد بن محمود بن عبد المنعم المراتبيّ، الحنبليّ**([1]).

أم محمد، عجوز صالحة، عابدة، خيرة، كثيرة التلاوة، خير نساء الدير، روت عن: ابن الزبيدي، والإربلي، وهي بنت الزاهدة حبيبة بنت الشيخ أبي عمر. وتوفيت سنة 699هـ / 1299م. .

68– **خديجة بنت نصر الله بن محمد بن عياش بن حامد بن خليف الصالحية أم إسماعيل وكانت تعرف بالداية ([2]).**

حضرت على أحمد بن عبد الدائم في الرابعة قطعة جيدة من "صحيح مسلم" ماتت سنة 725هـ / 1324م.

69– **خديجة بنت الشيخ شمس الدّين محمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسيّ([3]).**

والدة الإمام موفق الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ، ومات قبلها تروي جزءاً عن الكاشغري حضوراً. وهي أخت الشيخة زينب. سمع منها: البرزالي، وغيره. وماتت سنة 695هـ / 1297م بالقاهرة.

70- **خديجة بنت الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسي.**

والدة الشيخ القاضي تقي الدين سليمان. روت عن: عمر بن طبرزد، وغيره. وكانت من عجائز الدير الصالحات العوابد([4]) روى عنها: ولدها، والدمياطي([5])، وعلم الدين الدواداري وعلاء الدين ابن العطار، وجمال الدين المزي. وسماعها حضور ولها أربع سنين. وقد أجاز لها المؤيد ابن الأخوة، وعفيفة الفارقانية وتوفيت سنة 648هـ / 1250م.

---

[1] – المصدر نفسه، ج1، ص 233. تاريخ الإسلام، ج52، ص 405.

[2]– راجع ترجمتها في معجم الذهبي، ج1، ص233. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 365.

[3] – الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج52، ص 253.

[4] – المصدر نفسه، ج50، ص 265.

[5] الدمياطي (613 – 705 هـ = 1217 – 1306 م) هو شرف الدين عبد المومن بن خلف الدمياطي، أبو محمد،: حافظ للحديث، من أكابر الشافعية.ولد بدمياط. وتنقل في البلاد، أحد الأئمة الأعلام والحفاظ الثقات.وتوفي فجأة في القاهرة.سنة 705هـ / 136م . قال الذهبي: كان مليح الهيأة، حسن الخلق، بساما، فصيحاً لغويا مقرئا، جيد العبارة، كبير النفس، صحيح الكتب، مفيدا جدا في المذاكرة. وقال المزي: ما رأيت أحفظ منه. من كتبه " معجم " ضمنه أسماء شيوخه وهم نحو ألف وثلاثمائة، في أربعة مجلدات، و " كشف المغطى، في تبيين الصلاة الوسطى – ط " و " المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح – خ " و " قبائل الخزرج " و " العقد المثمن . انظر ترجمته في : ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص 148. الزركلي، الأعلام ، ج4، ص 169.

71- **خديجة بنت يوسف بن غُنَيْمة بن حسين. العالمة، الفاضلة، أمة العزيز البغدادية ثم الدمشقية (1)**، وتعرف ببنت القيم. كان أبوها قيم حمام، فحرص عليها لما رأى نجابتها، وأسمعها الكثير، وعلمها الخط والقرآن والوعظ وغير ذلك. وكانت تعظ النساء، ثم تركت ذلك ولزمت بيتها. وهي زوجة الحاج محمود الذهبي. ولدت سنة ثمان وعشرين وستمائة، وسمعت من: مكرم، وابن الشيرازي، وابن اللتي، وابن المقير، وكريمة. وبمصر، من: علي بن مختار العمري، وأبي الحسن بن الجميزي. وحدثت بدمشق والعلا وتبوك، وجودت على الولي، وابن الشوا، والرضى التونسي، والنجار، لكن لم تقو يدها. وقرأت مقدمتين في العربية أو أكثر، وأعربت على النجاة. وقرأ لنا عليها البرزالي أبقاه الله، ' مقامات الحريري ' وكانت قد تفردت بها بدمشق.

72- **أم الخير، بنت قاضي القضاة محيي الدين يحيى بن محمد بن الزكي، القرشي، الدمشقي**، الشافعي ([2])، زوجة النظام عبد الله ابن البانياسي. روت لنا عن: أبي الحسن بن المقير، وعلي بن حجاج البتلهي، وأبي القاسم بن رواحة، وفتوح بن نوح الخوئي، وسمعت أيضاً من محيي الدين ابن العربي ([3]) صاحب التصانيف. سمعنا منها ببستان أولادها عند بركة الحميريين أنا، والبرزالي، والمقاتلي، وابن النابلسي، وجماعة. وتوفيت بالبستان ، ودفنت بالجبل.

(حرف الدال)

73- **درة بنت محمد بن أحمد.**

محدِّثة متصوفة حدث عنها أبو عبد الله بن عبد الواحد ([4]).

74- **دنيا بنت حسن بن بلبان السلوقي الدمشقية** ([5]) زوج الحافظ علم الدين البرزالي ([6]). سمعت على يوسف بن أحمد الغسولي([1])المنتقى من سبعة أجزاء من حديث المخلص.

---

[1] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 404. معجم الشيوخ الكبير، ج1، ص 234. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 447.

[2] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 477.

[3] – محيي الدين ابن العربي أبو بكر محمد بن علي الطائي الحاتمي المرسي الصوفي نزيل دمشق صاحب التصانيف، 651هـ / 1254م، وتوفي سنة 738هـ / 1339م. روى عن ابن بشكوال وطائفة، وتنقل إلى البلاد، وسكن الروم مدة . للمزيد انظر : اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص 177.

[4] – كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 408.

[5] – المرجع نفسه، ج1، ص414

[6] – راجع ترجمتها في ابن رافع، الوفيات، ج2، ص210. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 365. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص102. كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 414.

وحدَّثت سمع منها العراقي. ماتت في يوم الأحد سادس عشرين جمادى الأولى سنة 759ه/ 1360م. ومولدها سنة 678هـ / 1280م.

75- **دهن اللوز** . من أشهر شيخات وعالمات دمشق توفيت بها سنة 614هـ/ 1216م([2]).

(حرف الراء)

76- **رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة** ([3]).

محدثة ذات دين وصلاح وزهد وعبادة ولدت تقديراً سنة 544هـ / 1148م ، قرأ عليها وحدث عنها الإمام علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي توفيت سنة 620هـ / 1263م، ودفنت بسفح قاسيون بدمشق .

77- **رقية بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر.**

محدِّثة حضر عليها ثلاثيات عبد الغفار وسمع منها أجزاء أخري، بإجازتها من زينب الشعرية توفيت 699هـ/ 1299م ([4]).

78- **رقية بنت أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي** ([5]).

محدِّثة فاضلة ومسندة ولدت سنة 536هـ / 1136م، سمعت من مشايخ عصرها ، وحدَّثت بما سمعت وأخذ عنها الإمام علي بن عبد الواحد المقدسي وذكرها في مشيخته الكبرى وتوفيت سنة 621هـ / 1224م ودفنت بدمشق .

(حرف الزاي)

79- **زاهدة بنت إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي المصرية** ، أخت الشيخ الأبرقوهي ولدت سنة 620هـ / 1224م، أجاز لها ابن مكرم، وابن بهروز وإسماعيل بن بادكين، وسمعت من عمها أحمد بن محمد الهمذاني ([6]).

80- زاهدة بنت أبي بكر بن حمزة بن محفوظ الصحراوي، أم أبي بكر الصالحية ([7]).

---

[1] - يوسف بن أحمد الغسولي الصالحي الحجار المتوفى سنة 700هـ / 1300م، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص 383. حاشية الكتاب رقم 2.

[2]- أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 164. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص67. أباظة، نزار، معجم شهيرات النساء في سوريا، ص 30.

[3] - كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 430.

[4] - المرجع نفسه، ج1، ص453.

[5]- كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 453.

[6] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 245.

[7] - السبكي، معجم شيوخ السبكي، ج1، ص 562.

امرأةٌ مباركةٌ خيرة، سمعت من ابن الزين، وزينب بنت مكي، وحدثت. سمع منها الشيخ شمس الدين الذهبي مولدها في سنة 682هـ / 1284م، ، وتوفيت في سنة الطاعون سنة 749هـ / 1350م. ، ودفنت بتربة الشيخ موفق الدين.

81-**زينب بنت إبراهيم بن أحمد بن محمد بن خلف بن راجح المقدسية**، ولدت سنة 660هـ / 1262م، سمعت جدَّها الشيخ شمس الدين، وابن عبد الدائم ويقول الذهبي : روت لنا آحاديث من آخر الجزء الثاني من حديث ابن كوثر ([1]) .

82- **زينب بنت إبراهيم بن علي بن الواسطي** ، أم محمد والدة الخطيب زملكا الشيخ عز الدين بن العز عمر سمعت من خطيب مردا، وابن عبد الدائم، توفيت سنة 702هـ / 1302م. ([2])

83- زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسية الصالحية أم عبد الله.([3])

(646 / 740هـ= 1250- 1340م)

الشيخة الصالحة المعمرة المباركة مسندة الدنيا ([4]) ، كما نعتها الذهبي بقوله : " شيخة صالحة متواضعة خيِّرة متوددة كثيرة المروءة" ([5])، وأحضرت في سنة 48 6هـ / 1251م، على حبيبة بنت أبي عمر، و سمعت على أحمد بن عبد الدائم المقدسي من كتاب الأسماء والصفات في "صحيح مسلم" إلى آخر الصحيح. وروت عن شيوخها بالإجازة كثيرا من الكتب والأجزاء العالية، أجاز لها من بغداد أبو نصر بن العليق ومحمد بن المثنى ([6])، وأبو جعفر محمد بن السندي.

ومن ماردين عبد الخالق النشتبري.

ومن حلب يوسف بن خليل ([7]).

---

[1] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 246.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص 562.

[3] - راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الشيوخ، ج 248/1.ابن رافع، الوفيات، ج1، ص 316. الفاسي، ذيل التقييد، ج2 ،ص 367ابن حجر، الدرر الكامنة، ج117/2. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 126/6. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 47.

[4] – السبكي، معجم شيوخ السبكي، ج1، ص 567.

[5] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 248.

[6]– هومحمد بن المثنى بن عبيد العنزي المعروف بالزمن في جمع كثير قال الخطيب : كان ثبتا فى الحديث تفقه مأمونا جيد الضبط لما حدث به وكان مفننا فى علوم شتى منها الفقه على مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى. أبي الفراء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج1، ص 57.

[7]– هو يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله، أبو الحجاج، شمس الدين الدمشقي ثم الحلبي محدث، حنبلي. ولد وتفقه بدمشق. وقام برحلة إلى بغداد وأصبهان ومصر، وتفرد في وقته بأشياء كثيرة عن الأصبهانيين،

ومن حران عيسى بن سلامة ([1]).
ومن القاهرة الحافظ عبد العظيم المنذري .
ومن دمشق الرشيد بن مسلمة ([2]).
وسمعت من خطيب مردا واليلداني وسبط ابن الجوزي([3])، ومحمد بن عبد الهادي([4]) وأخيه عبد الحميد وإبراهيم بن خليل وابن عبد الدائم وغيرهم.
سمع عليها خلق كثيرون من الحفاظ والأعيان. وهي آخر من روى في الدنيا عن سبط السلفى روى لنا عنها من شيوخنا جماعة وتفرد شيخنا شرف الدين ابن الكويك بإجازتها.
قال الذهبي : تفردت بقدر وقر بعير([5]) من الأجزاء بالإجازة وكانت دينة خيرة روت الكثير وتزاحم عليها الطلبة وقرأ وعليها الكتب والكبار وكانت لطيفة الأخلاق طويلة الروح ربما سمعوا عليها أكثر النهار قال وكانت قانعة متعففة كريمة النفس طيبة الخلق وأصيبت عينها

فكان أوسع معاصريه رحلة وأكثرهم كتابة. وجمع لنفسه " معجما " عن أزيد من خمسمائة شيخ، و " ثمانيات " و " عوالي – خ " باسم " الفوائد العوالي الصحاح " بدار الكتب، و " فوائد " وكتب بخطه كثيرا. واستوطن حلب في آخر عمره، وتوفي بها. قال الذهبي: روى عنه خلق كثير، آخرهم بالإجازة " زينب بنت الكمال " للمزيد انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص 151. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج2، ص244 . ابن العماد الحنبلي، وشذرات الذهب، ج 5، ص 243 الزركلي، الأعلام، ج8، 229.

[1] – أبو العزائم عيسى بن سلامة بن سالم الخياط ، المعمر ولد سنة 551هـ / 1156م، وروى الكثير ؛ وقد حدث بدمشق قديماً. وتوفي وقد جاوز المائة، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص 130– 131.

[2] – الرشيد بن مسلمة هو أبو العباس أحمد بن مفرج بن علي بن الدمشقي ناظر الأيتام ولد سنة خمس وخمسين وخمسمائة الصلاح وكان إماما عالما فاضلا زاهداً ورعاً توفي سنة 650هـ/ 1254م ، للمزيد انظر ترجمته في ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، 249– 250.

[3] – الشيخ شمس الدين أبو المظفر بن قر علي الحنفي وهو سبط ابن الجوزي ابن ابنته رابعة، وهو صاحب مرآة الزمان، وكان فاضلا في علوم كثيرة، حسن الشكل طيب الصوت، وكان يتكلم في الوعظ جيدا وتحبه العامة على صيت جده، وقد رحل من بغداد فنزل دمشق وأكرمه ملوكها، وولي التدريس بها، وكان يجلس كل يوم سبت عند باب مشهد علي بن الحسين زين العابدين إلى السارية التي يجلس إليها الوعاظ. انظر ترجمته في ابن كثير، البداية والنهاية، 13، ص 69 –70.

[4] – محمد بن أحمد بن عبد الهادي ابن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة، الشيخ الإمام الفاضل المفنن الذكي النحرير شمس الدين الحنبلي. كان فقيهاً عالماً بالقراءات ، حفظ كتباً منها " أرجوزة " الخوبي في علم الحديث و " الشاطبية " و " الرائية " و " المقنع " و " مختصر ابن الحاجب " . وعلق على أحاديثه وعمل تراجم الحفاظ، وعمل " كتاب الأحكام " ولم يكمل. قيل لي بأنه مجلدات. وله غير ذلك. كان من أفراد الزمان، مولده سنة 705هـ / 1306م، ووفاته سنة 747هـ / 1348م. الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص 246.

[5] - وقر بعير : يعني الحِمل الثقيل ، دلالة على الكثرة حميش، عبد الحق، بحث مصطلحات الألقاب عند فقهاء المذاهب الأربعة ، ج1، ص 35.

برمد في صغرها ولم تتزوج قط " ([1]). ماتت سنة 740ه/ 1340م. بصالحية دمشق ولها أربع وتسعون سنة .

84- **زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن ركاب بن سعد بن الخباز** ([2]).

محدِّثة سمعت من الحسن بن الحسين بن المهير، وابن عبد الدائم، وأبي بكر ابن النشبي، ويوسف ومحمد ابني عمر ابن خطيب بيت الآبار، وعبد الوهاب ابن الناصح، و المجد محمد ابن إسماعيل بن عساكر من "جامع الترمذي" المجلدة الأولى من تجزئة أربعة نسخة الحافظ الضياء ، وعلي بن عبد الواحد بن الأوحد، ومظفر بن عبد الكريم ابن الحنبلي، وابن عمه يحيى ابن عبد الرحمن، وعمر بن محمد الكرماني، وإسماعيل بن أبي اليسر، ويوسف ابن مكتوم، وعبد العزيز بن عبد، وجماعة من أصحاب ابن طبرزد، والكندي، وحدثت. سمع منها الذهبي جزء ابن عرفة، وجزء ابن الفرات، وكذلك سمع منها البرزالي، وذكرها في مسودة ((معجمه))، فقال: من أولاد المحدثين، أسمعها أبوها الكثير حضوراً وسماعاً، وكانت مقيمة بقصر اللباد. مولدها على الصحيح سنة 659هـ / 1261م، وتوفيت سنة 749هـ / 1348م بظاهر دمشق، ودفنت بسفح قاسيون ([3]).

85- **زينب بنت إسماعيل بن المحبّ محمد بن عمر الحرّانيّ** ([4]) أم أحمد. سمعت من: خطيب مردا، ومحمد بن عبد الهادي، وإبراهيم بن خليل. وحدثت. توفيت سنة 699هـ / 1299م.

86- **زينب بنت العلم أحمد بن كامل بن عمر بن عثمان الصالحية** ([5]).

سمعت على عمر بن محمد بن طبرزد الغيلانيات، توفيت سنة 687هـ / 1289م بصالحية دمشق.

87- **زينب بنت احمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر بن علان المقدسي** . أم محمد وعلي نزيلة بيت المقدس ([1]).

---

[1]- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 224. ابن بطوطة، الرحلة، ص 110. الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 126. صالح ، مهدي صالح، النشاط الثقافي، ج3، ص 255. السامرائي، العادات والتقاليد، ص 227.

[2] – راجع ترجمتها في، الذهبي، معجم الشيوخ، ج 1، ص 249. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 367. ابن رافع، الوفيات، ج 2، ص 114. السبكي، معجم الشيوخ،ج1 ، ص574. . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص118.

[3] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 249.

[4]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 405

[5]- راجع ترجمتها في كحالة، أعلام النساء، ج 2، ص 52.

سمعت على أبي المنجا عبد الله بن عمر بن اللتي "مسند الدارمي" ومسند عبد بن حميد و"جزء أبي الجهم" وثلاثة عشر جزءا وآخر من روى عنها شيخنا البرهان الشامي بالإجازة. وتفردت في وقتها وحدثت بدمشق ومصر والمدينة والقدس، وكانت تقيم مع ولدها وكان مهندساً وهي والدة الشيخ محمد بن أحمد القصاص ومولدها سنة 645هـ / 1247م، وتوفيت سنة 722هـ / 1323م. بالقدس ودفنت بآماد من الغد في مستهل المحرم من السنة التي بعدها ومولدها بعد العشرين وستمائة بيسير بقاسيون مقاربة للمائة.

88- **زينب بنت جابر بن حبيب الخبّاز** ([2]). أم محمد الصالحية. عجوز صالحة، تخدم الناس، وتلوذ بالمرداويين. روت عن: ابن اللتي. روى عنها ابن الخبّاز فضبط وفاتها سنة 697هـ / 1299م.

89- **زينب بنت أبي الجورنديّ بن عبد الغنيّ بن عليّ**، أم الكرام الأنصارية، المصرية. ([3])سمعت من: أبيها، ومن: البوصيري، والأرتاحي. وتُوُفّيت سنة 657هـ / 1260م أخذ عنها المصريون، ولم يحدثنا أحد عنها. ولعل في مصر من يروي عنها.

90- **زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن أحمد الأسعردي**([4]). أم محمد وأحمد وأم الفضل الدمشقية نزيلة القاهرة ([5]). سمعت على الحسين الزبيدي "صحيح البخاري" و"مسند الشافعي". وحدَّثت سمع منها الحافظ الذهبي وحدث عنها السبكي. وسمعت من الشمس أحمد بن عبد الواحد البخاري وعلى ابن حجاج السلمي وابن صباح وكريمة. وتفردت بأشياء. كانت عالمة بالحديث النبوي الشريف توفيت سنة 705هـ / 1304م، بمصر وكانت في عشر التسعين.

---

[1] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص248. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 368. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 16. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص 118 . ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص56

[2] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 323.

[3] – المصدر نفسه، ج48، ص 343

[4] – والدها : أبو الربيع سليمان بن إبراهيم الأسعردي، الحنبلي ولد سنة (567هـ /1171م) بأسعرد ولاية في كوردستان تركيا رحل في طلب العلم سمع الكثير، وسمع منه الكثير، وكتب بخطه الكثير .وكان خيراً، ديّناً، ثقة، حسن السيرة، كثير الإفادة، أجاز للحافظ المنذري صاحب كتاب الترغيب والترهيب في الحديث. توفي سنة (639هـ /1242م) . ابن العماد، شذرات الذهب، ج 5، ص204.

[5]– الذهبي، معجم الشيوخ، ج 1، ص249. تذكرة الحفاظ، ج 4، ص1479 . الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص369الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 16.ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص119. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص12

91- زينب بنت عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن هلال الدمشقي الأزدية أم محمد ([1]). سمعت من يحيى بن الحنبلي جزء ابن زيد الصغير والرحلة للخطيب وحدَّثت سمع منها البرزالي. ماتت سنة 736هـ / 1335م. ومولدها تقريبا سنة 650هـ / 1257م.

92- زينب بنت عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسية الصالحية بنت قاضي القضاة شمس الدين أبي الفرج ابن الشيخ أبي عمر أم عبد الله([2])

سمعت على أحمد بن عبد الدائم قطعة من "صحيح مسلم". وسمعت على والدها والفخر ابن البخاري. وأجاز لها ابن المهير وإسماعيل بن أبي اليسر. تفرد بإجازتها شرف الدين ابن الكويك. توفيت في سنة 739هـ / 1338م بعد أن تغيِّر عقلها.

93- زينب بنت الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف الطبيب اللغوي. روت عن أبيها. حدثت بالقاهرة وأخذ عنها: البرزالي، والفخر بن الظاهري، وابن سيد الناس، وجماعة سواهم. توفيت بالقاهرة سنة 686هـ / 1288م ([3]).

94- زينب بنت عبد الله بن عزاز روت عن: جعفر الهمداني بمصر. توفيت سنة **686هـ / 1288م** ([4]).

95 - زينب بنت عبد الله الرضي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسية ([5]).

محدثة، سمعت على ابن المبارك الزبيدي "صحيح البخاري" مع أخيها علي.

96- زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلية ([6]).

محدِّثة سمعت من الحجار وغيره، وحدثت وأجازت لابن حجر وقرئ عليها من الحديث وتوفيت سنة 735هـ/1335م

97- زينب بنت عبد الله بن عبد الرحمن المقدسية ([7]).

محدِّثة سمع عليها الجزء الثالث من فوائد أبي علي الصواف وأربعة أجزاء من الأحاديث الألف السباعيات من مسموعات أبي القاسم زاهر بن طاهر ابن محمد بن محمد الشحامي،

---

[1] - راجع ترجمتها في الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 370. في الدرر الكامنة، ج 2، ص120

[2] - راجع ترجمتها في معجم الذهبي، ج 1، ص252. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، 43. ابن رافع،الوفيات،ج1، ص273 ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص120

[3] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص 262.

[4] - المصدر نفسه، ج51، ص 262.

[5] - الفاسي، ذيل التقيد، ج2، ص 370.

[6] - كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 74

[7] - المرجع نفسه، ج2، ص75.

وسمع عليها حديث بن عبد الوهاب، بسماعها من ضياء الدين المقدسي سنة 643هـ/ 1247م.

98- زينب بنت عبد الباقي بن علي ([1]).

محدّثة ، سمع عليها محمد الواني كتاب أخلاق النبي صلي الله عليه وسلم، وأجازها السبط، وسمعت من أبي العز بن صديق وبن موسي، وتوفيت ببستان بكفر بطنا سنة 716هـ / 1316م([2]).

99- زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجائي([3]).

عالمة فاضلة ومحدّثة ولدت بقاسيون سنة 524هـ / 1128م.

100- زينب بنت شيخ الإسلام شمس الدين بن أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، أم محمد مولدها سنة 660هـ / 1262م نعتها الذهبي بأنها كيّسة متواضعة خفيفة الروح لم تتزوج قط، وأمها هي شيختنا حبيبة بنت التقي، سمعت من أمها، وابن عبد الدائم ، وجفّ دماغها وجنت زماناً وتوفيت سنة 739هـ / 1339م ([4]).

101- زينب بنت عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم المقدسية.

محدّثة سمعت من خطيب مردا، وابن عبد الدائم وكانت صالحة لم تتزوج، توفيت سنة 702هـ / 1302م([5]) .

102- زينب بنت عبد اللطيف بن يوسف ([6]).

محدّثة روت عن أبيها وحدثت بالقاهرة وأخذ عنها البرزالي والفخر بن الظاهري، ابن سيد الناس وجماعة سواهم توفيت بالقاهرة سنة 686هـ / 1290م.

103- **زينب بنت أبي أحمد عبد الواحد بن أحمد** أم محمد، أخت الحافظ الضياء. ولدت سنة 562هـ / 1169م. وعاشت إحدى وثمانين سنة. وروت بالإجازة عن: صالح بن الرحلة، وأبي العلاء الهمذاني، والسلفي. كتب عنها: أخوها، والسيف بن المجد وروى عنها: شمس الدين محمد بن الكمال، وعائشة بنت المجد، والقاضي تقي الدين سليمان. وبالإجازة: أبو المعالي ابن البالسي، وغيره. قال أخوها الضياء: وكانت وفيَّة خيِّرة، ذات مروءة وسعة خلق ، توفيت سنة 643هـ / 1246م.

---

[1] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص252.

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص 252.

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص 252.

[4] – المصدر نفسه، ج1، ص 252.

[5] – المصدر نفسه، ج1، ص 253.

[6] – الذهبي تاريخ الإسلام، ج52، ص 254. كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 76.

104- زينب بنت عمر بن كِنْدي بن سعيد بن علي. أم محمد بنت الحاج زكي الدين الدمشقي([1])، وهي العالمة الصالحة والمسندة الفاضلة المعمرة ، وروت صحيح مسلم ومعاجم ومشيخات وتفردت بإسنادها حتى أصبحت واحدة زمانها وفريدة دهرها. زوجة ناصر الدين ابن قرقر، معتمد قلعة بعلبك. أجاز لها المؤيد الطوسي، وأبو روح الهروي، وزينب الشعرية([2])، والقاسم بن الصفار، وأبو البقاء العكبري، وعبد العظيم بن عبد اللطيف الشرابي، وأحمد بن ظفر بن هبيرة. حدثت بدمشق وبعلبك. سمع منها: أبو الحسين اليونيني وأولاده وأقاربه، وابن أبي الفتح وابناه، والمزي وابنه الكبير، والبرزالي، وابن النابلسي، وأبو بكر الرحبي، وابن المهندس، وأحمد ابن الدربي، وأبي، وخالي، وخلق من أهل بعلبك. قرأ عليها ابن سامة ' صحيح مسلم '، وهي من شيوخ الذهبي ويقول الذهبي : وقرأت علينا من أول ' الصحيح ' إلى أول النكاح، وسمعت ما بقي على ابن عساكر، وسمعت منها عدة أجزاء " ([3]) وروي عنها أحمد بن عبد الكريم البعلبكي ومحي الدين البعلبكي ([4]).

فكانت امرأة صالحة، خَيِّرة، لها بِرٌّ وصدقة. وتوفيت بقلعة بعلبك عن نحو تسعين سنة رحمها الله عام 699ه/ 1299م ([5]).

105- زينب بنت عمر بن عباس بن عجرمة النجاب التلي ([6]).

---

[1] - المصدر نفسه، ج52، ص 406- 407. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص 42.

[2]- الشيخة زينب الشعرية هي العالمة الصالحة المسندة الفاضلة ام المؤيد زينب بنت ابي القاسم عبد الرحمن ابن الحسن بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبدوس الجرجانية الأصل النيسابورية الشعرية. المتوفاة في سنة 615 هـ/ 1218م، في مدينة نيسابور سمعت من مشايخ عصرها كإسماعيل بن أبي القاسم بن أبي بكر القارئ وفاطمة بنت زعبل وعبد المنعم بن القشيري وزاهر بن طاهر وأخيه وجيه وابي المعالي محمد بن إسماعيل الفارسي وعبد الجبار بن محمد الخواري وعبد الوهاب بن شاه وفاطمة بنت خلف الشحامي وعبد الله ابن الفراوي وعبد الرزاق الطبسي وعبد الغافر بن إسماعيل وأبي القاسم الزمخشري النحوي وغيرهم رحمهم الله تعالى. ويروي == عنها جملة من الأكابر من أهل العلم والعرفان كابن هلالة وابن نقطة والبرزالي والضياء وابن الصلاح والمرسي ومحمد بن سعد الهاشمي وابن النجار وغيرهم .الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص38.

[3]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 406- 407. سير أعلام النبلاء، ج15 ، ص38ا. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص 42.

[4]- كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 101.

[5]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15ص38.

[6] الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص254. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 370 ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص121.

سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم" وحضرت في الرابعة على خطيب مردا سنة ثلاث وخمسين وستمائة وسمعت من أربعين الآجري وغير ذلك. ماتت في مستهل سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

106- زينب بنت الصاحب أبي القاسم عمر بن أحمد بن العديم العقيلي.

روت عن: الركن الحنفي. وتوفيت في عام 677هـ / 1279م ([1]).

107- زينت بنت علي بن أحمد بن فضل ([2]).

يقول الذهبي عنها : الشيخة الزاهدة، العابدة أم محمد بنت الواسطي. ولدت، في سنة خمس وستمائة، وسمعت سنة إحدى عشرة من الشيخ الموفق جزءاً سمعناه منها. وهي والدة شيخنا الشمس ابن الزراد. وكان أخوها الشيخ تقي الدين مع جلالته يقصد زيارتها والتبرك بها. وكانت قليلة المثل، رضي الله عنها. توفيت سنة 695هـ / 1297م.

108- زينب بنت محمد بن أحمد بن عبيد الله المقدسي الصالحي ([3]).

محدّثة سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم".

109- زينب بنت محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي عمر أم إبراهيم المقدسية الصالحية بنت شمس الدين زوج الخطيب عز الدين محمد بن إبراهيم المقدسي ([4]). سمعت على الكمال عبد الرحيم بن عبد الملك والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر والفخر علي بن البخاري الشمائل للترمذي. وحدَّثت بها سنة 733هـ 1333م. بصالحية دمشق بالجامع المظفري، وأجاز لها ابن عبد الدائم والكرماني. كان مولدها سنة 665هـ / 1268م و ماتت سنة 746هـ / 1347م.

110- زينب بنت الشرف محمد بن عبد الملك بن عثمان بن مفلح المقدسية .

سكنت القاهرة وروت جزء أبي جهم عن ابن الزبيدي وعن ابن التقي، سمع منها قطب الدين ورافع، و يقول الذهبي : كتبت لي بالإجازة في سنة 664هـ /1266م، ورويت لها من الثلاثيات توفيت سنة 725هـ / 1325م ([5]) .

111- زينب بنت مظفر بن أحمد الأدمي ، زوجة المحب وأم أولاده ([6]).

---

[1]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص 265- 266.

[2]- المصدر نفسه، ج52، ص 253- ص 254.

[3] - الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 371.

[4] - راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 255. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 373. ابن رافع، الوفيات، ج2، ص 15. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص122. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5، ص404.

[5]- الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 256.

[6] - المصدر نفسه، ج1، ص 257.

ولدت سنة 636هـ / 1238م، وكانت تكتب وقابلت صحيح البخاري مع زوجها وسمعت من اليلداني وخطيب مردا وداوود خطيب بيت الآبار توفيت سنة 709هـ / 1309م.

112- زينب بنت مكي بن علي بن كامل الصالحية الحرانية الدمشقية تكني بأم أحمد([1]).

وهي العالمة الصالحة والمسندة الفاضلة الصالحية الحرانية الدمشقية المعمرة الزاهدة العابدة مسندة عصرها ومحدِّثة وقتها، وعالمة زمانها، سمعت على حنبل بن عبد الله الرصافي مسند الإمام أحمد بن حنبل وعلى عمر بن طبرزد "جامع الترمذي" وسنن أبي داود والزهد لابن المبارك ، ومغازي" الواقدي" و" كتاب النسب" للزبير بن بكار والغيلانيات. وسمعت من أبي الحسن محمد بن محمد بن الكرابيسي كتاب عمل يوم وليلة للنسائي، وأجازتها المسندة عفيفة الفارقانية واسعد بن روح وعبد الوهاب بن سكينة وغيرهم، ([2]) فكانت من النساء اللاتي قضين عمرهن كله في طلب الحديث والرواية، فحدثت بمسند الإمام أحمد كثيرا وهي تعيش في حالة فقر وعبادة وعفة وزهاده، وازدحم الطلاب على باب بيتها في سفح جبل قاسيون بدمشق؛ مما جعلها محط أنظار الحفاظ ومحبي الحديث، كزكي الدين البرزالي والدمياطي والحارثي والمزي وابن تيمية وعبد العزيز بن أبي الدر وإبراهيم بن كمال الدين بن النحاس وعلاء الدين بن الخراط وغيرهم ، فسمعوا منها الحديث، وقرأوا عليها كثيرا من الكتب([3])، وتوفيت سنة (688هـ / 1290م بصالحية دمشق.

113- زينب بنت يحيى بن العلامة عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الحراني أم عمر ([4]).

العالمة الصالحة المسندة ، نشأت في أسرة علمية اعتنت بها منذ صغرها فأحضرتها مجالس الحديث، فسمعت من شيوخ عصرها كأبي عمر عثمان بن علي بن عبد الواحد القريشي الأسدي الدمشقي والمسند أبي حفص عمر بن نصر بن أبي الفتح الجزري و سمعت على إبراهيم بن خليل المعجم الصغير للطبراني وانتخاب الطبراني لأبيه على ابن فارس وجزء أحمد بن الفرات. وحضرت على عثمان بن خطيب القرافة مسند أنس بن مالك للخياطي

---

[1]- انظر ترجمتها في : الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص 43 . الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 372. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5، ص404. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 115.

[2] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص119

[3]– الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص119 . ابن بسام ، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج5، ص 365. أرشيف ملتقى أهل الحديث – 5 – (68 / 219)

[4] – راجع ترجمتها في: معجم الذهبي، ج 1، ص257، الوافي بالوفيات، ج 15، ص68. الفاسي، ذيل التقييد،ج2 ، ص371). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص122 ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص110 ، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص 291.

وجزء مطين.. والمسند أبي محمد تقي الدين عبد الرحمن بن ابي الفهم اليلداني جزء ابن عرفة وعلى محمد بن سليمان بن محمد بن الصقلي المائة الفراوية. وأجاز لها في سنة خمسين وستمائة سبط السلفي([1]).

وسمعت من الزين خالد وتفردت برواية المعجم الصغير للطبراني بالسماع المتصل وغير ذلك. فبرزت إلى الحياة العلمية محدثة ومسندة ومجيزة لمن أراد الاتصال السندي ومحبة للرواية وأداء ما تحملته عن شيوخها، وحدثت يوم موتها بأجزاء. و ماتت سنة 735هـ / 1335م، وكان ومولدها تقريبا سنة 648هـ / 1250م ، وقد عمرت فبلغت سبعاً وثمانين سنة قضتها في العبادة والصلاح ونشر علم الإسناد والتفرد فيه ([2]).

114- **زينب بنت يوسف بن عمر بن خطيب بيت الآبار** ([3]). روت عن الفخر الإربلي .

(حرف السين)

115- **سارة بنت عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك المقدسية** ([4]) أم محمد . سمعت من إبراهيم ابن خليل وغيره وأخذ عنها البرزالي وغيره وماتت سنة 716هـ / 1316م.

116- **سارة بنت عبيد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة** ([5]).

أم حمزة. وجدة قاضي القضاة تقي الدين سليمان. ولدت قبل التسعين وخمسمائة. وأجاز لها: السلفي، وخطيب الموصل، وجماعة، روت الحديث. وحدث عنها: شمس الدين محمد بن الكمال، والشرف أحمد بن أحمد القرضي، وعائشة بنت المجد، وحفيدها القاضي. وبالإجازة: العماد بن البالسي. وكانت صالحة كسائر عجائز الدير المبارك. توفيت سنة 641هـ / 1243م.

117- **سارة بنت العز عمر بن أحمد بن عمر بن سعد المقدسية الصالحية أخت** العدل بهاء الدين علي أم محمد بنت العزّ([6]). سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم"، وحضرت عليه في الخامسة جزء الشيخ وسمعت منه جزء بكر بن بكار.سمع منها البرزالي،

مولدها تقريبا سنة 655هـ / 1257م، وماتت في سنة 734هـ / 1333م.

---

[1] – هو المسند جمال الدين عبد الرحمن بن مكي بن عبد الرحمن الطرابلسي الإسكندراني المعروف بسبط بن السلفي توفي سنة 651هـ /1253م . السبكي، معجم شيوخ السبكي، ج1، ص 536.

[2] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 15، ص68

[3] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص477.

[4] – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص 125.

[5] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47 ، ص164. كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 138.

[6] – راجع ترجمتها في: الفاسي، ذيل التقييد، ج2 ، ص373. كحالة، أعلم النساء، ج2، ص 138.

118- **ستّ الأجناس بنت أحمد بن عبد الوهاب بن عتيق بن وردان المصرية، وتسمي موفقية** بنت أحمد مسندة القاهرة([1])، سمعت من الحسن بن دينار، وعبد العزيز بن النقار، والعلم بن الصابوني، وطائفة، وتفرّدت بسماع أجزاء. أخذ عنها فتح الدين بن سيد الناس، والواني، وابن الفخر، وسائر الطلبة.وتوفيت رحمها الله تعالى سنة 712هـ 1312م، ومولدها سنة 630هـ 1232م.

119- **ست الأجناس بنت محمد عبد الوهاب بن عتيق المصرية .**

محدِّثة ولدت سنة 631هـ / 1234م. وروت عن جماعة وتفردت بأشياء وتوفيت سنة 713هـ / 1334م ([2])

120 - **ست الأرقاء بنت أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا.**

محدِّثة دمشقية توفيت سنة 700هـ / 1300م ([3]).

121- **ستّ الأُمَنَاء بنت الشيخ صدر الدين أسعد بن عثمان بن أسعد بن المُنَجّا ([4])** . والدة الخطيب معين الدين ابن المغيزل وإخوته، وتدعى أم عز الدين. ولدت سنة 628هـ / 1232م. وروت عن جدها. جفلت مع الناس إلى مصر، فأدركها الموت بالسعيدية قبل بلبيس رحمها الله. سنة 700ه، 1300م.

122- **ستّ الأمناء آمنة بنت أبي طالب عقيل بن حمزة بن علي([5])**. أم صديق، بنت ابن الشقيشقة الشيباني، الصفار. عمة المحدث الكبير نجيب الدين. سمعت من أخيها مظفر ؛ ومن كريمة وصفية ابنتي عبد الوهاب، وجهمة بنت مسلمة، وكان أخوها يروي عن الحافظ ابن عساكر. سمع منها: علم الدين، والطلبة. ويقول الذهبي : "وفاتني السماع منها"([6]). وتوفيت سنة 695هـ / 1297م. وكانت كبيرة.

123- **ست الأمناء بنت أبي نصر عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر**. روت عن: أبيها، وغيره. كتب عنها: البرزالي، وجماعة. وماتت سنة 689هـ./ 1291م. وأجاز لها: المؤيد، وأبو روح ([7])

124- **ست الأهل بنت الناصح علوان بن سعيد بن علوان بن كامل الحنبلية** البعلبكية أم أحمد. وتعرف بأم القاضي الحريري ([1]).

---

[1] - الصفدي، أعيان العصر، ج 5 / 493. كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 150 .

[2] - كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 150

[3] - المرجع نفسه، ج2، ص 150 .

[4] -الذهبي، تاريخ الإسلام ،ج52، ص477.

[5] - المصدر نفسه، ج52، ص 254.

[6] - المصدر نفسه، ج52، ص 254.

[7] - المصدر نفسه، ج52، ص 254.

تفردت عن البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي بكتاب الزهد للإمام أحمد في أربع مجلدات وسمعت منه غير ذلك، وحدثت أخذ عنها البرزالي والمزي وابنه والشهاب ابن مظفر والمحب المقدسي والأمين الواني والقاضي فخر الدين المصري شمس الدين القبابي. تفرد بالرواية عنها بالسماع التاج أحمد بن محمد بن عبد الله بن محبوب المؤرخ. وماتت في تاسع عشر المحرم سنة 703هـ / 1302م ولها بضع وثمانون سنة.

125- **ست الأهل بنت المحدث أبي الفتوح نصر بن الحصري**، توفيت بالقاهرة .سنة 689هـ / 1292م ([2]).

126- **ستّ الأهل بنت المولى الرئيس أمين الدّين عبد المحسن ابن حمود الحلبي**، الكاتب روت بالإجازة شيئاً يسيراً عن أصحاب أبي الوقت. وتوفيت في صفر بدمشق .سنة 693هـ / 1295. وهي والدة العدل شرف الدين ابن الصابوني ([3]).

127- **ست الأمناء بنت أبي نصر عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر**. روت عن: أبيها، وغيره. كتب عنها: البرزالي، وجماعة. وماتت سنة 689هـ. وأجاز لها: المؤيد، وأبو روح.([4])

128- **ست الأرقاء بنت أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا.**

محدِّثة دمشقية توفيت سنة 700هـ / 1300م .

129- **ست البنين بنت محمد بن محمود بن بنين البعلية ([5]).**

محدِّثة سمعت من ابن الشحنة صحيح البخاري وأجاز لها الدمياطي روى عنها بالسماع أبو حامد ابن ظهيرة.

130- ست الحجرة بنت محمد بن محمد بن الحسين بن السكن ([6]).

محدِّثة حدَّثت عن والدها قراءة عليه، وحدَّثت عنها إجازة علي بن أحمد ابن عبد الواحد المقدسي وتوفيت في القرن السابع للهجرة تقريباً.

131- ست الخطباء بنت المحدث علي بن محمد بن علي البالسي .

---

[1] - راجع ترجمتها في: الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 283. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 15، ص116 . الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 373، 374 ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص8

[2] - الذهبي تاريخ الإسلام، ج52، ص368.

[3] - المصدر نفسه، ج52،ص 216- 217.

[4] - المصدر نفسه، ج52، ص 217.

[5] - ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج1، ص 226. كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 155.

[6] - كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 155

سمعت خمسة أجزاء في الخامسة من مكي بن غيلان، وحدَّثت مرات، يقول الذهبي: قرأت عليها جزء إسحاق بن راهويه، توفيت سنة 720هـ|1320م ([1]).

132- ست الدار بنت عبد السلام ابن تيمية ([2]).

الشيخة الصالحة ، حدثت عن ابن روزبة وعبد اللطيف بن يوسف، روى عنها ابن أخيها الشيخ تقى الدين وأخوه الشيخ محمد والبرزالى وابن مسلم ، توفيت سنة686هـ / 1288م بدمشق .

133 **ست الشام بنت أبي صالح رواحة بن علي بن الحسين بن رواحة .**

محدِّثة ولدت سنة 637هـ / 1240م، وسمعت من أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة الأربعين البلدانية للسلفي وغير ذلك وحدَّثت عنه وكانت مقيمة بأسيوط وقد خرج عنها الشيخ مغلطاي حديثاً ، لم يرحل إليها ولا قدمت هي القاهرة وذكرها ابن رافع في معجمه وأنها أجازت له ويقال لها شامية.([3])

134- **ست العُباد بنت علي بن سلامة الدارية المصرية .**

محدِّثة حدَّث عنها بمصر سنة 616هـ / 1219م، علي بن أخمد بن عبد الواحد المقدسي قراءة عليها، وقد تكلم زكي الدين المنذري في سماعها وقال هو بخط غير موثوق([4]).

135- **ست العجم بنت محمد بن أبي بكر بن عبد الواسع الهروي :**

محدِّثة روت عن ابن طبرزد وحدث عنها الدمياطي وابن الخباز ([5]).

136- **ست العرب بنت الجمال عبد الله بن عبد الملك بن عثمان المقدسي**. روت عن ابن اللتي، وماتت سنة 676هـ / 1278م ([6]).

137- **ست العرب بنت عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عبد** الرحمن. ([7])أخت الصدر عون الدين سليمان ابن العجمي، والدة الصاحب مجد الدين عبد الرحمن ابن الصاحب كمال الدين ابن العديم، وأخواته. روت عن الركن الحنفي هي وبناتها. وتوفيت في ربيع الآخر بدمشق. ولها إجازات من أبي الفتوح البكري، وابن ملاعب، وجماعة. خرج لها

1- الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 285.

2- ابن مفلح، المقصد الأرشد، ج1، ص 433. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 154.

3- ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج1، ص 226. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 155.

4- كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 156.

5- راجع ترجمتها ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج2، ص 126.

6 - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج225،50.

7- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص 185.

جزءا عنهم ابن الظاهري، فحدَّثت به هي وابنها، فسمع التقي عبيد، وبدر الدين ابن الجوهري، والشريف عزِّ الدين، سنة 675هـ / 1278م.

138- ست العرب بنت عبد الحافظ بن عبد المنعم بن غازي بن عمر الكوري المقدسي أم محمد بنت المحدث أبي الفرج([1]).

سمعت على قاضي القضاة شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي "جامع الترمذي" ومشيخته تخريج سعد الدين الحارثي. وحدَّثت بمجلس من "جامع الترمذي" وهو من مناقب عبد الله بن عباس إلى آخر الكتاب في سنة ثلاثين وسبعمائة. ماتت في رجب سنة 731هـ / 1330م ومولدها سنة 669هـ / 1271م.

139- ست العرب بنت السيف علي بن عبد الله بن الرضي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسية الصالحية ([2]).

محدِّثة حضرت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم" ومشيخته تخريج ابن الظاهري وجزء ابن عرفة. وروت عن عبد الرحمن المقدسي وحدَّثت، وسمع عليها الواني جزءاً من مسلم وجزء الحسن بن عرفة، ماتت سنة 734هـ / 1333م بالصالحية .

140- ست العرب بنت محمد بن علي بن أحمد بن عبد الواحد([3]).

محدِّثة ذات صلاح وعبادة، حفيدة الفخر ابن البخاري أحضرت عليه ، فكان عندها من حديثه من الكتب الطوال والأجزاء شيء كثير وحدَّثت وطال عمرها أخذ عنها شيخنا العراقي وأحضر ولده عندها . وكانت مقيمة بالصالحية بدمشق، ماتت سنة 767 هـ / 1366م.

141- ست العرب بنت محمد، أم علاء الدين علي بن بلبان الناصري. روت عن: ابن اللتي. وماتت سنة 677هـ/ 1279م ([4]).

142- **ست العرب بنت إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر بن قدامة** وزوجة القاضي نجم الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين، أصيبت بأسر ابنتيها ثم ردهما الله تعالي ، مولدها سنة 654ه، 1256م وسمعت حضوراً من إبراهيم بن خليل، سماعاً من ابن عبد الدائم وتوفيت سنة 710هـ / 1310م ([5]).

---

[1] - راجع ترجمتها ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 126.

[2] - انظر ترجمتها في: الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 287. الصفدي، الوافي بالوفيات 15، ص 119. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، 227. كحالة، أعلام النساء، ج 2، ص 158- 159.

[3] - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، 227. كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 159. الزركلي، الأعلام ، ج3، ص 77.

[4] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص 266.

[5] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 287.

143- **ست العرب بنت عبد الله بن التقي أحمد بن العز المقدسية زوجة الشيخ أحمد** بن عبد الرحمن بن العز محمد بن عبد الغني.
امرأة مباركة يقول الذهبي : روت لنا جزء ابن عرفة عن ابن عبد الدائم توفيت سنة 722هـ / 1323م ([1]).

144- ست العرب بنت يحيى بن قايماز الكندية الدمشقية أم الخير بنت أبي الفضل ([2]).
وهي العالمة الصالحة والمسندة الفاضلة، سمعت الحديث وغيره وروت عنه من مولاها التاج الكندي ([3]). وحضرت على ابن طبرزد الغيلانيات ([4])، وسمع عليها حديث خالد بن مرداس السراج بسماعها وإجازتها من ابن طبرزد ، فقامت بدور نشر العلم والمعرفة في الوسط العلمي الدمشقي فتلقى الطلاب عنها الحديث وغيره ومن أبرزهم الحافظ تقي الدين بن تيمية ([5])الحراني عام 681 ه/ 1284م. أخبر عنها الذهبي، وتوفيت سنة 684هـ / 1287م، عن خمس وثمانين سنة ([6])

145- ست العز بنت الرئيس أبي الغنائم هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبي ([7])
أم منعمٍ. أجاز لها عبد الجليل بن أبي سعد الهروي الراوي عن بيبى الهرثمية، ومحمد بن أسعد حفدة العطاري. وسمع منها الطلبة. وتوفيت ودفنت بسفح قاسيون. وهي أخت الحافظ.

146- **ست العشيرة بنت عبد الله بن الحسن بن أحمد ابن عبد الواحد بن أبي الحديد السلمية** ([8])سمعت جدها القاضي الخطيب أبا عبد الله ووجدت سماعها على جزء، فعزمت على قراءته عليها فلم يتفق وأظن أن ابن ابنة أخيها ابن خال القاضي الزكي أبي الحسن رحمه الله قرأه عليها وهي أم الرئيس أبي الفوارس المسيب بن علي بن الصوفي وإخوته وعمرت

---

[1] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 287.

[2] - راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الذهبي،ج1 ، ص288. العبر في خبر من غبر، ج3، ص 407. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج5، ص385 كحالة، أعلام النساء، ج 2، ص 159.

[3] - هو العلامة الكبير تاج الدين ابو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي الدمشقي الحنبلي، الذهبي، معجم شيوخ الذهبي ص231

[4] - السبكي، معجم شيوخ السبكي، ج1، ص 513.

[5] - ابن تيمية، الأربعون التيمية، ص34

[6] - الذهبي، معجم الشيوخ ، ج1 ص231. العبر في خبر من غبر، ج3، ص 407. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج6ص385 كحالة، أعلام النساء، ج2، ص160.

[7] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص 100.

[8] - ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج69، ص 190، ص 191.

وحجت مرتين. ماتت في طريق مكة وهي راجعة سنة 556هـ / 1160م. وقد بلغت إحدى وتسعين سنة.

147- **ست الفقهاء بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل أم محمد وتدعى أمة الرحمن بنت الشيخ القدوة تقي الدين الواسطي** ([1]).

روت بالإجازة عن أبي طالب عبد اللطيف بن محمد القبيطي كتبا وغيرها. وسمعت حضورا من عبد الحق بن خلف جزء ابن عرفة في سنة خمس وسمعت من إبراهيم بن خليل وسماعها قليل لكن لها إجازات عالية من جعفر الهمداني وأحمد بن العز الحراني وعبد الحميد بن سمان. قال الذهبي: قرأت عليها. سمعت وأخبرت عن جمع كثير، وكانت مباركة صالحة، وهي والدة فاطمة بنت الدباسي توفيت سنة 726هـ / 1327م بصالحية دمشق عن ثلاث وتسعين سنة وكان مولدها مولدها تقريبا سنة 633هـ / 1236م.

148- **ست الفقهاء بنت إسماعيل بن حامد الدمشقية ابنة الشيخ شهاب الدين القوصي.**

محدِّثة سمعت من والدها وغيره وأقعدت مدة وماتت في أواخر سنة 704هـ / 1303م ([2])

149- ستّ الفقهاء بنت الإمام عبد الرّزاق الرسعَنيّ. أخت الشمس.([3]) روت عن ابن روزبة توفيت سنة 695هـ / 1297م.

150- **ست الفقهاء بنت محمد بن محمد بن إسماعيل بن يوسف البكري الفيومي**. سمعت من النجيب وابن علاق وغيرهما وحدثت حدثنا عنها الشيخ أبو إسحاق التنوخي وغيره وماتت سنة 747هـ / 1346م ([4]).

151- **ست الفقهاء بنت يوسف بن محمد الحاجة أم علي الحموية بنت الفقيه أبي الفضل**
سمعت بقراءة الفاضلي من اليلداني مولدها قبل سنة 640هـ 1262م، ويقول الذهبي : كانت صالحة صوّامة تحفظ أحاديث وحكايات وتوردها للنساء ولها أملاك توفيت سنة 720هـ / 1320م ([5]) .

152- **ست الفخر بنت عبد الرحمن بن أحمد بن القاضي شمس الدين أبي نصر بن الشيرازي** .الدمشقية، وصفها الذهبي بأنه امرأة جليلة أصيلة، سمعت في الخامسة من كريمة

[1] – انظر ترجمتها في الذهبي، معجم الشيوخ، ج 1، ص288، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 15، ص117، ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج 2، ص127. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص 1.6. اليافعي، مرآة الجنان، ج247،2

[2] – ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج1، ص 227. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 163.

[3] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 254.

[4] – المصدر نفسه، ج52، ص 254.

[5] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 290.

القرشية تغير عقلها قبل موتها بمديدة، وقد سمعنا منها حال الصحة توفيت سنة 709هـ / 1309م([1]) .

153- **ست القضاة بنت القاضي محيي الدين ابن أحمد ابن السرائي.**

محدِّثة سمعت من كريمة عدة أجزاء وحدثت عنها وماتت في ذي القعدة سنة 712 هـ / 1312م([2]).

154- **ست القضاة بنت يحيي بن أحمد ابن القاضي أبي نصر بن كميل الشيرازي.** أم يحيي زوجة المفتي زين الدين بن عبيد ، سمعت من كريمة مشيختها، ذكرت أنها سمعت من جدها أبي نصر توفيت سنة 712هـ / 1312م ([3]) .

155- **ست النعم بنت العلامة نجم الدين أحمد بن حمدان الحراني .**

محدِّثة سمعت من أبي الغنائم المسلم بن أبي البركات بن الزبير جزء تصحيح حديث التسبيح لأبي موسى عنه سمع منها أبو محمد الحلبي وغيره ولدت سنة 638 هـ / 1241م ، وماتت في سنة 721./ 1320م ([4]).

156- **ست النعم بنت يوسف بن محمد بن محمد بن هبة الله ابن النصيبي**

محدثة سمعت من المجد محمد بن خالد بن حمدان جزء ابن مقسم أنا ابن المثنى بقراءة والدها في شوال سنة 681 هـ 1283م، نقلت ذلك من شيوخ حلب لابن سعد.

157- **ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية الحنبلية أم محمد وتدعى أيضا** بوزيرة ([5]) (624 - 716 هـ = 1227 - 1316 م).

فقيهة محدِّثة. دمشقية المولد والوفاة. أخذت صحيح البخاري عن أبي عبد الله الزبيدي، وحدثت به، وبمسند الشافعي، في دمشق، ثم بمصر سنة 705هـ/ 1305م. عدة مرات. عرفها المقريزي" بالمسندة المعمرة." ([6]) وقال ابن تغري بردي: صارت رحلة زمانها ورحل إليها من الأقطار([7]). وقال ابن العماد: مسندة الوقت، كانت على خير عظيم ([1])، قال الذهبي : "

---

[1] - المصدر نفسه، ج1، ص 290.

[2] - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 1 ، ص 227، كحالة، أعلام النساء، ، ج2، ص 163.

[3]- االذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 294.

[4] - كحالة، أعلام النساء، ج3، ص172.

[5] - راجع ترجمتها الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص292. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 5، ص117 . الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 376 ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج2، ص 129 . ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6 ، ص40، كحالة ، أعلام النساء، ج 2، ص174. الزركلي، الأعلام ، ج3 ، ص78.

[6] - المقريزي، السلوك في معرفة الملوك ، ج1، ص 408 .

[7]- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص239.

شيخة دينَّة متزهدة حسنة الأخلاق، كانت طويلة الروح على سماع الحديث وهي آخر من حدث بالمسند بالسماع عالياً " ([2]).

158- ست الوزراء بنت محمد بن عبد الكريم بن عثمان الماريديني الحنفي أم محمد المزية بنت الشيخ عماد الدين ابن السماع ([3]).

سمعت على الصفي إسماعيل الدرجي المجلد الأول وبعض الثاني من سنن أبي داود فسمعت هذا الفوت على أبي بكر محمد بن علي بن القاسم ابن البستي. سمع منها البرزالي وغيره. ماتت في رابع شوال سنة 736هـ / 1335م ومولدها في سنة659هـ / 1262م.

159- ست الوزراء ابنة أبي الفضل يحيى بن محمد بن حمزة التغلبي الدمشقي ([4]).

الشيخة الصالحة مولدها سنة 639هـ / 1241م، وأجاز لها ابن البخاري والضياء وعز الدين ابن عساكر وعتيق السلماني وخطيب عقربا وجماعة وهي من بيت الحديث .

160- سعيدة بنت عبد الملك بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسية .

وهي شيخة صالحة تكني أم أحمد راوية من راويات الحديث روت بالإجازة عن العثماني ([5]).

161- سفرى بنت يعقوب بن إسماعيل بن عبد الله بن عمر بن عبد الله الدمشقية ([6])، أم محمد ابنة عز الدين ابن شرف الدين ابن القاضي جمال الدين، المعروف جدها بابن قاضي اليمن.

سمعت من جدِّها وأخيه إسحاق، وحدثت، سمع منها البرزالي، ، وهي امرأةٌ مباركةٌ، زوجة الشمس محمد بن محمود الذهبي، ومولدها بعد سنة 660هـ / 1262م تقريباً انتهى كلامه. وتوفيت سنة 745هـ / 1345م بدمشق، وصلي عليها، ودفنت بتربة جدها على الشرف الأعلى، بالقرب من العزية ظاهر دمشق.

162- سيدة بنت عبد الله بن حسين بن طاهر الحضرمية ([7]).

---

[1] - ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 237. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 129. المقريزي، السلوك، ج2، ص 169. النعيمي ، الدارس، ج 1 ، ص 298 . ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص 40 .

[2] - الذهبي ، معجم الذهبي، ج1 ، ص292. ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج1، ص227 .

[3] - راجع ترجمتها في كحالة، أعلام النساء، ج 2، ص174.

[4] - ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 40.

[5] - انظر ترجمتها في: بن عبدالدائم، مشيخة ابن عبد الدائم، ج1 ، ص98 .

[6] - السبكي، معجم الشيوخ، ج1 ، ص584 .

[7] - ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج69، ص 240.

امرأة أبي الحسين البلوطي حكت عن أستاذ زوجها أبي إسحاق إبراهيم بن حاتم بن مهدي البلوطي التي لها مجلس سماع كبير يحضره كبار العلماء والمحدثين كالمسند الشهير العلامة السيد أبي بكر بن احمد بن حسين الحبشي المكي وغيره ([1]).

163- **سيدة بنت موسي بن عثمان**([2]) **بن عيسى بن درباس المارانية المصرية** ([3]) أم محمد ، شيخة صالحة، معمرة ، حدثت عن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي بالموطأ لمالك رواية أبي مصعب وبـــ "صحيح مسلم" إجازة. و قد أجاز لها في سنة 609ه/ 1213م وأبو محمد ابن الأخضر وأبو الحسن بن هبل وسمعت من ابن العويس جزءا. ،طلبت العلوم المختلفة ،أجاز لها العديد من العلماء وتفردت بالرواية عنهم روت بالإجازة عن عين الشمس الثقفية، وغيرها. بل إن العجب في الأمر أن الإمام الذهبي، رحمه الله، كان يتحسر على عدم لقيا العالمة الجليلة

(قال الذهبي : "و وعرفت علو روايتها من ثبت أبي القاسم بن حبيب لما قدم علينا، قد رحلت إلى لقياها، فماتت وأنا بفلسطين في رجب سنة خمس وتسعين وست مئة "([4])، وقال أيضاً:" كنت أتلهف على لقياها، ورحلت على مصر وعلمي أنها باقية، فدخلت فوجدتها قد ماتت من عشرة أيام، توفيت وأنا بوادي فحمة سنة 695هـــ/1295م"([5]) .

(حرف الشين)

164- **شارزما بنت جعفر أمة العزيز الديلمية** ([6]).

تكني بأمة العزيز، قدمت دمشق وحدثت عن أبي عبد الله بن مندة روى عنها عبد العزيز بن أحمد .

---

[1] – تحفة المريد من طرائف الأسانيد، ص15.

[2]– والدها الفقيه العلاّمة، المحدث، القاضي أبو عمرو ضياء الدين عثمان بن(عيسى) بن در باس الهدباني الماراني الشافعي، من أعلم الفقهاء في عصره بمذهب الإمام الشافعي. من مؤلفاته: شرح كتاب المهذب (لأبي إسحاق الشيرازي) في عشرين مجلداً وسماه (الاستقصاء لمذاهب الفقهاء)،وهي الى الآن مخطوطة بجامعة ييل بأمريكا . توفي سنة (602هج/1205م ينظر ترجمته، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج3، ص.242 الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج22، ص291. السبكي، طبقات، ج8، ص337. زكي، أمين، مشاهير الكرد، ج2 ، ص60.

[3] – راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 294. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 16، ص65. كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 276.

[4] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 256.

[5] - المصدر نفسه، ج52، ص 256.

[6] - ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج69، ص 240. كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 280.

165- **شامية بنت الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عمرو أمة الحق بنت الحافظ صدر الدين البكري** ([1]) شيخة، مسندة، معمرة، منفردة ، سمعت على عمر بن طبرزد ومشيخة العشاري. وعلى أبي علي حنبل بن عبد الله البغدادي. ماتت سنة خمس وثمانين وستمائة بشيزر ([2]) من بلاد الشام ومولدها بمصر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة. وحدثت سمع منها الشرف الدمياطي ومحمد بن محمد بن نمير ابن السراج الكاتب ولها إجازة من أسعد بن روح، وعفيفة الفارقانية ([3]).

166- **شاه ست ابنة الشيخ شمس الدين أبي الغنائم المسلّم بن محمد بن علاّن القيسي** ([4]) . ولدت في حدود سنة 618هـ / 1223م، وروت لنا عن عم أبيها مكي بن علان، وسمعت من حموها سالم بن صصرى، وهي والدة الإمام قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى. توفيت697هـ/ 1299م وكنيتها أم أحمد، وكانت صالحة خيرة، كثيرة البر، وكف بصرها مدة.

166- شُهْدة بنت محمد بن حسّان بن رافع بن سُمَيْر. العامرية، أمة الرحمن. ولدت في حدود سنة 628هـ / 1229م، وسمعت من: جعفر الهمداني. وحضرت الإربلي. وأجاز لها ابن باقا، ومحمد بن عماد. وسمعت أيضاً من والدها خطيب المصلى أبي عبد الله القصر حجاجي. سمعت منها جزئين، وقد حدثت سنة نيف وستين.

167- **شرف خاتون بنت داوود بن ظافر بن ربيعة العسقلاني** ([5]).

محدِّثة ولدت سنة 648هـ / 1250م ([6])أخت الشيخ جمال الدين الفاضلي وأحضرت سنة 649هـ/ 1251م. على ابي الفهم اليلداني وغيره حدثت حدثنا عنها التقى ابن عبيد الله بالسماع وماتت سنة ....وعشرين وسبعمائة ([7]).

168- **شكر بنت أبي الفرج سهل ابن بشر بن أحمد بن سعيد الإسفرايني**([8]) . وتسمى أيضا مشكورة و تكني بأمة العزيز ولدت بصور سنة 472هـ / 1076م، محدثة سمعت أباها أبا الفرج وأبا نصر أحمد بن محمد بن سعيد الطريثي يقول ابن عساكر : كتبت عنها شيئا

---

[1]- راجع ترجمتها في الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 16، ص189. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 378. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7 ، ص37. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5، ص391.

[2]- قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة ، الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص383.

[3] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص 219.

[4] – المصدر نفسه، ج52، ص325.

[5] – وفي رواية أخري القسطلاني عن كحالة أعلام النساء، ج2، ص 291.

[6] - ابن حجر، الدرر الكامنة،ج1، ص 249. كحالة ، أعلام النساء، ج2، ص 291.

[7] -ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 249.

[8]- ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج69، ص241.

يسيرا وكان سماعها صحيحا وكتب عنها بدمشق السمعاني، وتوفيت سنة 551هـ / 1155م. ([1])

169- شهدة بنت الصاحب كمال الدين عمر بن العديم العقيلي ([2]).

محدثِّة لها حضور وإجازة من جماعة من الشيوخ، وكانت تكتب وتحفظ أشياء، وتتزهد وتتعبد، وذكر الذهبي أنه ممن سمع منها ماتت بحلب سنة 709ه/ـ 1308م ([3]).

170- **شَهْدة بنت محمد بن حسّان بن رافع بن سُمَيْر. العامرية، الدمشقية**([4]). أمة الرحمن. وسمعت من: جعفر الهمداني. وحضرت الإربلي، وأجاز لها ابن باقا، ومحمد بن عماد. وسمعت أيضاً من والدها خطيب المصلى أبي عبد الله القصر حجاجي. يقول الذهبي: سمعت منها جزئين. وقد حدثت سنة نيف وستين. توفيت في أوائل السنة سنة 697هـ / 1299م .

(حرف الصاد)

171- **صفية بنت أحمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عمر أم محمد المقدسية** ([5]) . الصالحية بنت الزاهد أبي العباس الفرضي وهو سبط الشيخ موفق الدين ابن قدامة زوج علي بن العز عمر المقدسي ([6]) . سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم". ومن عمر الكرماني المنتقى من الأربعين للشحام، سمع منها الحافظان الذهبي والبرزالي وحدثت، وكانت امرأةً صالحة متعبدة من خيار النساء، ماتت سنة 741ه/ 1340م و مولدها سنة 660ه/ 1262.

172- **صفية بنت أحمد بن أبي بكر بن عبد الباقي بن علي الصالحية**، أجاز لها السبط الزكي المنذري توفيت سنة 718هـ / 1318م ([7]).

173- **صفية بنت أحمد بن عبد الله بن المسلم بن حماد بن ميسرة الأزدية** ، أم محمد أسمعها أبوها من الرشيد بن مسلمة وغيره حضوراً من العماد بن النحاس والكفر طابي، مولدها سنة 647هـ / 1249م، وتوفيت بالمدينة سنة 704هـ / 1304م ([8]) .

174- **صفية بنت عبد الرحمن بن عمرو الفراء الصالحية أخت العز إسماعيل بن العز** ([1]).

---

[1] – ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج69، ص241. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 302.

[2] – اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 236 .

[3] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 300. ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج1، ص 251. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 313.

[4] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 301. تاريخ الإسلام، ج52، ص325.

[5] – ذكرت عند السبكي بأم أحمد انظر : معجم الشيوخ للسبكي، ج1، ص590 . كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 321.

[6] راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 307. ابن رافع، الوفيات، ج1، ص387 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2 ، ص207

[7] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 307.

[8] – المصدر نفسه، ج1، ص 308.

محدِّثة ولدت سنة 612هـ / 1215م، سمعت على موفق الدين ابن قدامة "سنن ابن ماجه". وسماعها في الخامسة وهي أحد شيوخ الذهبي، وحدث عنها محي الدين البعلبكي الحنبلي وتوفيت بعد نهب الصالحية سنة تسع وتسعين وستمائة ودفنت بسفح قاسيون بدمشق ([2]).

175- **صفية بنت عبد الوهاب القرشية** ([3]).

محدِّثة أجاز لها مسعود الثقفي ويوسف النابلسي، نعتها الذهبي بقوله : " المعمرة، الجليلة أم حمزة الأسدية، الزبيرية، الدمشقية، ثم الحموية، أخت الشيخة كريمة " ([4]).

176- **صفية بنت علي بن أحمد بن فضل الواسطي** ([5]).

محدثة روت عن الموفق وابن راجح وقرئ عليها الجزء الأول والثاني من الفوائد المنتخبة عن أبي شعيب الحراني، وتوفيت سنة 692هـ / 1294م.

177- **صفية بنت مسعود بن شكر المقدسية** ([6]).

أم عمر المقدسية. ولدت سنة 598هـ / 1201م محدِّثة سمعت من أبي حفص بن طبرزد حوالي سنة 670هـ / 1273م. وغيره. روى عنها: الدمياطي، وابن العطار، والمزي، والبرزالي، وابن الخباز، وجماعة. وكانت من الصالحات. توفيت سنة 678هـ/ 1280م.

(حرف العين)

178- **عائشة بنت إبراهيم بن محمد بن...** ([7]) . سمعت عثمان ابن خطيب العراق. توفيت سنة 695هـ / 1297م .

179- **عائشة بنت القاضي كمال الدين إسحاق بن خليل الشيبانيّ**. أم عيسى، أخت خديجة المذكورة. روت لنا بالإجازة مع أختها عن: ابن اللتي، وابن صباح، وجماعة. وتوفيت بدمشق سنة 700ه. / 1300م ، ودفنت عند أبيها بقاسيون ([8]).

180- **عائشة بنت حريز بن بريك التدمرية ثم الصالحية** .

---

[1] – الذهبي ، تذكرة الحفاظ وذيوله، ج4، ص 186.

[2] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 413. اليافعي، مرآة الجنان ، ج2، ص 341. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص340.

[3] – كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 346.

[4] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص 270.

[5] – كحالة، المرجع السابق، ح2، ص 346.

[6] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص 322.

[7] – المصدر نفسه، ج52، ص 258.

[8] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52،ص 479.

روت لنا عن إبراهيم بن خليل وابن عبد الدائم، ومضت الرواية عنها من من نسخة أبي مسهر، وتوفيت سنة 711هـ / 1311م([1]) .

181- **عائشة بنت رزق الله بن عوض أم أحمد المقدسية وتعرف بالبلادية** ، قال عنها الذهبي : " مسنة معمرة.. وكانت من العوابد ذوات البكاء، والخشوع، والأوراد وهي والدة شيختنا فاطمة بنت عبدالله بن عمر بن عوض " ([2]) ، وروت عن ابن عبد الدائم وتوفيت سنة 711هـ / 1311م.

182- **عائشة بنت سالم بن نبهان أم أحمد الحسنية**([3]) الخوارزمية، زوجة المحدث تقي الدين ابن مزهر وأم أولاده سمعها من ابن رواحة. أخذ عنها: ابن سامة، وغيره، توفيت سنة خمس ظنا [عن سبعين سنة] أو نحوها سنة 685ه / 1287م.

183- **عائشة بنت عبد الله بن عبد المؤمن بن أبي الفتح الصوري أم عبد الله** ، روت عن خطيب بن مردا، ابن عبد الدائم، ويقول الذهبي: " وهي زوجة شيخنا التقي بن مؤمن ، قرأت عليها أحاديث بكرٍ وأمها الشيخة صفية بنت الواسطي، توفيت سنة 726هـ / 1326م" ([4]).

184- **عائشة بنت علي بن عمر بن شبل بن محمود بن رافع الحميري الصنهاجي أم الخير المصرية المدعوة ست العرب** ([5]).

سمعت على المعين أحمد بن علي ابن يوسف الدمشقي كتاب المجالسة للدينوري، وعلى إسماعيل بن عبد القوي ابن عزون مسند الشهاب للقضاعي، وحضرت في الرابعة على ابن علاق الآبار الأبناء للمنجنيقي ومشيخة الرازي، وسمع عليها القاضي عز الدين ابن جماعة المجالسة للدينوري، ومولدها سنة 660هـ 1262م، ماتت سنة 739هـ / 1340م.

185- **عائشة بنت علي بن الخضر بن عبد الله أم عبد الله السلمية المعروف والدها بأبي الحسن بن المحل البزار المعدل** ([6]). زوجة الحافظ ابن عساكر ، يقول : "أسمعتها الحديث من فاطمة بنت علي بن الحسين بن جدا العكبرية في دارنا وسمع منها أولادها في دارها" ([7]).

---

[1] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 90.

[2] - المصدر نفسه، ج2، ص 90.

[3] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص 221.

[4] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 90.

[5] - راجع ترجمتها ابن رافع، الوفيات، ج1، ص 249. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص237.

[6] - ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج69، ص 260.

[7] - المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحات.

186- **عائشة بنت المجد عيسى بن الإمام موفَّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد** بن قدامة ([1]). الصالحة، العابدة، المسندة، المعمرة، أم أحمد المقدسية، الصالحية في دمشق، وإليها نسبتها. ولدت في سنة إحدى عشرة وستمائة، وأجاز لها القاضي أبو القاسم ابن الحرستاني، وجماعة. وسمعت من: أبيها، والشهاب ابن راجح، والعز محمد بن الحافظ، وغيرهم حضوراً. وسمعت من جدها، وغيره. وتفردت بأجزاء يسيرة. وسمعت أيضاً من: البهاء عبد الرحمن، والسراج أبي عبد الله بن الزبيدي، والضياء المقدسي. حدث عنها ابن الخباز في حياتها. وسمع منها عامة الطلبة: المقاتلي، وابن النابلسي، والمحب، ، ويوسف الدمياطي. والذهبي . وكانت قد تَقُلَ سمعها وما نأخذ عنها إلا بكلفة. وهي أخت الحافظ السيف . توفيت سنة 697هـ / 1299م

187- **عائشة بنت المسلم بن مالك بن مزروع الصالحية أم محمد أخت** قاضي القضاة شمس الدين محمد بن المسلم الحنبلي([2])، سمعت على أحمد بن عبد الدائم قطعة من "صحيح مسلم" ومن ابن أبي عمر.وحدثت كتب عنها البرزالي، ماتت سنة 717هـ / 1317.

188- **عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة بن البهاء الحراني أخت محاسن أم عبد الله ([3]).** سمعت على محمد بن عبد الهادي المقدسي "صحيح مسلم" وعلى التقي عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني كتاب الذكر لجعفر الفريابي ومجلس التواضع للجوهري وعلى إبراهيم بن خليل الدمشقي كتاب فضائل الأوقات للبيهقي وعلى إسماعيل بن العراقي السادس من أمالي ابن البحيري. وسمعت من فرج القرطبي والبلخي وابن عبد الدائم والعماد عبد الحميد. وتفردت وروت جملة سمع منها أبو هريرة ابن الذهبي، وأجازت للشيخ ابي بكر بن الحسين المراغي وللبرهان بن صديق الرسام. سمع منها المزي والذهبي والبرزالي، وذكرها السبكي في مسودة ((معجمه)) فقال: وهي امرأةٌ صالحةٌ خيرةٌ مباركةٌ" ([4]) مولدها سنة 649هـ / 1251م. توفيت سنة 736هـ / 1337م.

---

[1] -الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص 361. بن مفلح، مقصد الأرشد، ج2، ص 290. كحالة، أعلام النساء، ج3، ص 188. الأعلام للزركلي، الأعلام، ج3، ص241.

[2]- راجع ترجمتها في : الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 381 . كحالة، أعلام النساء، ج 3، ص190

راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الذهبي، ج 2، ص93 . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 16 ، ص608. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2 ، ص238. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6 ، ص 113.

[3] - راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الذهبي، ج 2، ص93 . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 16 ، ص608. السبكي، معجم الشيوخ، ج1، ص 595. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج 2 ، ص238. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6 ، ص 113.

[4] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 93. السبكي معجم الشيوخ، ج1، ص 595.

189- عائشة بنت محمد يقول الذهبي : أخت شيخنا جمال الدين ابن الظاهري أم موسى. صالحة، عابدة، صائمة الدهر، متواضعة، تخدم الفقراء. ولها إجازة من ابن الزبيدي. وسمعت من أحمد بن سلامة الحراني، النجار، وغيره. وحدثت مرات توفيت سنة 695هـ / 1297م. روى عنها: البرزالي، وابن حبيب ([1]).

190- عائشة بنت محمد بن يحيى بن بدر بن يعيش الجزري الصالحية (ت743هـ/1341م).

المحدِّثة، الفاضلة ،كانت عالمة بالحديث النبوي الشريف. سمعت من الفخر علي مشيخته وحدَّثت و ماتت ودفنت بصالحية دمشق ([2]).

191- عائشة بنت المحدث محمد بن جبريل بن عزاز. أم عبد الرحمن الأنصارية، الشارعية.

محدثة روت عن: مكرم. وماتت سنة 669هـ / 1291م ([3]).

192- عائشة بنت محمود بن محمد بن أحمد البارقي الحلبي أم عبد الله ([4]).

سمعت على التقي إسماعيل بن أبي اليسر الشمائل للترمذي وهي حاضرة وحدثت بها سنة 733هـ / 1332م، ومن ابن البخاري مشيخته تخريج ابن الظاهري ومن يعقوب بن المعتمد منتقى من مسند العشرة من مسند الإمام أحمد ماتت سنة740هـ / 1339م.

193- **عز النساء بنت محمد بن عبد العزيز بن على بن هبة الله بن خلدون أم الفضل الدمشقية**، لها إجازة من ابن القبيطي والكاشغري، توفيت سنة 710ه/ 1310م ([5]).

194- عزبة بنت محمد بن غنائم بن السيد أم إسماعيل الكفربطانية ([6]) . ولدت سنة 630هـ / 1234م، يقول الذهبي : سمع منها بقرائتي عليها السبكي والواني والمحب، توفيت سنة 710هـ / 1310م .

195- عزية بنت محمد بن أحمد بن مفلح. أم أحمد الصالحية ([7]).

روت عن عمر بن طبرزد. روى عنها: ابن الخباز، وابن الزراد، وابنها الشيخ محمد البجدي، وغيرهم. وماتت سنة 661هـ / 1263م.

---

[1]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 258.

[2]- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 265.

[3]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص 281

[4] – راجع ترجمتها في الوفيات ابن رافع، الوفيات، ج1، ص301. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 382، 383

[5] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 94.

[6]– المصدر نفسه، ج2، ص 95.

[7] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص 80

196- **عزيزة بنت عثمان بن طرخان بن بزوان. أم المعالي الشيبانية الموصلية**. ولدت بإربل في حدود سنة594ه/ 1211م. وسمعت من: مسمار بن العويس النيار مع ابن عمها زوجها أبي الفضل عباس بن بزوان وحدَّثت بالقاهرة، وبها توفيت سنة 673ه/ 1275م ([1]).

197- **عزيزة بنت عبد العظيم بن عبد القوي. المقدسية**، زوجة الزين عبد الرحمن بن هارون الثعلبي. روت عن: كريمة، وإبراهيم بن الخشوعي. وماتت سنة 690هـ / 1292م ([2]).

198- **غريبة ابنة عبد الله الحلبية** ([3]). حدَّثت عن أبي القاسم علي بن بشرى بن العطار روى عنها علي بن محمد الحنائي.

(حرف الفاء)

199- فاخرة بنت أبي صالح عُبَيد الله بن عمر بن عبد الرحيم بن العجميّ ([4]). روت عن: أبي القاسم بن رواحة ويقول الذهبي : ولنا منها إجازة، توفيت بشيزر سنة 697هـ / 1299م.

200- **فاطمة بنت إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي ([5]).**

أم إبراهيم بنت الشيخ عز الدين ابن الخطيب شرف الدين أبي بكر، حضرت على إبراهيم بن خليل، وسمعت من ابن عبد الدائم، وأحمد بن جميل، وأبي بكر الهروي، وعبد الولي بن جبارة، وغيرهم. وسمعت على والدها وعم والدها الشمس ابن أبي بكر وأجاز لها محمد بن عبد الهادي وعبد الحميد بن عبد الهادي وخطيب مراد وأبو طالب ابن السروري وتفردت بالرواية عنهم ([6]) . سمع منها الذهبي والبرزالي، وذكرها في السبكي مسودة "معجمه"، فقال: " زوجة الشيخ أحمد ابن الشيخ إبراهيم الأرموي امرأةٌ صالحةٌ، من خيار النساء، وعمرت، وتفردت بالرواية عن إبراهيم بن خليل، وبإجازتها عن محمد بن عبد الهادي، وروت الكثير، وانتفع بها الناس. مولدها في سنة 654هـ / 1256م، وتوفيت سنة 747هـ / 1349م، ودفنت بتربة الشيخ أبي عمر بسفح قاسيون" ([7]).

---

[1] - المصدر نفسه، ج50، ص 134.

[2] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، 422.

[3] - ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج70، ص 4.

[4] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 334.

[5] - السبكي، معجم الشيوخ، ج 1، ص 601.

[6] - السبكي، معجم الشيوخ، ج 1 ، ص601. ابن رافع، الوفيات ، ج1 ، ص56. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 417. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 23

[7] - السبكي، معجم الشيوخ، ج 1، ص 601.

201- **فاطمة بنت إبراهيم بن غنائم** ([1]).

أخت المحدث أبي عبد الله بن المهندس ، محدِّثة سمعت من زينب بنت مكي، وحدثت وسمع منها الذهبي، وذكرها في معجمه . وكذا ابن رافع([2]).

202- **فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلبكي** ([3]).

(625 - 711 هـ = 1228 - 1311 م)

أم محمد والدة الشيخ إبراهيم بن القريشة، امرأة صالحة عابدة مسندة، محدثة دمشقية، سمعت على الحسين بن الزبيدي "صحيح البخاري" و"مسند الشافعي " و"جزء أبي الجهم" والأربعين الطائية. وحدثت بالصحيح خمس مرات ، وسمعت صحيح مسلم من ابن الحصيري. وأخذ عنها السبكي وغيره. وكانت صالحة مسندة. توفيت ودفنت بقاسيون.([4])

203- **فاطمة بنت القدوة الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل بن الواسطي** زوجة قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن الحسن بن الحافظ أم عبد الله ولدت سنة 651هـ ـ 1253م. وسمعت من إبراهيم بن خليل، وابن عبد الدائم ويقول الذهبي : " سمعنا عنها جزء أيوب السختياني وتوفيت سنة 705هـ / 1305م " ([5]) .

204- **فاطمة بنت الإمام عز الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أحمد الصالحية الحنبلية**، سمعت إبراهيم بن خليل، روت لنا نسخة أبي مسهر، وجزء الفراتي سمعها معي ابن عبد الرحمن ظهرت لها إجازة محمد بن عبد الهادي وخطيب مردا وغيرهما ([6]) .

205- **فاطمة بنت أحمد بن عطاف بن أحمد بن محمد بن أمين الدين الرهاوي الكندي** وهي أم أحمد سبطة الكمال ابن عبد سمعت منه جزء ابن جوصا وأسمعت على محمد بن إبراهيم البابسر في الأول من حديث الجصاص ومن غيرهما وأجاز لها ابن عبد الدائم وابن نصر وغيرهما وماتت سنة 739 ه/ 1338م ([7]).

---

[1] – في رواية أخري ابن غانم . الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص102.

[2] – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 417.

[3] - الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 4، ص1495. ، معجم الشيوخ، ج 2، ص103. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 3، ص 220. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص28.

[4] – ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج 6، ص28 . ابن أيبك، كنز الدرر، ج 3، ص 220 وفيه: البطائحي، والتصحيح من خطها. النعيمي، الدارس، ج 2، ص90 وسماها " فاطمة بنت جوهر " نسبة إلى جدها. الزركلي ، الأعلام، ج5، ص129.

[5] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 102.

[6] – المصدر نفسه، ج2، ص 102 .

[7] – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 418.

207- **فاطمة بنت أحمد بن عمر بن نجيب الكنجي جدها أم عبد الله الدمشقية.** ولدت سنة 654 / 1256م، وحضرت على إبراهيم بن خليل وحدثت وسمع منها البرزالي ماتت سنة 736هـ / 1335م، ذكرها ابن رافع ([1]).

208- فاطمة بنت أحمد بن منعة بن منيع بن مطرف القنوي الصالحي ([2]).

أم أحمد بنت العماد الصالحية ولدت ... وأسمعت على خطيب مردا مشيخته تخريج الضياء وحدثت سمع منها عبد الله بن المحب وابن رافع وذكرها في معجمه وقال: ماتت سنة 719ه / 1319م ([3]).

209-**فاطمة بنت الملك المحسن أحمد([4]) بن يوسف بن أيوب بن شاذي ابن مروان الأيوبي.**([5]) تكني أم الحسن (597-661هـ/1193-1263م)

محدثِّة سمعت على عمر بن طبرزد وحنبل بن الفرج المكثر وست الكتبة. وأجاز لها: زاهر بن أحمد الثقفي، وأبو الفتوح العجلي، وجماعة. روى عنها: الدمياطي وكناها أم عمر ؛ وابن العطار، وابن الخباز، والدواداري، وآخرون. وكانت جليلة عالية الإسناد ([6])، روت الفقه والحديث؛ واشتهرت في عصرها، سمع منها العديد من العلماء، كانت لها فضائل كثيرة ومحمودة صنفت فيها كتاب بعنوان (فضائل فاطمة بنت أحمد)، وهي مخطوطة كما في أعلام النساء ، وماتت سنة ثمان وسبعين وستمائة ببزاعة([7]) من بلاد حلب .

210- فاطمة بنت أحمد بن محمد بن يوسف بن الخضر ابن قاضي العسكر ([8]).

---

[1] - المصدر نفسه، ج1، ص 418.

[2] - المصدر نفسه، ج1، ص418. كحالة ، أعلام النساء، ج4، ص 31.

[3] - المصدر نفسه، ج1 ، ص418.

[4] - هو الملك المحسن أحمد بن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ولد بمصر، سمع الحديث بدمشق من صدقة الحراني والبوصيري، عني بالحديث النبوي الشريف . كان جيد الخط، صحيح النقل، متواضعاً، زاهداً، حسن الأخلاق، حصّل الكتب النفيسة، وجد به المحدثون به راحة كبيرة. توفي بدمشق سنة (643هج/1245م . ينظر: ابن العماد الحنبلي، الشذرات، ج 5، ص162.

[5] - راجع ترجمتها في الذهبي، تذكرة الحفاظ وذيوله، ج4، ص 184. الفاسي : ذيل التقييد، ج2، ص 384. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5 ، ص362. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 32. كرد، خطط الشام، ج4، ص41 . الزركلي، الأعلام، ج5، ص326.

[6] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص309.

[7] - بزاعة، بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب الحموي، معجم البلدان، ج1، ص409.

[8] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص 229.

الحلبية. كان أبوها وعمها عبد الله من شيوخ الدمياطي. وهي سمعت حضورا من ثابت ابن مشرف. أخذ عنها الطلبة. وكانت تسكن بالمزة. وهي شيخة رباط هناك. توفيت سنة 685هـ / 1287م.

211- **فاطمة بنت أحمد بن يحيى ابن الزّاهد ابن الحُسَين المقدِسيّ**. سمعت من: ابن الزبيدي، وابن اللتي. وتوفيت فاطمة بنت أحمد بن يحيى ابن الزّاهد ابن الحُسَين المقدِسيّ.([1]). وتوفيت سنة 691هـ / 1293م. وكانت ساذجة بلهاء. سمع منها غير واحد.

212- **فاطمة بنت إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي .**

محدثِّة سمع عليها حوالي سنة 667هـ / 1270م ([2]).

213- فاطمة بنت إسماعيل بن إبراهيم بن قريش أم عمر المخزومية وقد تقدمت في ست الفقهاء .

214- فاطمة بنت إسماعيل بن محمد بن علي البعلبكي أم الحسن ([3]).

ولدت 620هـ / 1224م، وسمعت من القطب اليونيني جزء أبي مسلم وحدثت سمع منها الفوي وأجازت لأبي حامد بن ظهيرة.

215- **فاطمة بنت الزاهد البركة عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن سلطان أم أحمد البعلبكية.** يقول الذهبي : " امرأة خيرة وهي خالة صاحبنا الشمس بن الحبال روت من الشيخ الفقيه، وتوفيت سنة 712هـ 1312م، في عشر التسعين " ([4]) .

216- **فاطمة بنت أبي بكر بن محمد بن طرخان أم محمد بنت الزين**([5]). سمعت من النجيب وإبراهيم بن خليل وابن عبد الدائم وحدثت سمع منها البرزالي والذهبي وابن رافع وحدثوا عنها في معاجمهم وأرخوا وفاتها سنة 726 هـ / 1326م، وكان مولدها سنة 652 هـ/ 1254م.

217- **فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي بكر بن يونس الصالحية بنت المسند أبي علي الخلال.** سمعت من الفخر علي وحدثت ([6]).

218- **فاطمة بنت حسين بن عبد الله بن عبد الرحمن الآمِديّ**،([1]) المؤذّن ([2]). أم محمد وأمها خديجة بنت الزين أحمد بن عبد الدائم. وهي زوجة الزاهد الشيخ علي الملقن يقول

---

[1] - المصدر نفسه، ج52، ص 130.

[2] - كحالة، أعلام النساء، ج4، ص34.

[3] - ابن حجر، الدرر الكامنة،ج1 ، ص418. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص35.

[4] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 105.

[5] - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 418

[6] - المصدر السابق، ج1، ص 418.

الذهبي : " امرأة صالحة عابدة، مبتلاة بالزمانة. روت ' صحيح البخاري ' عن ابن الزبيدي. وروت عن الفخر الإربلي، وغيره ([3])، يقول الذهبي : سمعت منها. توفيت. سنة 698هـ/1298م([4]).

219- فاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري ([5]).

أم عبد الكريم، ولدت بأصبهان سنة 522هـ / 1126م.نعتها الذهبي بقوله : " الشيخة الجليلة ، المسندة" ([6])، وقال : " وسمعت حضوراً في الثالثة من فاطمة الجوزدانية جملة من " المعجم الكبير " للطبراني وحضرت بغداد في سنة خمس وعشرين([7]) على هبة الله بن الحصين وزاهر بن طاهر، وأبي غالب ابن البناء . وسمعت من أبيها ومن هبة الله بن الطبري، والقاضي أبي بكر ويحيي بن حبيش الفارقي، وعدة، وأجاز لها خلق، حدثت بدمشق وبمصر، تزوج بها الرئيس زين الدين ابن نجية الواعظ، وسكن بها بدمشق، ثم مصر، ورأت عزاً وجاهاً وتوفيت سنة 600هـ / 1204م([8]).

220- فاطمة بنت سليمان بن أبي بكر المقدسية.

محدِّثة أجاز لها ابن الخباز والقلانسي وآخرون وحدثت وسمع منها ابن موسي([9]).

221-فاطمة سليمان بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري الدمشقي المقرئ المحدث ([10]). وتكني بأم عبد الله وهي . عالمة بالحديث، دمشقية، أخذت عن أبيها وغيره. وروت الكثير، ولم تتزوج. وكان مولدها تقريباً سنة 620هـ / 1223م، وكانت امرأة صالحة وقفت وبرت أهلها وأقاربها في حياتها. فبنت عدة

---

[1] – آمد نسبة الى منطقة من بلاد ديار بكر في كوردستان تركيا، الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 57.

[2] – الذهبي : تاريخ الإسلام، ج52، ص 359.

[3] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 105.

[4] – المصدر السابق، ج52، ص 359.

[5] – راجع ترجمتها في ابن نقطة ، إكمال الإكمال ، ج2 ، ص 465. المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج 2، ص 12. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 4، ص1369. سير أعلام، ج 21، ص412، 347.الذهبي، تاريخ الدبيثي، ج 15، ص406. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 6، ص187، ابن رافع، الوفيات، ج1، ص364.الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 391. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 4، ص347.

[6] – الذهبي، سير أعلام، ج21، ص 412.

[7] – كان عمرها آنذاك ثلاث سنوات، إذ مولدها في سنة 522هـ / 1127م .

[8] – الذهبي، سير أعلام، ج21، ص 412.

[9] – كحالة، أعلا م النساء، ج4، ص 61

[10] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 107. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج 4 ، ص 28. ابن حجر، الدر الكامنة، ج1، ص 418 اليافعي ، مرآة الجنان، ج2، ص 235.ابن ناصر الدين، ضبط المشتبه،ج5، ص 146. زينب، الدر المنثور، ص 366. الزركلي ، الأعلام ، ج5، ص **131**

مدارس وتكايا ووقفت لها أوقافا قال علم الدين البرزالي: روت لنا عن أكثر من مئة شيخ، منهم – بالسماع – المسلم المازني، وكريمة، وابن رواحة. وبالإجازة المجد القزويني، والحسين ابن صصرى، والفتح بن عبد السلام، والداهري، وابن عفيجة، والحسن بن الجواليقي، وأحمد ابن النرسي، وعبد السلام بن سكينة، والمهذب بن قنيدة، والأخوان ابنا الزبيدي وعبد اللطيف ابن الطبري، ومحاسن الخزايني، وشرف النساء بنت الأنبوسي، وجماعة من البغداديين وغيرهم. وقرأ عليها الذهبي قبل موتها بيوم، وحضر معه جماعة، وأسمعت كثيراً. وكان لها إجازات من العراق وأصبهان ودمشق. وهي معمرة . وتوفيت في دمشق سنة 708هـ / 1308م .

222–**فاطمة بنت سهل بن بشر بن أحمد الإسفراييني .**

محدثِّة دمشقية سمعت أباها ، وكانت تعظ النساء في بعض المساجد، لقيها ابن عساكر ولم يسمع منها توفيت في دمشق ([1]).

223– **فاطمة بنت الإمام العلامة ذي الفنون شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعية الدمشقية** . أم الحسن يقول الذهبي : " روت لنا عن أبي إسحاق بن الخشوعي وأجاز لها أبو عبد الله بن الزبيدي وطائفة وحدثت مرات، وتوفيت سنة 707هـ/1307م"([2]) .

224– **فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن الطوبري ([3]).**

محدِّثة حدث عنها علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي سنة 603هـ / 1206م.

225– **فاطمة بنت عبد الله الرضى عبد الرحمن بن محمد بن عَبْد الجبّار ([4]).**

أم محمد أخت زينب. سمعت من: كريمة، والضياء، واليلداني. ووجد لها حضور في سنة ثمان وثلاثين. وهي زوجة الشهاب بن أبي راجح، وكان لها إجازات من العراق وأصبهان ودمشق. وهي معمرة . توفيت سنة 708هـ / 1308م، وكان مولدها تقريباً سنة 620هـ / 1223م، .

226– **فاطمة بنت عبد الله بن عمر بن عوض بن راجح المقدسي أم علي ([5]).**

---

[1] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج70، ص 379. عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص 227. كحالة، أعلا م النساء، ج4، ص65.

[2] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 106.

[3] – كحالة، أعلا م النساء، ج4، ص68.

[4] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 433.

[5] - الذهبي، معجم الذهبي، ج 2، ص 107.ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 3 ، ص224. الفاسي، ذيل التقييد، ج 2، ص 385 .

محدثة سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم". وحضرت على خطيب مردا وسمعت من ابن خليل. ولدت عام 650هـ / 1252م، وتوفيت عام 729هـ / 1330م.

227- **فاطمة بنت عبد الدائم بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسية** .([1])

سمعت على جدها أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم" ومشيخته تخريج ابن الظاهري وجزء ابن عرفة. وحضرت جزء ابن الفرات وجزء أيوب وأربعين الآجري وغير ذلك سمع منها البرزالي. ماتت 734هـ / 1334م.

228- **فاطمة بنت الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي،** زوجة العماد إبراهيم بن أحمد الماسح. كانت ديِّنة عابدة صالحة. روت عن جعفر بن علي الهمداني توفيت سنة 685هـ / 1286م ([2]).

229- **فاطمة بنت عبد الرحمن بن عمرو بن موسى بن عميرة المرداوي المقدسي الصالحية الحنبلية أم محمد ([3]).**

سمعت من ابن الزبيدي حضورا ميعادين من "صحيح البخاري" وهما التاسع والعاشر من اثنين وعشرين ميعادا أولهما باب الركاب والغرز للدابة وآخرهما باب سنة اليمن، وحدثت بهما غير مرة ولا نعلم لها رواية غيرهما. وماتت في سنة 717هـ / 1316م بصالحية دمشق في شوال عن نيف وتسعين سنة وهي أخت إسماعيل الفراء.

230- **فاطمة بنت عبد الرحمن بن عيسى بن المسلم بن كثير الذهبي ([4]).**

تكني بأم زينب ، محدِّثة سمعت على الفخر علي بن البخاري مشيخته تخريج ابن الظاهري. وعلى إبراهيم بن خليل نسخة أبي مسهر، وسمعت من أحمد بن عبد الدائم وأيبك الجمالي ومحمد بن عبد الحق بن خلف، وأجاز لها محمد وعبد الحميد ابنا عبد الهادي وابن المهتر والكفربطائي وشيخ الشيوخ الأنصاري وغيرهم. وحدثت سمع منها الحافظان، ماتت في خامس ربيع الأول سنة أربعين وسبعمائة ومولدها سنة ست وخمسين وستمائة. وهي بنت ست الفقهاء بنت الشيخ تقي الدين الواسطي.

231- **فاطمة بنت عبد الرحمن بن محمد بن عياش.**

---

[1] - راجع ترجمتها في الفاسي، ذيل التقييد ، ج2، ص 386 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 3، ص 223.

[2] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص 230.

[3] - الذهبي، معجم الذهبي، ج2، ص 108. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 387 . ابن حجر، في الدرر الكامنة، ج3، ص 223. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 71.

[4] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج 2، ص11 1 . الوفيات لابن رافع، ج 1، ص304. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 387 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 3، ص223 .

أم عمر بنت الناصح حدثت بالإجازة عن ابن القبيطي وابن أبي الفخار والكاشغري والمرستاني وابن الخازن وابن النجار وغيرهم وماتت سنة 716 ه / 1316م([1]).

232- **فاطمة بنت عبد الرحيم بن عبد الله بن موسي المقدسي** ([2]).

محدثة ولدت سنة 652هـ / 1256م، وأسمعت على ابن أبي عمر وسمع منها البرزالي وابن رافع وغيرهما وقرأ عليها محمد الواني من أول جزء انتخاب الطبراني لعلي ابن فارس وتوفيت سنة725هـ / 1304م.

233- **فاطمة بنت عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أبي عمر** ([3]).

أم أحمد. سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم" في الرابعة وسمعت عليه جزء ابن عرفة. وسمعت من ابن الزين والتقي الواسطي وغيرهم وأجاز لها ابن أبي اليسر وأبو شامة وغيرهما. كتب عنها البرزالي. ولدت عام 660هـ 1262م، وتوفيت عام 732هـ / 1333م.

234- **فاطمة بنت أبي البركات عبد الولي بن تاج الدين علي بن أحمد القسطلاني** .

أم الخير بنت شرف الدين لها إجازة من السبط والمرسي وغيرهما وحدَّثت ويقال لها شرفية ماتت سنة 724 ه/ 1324م([4]).

235- **فاطمة بنت عثمان بن موسى بن محمد بن عبيد السلمية أم عثمان الزرعية** ([5])المفعلية تعرف ببنت شهبة سمعت من ابن عبد الدائم وحدثت سمع منها البرزالي وقال ماتت سنة 721هـ / 1322م،

236- **فاطمة بنت علي بن أحمد بن منصور بن قبيس الغساني** ([6]).

سمعت أباها الفقيه أبا الحسن المالكي وسمع منها بعض أصحابنا وكانت امرأة متدينة، حجت هي وأختها ولم يتزوجا ووقفا وقفا على إمام محراب جامع دمشق وعلى الفقهاء المالكية المشتغلين بالفقه في جامع دمشق وماتت 567هـ 1171م. ودفنت بباب الصغير.

237- **فاطمة بنت علي بن الحسين بن جدا أم أبيها بنت أبي الحسن العكبري** ([1]).

---

[1] - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، 418.

[2] - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 1 ، ص419 . كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 73.

[3] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج 2، ص111. الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج 2، ص 386 .

ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 3 ، ص 224.

[4] - الدرر الكامنة ، ج1، ص 419. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 76.

[5] - المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحات. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 77.

[6] - ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج70، 34.

ولدت ببغداد وسمعت بها أبا جعفر بن المسلمة والقاضي أبا الغنائم محمد بن علي الرجاجي، وأبا الحسين أحمد بن محمد بن النقور وغيرهم من شيوخ بغداد ، وقدمت دمشق في طلب ابن لها كان يخدم العسكرية في سياسة الدواب دلنا عليها علي البغدادي المبيض، فقرأت عليها جزء صفة المنافق عن ابن المسلمة وجزءاً من حديث أبي الحسن الحربي عن أبي الغنائم ابن الرجاجي سنة 526هـ / 1228م، ثم سألت عنها بعد مديدة يسيرة فلم أظفر لها بخبر وأظنها ماتت بدمشق والله أعلم.

238- **فاطمة بنت علي بن عبد الكافي السبكي**، أسن أولاده اسمعها معه مسموع ابن الصواف من النسائي سمع منها العز بن جماعة ([2]).

239- **فاطمة بنت علي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سلامة بن نصر المقدسية أم علي** الصالحية . حضرت على أحمد بن شيبان وزينب بنت مكي سمع منها الذهبي وذكرها في معجمه وابن رافع وكانت تدعى أمة الرحمن ([3]).

240- **فاطمة بنت علي بن القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقية .([4])** أم العرب. العالمة الفاضلة المسندة، سمعت على أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد وهي حاضرة في الخامسة الغيلانيات في مجلسين سنة 630هـ / 1233م، وروت كتاب المدخل إلى السنن للبيهقي إجازة عن منصور بن عبد المنعم الفراوي مع يوسف بن المهتار بن عمر بن يحيى الكرخي رواه عنهم الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي.. ومولدها في سنة 699هـ / 1299م تقريبا. ماتت سنة 683هـ / 1286م. وقد أجاز لها أبو جعفر الصيدلاني.

241- **فاطمة بنت علي بن محمد بن أحمد اليونينية البعلية** أم الخير بنت الحافظ شرف الدين أبي الحسين ولدت سنة 656هـ / 1260م. وسمعت من نصر الله ابن عبد المنعم بن حوران وحدثت وماتت سنة 730 ه/ 1330م .([5])

242- فاطمة بنت علي بن مسعود بن ربيع الصالحي ولدت سنة 648/ 1250م، وأجاز لها سبط السلفي والمنذري والشيخ عز الدين ابن عبد السلام ومحمد بن انجب وغيرهم وحدثت وماتت سنة 727 ه/ 1327م وكانت صالحة خيرة متعبدة.([1])

---

[1]- ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر ج70، 34.

[2]- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 419.

[3] – المصدر نفسه، ج1 ، ص419. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص82

[4] – الذهبي، معجم الذهبي، ج 2 ، ص111.الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص388، 389. . ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5، ص383.

[5]- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1 ، ص419. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص84.

243- فاطمة بنت علي بن يحيى بن عمر بن حمود البعلبكية ([2]**).**

محدِّثة سمعت من القطب اليونيني مجلس أموسان وحدثت سمع منها أبو حامد بن ظهيرة ببعلبك توفيت في القرن الثامن للهجرة .

244- فاطمة بنت فخراور بن محمد بن فخراور الكنجي ([3]).

محدِّثة عالمة أخت خديجة تكنى أم الحسن وأم محمود ولدت سنة 658 هـ / 1260م، وسمعت من عبد الرحمن ابن يوسف المنبدي جزء ابن ترتال وعلى ابن علاق جزء البطاقة وعلى ابن عزون الجمعة للنسائي والناسخ لابن مرداس النحوي وسمعت من آخرين وحدثت سمع منها القطب الحلبي وغيره وماتت سنة 733 هـ / 1333م.

245- فاطمة بنت محمد بن أحمد بن علي القسطلاني([4]**).**

محدِّثة وتدعى أمة الرحيم بنت القطب سمعت من محمد بن عبد الله المنبجي وأجاز لها ابن الخير وابن العليق وغيرهما سمع منها البرزالي والعز ابن جماعة وغيرهما وحدثت وماتت بمكة سنة 721ه/ 1320م .

246- **فاطمة بنت محمد بن جميل بن حمد ابن حميد بن أحمد بن عطاف،** الشيخة الصالحة المعمرة، أم محمد البغدادية المولد، الدمشقية ([5]). سمعت من والدها، وأجاز لها السلفي أجازت لي بدمشق سنة تسع وعشرين وسبع مئة، وكتب عنها بإذنها عبد الله بن المحب توفيت سنة 730هـ / 1331م.

247- **فاطمة بنت محمد بن البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسيّ.** أم محمد. امرأة صالحة، عابدة، سخية، جليلة، من خيار نساء دير الصالحين، وهي زوجة الكمال أحمد بن الكمال وأم أولاده، سمعت من: جدها، وابن الزبيدي. وسمعت حضوراً من الشمس العطار. وتوفيت سنة 691هـ / 1293م، وقد نيفت على الثمانين. سمع منها: الطلبة والرحالة ([6]).

248- **فاطمة بنت محمد بن محمد بن إسماعيل البكري الفيومي (**[7]**).** وتدعى ست الفقهاء.

---

[1]- المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحات.

[2] - المصدر نفسه، ج1 ، ص 419.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص419. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص89- 90 .

[4]- المصدر نفسه، ج 1 ، ص419. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 99.

[5] - السبكي، معجم شيوخ، ج1، ص 620 الصفدي، أعيان العصر، ج4 ، ص30. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1 ، ص419.

[6]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 130.

[7]- راجع ترجمتها. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص392. لابن حجر، الدرر الكامنة، ج 3، ص227 كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 137. و الفيوم: ولاية غربية في مصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام ويوجد أيضا الفيوم في موضع قريب من هيت بالعراق ، الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص286.

سمعت على عبد الله بن علاق الجمعة للنسائي ومشيخة الرازي وسداسياته، وحدثت سمع منها البرهان إبراهيم بن احمد بن عبد الواحد الشامي، وتوفيت سنة 747هـ / 1346م. ولدت سنة 635هـ 1238م.

249- **فاطمة بنت محمد بن محمد بن جبريل بن أبي الفوارس ابن جبريل بن أحمد بن علي بن خالد الدربندي** ([1])، أم الحسن وتدعى: ست العجم بنت الشيخ المحدث شمس الدين أبي الوليد ابن العماد. سمعت من المعين أحمد بن علي الدمشقي، وإسماعيل بن عبد القوي ابن عزون، وعبد الله بن علان، والنجيب عبد اللطيف الحراني، وأخيه عبد العزيز، ومحمد بن الحسن بن عساكر، ومحمد بن أحمد بن عمر ابن الظهير، وأبي بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني، وأجاز لها من دمشق جماعة منهم: ابن عبد الدائم، وإسماعيل بن أبي اليسر، وعبد العزيز بن عبد، وحدَّثت بكثير من مسموعاتها، ولها أثبات، وفيها دينٌ ومحبةٌ للحديث وأهله، مولدها بخط والدها في سنة 661هـ / 1263م بالقاهرة. توفيت سنة 737هـ / 1336م، بالقاهرة ودفنت بالقرافة .

250- **فاطمة بنت النفيس محمد بن الحسين بن رواحة الدمشقية** أم أحمد. ([2])

وهي العالمة الصالحة والمسندة سمعت من مشايخ عصرها الأجزاء الحديثية الكثيرة في مدينة طرابلس ومصر وحماة وغيرها، فحدثت وروت بما سمعت عن عمها بمصر وطرابلس، واخذ منها سماعا الحافظ الذهبي وغيره، توفيت بحماة سنة 717هـ / 1317م .([3])

251- فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي .

عالمة فاضلة ومحدثة وفقيهة ذات خط جميل، أخذت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذوا عنها كثيرون وتصدرت للتدريس ، وألفت مؤلفات عدة في الفقه والحديث ([4]).

252- **فاطمة بنت أبي الثناء محمود بن عبد الله بن محمد ابن الملثم العادلي.** أم شهاب. سمعت من: البوصيري، والأرتاحي، وعاشت اثنتين وثمانين سنة. روى عنها: الدمياطي، وغير واحد. وماتت سنة 661هـ/ 1264م. ([5])

---

[1]- السبكي، معجم شيوخ، ج1، ص 624. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1 ، ص420

[2] – الذهبي، ذيل العبر، ج6، ص 89. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 239. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 46..

[3]– الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 113. العبر في خبر من غبر، ج4، ص 45.

[4] – كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 94.

[5] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص 109.

253- **فاطمة بنت المحدّث أبي الفضل نعمة بن سالم بن نعمة ابن الحزّام.** أم الخير. سمعت من: البوصيري، وإسماعيل بن ياسين، وبنت سعد الخير. روى عنها: الحافظان زكي الدين عبد العظيم مع تقدمه، وشيخنا الدمياطي، والمصريون. وتُوُفّيت. سنة 657هـ/1259م.([1])

254- فاطمة بنت نصر الله بن محمد بن عباس بن حامد بن خليف السكاكيني أم عبد القادر ولدت سنة 660هـ / 1262م، تقريبا وأسمعت على عمر بن محمد الكرماني أربعين عبد الخالق بن زاهر وسمعت من حبيبة بنت أبي عمر وزينب بنت مكي وخديجة بنت الشهاب بن راجح ([2])

255- **فيروزة بنت المظفر** ([3]).

عالمة ، محدِّثة، عابد لها إجازات عالية ولها كتاب في الحديث سمته كتاب الأربعين رواية الصالحات عن الصالحين وتوفيت سنة 740هـ / 1339م .

256- **كريمة بنت أبي صادق عبد الحق بن هبة الله بن ظافر بن حمزة القضاعي، المصري، الشافعي . أم الفضل .([4])**

شيخة صالحة، وهي أخت محمد. سمعت من إسماعيل بن قاسم الزيات. روى عنها: الحافظان عبد العظيم وعبد المؤمن، وجماعة. وبالإجازة: أبو المعالي ابن البالسي، وغيره. وتوفيت في641هـ / 1263م.

257- **كريمة بنت المحدث أبي الوحش عبد الرحمن بن أبي منصور بن نسيم بن الحسين([5])**. تدعي فخر النساء . الدمشقية. سمعت من: الخشوعي، وست الكتبة بنت الطراح. روى عنها: المجد ابن الحلوانية، ولم يحدثنا أحد عنها. توفيت 641هـ / 1243م عن نحو خمسين سنة.

258- **كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر القرشية الزبيرية ([6]).**

وتعرف ببنت الحبقبق أم الفضل مسندة الشام. روت "صحيح البخاري" إجازة عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي وسمعه عليها جماعة منهم قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن زريق السابق. ولها إجازة من جماعة منهم أبو الخير الباغبان ومسعود الثقفي.

1- المصدر نفسه، ج48، ص 352.

2 – ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج1، ص 420. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 147.

3- كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 183. معجم المؤلفين، ج13، ص 412.

4- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، ص 92

5 – المصدر نفسه، ج47، ص 93.

6 – راجع ترجمتها في ابن المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج 3، ص623. الذهبي، سير أعلام، ج 23، ص92، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص1434. الفاسي، ذيل التقييد، ج2 ، ص393. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 6، 349. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 5، ص212.

وسمعت من حمزة بن علي بن الحسن الحبوبي البعلي وعبد الرحمن بن أبي الحسن الداراني وحسان الزيات. ماتت سنة إحدى وأربعين وستمائة في رابع عشر جمادى الآخرة ومولدها في سنة خمس أو سنة ست وأربعين وخمسمائة بدمشق.

259- **كمش التركية.** جارية ابن الدولعي. روت عن زينب بنت إبراهيم القيسية. وماتت سنة 667هـ/ 1269م ([1]).

260- **كنينة بنت أيبك الجزري.** روت عن ابن اللتي سماعا. وسماعها بالكرك. وحدثت بمصر. روى عنها: البرزالي، والطلبة. ماتت سنة686هـ / 1290م . ([2])

261- ليشة بنت مفاخر بن تمام بن عبد الرحمن بن حمزة بن البُنّ الأسَديّ.([3]) أم أحمد، من أهل حمورية. ربيت يتيمة عند الرشيد ابن مسلمة وسمعت منه. أخذ عنها الفرضي، والبرزالي، وجماعة ولم أسمع منها. توفيت أيام التتار بالبلد، سنة 699 هـ / 1300م.

262- **مريم بنت أحمد بن حاتم بن علي.** ([4])

ديِّنة، صالحة، مبتلاة بالآلام، صابرة، محتسبة. روت عن الإربلي، وحضرت على البهاء عبد الرحمن. سمعت منه جزءاً. حضرت على الفقيه محمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسي، وأجازها الكاشغري، وابن القبيطي، وجماعة. مولدها ببعلبك سنة اثنتين وعشرين وستمائة وتوفيت. سنة 699هـ / 1299م وهي أخت الشيخ الزاهد إبراهيم بن حاتم. قال علم الدين البرزالي: قرأت عليها جزءاً من فوائد أبي عروبة الحراني وغير ذلك.

263- **مريم بنت أحمد بن الإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد المقدسي.** ([5]) أم عبد الله. حضرت على الفقيه محمد بن عبد الملك بن عثمان. وأجاز لها أبو طالب بن القبيطي، وأبو إسحاق الكاشغري. وهي أخت المحدث محب الدين عبد الله، وزوجة أحمد بن أبي محمد المغازي. سمع منها محب الدين عبد الله، والبرزالي، وجماعة. وماتت في داخل المدينة، ودفنت إلى جانب السور سنة 699هـ / 1299م.

264- مؤنسة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبي وتدعى دار اقبال .([6]) حدَّثت بالمعجم الصغير للطبراني عن أبي الفخر أسعد بن سعيد بن روح وأبي

---

[1] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص 246.

[2] - المصدر نفسه، ج51، 276.

[3] - المصدر نفسه، ج52، ص 436.

[4] - المصدر نفسه، ج52، ص 455. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر ، ج5 ، ص415 .

[5] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 455.

[6] - راجع ترجمتها في ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 397. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 395 . كحالة، أعلام النساء، ج 5، ص127.

سعد أحمد بن محمد بن أبي نصر وأم هانى ء عفيفة بنت أحمد الفارقانية وأم حبيبة عائشة بنت معمر بن التاجر إجازة وخرج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن الظاهري سبعيات وثمانيات عن شيوخها بالإجازة وحدثت بها سنة 692هـ / 1295م. بالقاهرة بمنزلها بقصر الزمرد. وآخر من سمع عليها أبو الحرم القلانسي سمع عليها المعجم الصغير للطبراني وماتت بمصر في سنة 693ه /ـ 1296 م ولها نحو من تسعين سنة .

265- **مؤنسة بنت الصاحب كمال الدين عمر بن العديم العقيلي**. توفيت بدمشق في ربيع الآخر. روت عن: الركن الحنفي، كأخواتها توفيت سنة 690هـ / 1292م ([1])

266- **ملكة بنت إبراهيم بن عبد الرحمن الدمشقية** .([2])

محدِّثة سمعت من جدها لأمها محمد بن سالم بن الحسن بن صصري وحدثت سمع منها البرزالي توفيت سنة 749هـ / 1348م.

267- **ملكة بنت داود بن محمد بن سعيد القرطكي العالمة الصوفية . امرأة من المعمرات.** سمعت بمصر من الشريف أبي إبراهيم أحمد بن القاسم بن ميمون الحسني سنن الشافعي وبمكة من كريمة بنت أحمد وسكنت دمشق مدة في دويرة السميساطي سمع منها شيخنا أبو الفرج الصوري وأجازت لي جميع حديثها([3]).

268- **موهوبة أخت الشيخ أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن زين الأمناء ابن عساكر**. سمعت من جدها، ومن ابن صباح. وحدثت. وهي والدة الأخوين شرف الدين وعز الدين ابني ابن العماد الكاتب توفيت سنة 683هـ / 1286م ([4]).

269- **نارنج بنت عبد الله الرومية مولاة مفلح مولى التكريتي أم عائشة وأم إبراهيم.([5])**

سمعت على أحمد بن عبد الدائم "صحيح مسلم" وجزء ابي الشيخ، وحدثت سمع منها البرزالي وكانت قد اختلطت قبل موتها بثلاث سنين ولم ينتفع بها في هذه المدة .ماتت سنة 741هـ / 1340م.

270- **نخوة بنت محمد بن عبد القاهر بن هبة الله النصيبية أم محمد بنت الإمام زين الدين.([6])**

---

[1]- الذهبي، تاريخ ، ج51، ص 438.

[2] - كحالة، أعلام النساء، ج 5، ص 102.

[3]- ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج70، ص 127.

[4]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص 173.

[5] - راجع ترجمتها في السبكي، معجم الشيوخ، ج1، ص628. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 395. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص386 .

[6] - راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص355. الفاسي، ذيل التقييد، ج2 ، ص396. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 4، ص389. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص52. كحالة، أعلام النساء، ج5، ص 165.

سمعت على الحافظ يوسف بن خليل الجزء التاسع والعاشر من المستخرج لأبي نعيم على الصحيح. قرأتهما على شيخنا أبي هريرة عبد الرحمن بن الحافظ الذهبي عنها إجازة توفيت سنة719هـ / 1318م.

271- **نَسَب خاتون بنت الملك الجواد مظفَّر الدين يونس بن ممدود الملك العادل.** ([1]) شيخة مسنة جليلة. ولي أبوها سلطنة دمشق. وكتبت مشيخة رباط بلدق. وكانت تزور الحنابلة فسمعت من: إبراهيم بن خليل، وخطيب مردا. قرأ عليها علم الدين نسخة أبي مسهر. وماتت سنة 697هـ / 1299م.

272- **نسَبُ بنت يوسف بن الأطالسيّ** ([2]). روت بالإجازة عن أبي الحسن القطيعي، وغيره. وماتت بالقاهرة يوم موت بنت العادل أيضاً. سنة 693هـ / 1295م ، قال علم الدين: قرأت عليها جزءاً خرجه لها سعد الدين بن الحارثي.

273- **نعمة بنت علي بن يحيى بن علي ابن الطراح البغدادي ([3]) وتدعي ست الكتبة .**

تكني أم عبد الغني، وهي امرأة صالحة، عابدة، زاهدة، حسنة، صادقة([4])، سمعت من جدها وسمعت من أبي شجاع البسطامي ([5])، وأجاز لها محمد بن علي بن أبي ذر الصالحاني والفراوي. حدث عنها الضياء، وابن خليل، واليلداني([6])، والمنذري، و الشيخ شمس الدين عبد

---

[1]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52 ، ص327.الصفدي، أعيان العصر، ج5 ، ص501.

[2] - الذهبي، المصدر نفسه، ج52، ص 341.

[3] - انظر ترجمتها في : سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص 539. المنذري، تكملة المنذري، ج 2 / الترجمة، 1008. الذهبي، العبر، ج5، ص 10. سير أعلام النبلاء، ج21، ص 434. ابن تغري بردي، والنجوم الزاهرة، ج 6، ص 195. ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 12.كحالة، أعلام النساء، ج5، ص 182. والمدير في لقبها هو من يدير السجلات التي حكم فيها القاضي على الشهود ليكتبوا شهاداتهم فيها وهو لقب اشتهر به أحد أجدادها . إبراهيم ، ناجية، جهود المرأة، ص 90. .

[4]- ابن جماعة: المشيخة، م1، ص389.

[5]- أبو شجاع عمر بن محمد بن عبد الله البسطامي البلخي الحافظ المفسر الواعظ المفتي الأديب المتفنن إليه انتهت مشيخة بلخ، تفقه عليه جماعة، كان ورعاً متديناً تفرد برواية الشمائل ومسند هيثم من تصانيفه كتاب لقطات العقول مولده سنة 475هـ / 1082م، وتوفي سنة 562هـ / 1166م. انظر الذهبي، العبر، ج4، ص 178. السبكي، طبقات الشافعية ، ج7، ص 248- 250. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 376.

[6] هو تقي الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم عبد المنعم بن عبدالرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله ابن أحمد بن محمد اليلداني الدمشقي الشافعي. اليلداني الشيخ الامام المحدث المسند الرحال ولد بيلدان في أول سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، وطلب الحديث وهو كبير كان صالحا، مشتغلا بالحديث إلى أن توفي سنة 655هـ / 1259م. انظر : أبو شامة، ذيل الروضتين، 195. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص 70. الذهبي، العبر، ج 5 ، ص223 - 224. الكتبي، عيون التواريخ، ج20 ، ص115. ابن كثير، البداية

الرحمن ابن أبي عمر، والفخر علي ابن البخاري ، وجماعة، وكانت قد حدثت ببغداد والحجاز ودمشق، سمع منها التقي المقدسي ([1]) أبو الحسن علي المقدسي هو (الفخر ابن البخاري) وأبو الحسن ابن عساكر ([2]) أبو البقاء، ومن النساء زينب الحراني([3])، وفاطمة بنت الملك الأيوبي([4]) وست القضاة ماه ست ([5])، وكان سماعها منها بدمشق بإفادة زوجها وقراءته ([6]) وهناك أجزاء وفوائد عديدة سمعت ورويت عنها ([7])ولدت سنة 523هـ / 1127م ببغداد، وتوفيت سنة 604هـ / 126م. ودفنت خارج باب الفراديس ([8]).

274- نفيسة بنت إبراهيم بن سالم بن ركاب بن سعد الأنصارية أم محمد أخت المحدِّث إسماعيل بن الخباز.([9])

والنهاية، ج13 ، ص197 . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7 ، ص59. النعيمي، الدارس، ج1 ، ص93. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5 ، ص299.

[1]- هو أبو عبد الله يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الفقيه المنعوت بالتقي . ولي الإمامة بالجامع الغربي بمدينة نابلس ، سمع وحدث. مولده تقديراً في سنة 586هـ / 1190م. وتوفي سنة 638هـ / 1240م . ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج2، ص 221. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 202.

[2] – هو عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الشافعي أبو الحسن بن أبي البركات . شيخ جليل فاضل جميل السيرة محمود الطريقة. اشتغل بالعلم ولازم طريق العلماء. وأهل الدين وولي مشيخة دار الحديث النورية مدة طويلة توفي سنة 660هـ / 1262م. الذهبي، العبر، ج5، ص 260. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 270. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 302.

[3] – سبقت ترجمتها .

[4]- سبقت ترجمتها .

[5]- ست القضاة ماه ست ابنة أبي الفوارس بن أبي بكر بن أبي علي بن الحسن بن أبي حديد الدمشقية: تكنى أم إسماعيل وزوجها المحدث أبي المنصور عبد الرحيم بن نسيم، سمع منها جماعة من أهل الحديث وقرئ عليها بمنزلها بالديماس في دمشق . انظر ترجمتها في ابن جماعة، المشيخة ، م2، ص 578.

[6] – ابن جماعة ، المشيخة م2، ص 578.

[7]- إبراهيم، ناجية عبد الله، الجهود العلمية، 93.

[8] – جمع فردوس وهو البستان، وهي باب من أبواب دمشق . الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 862.

[9] – راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الذهبي، ج2، ص356 . ابن رافع، الوفيات، ج2، ص76 . الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 396 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 4، ص397 . كحالة، أعلام النساء، ج5، ص 186.

سمعت على أحمد بن عبد الدائم مشيخته تخريج ابن الظاهري وجزء ابن عرفة والدعاء للمحاملي. وسمعت من عبد الوهاب بن الناصح وغيرهما وأجاز لها أبو شامة وغيره. وسمع منها الحافظان .ماتت في سنة 749هـ / 1349م، ومولدها في سنة 663هـ / 1265م.

275- **هدية بنت المحدث المفيد معين الدين إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي،** الدمشقي . روت عن ابن صصرى حضورا، وعن ابن الزبيدي. سمع منها: ابن حبيب، والبرزالي، والمزي ثلاثيات البخاري، والدعاء للمحاملي عن العلم الصابوني سنة 671هـ / 1274م. توفيت سنة 684هـ/ 1288م([1]).

276- **هديّة بنت الشيخ عبد الحميد بن محمد بن سَعْد بن إبراهيم المقدسيّ، المَرْداويّ**([2]). أم محمد، امرأة صالحة، ديِّنة، زوجة الفقيه أحمد المرداوي ([3])، وأم أولاده. روت ' صحيح البخاري ' عن ابن الزبيدي يقول الذهبي : " سمعنا منها" ([4]) توفيت بالقدس سنة 699هـ / 1300م.

274- هدية بنت عبد الله بن مؤمن بن أبي الفتح أبا عبد الله الصورية، أجاز لها المارستاني، علي بن أبي الفخار، وعبد اللطيف بن القبيطي، توفيت سنة 719هـ / 1319م ([5])

277- هدية بنت عثمان بن عبد الله الأبهري. أم التقي. توفيت سنة 685هـ / 1288م .([6])

278- **هدية بنت علي بن عسكر البغدادي الهراس.**([7])

محدِّثة ذات دين وصلاح وعبادة، سمعت على أبي المنجا عبد الله بن عمر بن اللتي "مسند الدارمي". وحدَّثت به بقراءة الحافظ الذهبي وكان جدها هراسا وأبوه كتابا بصالحية دمشق.

---

[1]- الذهبي، تاريخ الإسلام،ج51، ص 207. كحالة، أعلام النساء، ج5، ص208

[2] - الذهبي، المصدر نفسه، ج52، ص 461

[3]- أحمد بن محمد بن جبارة.ابن عبد المولى المرداويّ الصالحيّ الحنبلي الإمام العلاّمة المقرئ النحوي شهاب الدين أبو العباس.، سمع على ابن عبد الدائم وطبقته، وقرأ القراءات على النبيه الراشدي، وأخذ عنه النحو وربّما حضر دروس الشيخ بهاء الدين بن النحّاس، وأجاد في النحو والقراءات، وسكن حلب مدة، وارتحل منها وأقام بالقُدس إلى أن مات بها، كان ذا زُهْد وقناعة وبلاغة ونصاعة، واشتهر بالقراءات، وهاجر الناس إليه، ووقع الاختيار من الطلبة عليه . كان مولده سنة 649ه / 1252م. الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص 92. ابن كثير، البداية والنهاية، ، ج13، ص 392.

[4] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 361.

[5] - المصدر نفسه، ونفس الجزء والصفحات. .

[6]- الذهبي، تاريخ الإسلام،ج51، ص250،

[7]- راجع ترجمتها في الذهبي ، معجم الشيوخ، ج2، ص362 . الفاسي، ذيل التقييد، ج 2 ، ص397 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 4، ص403، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 6، ص31.

وروت عن ابن الزبيدي حضورا وعن جعفر الهمداني .توفيت بالقدس سنة 712هـ / 1312م، ولها ستة وثمانون سنة.

279- **وجيهة بنت علي بن يحيى بن سلطان الأنصارية، زين الدار**([1]). (639 – 732 هـ = 1241 – 1332 م) عالمة بالحديث. أصلها من الصعيد (بمصر) سكنت الإسكندرية ، خرج لها كل من ابن رافع وتقي الدين بن عرام " مشيخة وقال ابن رافع والصفدى ، وسمعت من ابن النحاس وأحمد بن عبد المحسن القرافى مجلسين من حديث أبى المظفر ابن السمعانى لسماعه منه وسمعت كثيرا وأجاز لها جماعة وخرج لها بعض أهل الحديث مشيخة([2]) وحدث عنها جماعة كثيرة وتوفيت بالإسكندرية .

280-**وجيهة بنت عمر بن أبي القاسم الهوارية ثم الإسكندرانية** قال الذهبي عنها: أخت شيخنا أبي القاسم قرأت على وجيهة بنت عمر بالثغر سنة 631هـ / 1234م" ([3]) .

281- **وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا بن أبي البركات التنوخي .أم محمد** . وتدعى ست الوزراء بنت القاضي شمس الدين الحنفي الدمشقية.([4])

282 – **وزيرة بنت الشيخ تاج الدين يحيي بن محمد بن أحمد بن حمزة الثعلبي الدمشقي** المحتسب تكني بأم محمد، وتدعي ست الوزراء، والدة المحدث مجد الدين بن محمد الصيرفي كان ابنها يثني على دينها وكثرة صومها ونوافلها، أجاز لها السخاوي والضياء والنسابة وجماعة، وسمع منها الحافظ شمس الدين بن جعوان والجماعة توفيت سنة 705هـ / 1305م([5]) .

نستخلص مما سبق اهتمام النساء في بلاد الشام ومصر في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي بالعلوم النقلية عامة والحديث خاصة سماعاً وحفظاً ورواية وتحليلاً، فقد بلغ عدد النساء اللواتي أحصاهن البحث إلى" 277 " محدثة(19) منهن في القرن 5ه/ 11م و(152) في القرن 6هـ / 12م و(107) محدثة ممن امتدت حياتهن إلى أوائل القرن 7هـ / 13م، وخمس محدثات لم يتم ذكر سنة وفاتهن، وكما وجدنا تمركزاً واضحا للمحدثات في مدينة دمشق " 222 " وخاصة زاد عددهن في القرن السابع والثامن الهجري/ 13، 14م أي بعد

---

[1]- الشوكاني، البدر الطالع ، ج2، ص 316 .كحالة، أعلام النساء، ج5، ص 274. الزركلي، الأعلام ، ج8، ص 111.

[2] – خرج لها كل من ابن رافع وتقي الدين بن عرام " مشيخة . الشوكاني، البدر الطالع، 2، 316. ابن حجر، الدرر الكامنة ج4 ، ص 406.

[3] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص 364.

[4]- تقدمت ترجمتها في ست الوزراء برقم 158.

[5] – الذهبي، معجم الشيوخ ، ج2، ص 365.

سقوط بغداد على يد التتار عام 656ه/ 1258م، فانتقلت منارة العلم من بغداد إلى دمشق والقاهرة، في حين شهدت حلب " 8" فقط، وشهد بيت المقدس " 8" وبعلبك (6) وحماة (4) وشيزر(3) محدثات.([1])

وأراني في الختام لا أحتاج إلى التركيز على أننى ذكرت غيضاً من فيض، وقليلاً من كثير، وما أهمل وترك لا يقل – إن لم يكن أكثر – ما ذكر، فقد حوت المخطوطات وكتب الأحاديث وحواشيها، وكتب الأسانيد للحديث أيضاً، وكتب البرامج والأثبات والمشيخات والتراجم، سواء المرتبة على الأزمنة أو كتب التاريخ والطبقات وغيرها، أسماء من تعلَّمت الحديث وعلَّمته من النساء، ويجد الواقف على تلك الكتب في الحواشي والأسانيد مئات النساء الراويات كن شقائق الرجال في دراسة كتب الحديث، وبعضهن قد حظين بسهم وافر في تدريسه وقراءته أيضاً([2]).

ثالثاً - المرأة فقيهة ومفتية.

في تلك الفترة التاريخية التي تشمل نطاق البحث ظهرت الفقيهة والمُحدِّثة والمفتية، التي يَقْصِدُها طلاب العلم، ويأخذ عنها بعض أساطين العلماء، وتفتي في بعض الأمور التي تخصُّ عامة المسلمين، كما مرَّ معنا ظهر من العالمات المسلمات من تعقد مجالس العلم في كبريات المساجد الإسلامية، ويحضُر لها الطلاب من الأقطار المختلفة، وعُرف عن بعض الفقيهات والمحدثات المسلمات أنَّهن أكثَرْنَ من الرحلة في طلب العلم إلى عدد من المراكز العلمية في مصر والشام والحجاز، حتَّى صِرْنَ راسخاتِ القَدَم في العلم والرواية، وكان لبعضهن مؤلفات وإسهامات في الإبداع الأدبي.

ومن النساء اللواتي عملن بالفقه:

1- أمة الرحمن بنت محمد بن أحمد القسطلاني فقيهة عالمة، قرأ وسمع عليها محمد الواني ([3]) .

2- خديجة بنت الحسن بن علي بن عبد العزيز، أم البقاء القرشية الدّمشقي بأنها كانت تشتغل بالفقه ([4]).

---

[1] - انظر ملحق (5) جدول رقم (1) .

[2] انظر : الفاسي ، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، (باب النساء، ج1، ص 357 إلى آخر الكتاب)

[3] - كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 86.

[4] - الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج4 ، ص359.

3- ست الوزراء بنت عمر بن أسعد ابن المنجى التنوخية الحنبلية، فقيهة ومحدّثة وقد اشتهرت بكونها متفقهة على المذهب الحنفي، فضلاً عن قراءتها للقرآن الكريم، وروايتها عن العديد من العلماء ([1]).

4- ست الوزراء بنت محمد بن عبد الكريم بن عثمان المشهور بابن السماع ، متفقهة حنفية المذهب ولدت سنة 659هـ / 1261م، وكتبت وقرأت القرآن وحفظت شيئاً كثيراً من فقه أبي حنيفة وتفقهت على والدها وأسمعها أبوها من إسماعيل بن الرومي و غيره وتوفيت سنة 736هـ / 1336م ([2]).

5- فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي تحتلُ المكانة العالية الرفيعة في الفقه والفتوى، وتصدرت للتدريس وألفت عددًا من الكتب، وكان الملك العادل "نور الدين محمود"، يستشيرها في بعض أمور الدولة الداخلية، ويسألها في بعض المسائل الفقهية، زوجها الفقيه الكبير "الكاساني" صاحب كتاب "البدائع"، فكانت فقيهة فاضلة تحفظ التحفة من تصنيف والدها، وتنقل المذهب فربَّما هام زوجها في الفتيا فتردُّه إلى الصواب وتعرِّفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولِها، وكانت تُفْتِي ويَحْتَرم زوجها فتواها، وكانت الفتوى تَخرج وعليها توقيعها وتوقيع أبيها وزوجها، فلما مات أبوها كانت تُوقِّع على الفتوى هي وزوجها "الكاساني" لرسوخها في العلم وفقهها الواسع ([3]).

رابعاً - المرأة واعظة .

كان نصيب المرأة في الاهتمام بالوعظ([4]) تعلماً وتعليماً كبيراً وواسعاً حتى طغي على عدد كبير منهن دون غيرها من الاهتمامات العلمية الأخرى وصار لقباً يعرفن به، حيث برز عدد من الواعظات في بلاد الشام ومصر خلال مدة موضوع البحث ممن بذلن جهداً كبيراً ووقتاً كثيراً في قراءة القرآن الكريم ودراسة الفقه والأدب ([5])، وكان الرباط مركزاً رئيسياً لوعظ النساء، تجتمع فيه الزاهدات والمتعبدات وتجلس الشيخة المحدّثة للوعظ فيهم، وهناك ربط عديدة للنساء في الأقطار الإسلامية في دمشق وحلب والقاهرة، احتفت بالعديد من النشاطات الدينية والحوارات العلمية والثقافية أشهرها رباط البغدادية ([6]).

[1] - ابن تغري بردي، والنجوم الزاهرة ، ج9، ص 237 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 79. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج6، ص 40.

[2] - كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 174.

[3] - ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج 4، 290 .

[4] - الوعظ هو التذكير والإرشاد .

[5] - كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 174.

[6] - انظر الربط لاحقاً

1- حجاب بنت عبد الله شيخة رباط البغدادية، وكانت صالحة خيرة، ملازمة للرباط تعظ النساء([1]) .

2- خديجة بنت يوسف بن غُنَيْمة بن حسين العالمة، الفاضلة، أمة العزيز البغدادية ثم الدمشقية. اشتهرت بالوعظ وكانت تعظُّ النساء ([2]).

3- ست العلماء المعروفة بالبلبل شيخة رباط درب المهراني بدمشق، كانت قوامة بالليل لأدوارها، ملازمة للصلاة على سجادها، مشهورة بحسن الوعظ والتذكير ([3]) .

4- عائشة بنت أبي المظفر محمد بن علي بن البل الدوري، الواعظ.) تكني بأمة الحكم الواعظة ([4]) سمعت من والدها، وأجاز لها مثل أبي الحسن بن خيرة، والشيخ عبد القادر ابن البطي. روى عنها: المجد ابن الحلوانية، وغيره. وبالإجازة: أبو المعالي ابن البالسي، وغيره، وكانت خيِّرة صالحة تعظ النساء، توفيت سنة 641هـ / 1243م([5]) .

5- فاطمة بنت سهل بن بشر بن أحمد الإسفراييني بأنها كانت تعظُّ النساء في بعض المساجد ([6]).

6- فاطمة بنت عباس أبي الفتح البغدادية([7]) . الشيخة المفتية الفقيهة العالمة الزاهدة العابدة، أم زينب البغدادية الحنبلية الواعظة.

كانت وافرة العلم، تسأل عن دقائق المسائل، وتتقن الفقه اتقاناً بالغاً و يقول ابن كثير فيها أنَّها: (كانت من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وتفعل مالا يقدر عليه الرجال، وكان ابن تيمية يثني عليها ،.....وإذا علم أنَّها ستحضر درسه استعد لها لكثرة وحسن مسائلها وسرعة فهمها. " ([8])، وانتفع بها نساء أهل دمشق لصدقها في وعظها وقناعتها ثم تحولت إلى القاهرة فحصل بها النفع وارتفع قدرها([9]).

---

[1]- الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص 371. المقريزي، ج1، ص 447.

[2] – الذهبي، تاريخ الإسلام الذهبي ، ج52 ، ص 404

[3] - الصفدي، أعيان العصر ، ج1، ص 340 .

[4] – الذهبي، تاريخ الاسلام، ج47، ص77- 78. .

[5]- المصدر نفسه، ج47، ص 77- 78. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 211.

[6] - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج70، ص 262.

[7] -.الصفدي ، أعيان العصر، ج4، ص 28. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، 239 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 418. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 34. بن محمد الأموي، معجم أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية:ج1، ص116.

[8] ابن كثير، البداية و النهاية، ج14، ص 82.

[9] الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4، ص 40 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1 ، ص418. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 34.

7- ياسمينة السيراوندية من ربات الوعظ والإرشاد وكانت تفسر سور القرآن ([1]).

خامساً - المرأة والتصوف .

قد مارست المرأة المسلمة دورها في كافة جوانب الحياة، ومنها الجانب العلمي الذي برز بظهور عدد كبير من النساء في ميدان التصوف، بتأثير العدوان الصليبي الذي أشاع في الوسط النسائي هذا التوجه من العبادة والزهد، فيما اتخذت هؤلاء المتصوفات بيوتهن في الربط والخوانق، وتلقبن باسم الفقيرات، اعتكافاً منهن على العبادة، فقد حظيت هؤلاء النسوة المتصوفات باهتمام المؤرخين في ترجمتهن وتتبع أخبارهنّ، فهذا ابن عساكر يترجم لملكة بنت داود([2]) الصوفية أنها " سكنت مدة في دويرة([3]) السيمساطي([4])، فيما أصبحت هذه الدويرة موطن الكثير من النساء المتصوفات اللائي شاركن في آن واحد، فيما روي عن ملكة هذه، أنها كانت شيخة للحديث، وتتلمذ على يدها الكثير من الرواة والمحدثين وأهل العلم، وربما كانت تلك الدويرة قد مثلت في هذا المعنى مدرسة وموطناً لحلقات الدرس .

فقد سلكت المرأة سبيل التصوف والعبادة، من خلال اختيارها لهذه الحياة، فقد شجعت على توسيع دائرة التصوف والزهد، بقيامها بأعمال البر والتقوي التي تخدم هذا الجانب فهذه الخاتون عصمت قد بنت في دمشق مدرسة ورباطاً للصوفية ووقفتهما على ساكنيها ([5])، كما سيأتي لاحقاً وفي العصر المملوكي استمر انصراف بعض النساء إلي التصوف ولبس الخرقة([6]) حتي تلقبن بالشيخات([7])، واتخذن من الزوايا والربط والخانقاهات أماكن للسكن ضمن توجه أولئك الشيخات ([8]) وما من شك في اتساع دائرة التصوف في العنصر النسائي،

---

[1] – كحالة، أعلام النساء، ج5، ص 295.

[2] – تمَّت ترجمتها سابقاً في المحدِّثات، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 70، ص 127، كحالة، أعلام النساء، ج5، ص 103.

[3] – الدويرة، هي خانقاه السميساطية نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبشي، من أكابر الرؤساء بدمشق، مات سنة 423 ه/ 1027م، وهو الذي اشتراها حين قدم دمشق. وتقع على الباب الأموي ، وكانت تدعي بدوير الفقراء، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص 476حاشية رقم (1). عاشور، بحوث في تاريخ الإسلام، ص 372.

[4] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج70، ص 127

[5] – النعيمي، الدارس، ج1، ص 388.

[6] - المقريزي، السلوك، ج2، ص 269.

[7] – ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص 841.

[8] – المقريزي، السلوك، ج2، ص 269. الخطط، ج4، ص 292. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 361. رمضان، المجتمع، ص 277. السامرائي، العادات والتقاليد، ص 225.

إنما يشير إلي حبهن للعبادة وحياة الزهد، فضلاً عن انصرافهن عن متع الحياة ومباهجها([1])، لكن هذا الانصراف لبعض النساء المتصوفات نحو حياة الزهد، لا يعني أنها الصورة الوحيدة التي شكلتها المرأة بالمجتمع الإسلامي في المدة التي تناولتها في البحث، و ذلك لأنَ بعض النساء كنّ قد مارسن حلقات التدريس في المساجد والربط، وأثبتن جدارة وكفاءة كبيرة في هذا المجال، بل تتلمذ الكثير من أهل العلم من المحدِّثين والمؤرخين والرواة على أيديهنّ، ولعلّ أدق صورة لواقع المرأة المتعلمة في دمشق كما مرَّ معنا زمن مؤرخ دمشق ابن عساكر([2])، فلم تكن حبيسة المنزل وقد تولت بعض هؤلاء العالمات مشيخات بعض الأربطة، مثل زين العرب بنت عبد الرحمن بن عمر ([3]) المتوفاة سنة (704هـ / 1304م) التي تولّت مشيخة رباط السقلاطوني، ثم مشيخة رباط الحرمين ([4]).

سادساً - المرأة والخط العربي.

إذا كان بعض النساء قد أتقنَّ رواية الحديث نقلاً بما تمتعن به من ذاكرة قوية إلا أنَّ إتقان الحديث والحرص على أمانة النقل تتطلب كتابته على نحو دقيق؛ مما دفع ببعض النساء إلى الاهتمام بكتابة الخط العربي والتفنن بتجميله.

1- فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي([5]).
2- وفاطمة بنت محمد بن عبد القادر بن عثمان([6]) . والتي تعرف ببنت قريزان اشتهرت بجودة الخط والعبارة الفصيحة .
3- خديجة بنت يوسف بن غنيمة العالمة الفاضلة أمة العزيز قرأت غير مقدمة في النحو وجودت الخط على جماعة([7]).
4- وأمة الله ابنة الناصح عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي. كانت امرأة جليلة، و كاتبة ([8]).
5- خديجة بنت عثمان بن محمد بن أبي بكر التوزري([1]) بنت الشيخ فخر الدين أم الرمال ([2]). ذكرت في المحَدِّثات، كانت كاتبة جيدة الخط والإنشاء تكتب بخطها الإجازات،

[1] - السامرائي، العادات والتقاليد، ص 225.
[2] - لقد خصص ابن عساكر من كتابه تاريخ دمشق، الأجزاء 69- 70 لتراجم النساء .
[3] - تمَّت ترجمتها سابقاً في المحدِّثات.
[4] - الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص 337. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 44.
[5] - كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 94.
[6] - المرجع نفسه، ج4، ص 96.
[7] - الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 447. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 230
[8] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 321.

وقال أبو الفداء " توفيت أم الخير خديجة المدعوة ضوء الصباح، وكانت تكتب بخطها في الإجازات" ([3]).

6- خديجة بنت محمود بن محمود المفتي ([4])، عالمة فاضلة، روت عن ابن الزبيدي وغيره، وقرأت النحو وجودت الخط على جماعة وتوفيت سنة 699هـ / 1300م.

7- ستّ الرضا، بنت نصر الله بن مسعود بن نجيم، الكاتبة المعروفة ببنت الأستاذ تكتب خطاً مليحاً عَلَى طريقة ابن البوّاب([5]) قال الصفدي: رأيت بخطّها إجازةً كتبتْها لجماعة بجميع مرويّاتها فِي ذي الحجة سنة سبع وستين وخمس مائة، ولا أدري لَهَا رواية أم لا.([6])

8- وشهدة بنت عمر بن العديم، محدثة فاضلة وكاتبة مجيدة ([7])

9- ومن النساء اللواتي برعن في كتابة الخط " بنت خدراوي فيقول ابن تغري بردي : "أن في سنة ستّ وسبعين وخمسمائة فيها قدمت امرأة إلى القاهرة عديمة اليدين، وكانت تكتب برجليها كتابة حسنة، فحصل لها القبول التام، ونالها مالٌ جزيل" ([8]).

سابعاً - المرأة أديبة وشاعرة.

ولم يقتصر دور المرأة في المجتمع الإسلامي على العلم والفقه فقط، بل برعت المرأة في مجال الأدب والشعر، حتى فاق بعضهن الرجال ، ومن الشاعرات اللواتي برزن في تلك الفترة :

---

[1] كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 337.

[2]- انظر، الفاسي، ذيل التقييد، ج2 ، ص 364. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 256.

[3]- أبي الفداء، تاريخ المختصر في أخبار البشر ، ج3، ص 225. كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 337.

[4]- كحالة، أعلام النساء،ج1، ص 343.

[5] - هو علي بن هلال، أبو الحسن المعروف بابن البواب، خطاط مشهور، من أهل بغداد. هذب طريقة ابن مقلة وكساها رونقا وبهجة. وفي رثائه قال الشريف المرتضى قصيدته التي مطلعها: من مثلها كنت تخشى أيها الحذر والدهر إن هم لا يبقي ولا يذر، نسخ القرآن بيده 64 مرة، إحداها بالخط الريحاني لا تزال محفوظة في مكتبة " لا له لي " بالقسطنطينية. توفي سنة 423هـ / 1032م، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص 10. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 345. الحموي، معجم الأدباء، ج15، ص 120- 134. الذهبي، سير أعلام، ج17، ص 315. ابن كثير، والبداية والنهاية، ج 12، ص 14.. الزركلي، أعلام، ج5، ص 30 -31.

[6] - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 33

[7]- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 251. كحالة، أعلام النساء، ج313.

[8]- ابن تغري بردي، ا لنجوم الزاهرة ، ج6، ص 86. كحالة، أعلام النساء ، ج1، ص 174.

تقيّة بنت غيث بن علي الأرمنازي([1]) الصوري المدعوة بست النعم تكني بأم علي ، الشاعرة المحسنة لها شعر سائر([2])، وقصائد ومقاطيع، جمعت في (ديوان) صغير، أصلها من بلدة صور، وولدت في دمشق، وسكنت الإسكندرية، وتوفيت بها سنة 580هـ 1184م([3]) وصحبت الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني – رحمه الله تعالى – زمانا بثغر الإسكندرية، وذكرها في بعض تعاليقه الإسكندرية، وأثنى عليها ابن طاهر السلفي وقال: " ولم تر عيني شاعرة سواها" ([4])، وكتب بخطه: عثرت في منزل سكناي، فانجرح أخمصي، فشقت وليدة في الدار خرقة من خمارها وعصبته، فأنشدت تقية المذكورة في الحال لنفسها تقول([5]):

لو وجدت السبيل جُدت بخدي   عوضاً عن خمار تلك الوليدة

كيف لي أن أقبل اليوم رجلاً   سلكت دهرها الطريق الحميدة

فكانت أوحد أهل زمانها بالأدب، ولها مشاركة في بعض العلوم، وأتقنت النحو، ولها شعر جيد، وكانت امرأة برزة جلدة، وعاشت أربعًا وسبعين سنة ولها ابن محدِّث معروف وهو علي بن فاضل بن صمدون ([6]).

فمن ذلك قولها ([7]) : في وصف مليح، وحمرة خده الصحيح

خد من أهواه يحكي زحلا   صبغوه من دمي كالعندم

ولماه عسل فيه الشفا   وحماه كعبتي بل حرمي

وعلى هذا القول بعضهم وأجاد :

أهيف خده من ماء ورد   يحوز الحسن فهو بلا شبيه

فلو أخجلته بالقول جهدي   لحمرة خده ما بان فيه

وقال آخر:

---

[1]– والدها أبو الفرج غيث بن علي الصوري المعروف بابن الأرمنازي كان خطيب صور وأحد الفضلاء، سمع من غير واحد، وحدث، روى عنه شيخه أبو بكر الخطيب بيتين من شعره، توفي سنة 509هـ / 1113م الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4، ص 18.

[2] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 297. ابن العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ح2، ص 221. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص 94. العبر في خبر من غبر، ج3، ص 77. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، 96.

[3] – الزركلي، الأعلام، ج2، ص 86.

[4] – ابن طاهر السلفي، معجم السفر، ج1، ص 65.

[5]– المصدر نفسه، ج1، ص 65.

[6]– الذهبي، العبر، في خبر من غبر، ج3، ص 77. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص 265.

[7] – الروضة الفيحاء في أعلام النساءج1، ص 81.

ونار خديه الذي أضرمت   غدا بها كان لقلبي غرام
اخترته مولى ويا ليته   لو قال يا بشراي هذا غلام

حكي: أن تقية مدحت الملك المظفر عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين بقصيدة طويلة بقصيدة أغربت فيها بوصف الخمر، فقال: لعلها عرفت ذلك في صباها ؟ فبلغها قوله، فنظمت أخرى حربية، فسيَّرت إليه تقول: علمي بتلك كعلمي بهذه ! فأجازها . ([1])

وقد ذكر العماد الأصفهاني([2]) في " خريدة القصر وجريدة العصر " أن بعض الأفاضل كتب إلى ست النعم _ رحمها الله _ لما مدحت نفسها ، قال فيها :

لا كل من ترجوا لغيبتك حافظ ** ولا كل من ضم الوديعة يصلح

فكتبت إليه:

تعيب على الإنسان إظهار علمه ** أبالجد هذا منك أم أنت تمزح
فدتك حياتي قد تقدم قبلنا ** إلى مدحهم قوم وقالوا فأفصحوا
وللمتنبي أحرف في مديحه ** على نفسه بالحق والحق واضح
أروني فتاة في زماني تفوقني ** وتعلو على علمي وتهجو وتمدح

2- سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية: (000 - نحو 700 هـ = 000 - نحو 1300 م) شاعرة، قال ابن القاضي في ترجمة ابن سلمون: ولقي بفاس الشيخة الأستاذة الأديبة الشاعرة سارة الحلبية، وأجازته، وألبسته خرقة التصوف، وأنشدته قصيدة من شعرها (أوردها ابن القاضي) ثم أفرد لها ترجمة طويلة، قال فيها: إنها دخلت الأندلس ومدحت أمراءها، وقدمت على سبتة في أواخر المئة السابعة، فمدحت رؤساءها وخاطبت كتابها وشعراءها. وأورد طائفة حسنة من شعرها. ولم يذكر وفاتها ([3]).

3- عائشة بنت إبراهيم بن حمد بن عثمان الدمشقية(645ه - 718ه/ 1248 - 1319م([4]) حصلت على الإجازة من عدد من الشعراء منهم البهاء زهير .

4- زينب بنت الكمال ([5]) فقد روي عنها بأنها كانت تعتني بالشعر ونظمه .

5- فاطمة ابنة الخشاب ([6]). شاعرة مجيدة وفصيحة بليغة لها قصائد مطولة وأشعار لطيفة ونثر جميل، عاصرت الصفدي في القرن الثامن، وقد اجتمع عليها جملة من

[1] - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 297.

[2] - ابن العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج2، ص 221.

[3] - الزركلي، الأعلام، ج3، ص 69.

[4] - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 338- 339. كحالة، أعلام النساء، ج3، ص 3.

[5] - السبكي، طبقات الشافعية الكبري، ج6، ص 40- 41. وكانت تكتب أبياتاً من الشعر السلفي .

[6] - فواز، الدر المنثور، ج1، ص 367.

العلماء والأماثل والأدباء الأفاضل، وقد أجازها في الحديث جملة منهم وروى عنها كثير أيضا وقد أرسلها يوما العلامة قاضي القضاة شهاب الدين بن فضل الله بقصيدة غراء نحو سبعة وعشرين بيتا ومطلعها ([1]):

هل ينفع المشتاق قرب الدار والوصل ممتنع مع الزوار
يا نازلين بمهجتي وديارهم من ناظري بمطمح الأنظار
هيجتم شجني فعدت إلى الصبا من بعد ما وخطَّ المشيب عذاري

فأجابته المترجمة بقصية على وزنها وقافيتها تزيد عن العشرين بيت لم نعثر منها إلا على هذين البيتين وهما:

إن كان غركم جمال إزار ... فالقبح في تلك المحاسن وار
لا تحسبوا أني أماثل شعركم ... أنَّى يقاس جداول ببحار

فلما وصلت هذه القصيدة إلى قاضي القضاة وجدها كلها ألفاظا درية ومعاني عبقرية أكبر مخاطبته وأخذها بعين الكمال، ولم يخاطبها إلا بما يوافق مقام العلماء الأعلام، وبقيت معززة مكرمة إلى أن ماتت وحضر مشهدها جملة من العلماء والأعيان والحكام – رحمها الله تعالى.([2])

3- مؤنسة بنت الشيخ محمد بن علي ابن البيطار المقرئ ([3]) . كانت فاضلة أديبة لها أشعار كثيرة، فمنها :

مودة شراب السلاف مدامة ... تميد بهم عند انقضاء المجالس
إذا جئتهم يوماً لدفع ملمة ... رجعت بمأمول من الفضل آيس
لهم صحبة لا روح فيها كأنها ... شبيه التصاوير التي في الكنائس

---

[1] – الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص 31.
[2] - فواز، زينب، الدر المنثور، ج1، 367.
[3] – ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، ج1، ص 420.

المصادر الثقافية العلمية للمرأة

بعد التعرف على تراجمهن اتضح لدينا معرفة المادة العلمية التي كن يقرأنها ويروينا ويخبرن من خلالها والوقوف على أسماء الكتب والمؤلفات التي كانت مجال القراءة تكشف نوعية الثقافة المتداولة في ذلك الوقت، لم يكن اهتمام المرأة في الاشتغال بالعلم، أخذاً وعطاءً، بل كانت حريصة أشد الحرص على التحري الدقيق لمسموعاتها وقراءاتها، يدفعها إلى التثبت من أصول الشيوخ ومصادر سماعاتهم وقراءاتهم العلمية([1])، مع أنَّ سماعاتها تلك ومروياتها للآخرين كان يتفاوت مقداره ونوعه من حيث الكمية والحجم، فهو إما يكون كثيراً([2])، وبأجزاء عديدة، أو كتباً كاملة كما سنلاحظ أو يكون قليلاً، بحدود جزء واحد ويكون هذا الجزء لطيفاً ومفيداً، ويأخذ أهمية كبيرة بحيث أنَّ المحدِّثة تنفرد به عن شيخها، كما روي عن ست الأهل بنت الناصح علوان البعلبكية([3])؛ التي روت كتاب الزهد للإمام أحمد في أربع مجلدات وتفردت به عن البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي([4]).

وقد يكون قطعة من الكتاب([5]) أو مقدار حديثين فقط([6])، أو غير ذلك وقد لا يحدد حجمه ولا مقداره([7]) وهو يكون غالباً لفظاً ويراد به سماع الحديث وروايته. ويصعب على الباحث حصر الكتب والأجزاء الحديثية التي أخذتها أو روتها النساء، ففي معجم الشيوخ([8]) للذهبي، عشرات إن لم يكن المئات من هذه الكتب والأجزاء الحديثية التي قرأها الذهبي وحده وأجيز بها من النساء المحدِّثات.

على ما تجدر الإشارة إليه هنا أن ما وقفنا عليه من مصادر ثقافية أصيلة انتفعت بها المرأة، أو نفعت بها الآخرين، خلال مدة موضوع البحث، لا يمثل كل ما انتفعت به من مصادر، ولا لجميع النساء اللاتي أحصاهن البحث، وإنما لعدد محدود مما عثرنا عليه، ولمجموعة معينة من النساء انحصرت في اللاتي تميزن في ذلك العصر، ومن المرجح كثيراً لم تصل إلينا أخبارها سواء لهؤلاء النساء أو لغيرهن ممن انتفع بعلمهن ولم تُذكر أسماؤهن ولا مصادر ثقافتهن العلمية.

---

[1] – إبراهيم، ناجية عبد الله، جهود المرأة، ص 174.

[2] – الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص 402.

[3] – انظر ترجمتها في المحدثات الرقم (124)

[4] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 283. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 8.

[5] – كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 310.

[6] – إبراهيم، ناجية عبد الله، جهود المرأة، ص 174.

[7] – الصفدي ، الوافي بالوفيات، ج16، ص 561.

[8] – انظر على سبيل المثال/ التراجم 194، 196، 198، 216، 234، 244، 245.

فتصدرت الكتب الدينية الدرجة الأولى عناية النساء ، وقد احتل الحديث النبوي الشريف الأولوية بينها، ومن هنا فلا غرابة إذا ما سمعت المرأة جزءًا محدوداً، أو أجزاء عديدة، أو كتاباً شاملاً، وحتى الفوائد التي تبدو صغيرة في حجمها فإنها كانت مفيدة وفي غاية الأهمية من حيث موضوعاتها . وهذا يعكس طبيعة الثقافة الدينية والمفاهيم المتداولة في ذلك العصر، كأنها أساس علم الحديث وإتقانه. فضلاً عن الكتب ذات العلاقة بالأخبار التاريخية مثل: مغازي للواقدي، وكتاب النسب للزبير بن بكار.

كما أنَّ العديد من تلك الكتب استمرت روايتها بين طلبة العلم رجالاً ونساءً الواحد تلو الآخر حتى وصلت روايتها إلى أواسط القرن 8هـ / 14م وإن أغلبها إما طبع أو ما يزال مخطوطاً محفوظاً في خزائن المكتبات العلمية العربية والإسلامية. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهميتها، وعمق أصالتها في تراثنا العربي الإسلامي.

ومن أهم المصادر الثقافية والعلمية في ذلك العصر :

أولاً- الكتب :

1- **أخلاق النبي صلي الله عليه وسلم** . لأبي الشيخ الأصبهاني([1]) .

سمعه محمد الواني من زينب بنت عبد الباقي بن علي ت 716هـ / 1315م ([2]).

2- أربعين الآجري .

وسمعته آمنة بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي (ت 740ه/ 1339م) ([3]) من ابن عبد الدائم ، وسمع منها الذهبي والبرزالي ([4]).

3- أربعين عبد الخالق الشحامي .

آمنة بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي (ت 740ه/ 1339م)، حضرته على الكرماني أربعين عبد الخالق الشحامي([5]). سمع منها الذهبي والبرزالي([6]).

---

[1] – هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني ت 369هـ/ 972م . ابن النديم، الفهرست، ج1، ص 304. الكتاني، الرسالة المستظرفة، ج1، ص 51.

[2] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 251.

[3] – راجع ترجمتها في: ابن رافع، الوفيات، ج1، ص 342. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص386. الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج2 ، ص359. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص413. ذكرها كحالة " بأمة الرحمن " ، ج1، ص 84.

[4] – السبكي، معجم شيوخ السبكي، ج1، ص 548.

[5] – راجع ترجمتها في: ابن رافع، الوفيات، ج1، ص 342. الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج2 ، ص359. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص386. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص413.

[6] – السبكي، معجم شيوخ السبكي، ج1، ص 548.

4- بغية المستفيد لابن عساكر.

سمعته أسماء بنت محمد بن سالم بن أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن الحسن البعلبكي المعروف بابن صصرى ([1]) وسمعته على جدها لأمها مكي بن غيلان خمسة أجزاء الأول والثاني من بغية المستفيد لابن عساكر وغيرها([2]).

5- البخلاء([3]) للخطيب البغدادي.

سمعته ست الكتبة نعمة ابنة علي بن الطراح المدير([4]) من جدِّها يحيي .

6- الجامع الصحيح ([5])للبخاري .

وهو من الكتب الستة في الحديث وأفضلها([6]). سمعته زينب بنت الكمال (ت740ه/ 1339م) من وجيه بن ظاهر الشحامي، وأبي الفتوح بن شاه الشاذياخي([7])، و سمعته ست الوزراء بنت عمر (ت 716هـ / 1316م) عن أبي عبد الله الزبيدي، وحدثت به([8]) حيث قامت ست الوزراء بنت عمر بتدريسه في مصر ودمشق عدة مرات ، وتتلمذ على يديها الحافظ الذهبي ، ويقول الذهبي : " قرأت عليها " الصحيح" ([9]). وزينب بنت المظفر (ت 709هـ / 1308م) قد قابلت " صحيح البخاري" مع زوجها([10]).

---

[1]- الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 187.ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 120، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 105.

[2] الذهبي، معجم الشيوخ ، ج1، ص 187. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 120، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 105

[3]- البغدادي، هدية العارفين، م1، ص79، والخطيب البغدادي هو العلامة أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المتوفي سنة 463هـ / 1070م، وقد طبع الكتاب ببغداد تحقيق الدكتور أحمد مطلوب وزملاؤه مطبعة العاني ببغداد سنة 1964 م. ، انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص 291 حاشية رقم (7) .

[4]- انظر ترجمتها في المحدِّثات برقم (270)

[5] – خليفة، حاجي، كشف الظنون، م1، ص541. والبخاري هو المحدث الكبير محمد بن إسماعيل المتوفي سنة 256هـ / 869م، وقد طبع الكتاب عدة طبعا ت ، انظر : ابن النديم، الفهرست، ص 484.

[6]- خليفة، حاجي، كشف الظنون، م1، ص541.

[7] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 248. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 63. كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 151- 152.

[8] – الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 292. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 129.

[9] - المصدر نفسه، ج1، ص 292.

[10]- المصدر نفسه، ج1، ص 257.

7- الجامع الصحيح([1]) لمسلم([2])

وهو الثاني من الكتاب الستة وأحد الصحيحين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز([3]) سمعته صفية بنت أحمد المتوفاة سنة 741ه/ 1340م، بقراءة أخيها لأمها الشمس عبيد الله في " صحيح مسلم" من ابن عبد الدائم([4]). كما قرأته زينب بنت عمر ت 699ه/ 1298م على الذهبي من أول الصحيح إلي باب النكاح ([5]).

8- جامع الترمذي .

زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن ركاب بن سعد بن الخباز ([6]).

سمعت من الحسن بن الحسين بن المهير، وابن عبد الدائم، وأبي بكر ابن النشبي، ويوسف ومحمد ابني عمر ابن خطيب بيت الآبار، وعبد الوهاب ابن الناصح، و المجد محمد بن إسماعيل بن عساكر من "جامع الترمذي" المجلدة الأولى من تجزئة أربعة نسخة الحافظ الضياء.

9- الجمعة للنسائي([7]).

خديجة بنت عثمان بن محمد بن أبي التوزري وسمع بالقراءة عليها محمد الواني في كتاب الجمعة للنسائي([8])

10- حديث إسحاق بن راهويه.

وسمعته أسماء بنت محمد بن سالم بن أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن الحسن البعلبكي المعروف بابن صصرى ([1])على جدها لأمها مكي بن غيلان.

---

[1]- لمسلم المولود في تيسابور بخراسان سنة 204 هـ / 817م المتوفى فيها عام 261هـ / 874م طبع في كلكته سنة 1265هـ و ايضاً في 2ج في بولاق سنة 1290ه و وقف على هذه الطبعة ابراهيم الدسوقي. الوادي آشي، برنامج الوادي آشي، ج1، ص 192.

[2] هو الإمام ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أحد الائمة الحفاظ و أعلام المحدثين رحل إلى الحجاز و الشام و مصر لإستماع الحديث و ألف فيه كتابه هذا الذي فيه نحو ثلاثة آلاف حديث. اليونيني، مرآة الجنان، ج1، ص 282.

[3]- خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 555. الوادي آشي، برنامج الوادي آشي، ج1، ص 192.

[4] - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 207.

[5] - الذهبي، سير أعلام، ج15، ص 138.

[6]- الذهبي، معجم الشيوخ، ج 1، ص 249. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 367. السبكي، معجم الشيوخ،ج1 ، ص574. ابن رافع، الوفيات، ج 2، ص 114. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 2، ص118 .

[7] - خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 1409.

[8]- انظر ترجمتها في المحدثات رقم (62)

11- السابق واللاحق([2]).

سمعته ست الكتبة نعمة ابنة علي بن يحيي بن الطراح المدير من جدها([3])

12- السنن لأبي داوود السجستاني .

آمنة بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشية المعروف والدها بأبي البركات بن القران([4]) استنسخ لها أبوها كتاب السنن لأبي داود وسمعت بعضه من عبد الكريم بن حمزة . وحدثت به آمنة بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي (ت 740هـ / 1339م) برواية ابن السني بسماعها من والدها([5]).

13- السنن للنسائي ([6])

آمنة بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي بنت الشيخ تقي الدين أم محمد ([7]) حدثت بكتاب السنن للنسائي رواية ابن السني بسماعها من والدها.

14- سنن ابن ماجة([8])

خديجة بنت عثمان بن محمد بن أبي التوزري سمعته بقراءة أبيها على أبي المفاخر يوسف بن محمد بن عبد الله المخزومي وأبي العز يوسف بن محاسن بن يوسف الزيات الواعظ وجعفر بن محمد بن عبد العزيز الإدريسي وتقي الدين عبد القوي بن عبد الله القضاعي ونجيب الدين محمد بن أحمد بن المؤيد الهمداني ابن العجمي "سنن ابن ماجه" بسماعهم لها

---

[1] - الذهبي، معجم الذهبي، ج1، ص 187.ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 120.ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 105

[2]- هو للخطيب البغدادي وهو كتاب في عشرة أجزاء، وقد نشرته دار طيبة بالرياض 1982 بتحقيق ودراسة محمد بن مطهر الزهراني باسم " السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد ". وهو كتاب نفيس لم يسبق الخطيب إلى مثله في هذا الباب أحد، ولم يحاكه أحد فيمن لحقه. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام، ج18، ص 290.

[3] - الذهبي، سير أعلام، ج21، ص 434.

[4] - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 45.

[5] - السبكي، معجم شيوخ السبكي، ج1، ص 548.

[6]- النسائي بفتح النون المشددة وتخفيف السين المهملة وبالمد وهو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الشافعي، له كتب كثيرة في الحديث والعلل وغير ذلك توفي سنة ثلاث وثلاثمئة، زادة، أسماء الكتب، ج1، ص 175.

[7]- راجع ترجمتها في: ابن رافع، الوفيات، ج1، ص 342. الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج2 ، ص359. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص386. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص413.

[8]- لابن ماجة وهو أبو بكر محمد بن يزيد بن ماجة أبو عبد الله القزويني الحافظ ولد في سنة 209هـ/ 821م وتوفي سنة 273هـ / 884م . زادة، أسماء الكتب، ج1، ص 175.

على عبد العزيز بن أحمد بن باقا البغدادي. وقد وجدت سماعها ل"سنن ابن ماجه" على المذكور بخط الأقشهري في ترجمتها فيما جمعه ووجدت على نسخة من "سنن ابن ماجه" بسماعها على يوسف الجميزي لجميع "سنن ابن ماجه" ولبعضها على جماعة من أصحاب ابن باقا.

15- سنن الدارمي .

سمعته زينب بنت أحمد بن عمر (ت 722هـ / 1321م) على أبي المنجا عبد الله بن عمر بن اللتي([1]).كذلك أمة الرحيم بنت الشيخ الفقيه بن أحمد اليونيني المتوفاة(725هـ / 1324م) سمعت مسند النساء من مسند الإمام أحمد على والدها([2]).

16- شمائل النبي([3]) للترمذي([4]).

روته ست الكتبة نعمة بنت يحيي بن الطراح المدير عن أبي الشجاع عمر بن أبي الحسن البسطامي، وعن جدها يحيي([5])، وسمعه عليها قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي([6]). وروته زينب بنت محمد بن أحمد بن عبد الله المقدسية الصالحية عن الكمال عبد الرحيم بن عبد الملك والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر ([7])

17- صفة المنافق.

قرأه ابن عساكر على فاطمة بنت علي بن الحسن العكبري عن ابن مسلمة([8]).

18- عمل وليلة للنسائي ([9]).

---

[1]- انظر ترجمته في المحدثات رقم (87).

[2] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص3198. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 21.

[3]- خليفة، كشف الظنون، م2، ص1059. سركيس، معجم المطبوعات، ج2، ص 1973.

[4] - الترمذي هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ومن تصانيفه الصحيح قال صاحب المفتاح له تصانيف كثيرة في علم الحديث وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة توفي سنة 279هـ / 881م، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص278. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص270. ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 66- 67.

[5]- ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص8، ونقله عنه سبطه في مرآة الزمان ، ج8، ق2، ص 529.

[6]- هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي قاضي القضاة شمس الدين أبو الفرج ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي شيخ وقته وفريد عصره، كان عارفاً بالفقه كثير النقل صحيح المناظرة وله === معرفة بالحديث والأصول العربية مولده بدمشق سنة 597هـ / 1200م، وتوفي بها سنة 682هـ / 1284م انظر : ابن جماعة، المشيخة، م1، ص 414- 415.

[7]- الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 257.

[8] - راجع ترجمتها في المحدثات رقم (233)

[9] - الضياء المقدسي، الأحاديث المختارة، ج4، ص 45.

سمعته زينب بنت مكي من أبي الحسن محمد بن محمد بن الكرابيسي([1]).

19- فضائل الأوقات للبيهقي ([2])(ت 458هـ / 1062م) .

سمعته عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة بن البهاء الحراني (ت 736هـ / 1335م) على إبراهيم بن خليل الدمشقي([3]) .

20- القنوت([4]) .

سمعته ست الكتب ابنة علي بن يحيي ابن الطراح المدير(ت 604هـ / 1206م([5]).

21- الكفاية([6]) للخطيب البغدادي .

سمعته ست الكتبة نعمة ابنة علي بن يحيي بن الطراح المدير من جدها([7])

22- مشيخة ابن عبد الدائم ([8]).

نفيسة بنت إبراهيم بن سالم بن ركاب بن سعد الأنصارية أم محمد أخت المحدِّث إسماعيل بن الخباز سمعته على أحمد بن عبد الدائم مشيخته تخريج ابن الظاهري([1]).

---

[1] - راجع ترجمتها في المحدثات، رقم 112.

[2]- البيهقي هو الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، شيخ الاسلام، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجردي البيهقي وبيهق: عدة قرى من أعمال نيسابور على يومين منها.ولد سنة 384هـ / 995م، ابن الجوزي، المنتظم، ج 8 ، ص242، الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص538، و ج 2 ، ص370. ابن الأثير، الكامل، ج 10 ، ص52. اللباب، ج 1 ، ص202. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 1 ، ص75، 76. أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج 2 ،ص 185، 186. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص 163. تذكرة الحفاظ، ج 2 ، ص1132 – 1135.العبر، ج 3 ، ص242. دول الاسلام، ج 1 ، ص269. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 6 ، ص354. السبكي، طبقات السبكي، ج 4 ، ص8 – 16.

[3] – الذهبي، معجم الشيوخ ، ج2، ص 93. السبكي، معجم شيوخه، ج1، ص 595.

[4] – هو للخطيب البغدادي(ت 463هـ / 1070م) تحرف في " تذكرة الحفاظ "ج 1 ، ص1140 إلى " الفنون ".

انظر : سير أعلام النبلاء، ج18، ص 291. حاشية رقم (4) .

[5] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص 434.

[6] – في " المنتظم " : " الكفاية في معرفة أصول علم الرواية " يعرض الخطيب فيه تفصيلا للشروط الواجب توافرها في عالم الحديث، وهو يدل على حرصه الشديد على تنقية الحديث، وقد طبع في حيدر آباد الدكن سنة 1357 هـ وأعيد طبعه في القاهرة بعناية عبد الحليم محمد عبد الحليم وعبد الرحمن حسن محمود، مطبعة السعادة – 1972. انظر : الذهبي، سير أعلام، ج18، ص 289. خليفة، كشف الظنون، م2، ع 1499.

[7]- الذهبي، سير أعلام، ج21، ص 434.

[8] - أبو بكر بن المسند زين الدين أبي العباس أحمد بن عبدالدائم مشيخة ابن عبد الدائم في خمسة أجزاء تخريج ابن الظاهري ابن حجر، المعجم المفهرس، ج1، ص 311. وهو مطبوع .

23- مشيخة ابن البخاري .

فاطمة بنت عبد الرحمن بن عيسى بن مسلم الدباهي (ت 740هـ / 1339م). سمعت على الفخر علي بن البخاري مشيخته تخريج ابن الظاهري ([2]).

24- المعجم الكبير والصغير للطبراني([3]) .

سمعته فاطمة بنت المحدث التاجر سعد الخير البلنسي، حضوراً في الثالثة من فاطمة الجوزدانية جملة من المعجم الكبير([4]).

تفردت العالمة المسندة زينب بنت يحيي بن عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام الحراني (ت 735هـ / 1334م) برواية المعجم الصغير للطبراني بالسماع المتصل([5]).

25- مسند الإمام أحمد .

سمعته زينب بنت مكي الحرانية (ت 688هـ / 1290م) على حنبل بن عبد الله الرصافي مسند الإمام أحمد بن حنبل([6]).

26- مسند الدارمي ([7]).

سمعته زينب بنت أحمد بن عمر على أبي المنجا عبد الله بن اللتي([8]).

27- مسند الشافعي([9]) (محمد بن ادريس) .

---

[1] - راجع ترجمتها في الذهبي، معجم الشيوخ، ج2، ص356 . ابن رافع، الوفيات، ج2، ص76 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 4، ص397 فاسي، . ذيل التقييد، ج2، ص 396. كحالة، أعلام النساء، ج5، ص 186.

[2] - الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 387.

[3] - القنوجي، أبجد العلوم، ج2، ص286. اسم مؤلف الكتاب، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني. من طبرية الشام ولديها سنة 260 وتوفي بأصبهان سنة 360 ستين وثلاثمائة. من تصانيفه تفسير القرآن. حديث الشاميين. دلائل النبوة. الطوال في الحديث. عشرة النساء. كتاب الأوائل. كتاب الدعوات. كتاب الرمي. كتاب السنة. كتاب المكارم وذكر الأجواد. كتاب المناسك. كتاب النوادر. المعجم الوسط يشتمل على نحو اثنين وخمسين ألف حديث. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص 207.

[4] - ابن نقطة، إكمال الإكمال، ج2، ص 465. ابن العماد، شذرات الذهب،ج4، ص 347.

[5] - راجع ترجمتها في المحدثات رقم 113.

[6] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 255. ابن العماد الحنبلي، ج5، ص 404.

[7] - الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي الحافظ أبو محمد السمرقندي توفي سنة 255 / 867م وله الثلاثيات في الحديث. كتاب السنة في الحديث. كتاب صوم المستحاضة والمتحيرة. المسند في الحديث يعرف بمسند الدارمي. البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص 229

[8] - الذهبي، معجم الشيوخ،ج1، ص 248. الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج2، ص 368.

[9] - خليفة، حاجي، كشف الظنون، م2، ص1683. وهو مطبوع .

سمعته زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن هبة الله الأسعردي([1]) على الحسين الزبيدي وسمعه منها الذهبي([2])، وقرأه الذهبي على ست الوزراء بنت عمر([3]).

28- مسند الشهاب للقضاعي([4]).

سمعته أم الخير عائشة بنت علي بن عمر بن شبل الحميري الصنهاجي من إسماعيل بن عبد القوي بن عزون ([5]).

29- مسند عبد بن حميد.

قرأته زينب بنت أحمد بن عمر على أبي المنجا عبد الله بن اللتي([6]).

30- مغازي الواقدي ([7]).

سمعته زينب بنت مكي على عمر بن طبرزد([8]).

31- المجالسة للدنيوري ([9]).

عائشة بنت علي بن عمر بن شبل بن محمود بن رافع الحميري الصنهاجي أم الخير المصرية المدعوة ست العرب([10])، سمعت على المعين أحمد بن علي بن يوسف الدمشقي كتاب المجالسة للدينوري.

32- النسب لقريش للزبير بن بكار([1]) .

---

[1]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 405.

[2] - راجع ترجمتها في المحدثات، برقم 91.

[3]- الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 292.

[4] - أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري(454 هـ/ 1066م). اسم الكتاب الذي طبع به، ووصف أشهر طبعاته: طبع باسم: مسند الشهاب طبع بتحقيق حمدي السلفي طبع ونشر دار الرسالة بيروت 1405 هـ / 1983م المصنفات في السنة النبوية، ص1 . كتب موقع الموسوعة الشاملة، ج1، ص 144.

[5] - انظر ترجمتها في المحدّثات رقم (183).

[6] - الذهبي، معجم الشيوخ،ج1، ص 248. الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج2، ص 368.

[7] - هو أبو عبد الله محمد بن عمر (ت207هـ/ 820م)الإخباري صاحب كتاب فتوح البلدان، . محمود محمد الطناحي الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم لطبعة الأولى1406هـ - 1985م، ج1، ص 37.

[8] - راجع ترجمتها في المحدثات، رقم 87.

[9] - المجالسة لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت 276هـ/ 889م. الكتاني، الرسالة المستظرفة، ج1، ص 166.

[10] - راجع ترجمتها في المحدِّثات رقم 183.

سمعته زينب بنت مكي على عمر بن طبرزد([2]).

33- كتاب مكارم الأخلاق للخرائطي .

ظبية ام الرمال بنت الشيخ فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان التوزري (ت734هـ / 1333م) وأسمعها أبوها من أبي بكر ابن الأنماطي كتاب مكارم الأخلاق للخرائطي([3]).

34- الموطأ لابن مالك([4]).

من رواية القعنبي روت الكتاب زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحمن عن شيخها أبي الحسن إبراهيم بن محمود بن سالم بن مهدي البغدادي الأزجي الحنبلي المعروف بابن الخير([5]).

ثانياً- الأجزاء ([6]).

1- جزء إسحاق بن راهويه.

قرأه الذهبي على ست الخطباء بنت المحدث علي بن محمد ابن على البالسي ([7]).

2- **جزء ابن عرفة.**

آمنة بنت إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي حضرت على عبد الحق بن خلف جزء ابن عرفة([8])

3- جزء أبي الجهم.

سمعته فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطاحي البعلبكي (ت 711هـ / 1310م) على الحسين بن الزبيدي ([1])

---

[1] - للزبير بن بكار وهو ابو عبد الله الزبير بن بكر بن بكار ومن تصانيفه كتاب أنساب قريش وله مصنفات دلت على فضله واطلاعه توفي سنة ست وخمسين ومئتين ابن النديم، الفهرست، ج1، ص 160. زادة، أسماء الكتب، ج1، ص 177.

[2] - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص 43. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 404.

[3] - ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 263.

[4] - هو في الحديث لأبي عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة، توفي سنة 179هـ / 795م. خليفة، حاجي، كشف الظنون، م2، ع 1907. البغدادي، هدية العارفين، م2، ع1، والكتاب مطبوع .

[5] - الذهبي، سير أعلام، ج23، ص 235- 236.

[6]- كانت الكتب تجزأ أجزاءً صغاراً كل جزء مجموعة من الأحاديث . معروف، علماء النظاميات، ص 238. والجزء عند القدماء أربعون صفحة متوسطة ، جواد، النهضة النسوية العراقية، ص 5.

[7]- الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 285.

[8] - راجع ترجمتها في المحدثات رقم 2

4- جزء تصحيح حديث التسبيح لأبي موسي .

سمعته ست النعم بنت النعم نجم الدين أحمد بن حمدان الحراني (ت 721هـ / 1320م) من أبي الغنائم المسلم بن أبي البركات بن الزبير ([2]).

ثالثاً الأمالي ([3]) و المجالس .

1- **أمالي ابن البحيري** سمعت عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة بن البهاء الحراني (ت 736هـ / 1335م) المجلس السادس من أمالي ابن البحيري على إسماعيل بن العراقي ([4]).

1- مجلس التواضع للجوهري. سمعته عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة بن البهاء الحراني على التقي عبد الرحمن بن أبي الفهم البلداني([5]).

2- مجلس في فضل رمضان . سمعته أسماء بنت محمد بن سالم بن أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن الحسن البعلبكي المعروف بابن صصرى ([6])على جدها لأمها

رابعاً- الفوائد .

1- الغيلانيات أو (فوائد البزار) ([7]).

---

[1] - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 28.

[2] - كحالة، أعلام النساء، ج3، ص 172.

[3] - مفردها الإملاء. وهو أن يجلس العالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء والأمالي، وهو عند الشافعية يسمي التعليق، انظر : خليفة، حاجي، كشف الظنون، ج1، ص 161 . إبراهيم، ناجية، جهود المرأة العلمية، ص 207.

[4]- الذهبي، معجم الشيوخ ، ج2، ص 93. السبكي، معجم شيوخه، ج1، ص 595.

[5]- الذهبي، معجم الشيوخ ، ج2، ص 93. السبكي، معجم شيوخه، ج1، ص 595. الفاسي، ذيل التقييد، ج2، ص 382.

[6]- الذهبي، معجم الذهبي، ج1، ص 187. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 105.ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 120،

[7]- ويُعد من أقدم المخطوطات حيث يرجع تاريخ نسخه إلى أوائل القرن الخامس الهجري، وألفه محمد بن ابراهيم غيلان بن عبدالله البزار المتوفى سنة 440هـ./ 1052م وهو إمام حجة محدث من أهل جَبُّل (قرب واسط). قام برحلة طويلة في طلب الحديث انتهت باستقراره ووفاته ببغداد. من تصانيفه: الفوائد المنتخبة العوالي عن الشيوخ المشهورة بالغيلانيات، الزركلي، الأعلام، ج6 ، ص224، كحالة، معجم المؤلفين، ج10، ص194.

والكتاب هو مجموعة أحاديث انتخبها المصنف من عوالي أسانيده عن شيوخه. وتسمى الغيلانيات وهي أحد عشر جزءاً في كتاب واحد، تخريج الدارقطني من حديث البزار. وهو القدر المسموع لمحمد بن محمد بن إبراهيم (ابن غيلان) البزار (ت440 هـ/ 1052م)، من أبي بكر. وهي من أعلى حديثه وأحسنه([1]) سمعته زينب بنت العلم أحمد بن كامل بن عمر بن عثمان الصالحية ت 687هـ/1289م) علي عمر بن محمد بن طبرزد.

2- الفوائد المنتخبة الصحاح و الغرائب([2]).

قرئ على صفية بنت على بن أحمد بن فضل الواسطي الجزء الأول والثاني من الفوائد المنتخبة عن أبي شعيب الحراني([3]) ([4]).

3- أمالي ابن السمرقندي ([5]).

سمع على حليمة بنت عمر .. بن قدامة المجلس الثامن والعشرون من أمالي أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ابن السمرقندي ([6]).

4- فوائد أبي عروبة الحراني([1]).

---

[1] – الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص 92، تاريخ التراث العربي، ج383/1)

[2] – للشيخ أبي القاسم يوسف بن محمد المهرواني، و خرج أحاديث الكتاب الشيخ الامام أبي بكر أحمد بن علي ابن ثابت الخطيب البغدادي. المهرواني، المهروانيات (الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب) ، ج1، ص41.

[3] – أبو شعيب الحراني الشيخ، المحدث، المعمر، المؤدب، عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب. نزل بغداد، وحدث عن: أبيه، وجده، وأحمد بن عبدالملك بن واقد، وعفان بن مسلم، ويحيى البابلتي، وجماعة. وطال عمره وتفرد. ولد أبو شعيب في سنة 206هـ / 817م، قال عنه الدراقطني: ثقة مأمون، توفي في بغداد سنة 295هـ / 906م، وكان أسند من بقي بها . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9 ، ص435 – 437، ابن الجوزي، المنتظم، ج 6 ، ص79. الذهبي، ميزان الاعتدال،ج2 ، ص406، سير أعلام النبلاء، ج13، ص 536- 537. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11 ، ص107، ابن حجر، لسان الميزان، ج3 ، 271. ،ابن العماد شذرات الذهب، ج2 ، ص218 – 219.

[4] – كحالة، أعلام النساء، ج2، ص 346

[5]– هو الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ابن السمرقندي ت سنة 538هـ / 1145م ببغداد، وهو العدل الحجة ، الثقة، مسند خراسان والعراق، انظر ترجمته في : ابن العديم، بغية الطلب، ج2، ص 88. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 21. ابن حجر، المعجم المفهرس، ج1، ص 479. كما وجد كتاب يحمل هذا الاسم للمؤدب عمر بن محمد بن معمر، ابن طبرزد .ت 607هـ / 1211م، وهو مخطوط في علم الجديث ، يسمي منتقى من حديث ابن مخلد وهناد والفارسي والجوهري ومن امالي ابن السمرقندي ، الموسوعة الشاملة، خزانة التراث ، ج1، العدد 67509، قسم فهارس الكتب والأدلة .

[6]– المرجع نفسه، ج1، ص 291.

قرأه الحافظ علم الدين البرزالي على مريم بنت أحمد بن حاتم بن علي(ت 699هـ / 1300م) ([2])

5- الفوائد المنتقاة الحسان العوالي لعثمان بن أحمد السمرقندي([3]).

روتها نعمة ابنة علي بن يحيي ابن الطراح المدير([4]).

---

[1] - أبو عروبة(000 - 318 هـ = 000 - 930 م) هو الحسين بن محمد بن مودود السلمي الحراني: محدث حران ومفتيها. كان حافظا للحديث، عارفا برجاله. له (تاريخ) وكتاب في (الامثال والاوائل) و (الطبقات) اختصره من يرجح انه عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى سنة 600) وسماه (منتقى طبقات أبي عروبة - خ) الجزء الثاني منه (12 ورقة) في الظاهرية بدمشق. ولعله المتقدم باسم (التاريخ) انظر : الزركلي، الأعلام، ج2، ص 253.

[2] - الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص 350.

[3] - هو أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد السمرقندي المحدث بمصر توفي سنة 345هـ / 956م. انظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص 857. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص 370.

[4] - كحالة، أعلام النساء، ج5، ص 182.

دور المرأة في بناء المراكز العلمية ورعايتها لها.

لم يقتصر إسهام المرأة المسلمة في بناء المعرفة الإسلامية على ممارسة دور العالمة و الشيخة والمحدثة والفقيهة والأديبة، بل امتد ذلك الإسهام إلى إنشاء المؤسسات والمراكز العلمية و الدينية، فكثرت المدارس والمساجد للعمل على نشر المعرفة والعلم والتعريف بالمذهب السني كما ازدادت البيمارستانات والخانقات والربط "بيوت الصوفية" كذلك بدأ الاهتمام بالأضرحة الفخمة ذات القباب بشكل خاص وألحقوها في كثير من الأحيان بالمدارس والمساجد التي كان بناؤها أصلاً يتم لوضع ضريح الباني فيها لنيل الثواب حتى بعد الموت، وذلك من خلال وقف الأوقاف([1])، على بناء المدارس والمعاهد العلمية في مختلف الأمصار الإسلامية ، لضمان ديمومتها واستمراريتها إلي جانب اختيار واستقدام خيرة المدرسين إلي تلك الدور العلمية، كان له أكبر الأثر على الحياة العلمية والثقافية، ولا حظ هذا في دمشق بالذات الرحالة ابن جبير عام 580هـ / 1184م، حيث قال : " ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعين من مالها الأوقاف" ([2]). وإذا كانت الأوقاف مؤسسة خيرية بالأساس، يبغي منشئها القربى من الله من خلال الصدقة الجارية، حيث تتجسد في الوقف المقاصد الشرعية للصدقات من تطهير الأموال، ودفع رذيلة الشح عن نفوس الأغنياء، وتطهير قلوب الفقراء، وإرفاق المساكين..الخ ([3]).

---

[1] –أنّ الوقف في اللغة يعني: الحبس والمنع، ومنه ما أوقفه صاحبه من نخل أو كرم أو غيرها فيحبس أصله ويسبل غلته. والحبيس من الخيل الموقوف في سبيل الله، وقد حبسه وأحبسه. وأضاف أنّ تحبيس يعني أن يُبَقَّى أصله ويجعل ثمره في سبيل الله. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج2، ص 206– 207. الجرجاني، التعريفات، ص 174.

وهو مصدر وقفت أقف بمعنى الحبس. يقال وقفت الدابة إذا حبستها في مكانها، ومنه الموقف لأنّ الناس يوُقفون، أي يُحبسون للحساب . الطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، ص 7. انظر بن جنيد، الوقف والمجتمع، ص 10.

وإن كان يوجد إلى جانب كلمة "الوقف" كلمة مرادفة لها وهي: "الحبس" وهذه اللفظة متداولة في الحضارة الإسلامية بشكل واسع حتى سمي الديوان باسمها في بعض عصور المسلمين فقيل: "ديوان الأحباس".

ويعرفه الفقهاء أنه التصرف في ريع العين وما تدره من مال مع بقاء ذاتها، وجعل منفعتها لجهة من جهات البر، وهي بهذا تخرج من ملك صاحبها وسبل منفعتها بجعلها مبذولة على وجه القرب لله سبحانه وتعالى . بن محمد الداود، الوقف، شروطه وخصائصه، أضواء الشريعة، ص120.

[2] – ابن جبير، الرحلة، ج1، ص 104.

[3] – أبو المجد، زينب، أوقاف النساء، ص 20.

فإنَّ أوقاف النساء انطلقت من ذلك الدور الخيري نحو آفاق أخرى تتعلق بالحياة السياسية القائمة، ومن خلال مد يد التأثير إلى المؤسسات العلمية وعمليات إنتاج المعرفة ([1])، وذلك يؤكد حقيقة أن الهدف من نشأة تلك المدارس هو تدريس المذهب السني من أجل انتشاره، وانحصار للمذهب الشيعي المنتشر في ذلك الوقت([2])، ظهر ذلك جلياً من خلال اشتراط الواقفات الأيوبيات على المدارس في دمشق أو حلب وغيرها، أن يدرس فيها أحد المذاهب الدينية الأربعة، وذلك لدعم الفكر السياسي في داخل الدولة، وإذا تتبعنا الوجود النسوي في الأوقاف في مصر وبلاد الشام بدءًا من العصر الفاطمي، ومروراً بالعصر الأيوبي والمملوكي، نلحظ اهتمام النساء بإنشاء المعاهد العلمية في أشكالها المؤسسية المختلفة ، سواءً كانت في شكل مسجد أو مدرسة أو رباط..الخ. كان له التأثير الواضح على النهضة العلمية في تلك الفترة، وقد امتازت هؤلاء النساء الواقفات في مختلف العهود التاريخية بوعي علمي وديني وسياسي، الذي جعلهن أكثر إدراكاً لأهمية دور المؤسسة التعليمية في تعزيز سياسات الدولة ؛ مما ساعدهن على لعب ذلك الدور في إنتاج المعرفة والتمثيل السياسي([3])، ذلك فضلاً عمَّا تمتعتن به بالأساس من ثروة اقتصادية كبيرة ، سنتعرف على أهم المراكز العلمية التي أسستها المرأة في خلال القرنيين السادس والسابع الهجري(12– 13م) وهي كالآتي :

أولاً: المدارس .

1- المدرسة الخاتونية البرانية : أنشأتها زمرد خاتون بنت جاولي أم الملك شمس الدين إسماعيل، فكانت تلك المدرسة مسجداً بصنعاء([4]) دمشق سنة 557هـ / 1160م، المطل على وادي الشقراء وهو مشهور بدمشق ([5])، فيقول الصفدي ([6]) : " بنت الجامع الكبير وأوقفته خاتون أم شمس الملوك مدرسة للحنفية وهي من كبار مدارسهم وأجودها معلوما" ([7]).

[1] - المرجع نفسه، ص 20.

[2] - الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ج2، ص 8.

[3] - أبو المجد، زينب، أوقاف النساء، ص 20.

[4] - صنعاء أيضا قرية على باب دمشق دون المزة مقابل مسجد خاتون . للمزيد انظر : الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 429.

[5] - ابن العماد الحنبلي، ج4، ص 178. النعيمي، الدارس، ج1، ص 384.

[6] - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص 483. النعيمي، الدارس، ج1، ص 384.

[7] - الصفدي، المصدر نفسه، ج4، ص 483

2- المدرسة الخاتونية الجوانية: تقع بمحلة حجر الذهب([1])، أنشأتها عصمة الدين خاتون بنت الأمير معين الدين أنر، زوجة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، والتي تزوجها صلاح الدين بعد وفاة نور الدين، وقد أوقفتها للحنفية عام 573هـ/ 1177م([2])، وقد اهتمت بالمدرسة حيث تكفلت بالتمويل المادي عن طريق الوقف وتسخير إيرادات الوقف للمدرسين والطلبة، توالى على التدريس في هذه المدرسة مجموعه من أكابر علماء الفقه الحنفي، ومما يلفت النظر إلى براعة الهندسة المعمارية في العهد الأيوبي هو بقاء هذه المدرسة حتى أوائل القرن العشرين فقد بقيت حتى سنة 1925 م حيث أحرقت أثناء الثورة السورية الكبرى، ولم يبقي منها إلا على الجدران ومكانها يعرف اليوم بحي سيدي عمود ، (الحريقة اليوم). وقد دثرت هذه المدرسة([3]).

3- المدرسة الفرخشاهية: تقع في الشرف الشمالي، (في زقاق الصخر اليوم). وأوقفتها حظ الخير خاتون ابنة إبراهيم بن عبد الله والدة عز الدين فرخشاه، وهي زوجة شاهنشاه بن أيوب أخي صلاح الدين، وذلك في سنة 578هـ/ 1181م، وقد نسبت المدرسة إلى ابنها الذي توفي في السنة المذكورة، فأنشئت له تربة وألحقت بها مدرسة للحنفية، وقد دثرت المدرسة وبقيت التربة ([4]).

4- المدرسة العذراوية: تقع بحارة الغرباء بدمشق داخل باب النصر، أنشأتها عذراء بنت نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخي صلاح الدين([5])وذلك في سنة 580هـ / 1183م. وفيها دفنت سنة 593هـ/ 1196م، و كانت الخاتون من ربات البر والإحسان فأوقفت

[1] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص 120. النعيمي، الدارس، ج2، ص 113.

[2] - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 205. النعيمي، الدارس، ج1، ص 507. حيث أخطأ كحالة في ذكرها وأنسبها لامرأة أخري حيث ذكر في ترجمتها أن التي أنشأت تلك المدرسة خاتون بنت سعيد الدين أتسستر وقال عنها أنَّها زوجة الملك نور الدين . ، أعلام النساء، ج1، ص 309. وإنما هي عصمت خاتون بنت معين الدين أنر زوجته التي توفي عنها .

[3]– بدران، منادمة الأطلال، شميساتي، حسن، مدارس دمشق في العهد الأيوبي ، ص76.

[4] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 219. النعيمي، الدارس، ج1، ص 561. كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 266.

– [5] الخاتون عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب كانت زوجة الأمير الزنكي الحاجب مبارك أمير صفد وقد أنجبت منه ولدين هما الأمير سعد الدين مسعود الذي تولى إمارة صفد بعد والده والأمير بدر الدين ممدود شحنة دمشق وقد كان هذان الأميران من خيرة أمراء السلطان صلاح الدين ولهما مواقف جريئة معه. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص 104

المدرسة على أصحاب المذهب الشافعية والحنفية، وقد دثرت ([1]) ، وكذلك كانت الخاتون عذراء قد اتخذت داراً خاصة بمثابة مدرسة للنساء لتلقي العلوم الدينية والوعظ ([2]).

5- المدرسة الشامية الكبرى- البرانية ([3]): وتقع في ظاهر دمشق بمحلة (العونية)([4]) ويذكر أن مكانها كان يعرف بالعقيبة الكبرى، شرق سوق ساروجة اليوم([5]) أنشأتها الخاتون ست الشام بنت أيوب، أخت السلطان صلاح الدين عام582 هـ/ 1185م، وقد توفيت عام 616هـ/ 1220م، ونقلت إلى هذه المدرسة، وقد كانت هذه المدرسة من أكبر المدارس وأعظمها، وأكثرها فقهاء، وأكثرها أوقافاً. وقد أوقفتها للشافعية([6])، وتعرف أيضاً بالشامية الحسامية نسبة إلى حسام الدين لاجين ابن ست الشام من زوجها الأول الذي دفن بها، وهي ما تزال موجودة حتى اليوم([7]) ،وقد ذكر محمد كرد علي أن مديرية الأوقاف رممتها تحت إشراف مديرية الآثار وهي الآن مدرسة ابتدائية تحت إشراف جمعية الإسعاف الخيري بدمشق([8]) وقد عينت الست فيها خيرة علماء عصرها واشترطت عليهم ألا يدرسوا بمدارس أخرى ([9])؛ لضمان تفرغهم وتلبية حاجة الطلبة من الاهتمام الكافي والمناسب، ولعّل هذا يعطي انطباعاً عن طبيعة عمل المدرسين في تلك الفترة، فمنهم من كان يقتصر عمله في مدرسة واحدة، وهناك من كان يجمع بين أكثر من مدرسة للتدريس بها، وكان أول من درَّس بها من العلماء

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص452- 453. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ص 261. ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص 190- 191. النعيمي، الدارس، ج1، ص 373. كحالة، أعلام النساء، ج3، ص 259.

[2] النعيمي، الدارس، ج1، ص 373

[3] وتعني البرانية المبنية خارج سور مدينة دمشق . النعيمى، الدارس، ج1، ص 277.

[4] أبو شامة، الذيل على الروضتين، 119.

[5] النعيمي، الدارس، ج1، ص 277. بدران، منادمة الأطلال، ص 104. الشاعر، خاتونات البيت الأيوبي، ص 17- 69.

[6] النعيمي، الدارس، ج1، ص 278.

[7] - أبو شامة، ذيل على الروضتين، ص 119. النعيمي، الدارس : ج1، ص 277. بدران، منادمة الأطلال، 104. محمد كرد علي، خطط الشام، ج6، ص81 .وراجع أيضاً : شميساتي، حسن، مدارس دمشق في العهد الأيوبي ، ص 109. انظر الملحق رقم (2)

[8] - علي، محمد كرد، خطط الشام، ج6، ص 81. شميساتي، مدارس دمشق في العهد الأيوبي ، ص 109.

[9] - أبو شامة، الذيل على الروضتين، 119 .النويرى، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 29، ص97 . النعيمي، الدارس، ج1 ، ص279 .

الإمام علامة الفقه الشافعي ابن الصلاح عثمان بن عبدالرحمن، الكردي الشهرزوري([1])، وغيره من العلماء وقد أوقفت ست الشام على المدرسة أوقاف ضخمة عبارة عن إيراد قرى بدمشق([2])، وقد تنازلت عنها للمدرسة والتربة أمام قاضي قضاة دمشق زكي الدين بحضور أربعين شاهداً من أعيان دمشق على أنها أوقفت أملاكها كلها للمدرسة وبذلك تمَّ الضمان من التمويل للمدرسة استمرت بالعطاء طيلة العصر الأيوبي والمملوكي، فخرجت خيرة العلماء والطلبة منها، توفيت ست الشام بنت نجم الدين سنة 616 هــ / 1219م ، حيث خرجت دمشق لتشيعها بالآلاف وهم يرددون الأدعية لها بجنازة فريدة إذ لم تشيع امرأة قبلها بمثل ما شُيعت به خاتون ست الشام([3]) ؛ لأنها قامت بإعمار المدارس والاهتمام بالأدب والأدباء كما بذلت جهوداً كبيرة لتحفيظ القرآن الكريم ودفنت بتربتها جانب ولدها، لقد كانت هذه المدرسة من كبريات المدارس في ذلك العصر ويمكننا القول بأنها جامعة كبيرة لما لها من تأثير ثقافي كبير لكثرة مدرسيها وزحمة خريجيها من الطلبة وأبهة عمرانية وأكثر أوقافاً لإيراداتها المالية الضخمة والمدرسة القائمة اليوم ليست إلا جزءاً من المدرسة الأصلية، تعرف هذه المدرسة في العصر الحديث بجامع الشامية ويظهر من ذلك بقاء قسمين من المدرسة القسم الأول جامع الشامية والثاني مدرسة ابتدائية كما ذكره كرد علي.

6- المدرسة الشامية الجوانية([4]) : تحمل نفس اسم المدرسة التي أنشأتها عصمت خاتون بنت معين الدين أنر ولكنها تقع قبلي البيمارستان النوري بدمشق ويبدو أنَّها كانت من قبل داراً للخاتون ست الشام، حيث تذكر المصادر أنَّ دارها كانت بالقرب من البيمارستان النوري بدمشق ([5])، كما يذكر النويري أنَّ الخاتون ست الشام عندما

---

[1] – هو عالم في الحديث والفقه والتفسير. ولد بشرخان قرب شهرزور سنة557هــ / 1160م، وتوفي بدمشق سنة 643هــ / 1245م انتقل إلى الموصل تفقه على يد والده عبد الرحمن بن عثمان صلاح الدين والشيخ موفق الدين المقدسي، وابن عساكر، وغيرهم. رحل إلى بغداد وهمذان ونيسابور ومرو ودمشق وحلب وحران وبيت المقدس. ثم رجع إلى دمشق، واستقر بها، وولاه الملك الأشرف التدريس بها في دار الحديث الأشرفية له مصنفات كثيرة منها: معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح؛ الأمالي؛ الفتاوى؛ شرح الوسيط؛ فوائد الرحلة؛ أدب المفتي والمستفتي؛ طبقات الفقهاء الشافعية؛ صلة الناسك في صفة المناسك. تُوفي في دمشق ودفن بمقابر الصوفية بباب النصر. رحمه الله .ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 443.

[2] للمزيد حول إنفاق أوقاف ست الشام انظر : النعيمي، الدارس، ج1، ص 202، 203.

[3] – النعيمي، الدارس، ج1، ص 209.

[4] – النعيمي، الدارس، ج1، ص 301.

[5] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص 36.

لحق بها المرض " جعلت دارها مدرسة ووقفت عليها وقوفاً "([1])، وكانت هذه المدرسة أيضاً أحادية المذهب ، أوقفتها ست الشام على أصحاب المذهب الشافعي([2])، ويذكر النعيمي الأوقاف التي أوقفتها الخاتون ست الشام على هذه المدرسة ومنها ضيعة بيزنة، وأخري تعرف بجرمانا بيت لهيا، وعدة أسهم من ضيعة تعرف بالتينة والضيعة المعروفة بمجدل القرية ونصف ضيعة تعرف بمجدل السويداء ([3]).

ولعل هذا يوضح مدى اهتمام الخاتون ست الشام وحرصها على هاتين المدرستين قائمتين علي عملهما، كما يوضح مدى اهتمامه بدراسة وتدريس المذهب الشافعي الذي يبدو أنها كانت تنتمي إليه، فهذا يوضح الدور الذي قامت به في إثراء الحياة العلمية والثقافية في ذلك العصر([4]).

7- المدرسة القصاعية: تقع بحارة القصاعين، داخل باب الجابية. أنشأتها خطلشاه ([5])خاتون بنت كوكجا في سنة 593هـ/ 1196م ، وأوقفتها على الحنفية، وقد دثرت ([6]).

8- المدرسة الماردانية: بالصالحية، في الجسر الأبيض. أنشأتها الأميرة الأرتقية عزيزة الدين أخشا خاتون بنت الملك قطب الدين إيلغازي صاحب ماردين، وزوجة الملك العظيم عيسى الأيوبي في سنة 610هـ/ 1213م، وأوقفتها سنة 624هــ / 1228م للحنفية وأوقفت عليها عدة بساتين في دمشق وثلاثة حوانيت تجارية في الجسر الأبيض يعود ريعها للمدرسة ، المدرسة اليوم مسجد ([7]).

---

[1]- النويري، نهاية الأرب ، ج28، ص 97.

[2] - النعيمي، الدارس، ج1، ص 301.

[3] - المصدر نفسه، ج1، ص 301.

[4]- الشاعر، خاتونات البيت الأيوبي، ص 17- 69.

[5] - ترجم لها كحالة باسم فاطمة خطليجي ، ج4ن ص 52. ولكن الأصح ما أورده بدران في كتابه منادمة الأطلال، ص 194. اسمها فاطمة بنت الأمير كوكجا، هذا ماورد في وقفيتها على باب تلك المدرسة .

[6]- ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 212. النعيمي، الدارس، ج1، ص 565. بدران، منادمة الأطلال، ص 194.

[7] - ابن طولون، القلائد الجوهرية ، ج1، ص 61- 63. النعيمي، الدارس، ج1، ص 592. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد ، ص 155.

9- المدرسة الشامية الجوانية: تقع قبلي البيمارستان النوري ولصيقه، أنشأتها الخاتون ست الشام بانية المدرسة الشامية البرانية، وذلك في عام 628هـ/ 1230م، وأوقفتها على الشافعية، وقد دثرت ([1]).

10- المدرسة الصاحبية: في الصالحية، من الشرق بالقرب من جبل قاسيون بدمشق، أمرت بإنشائها الصاحبة ربيعة خاتون بنت أيوب أخت صلاح الدين، وزوجة مظفر الدين كوكبوري ([2]) صاحب اربل، عام 628هـ/ 1231م، بعد وفاة زوجها عادت إلى دمشق وسكنت بيت والدها نجم الدين أيوب المعروف بدار العقيقي حتى وفاتها وقد دفنت فيها عندما توفيت عام 643هـ/ 1246م، ولم تكن المدرسة قد اكتملت بعد([3])، قامت السيدة العالمة أمة اللطيف([4]) في خدمة ربيعة خاتون عند عودتها من أربيل ، ويقال أنّها هي التي أشارت عليها بإنشاء المدرسة التي عرفت بالصاحبية، فأنشأتها السيدة ربيعة خاتون، وهي تقع على سفح جبل قاسيون من الشرق وأوقفتها على الحنابلة؛ وأسندت التدريس فيها إلى الناصح بن الحنبلي([5]) في عام 628هــ/ 1231م ،([6]) عينته السيدة ربيعة خاتون وحضرت حفل تعينه من وراء ستار ([7])، وكانت السيدة ربيعة خاتون أوقفت قرية (جبة عسال) عليها([1])، وما تزال باقية حتى اليوم تؤدي وظيفتها كمدرسة ([2]).

---

[1]- النعيمي، الدارس، ج1، ص 301. العلموي، مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس، ص 48. بدران، منادمة الأطلال، ص 106.

[2] - كوكبوري لفظة تركية تعني الذئب الازرق ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 121/4) .

[3] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص 227. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 199.

[4]- هي ابنة الشيخ ناصح الدين الحنبلي زوجة الملك الأشرف الأيوبي ملك حمص رافقت قبل زواجها السيدة ربيعة خاتون ، وأحبتها، واستفادة من رفقتها أمولاً جمة ، بعد وفاة الخاتون حبست بقلعة دمشق نحو ثلاث سنين وصودرت أموالها ،ثم أطلقت وتزوجت الأشرف، وانتقلا إلى الرحبة ، وتوفيت بدمشق " كانت سيدة فاضلة صالحة عفيفة،. لقبت السيدة أمة اللطيف بالعالمة لما اشتهرت به من علم ذُكر أن لها مؤلفات" ، انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص 145. النعيمي، الدارس، ج2، ص 88.

[5] – هو الشيخ ناصح الدين الحنبلي ولد سنة554 هــ / 1157م، من أهالي شيراز فقيه حنبلي من حفاظ القرآن الكريم ورواة الحديث توفي سنة 643 هــ / 1247م ، ودفن في مقبرة الصالحية بدمشق. ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص 120.

[6]- ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 150.

[7] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج45، ص 45. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 150. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 165.

11- المدرسة الميطورية: بدمشق شرقي جبل الصالحية في حي الأكراد، أوقفتها الست فاطمة بنت السلار ([3])في سنة 629هـ/ 1231م، وهي للحنفية، وقد دثرت ([4]).

12- **المدرسة الدمَّاغية:** داخل باب الفرج. أنشأتها عائشة زوجة شجاع الدين بن الدماغ العادلي الذي كان من الأصدقاء المقربين للملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكانت المدرسة بالأصل داراً له، فجعلتها زوجته مدرسة للشافعية والحنفية، عام 638هـ / 1240م، وقد دثرت. ([5])

13- المدرسة الأتابكية: في الصالحية من الغرب (في جادة بين المدارس اليوم). بنتها الجهة الأتابكية تركان خاتون بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل وزوجة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، وقد توفيت عام 641هـ / 1244م، ودفنت بها، والمدرسة وقف على الشافعية. وما تزال موجودة حتى يومنا هذا ([6]).

14- المدرسة المرشدية: والتي تقع في جبل الصالحية من الغرب على نهر يزيد بجوار دار الحديث الأشرفية ([7])، بنتها عصمة الدين خديجة خاتون ابنة الملك المعظم عيسى الأيوبي عام 650هـ / 1254م، ، وأوقفتها على الحنفية.([8]) وقد أوقفت السيدة

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 353. النعيمي، الدارس ، ج2، ص 79. ابن طولون، القلائد ، ص 245- 246 .

[2] – النعيمي، الدارس ، ج2، ص 79. ابن طولون، القلائد، ص 156. شميساتي، مدارس دمشق في العهد الأيوبي ،ص 208

[3]– والسلار كلمة فارسية معناها قائد الجيش، بدران، منادمة الأطلال،ج1، ص211.

[4] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 223. النعيمي، الدارس، ج1، ص464. ابن طولون، القلائد، ص 61. العلموي، مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس ، ص 111. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 60.

[5] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص262. النعيمي، الدارس، ج1، ص236. بدران، منادمة الأطلال، ص 97.

[6] – أبو شامة، ذيل الروضتين، ص 172. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص 283. النعيمي، الدارس، ج1، ص 129. ابن طولون، القلائد، ج1، ص 165.

[7]– دار الحديث الأشرفية: هي التي أنشأها الملك الشرف موسى الأيوبي، وتقع بجوار باب القلعة الشرقي، غربي المدرسة العصرونية وشمال المدرسة القيمازية الحنفية بدمشق، وكانت هذه الدار من قبل دارًا للأمير صارم الدين قيماز النجمي، ثم اشتراها الملك الأشرف موسى وأنشأ مكانها دار الحديث الأشرفية في عام 628هـ/1230م، وانتهى من بنائها في عام 630هـ/1232م؛ انظر: ابن كثير، البداية والنهاية،ج 13، ص29. النعيمي، الدارس، ج1، 15. بدران، منادمة الأطلال،ص 24، 25 .

[8]– النعيمي، الدارس، ج1، ص 576. . ابن طولون، القلائد، ج1، ص 230.

خديجة خاتون على المدرسة المرشدية الحنفية أوقافًا كثيرة. وقد كُتب على عتبة بابها ما نصه "هذا ما أوقفت الست الجليلة عصمة الدين خديجة خاتون بنت السلطان المعظم شرف الدين عيسى بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر؛ وذلك حصته من بستان الكليب: خمسة أسهم، وثلثا سهم، وخُمس سهم، وسُبع سهم، ومن طاحون الطرف الخمس، ودار بجبل الصالحية، وحصة بقرية تقي الدين سبعة أسهم ونصف سهم، وحصة بجنة عاتكة ثمانية أسهم ونصف، وحصة بجنة عسال من قصر معلول ثلث سهم، ومن الجنة سهم ونصف، وبستان الماردانية بكماله" ([1])وهي وما تزال باقية([2]).

15- مدرسة الفردوس بحلب :

أنشأتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل ([3]) في عام 633هـ/ 1236م بظاهر حلب عرفت بمدرسة الفردوس، تقع خارج باب المقام([4])؛ وهي مدرسة شافعية المذهب وقد عينت فيها السيدة ضيفة خاتون عددًا كبيرًا من القراء والفقهاء والصوفية([5])، فهي بمثابة مدرسة وتربة وخانقاه ومكان لتجمع الجيش، وأوّل من درّس فيها شمس الدين أحمد بن الزبير الخابوريّ ([6])([7]) والمدرسة ما تزال قائمة إلى يومنا هذا ومحافظة على رونقها المعماري بقبابها وبركها و أعمدتها .وخشبها المحفور بدقة متناهية ومحرابها الرخامي البديع الذي يعتبر من أجمل المحاريب في العالم الإسلامي.

16- مدرسة العالمة ودار الحديث: غربي الصالحية .بنتها الشيخة العالمة أمة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلي ([8])المتوفاة عام 653هـ/ 1257م، وأوقفتها على

[1] – النعيمي، الدارس، ج1، ص 576. حاشية رقم (1)

[2] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص228. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 171. النعيمي، الدارس، ج1، ص576. ابن طولون، القلائد، ج1، ص258. بدران، منادمة الأطلال، ص103.

[3] – تم ترجمتها سابقاً في الفصل الأول .

[4] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ج1 ق1 ص 261 . ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص113 . محمد راغب الطباخ، أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، ج2، ص262.

[5] – ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص 113.

[6] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص 37.

[7] – هو الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الزبير الحلبي، خطيب حلب ومقرئها ونحويها ، صاحب النوادر والطرف ،سمع بحران من فخر الدين بن تيمية وبحلب من ابن الأستاذ وببغداد من الدهري وبدمشق من ابن صباح . وقرأ القراءات على السخاوي ، وتوفي سنة 690/ 1292م، عن عمر تسعين سنة، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص 371. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص 418.

[8] – وردت ترجمتها سابقاً

الحنابلة، أوقفت على المدرسة عدة بساتين بمكان يقال له جسر بطة والغيضة وبستان آخر([1]) فيقول ابن كثير أنها عندما توفيت : " وجد لها بدمشق ذخائر كثيرة وجواهر ثمينة، تقارب ستمائة ألف درهم، غير الأملاك والأوقاف رحمها الله تعالى" ([2])، استمر التدريس بها إلى نهايات القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي وقد دثرت ([3]).

17- المدرسة العادلية الصغرى في العصرونية، مقابل دار الحديث النورية. كانت هذه المدرسة في الأصل داراً وحمّامًا تعرف بدار ابن موسك ، ثم ملكت هذه الدار الخاتون عصمة الدين زهرة ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ثم ملّكتها لابنة عم أبيها بابا خاتون" ابنة أسد الدين شيركوه مع أوقاف أخرى تمثلت عدة قري([4])، ثم عادت بابا خاتون فأوقفت ذلك جميعه على زهرة خاتون ([5]) شريطة أن تحول الدار ومن بعدها إلي مدرسة للشافعية ذلك سنة 655ه/ 1259م، وقد انتهي من بنائها عام 656ه/ 1260م وما تزال موجودة اليوم ([6]).

وأوقف عليها الكثير من الأوقاف للإنفاق عليها، كما عيّنت في المدرسة "مدرّسًا ومعيدًا وإمامًا ومؤذّنًا وبوّابًا وعشرين فقيهًا " ([7])، ويتضح من هذه الرواية أمران مهمّان، أما الأمر الأول فهو شكل الهيئة التعليمية في مدارس العصر الأيوبي؛ إذ كان على رأس تلك الهيئة المدرّس الذي كان دائمًا يُختار على أساس شهرته ومكانته وسعة علمه، ويعتبر من مشايخ علماء العصر؛ لأن هذا الاعتبار تتوقف عليه سمعة وشهرة المدرس، .لذا فقد كان من واجبات

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 199 النعيمي : الدارس، ج2، ص 112. ابن طولون، القلائد، ج1، ص84.

[2] – المصدر نفسه، ج13، ص 199.

[3] – بدران، منادمة الأطلال، ص248.

[4] – قرية كامد الوقعة الآن في لبنان شمال راشيا وقرية برقوم بين حلب ومعرة النعمان وكانت تحمل غلال هاتين القريتين أو تباع في موضعها ثم تستقدم إلي المدرسة للإنفاق عليها . للمزيد انظر: شميساتي، مدارس دمشق في العهد الأيوبي ،ص 76.

[5] – وقد أورد النعيمي في كتابه : " الدارس " نتفة من وقفية الأميرة زهرة خاتون على هذه المدرسة التي يعود تاريخها إلي رمضان سنة 655هـ أيلول 1257م ، من خلالها يمكن التعرف لأول مرة على تفاصيل جديدة عن عمل هذه المدرسة والإنفاق عليها من قبل الواقفة .

[6] – أبو شامة، ذيل على تاريخ الدولتين، ص 81. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص243. النعيمي، الدارس، ج1، ص 368. العلموي، مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس، ص 58. المنجد، صلاح الدين، خطط دمشق، ص 80.

[7] - النعيمي، الدارس، ج1، ص 368.

المدرّس أن يعطي الدرس حقه شرحًا وتوضيحًا([1])، ثم يأتي بعده المعيد، الذي كانت مهمته كما أوضحها القلقشندي، إعادة ما ألقاه المدرّس على الطلبة بعد انصرافه ليزداد فهمهم ([2])، وكما عرّف السبكي المعيد بأنه "عليه قدر زائد على سماع الدرس ومن تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة"([3])، ويتضح من هذا أنَّ المعيد كان يساعد المدرّس، حيث يعيد على الطلبة ما ألقاه المدرّس، فهو أكبر منهم درجة ، ويجلس معهم ليستمع إلى ما يعطيه المدرّس، ثم يرجع إليه الطلاب ليشرح لهم ما قد يكون قد صعب عليهم ، ولعل هذا يبين أيضًا أن المدارس الأيوبية كانت أشبه بجامعات اليوم ؛ مما يدل على أنَّها كانت في أوج من الرقيّ والإتقان([4])، وإلى جانب المدرّس والمعيد، كان يعيّن عدد كبير من الفقهاء في المدرسة الأيوبية.

أما الأمر الثاني فهو أنَّ المدرسة الأيوبية كانت بمثابة مسجد تقام فيها الصلاة؛ لذا فقد كان يعيّن فيها مؤذّن وإمام؛ مما يدل على مدى التشابه بين المسجد والمدرسة الأيوبية ، ويرجع السبب في هذا التشابه إلى أنَّ كلاً منهما كان يتقرّب بإنشائهما العبد إلى ربه، فإذا كان إنشاء المساجد يعتبر من أجلّ الأعمال التي يمكن أن يتقرّب بها المسلم إلى ربه فإنَّ المدارس أيضًا، اعتبرت قلاعًا للعقيدة وحصونًا للدين؛ لأن الإسلام حث على العلم والتعلم، ومادام الهدف متقاربًا بين المسجد والمدرسة، فإن الوظائف والمهام تشابهت إلى حد كبير يقترب من التطابق، بمعنى أن المسجد صار مكانًا للعبادة والدرس، في حين صارت المدرسة مكانًا للدرس والعبادة ([5]).

18- المدرسة الشومانية: قرب الخواصين (سوق الخياطين حالياً)، داخل دمشق، وقد سمُّوها المدرسة الطيبة فيما بعد تيمناً، وهي للشافعية. أنشأتها خاتون بنت ظهير

---

[1] – رشيد، التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية، ص 280- 281. الشاعر، مني، خاتونات البيت الأيوبي، ص 17- 67.

[2] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 316.

[3]- السبكي، معيد النعم، ص 108.

[4]- عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص 142. صبرة، عفاف، المدارس في العصر الأيوبي، ص 166. رشيد، ناظم، التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية، ص280، 281. الشاعر، خاتونات البيت الأيوبي، ص 17- 67.

[5]- عاشور، العلم بين المسجد والمدرسة،31-32 .

الدين شومان، ولا تذكر المصادر سنة الإنشاء ولا تاريخ وفاة البانية، ولم يبق لهذه المدرسة أثر([1]).

19- المدرسة الخاتونية : يضاف إلى تلك المدارس المدرسة التي أنشأتها السيدة مؤنسة خاتون (633- 703هـ = 1235-1303م)، ابنة الملك المظفر صاحب حماة، وعرفت بالمدرسة الخاتونية بحماة، والتي أوقفت عليها أوقافًا كثيرة، فضلاً عن العديد من الكتب المتنوعة في مختلف العلوم ([2])، ويؤكد ذلك أبو الفدا فيقول : "ودخل الملك المظفر ومضى إلى دار الوزير المعروفة بدار الأكرم داخل باب المغار ، وهى الآن مدرسة تعرف بالخاتونية، وقفتها عمتي مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر المذكور"([3]).

20- المدرسة القطبية أنشأتها عصمة الدين مؤنسة خاتون، ابنة الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب، وشقيقة الملك الأوحد قطب الدين أحمد، فقد ولدت في عام 603هـ/1206م، أنشأت مدرسة في مصر في أول حارة زويلة برحبة كوكاي ، وسمتها بالقطبية نسبة إلى أخيها الملك الأوحد قطب الدين أحمد وكانت تلك المدرسة بمثابة معهد علميّ كبير خُصِّص لدراسة العديد من العلوم الدينية؛ إذ كانت مركزًا لدراسة الفقه الشافعي والحنفي إلى جانب أنها كانت دارًا لإقراء القرآن الكريم، يدرّس فيها القرآن الكريم وعلومه. ولكي يستمر سير العملية التعليمية في تلك المدرسة أمرت السيدة مؤنسة خاتون بشراء وقف يُنفق من إيراده على متطلباتها([4])، ويقول المقريزي عنها : إنها "كانت عاقلة، ديّنة فصيحة، لها أدب وصدقات كثيرة وتركت مالاً جزيلاً" ([5])، ولا شك أنَّ رواية المقريزي إنما تدل على فصاحة وسعة علم وتديّن هذه السيدة الفاضلة؛ كما تدل على أنَّ دارها كانت قبلة للعِلم والعلماء فضلاً عن كثرة صدقاتها وبِرّها بالفقراء ودُور العلم.

---

[1]- ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص244. النعيمي، الدارس ، ج1، ص 315. بدران، منادمة الأطلال، ص 109- 115.

[2]- أبو الفداء، تاريخ المختصر في أخبار البشر، ج3، ص144. كرد، خطط الشام، ج6، ص 124. كحالة، أعلام النساء، ج5، ص 129 والدها: الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور الأيوبي، آخر ملوك حماه. توفي سنة (698هـ / 1298م) ، ينظر ابن العماد الحنبلي، شذرات،ج 2، ص 544 .

[3]- أبو الفدا، تاريخ ، ج3 ، ص144.

[4]- المقريزي، الخطط، ج4، ص 200.

[5] - المصدر نفسه، ج4، ص 200

كما أوقفت الملكة شجرة الدر ، أم خليل الصالحية علي مدرسة عرفت باسمها ([1]).

ثانياً: المساجد :

اقتدت المرأة العربية بأفعال الرجال فرفعت المساجد، سواء كان في القاهرة أو دمشق أو حلب، فمن المنشئات الدينية التي قامت بها المرأة في مصر وبلاد الشام :

1- مسجد السيدة رقية . أنشأته علم الآمرية زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله و يقال لها ست القصور التي كانت تميل للإعمار والإنشاء حيث أنشأت العديد من المساجد منها مسجد السيدة رقية الذي جعلت به مشهداً للسيدة رقية بنت علي بن أبي طالب عام 527هـ/ 1130م([2])، ومسجد الأندلس ([3]).

2- مسجد النارنج .أنشأته جهة الدار الجديدة زوجة الخليفة الآمر عام ٥٢٢ هـ / 1125م، وسمي مسجد النارنج لانّ نارنجه لا ينقطع أبداً([4]).

3- مسجد جهة بيان. أمرت الجهة الحافظية زوجة الخليفة الحافظ المعروفة بجهة بيان الحسامي ببنائه([5]).

4- مسجد جهة ريحان . أقامته إحدى زوجات الخليفة الحافظ عام ٥٤2هـ / 1145م، ([6])

5- مسجد ست غزال. بالإضافة إلى ذلك أسهمت سيدات من خارج الأسرة العلوية بالوقف على المساجد أيضاً، مثل : ست غزال التي بنت مسجدًا حمل اسمها عام٥٣6 ه/ 11340م، ويُذْكَرُ عنها أنه كان لها منصب كتابي في قصر الخليفة حيث كانت"صاحبة دواة الخليفة ولا تعرف شيئاً إلا أحكام الدوى ([7]) والليق([8]) ومسح الأقلام والدواة، وكان برسم خدمتها مأمون الدولة الطويل ([9]).

---

[1]- مبارك، الخطط الجديدة التوفيقية، ج4، ص 32.

[2] - ناريمان عبد الكريم، المرأة في العصر الفاطمي، 41.

[3]- المقريزي، الخطط، ج4، ص 216.

[4] - المصدر نفسه، ج3، ص 216.

[5]- المصدر نفسه، ج4، ص 216.

[6]- المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحات.

[7] – دوى: جمع دواة، وهي ما يوضع فيها المداد للكتابة، الاستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص 108. الأزهري، تهذيب اللغة، ج14، ص 159.

[8]- اللِّيقُ:شيء يجعل في دواء الكحل والقطعة منه ليقة وليقة الدواة : ما اجتمع في وقبتها من السواد بمائه. للمزيد انظر: الفراهيدي، معجم العين، ج5، ص 214. ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص 334. مادة " ليق " ابن عماد، المحيط في اللغة، ح1، ص 499.

[9] - المقريزي، الخطط، ج4، ص217.

وساعد النساء الفاطميات لعب ذلك الدور وجودهن في دولة ذات مذهب شيعي، فالمذهب الشيعي له فقهه الخاص، الذي يجعل للمرأة دوراً ونشاطاً اجتماعياً واقتصادياً أوسع في ظل دولة ذات مذهب شيعي ([1]).

6- فقد أنشأت خوند تذكار خاتون، بنت الملك الظاهر بيبرس، جامع بالجزيرة المستجدة المعروفة بالوسطانية([2]).

7- مسجد خاتون بدمشق. وينسب لصفوة الملك زمرد الخاتون بنت الأمير جاولي بن عبد الله ببنائها المسجد الكبير سنة 557ه/ 1160م، ويقول أبو شامة : " وإليها ينسب مسجد خاتون الذي هو مدرسة لأصحاب أبى حنيفة بأعلى الشرف القبلي بأرض دمشق بأرض صنعاء" ([3]). "وهي من كبار مدارسهم وأجودها معلوماً" ([4]).

8- مسجد الفردوس. استطاعت الست ضيفة خاتون بنت الملك العادل أن توقف جامعاً باسمها في دمشق وأن تضع جملة شروط تتعلق بمواصفات الخطيب والإمام والمؤذن وغيرهم من العاملين فيه وأوقفت مسجد آخر ألا وهو مسجد الفردوس في مدينة حلب([5]).

ثالثاً: الترب:

المراد بالترب هنا هي الترب الخاصة التي بناها أناس ليدفنوا بها وجعلوا لها جهات برٍّ وصدقات وليس المراد بها الترب العمومية ([6]) .

1- التربة الخاتونية: في الصالحية من الغرب، أمرت بعمارتها عصمة الدين خاتون ابنة معين الدين أنر عام 578ه/ 1180، ودفنت ابنها الملك الصالح فيها([7])، ضمت مسجداً عرف باسم (المسجد الجديد) ثم وسعته وعملت معه جامعاً، وهي بانية المدرسة الخاتونية الجوانية المتقدم ذكرها، وقد توفيت عام 581ه ودفنت بها، وما تزال هذه التربة موجودة ([8])

---

[1] - أبو المجد، زينب، أوقاف النساء، ص 21.

[2] - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص 206.

[3] - أبو شامة، الروضتين، ج1، ص 38. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص 483.

[4] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38، ص 222.

[5] - كحالة، أعلام النساء، ج1، ص 344.

[6] - بدران، منادمة الأطلال، ص 317.

[7] - ابن الشحنة، الدر المنتخب ، ج1، ص 106.

[8] - أبو شامة، الروضتين ، ج2، ص 66. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 317. النعيمي، الدارس ، ج2، ص 244. ابن طولون، القلائد ، ص 55- 60.

2- التربة الفاطمية: في الصالحية من الشرق .أنشأتها فاطمة بنت السنقر الطفداسي، توفيت سنة 606هـ / 1208م، ودفنت بها، وقد دثرت ([1]).

3- التربة الستية: في الصالحية. أنشأتها الحاجة ست العراق ابنة الأشجاع الملكي الناصري، لولدها محمد في سنة 616هـ./ 1218م، وقد دثرت([2]).

4- التربة الأتابيكية : تقع بسفح قاسيون بالصالحية أوقفتها الحجة الأتابكية امرأة الأشرف موسى صاحبة المدرسة المعروفة بالأتابكية توفيت سنة 640هـ / 1242م([3]).

5- التربة الكاملية: وهي بجانب الحائط الشمالي للجامع الأموي من خارجه لها نافذة تطل عليه من رواقة أمرت ببنائها بنات الملك الكامل ونقلوا رفاته لهذه التربة عام 637هـ / 1239م، بعد أن كان مدفوناً في قلعة دمشق .

6- التربة الحافظية: في الصالحية، قبلي جسر كحيل وقد وصفها الذهبي : " بأنها تربة مليحة فوق عين الكرش " ([4]) أنشأت هذه التربة الخاتون أرغوان الحافظية، عتيقة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وقد سميت الحافظية لتربيتها الملك الحافظ أرسلان شاه صاحب جعبر، وقد توفيت عام648 هـ/ 1250م، ودفنت بها و أوقفت عليها أوقافاً جيدة منها : بستان سصار والتربة ما تزال باقية حتى يومنا هذا([5]).

7- التربة القمارية : تقع بسفح قاسيون وهي تربة قماري خاتون بنت حسام الدين بن ضياء الدين أبي الفوارس القيمري ووقفت عليها الخان الذي كان لها بمسجد القصب توفيت سنة 694هـ / 1295م ([6]).

8- تربة أم الصالح : أنشأت أم الملك الصالح علاء الدين علي بن الملك المنصورقلاوون مدرسة تربة أم الصالح سنة ٦٨٢ هـ / 1284م، ووقفت للمدرسة وقفاً حسناً علي قراء وفقهاء وغير ذلك ([7]). وأطلق عليها ابن دقماق " التربة الخاتونية بنت قلاوون " حيث دفنت بها، أيضاً ، خاتون إبنة قلاوون وزوجة الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس، ودفن بها الملك الصالح علي بن قلاوون([8]).

---

[1] - ابن طولون، القلائد، ص 234.

[2] - ابن طولون، القلائد، ص235.

[3] - بدران، منادمة الأطلال، ص317.

[4] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، ص 391.

[5] - ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 180. ابن طولون، القلائد ، ص 217. النعيمي، الدارس، ج2، ص 243. بدران، منادمة الأطلال، ص 332. المنجد، صلاح، خطط دمشق، ص 94.

[6] - بدران، منادمة الأطلال، ص347.

[7] - المقريزي، الخطط، ج ٢،ص ٣٩٤

[8] - ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج4، ص 125. مبارك، علي، الخطط، ج5، ص 410.

9–تربة الست: خارج باب القرافة، وصاحبتها هي الست الجليلة أردوتكين ابنة نوغيه السلاح دار، زوج الملك الأشرف خليل بن قلاون، وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد، وكانت خيرة وماتت سنة 724ه/ 1324م([1]).

رابعاً: الرباطات:

وهي كانت بيوتاً يطلق على كل منها رباط، على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ويكون فيها العجائز والأرامل والعابدات([2])، فخصصت الخوانق والربط لإيوائهن، وتثقيفهن، وتعتبر دورا لحماية النساء([3])، وقد ذكر المقريزي تلك الربط " وكانت لهن الجرايات ([4])، وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ" ([5])، ومن أشهر الأربطة التي ذكرها المؤرخون في بلاد الشام ومصر، والتي كانت مخصصة للنساء في تلك الحقبة التاريخية للدراسة فهي كالآتي :

1– رباط عذراء خاتون: داخل باب النصر أنشأته عذراء خاتون بنت شاهنشاه بن أيوب وهي بانية المدرسة العذراوية. وقد دثر هذا الرباط ([6])

2– رباط بنت الدفين: في المدرسة الفلكية التي بحارة الأفتريس داخل بابي الفرج والفراديس. والمدرسة الفلكية بنيت من قبل فلك الدين سليمان أخي الملك العادل أبي بكر لأمه والمتوَفَّى عام 599ه/ 1201م، ولا نعرف شيئاً عن بنت الدفين المنسوب إليها هذا الرباط الذي دثر في ذلك الزمان . ([7])

3– رباط بنت السلار: داخل باب السلامة، وهو منسوب إلى فاطمة بنت السلار بانية التربة الفاطمية. وقد دثر هذا الرباط ([8]).

---

[1]– المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 192.

[2]– المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحات.

[3] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 192.

[4]– الجرايات : مفردها جرايا وهي الجاري من الرواتب أو صرفها وهي في علم الاقتصاد نظام يحدد ما يستهلكه الفرد من بعض السلع. أنيس، إبراهيم، المعجم الوسيط ، ص 212. .مصطفى، إبراهيم ـــو آخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص **119.**

[5] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص 222.

[6] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 196. النعيمي، الدارس، ج2، ص 194.

[7] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص196. النعيمي، الدارس، ج1، ص 431. ج2، 184. بدران، منادمة الأطلال ، ص 137.

[8] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص196 . النعيمي، الدارس، ج2، ص 194. العلموي ، مختصر الدارس ، ص 162.

4- رباط صفية القلعية: بالقرب من دار العقيقي التي أصبحت في العهد المملوكي المدرسة الظاهرية. ذكره البرزالي في حوادث سنة 633هـ/ 1236م، وقد دثر ([1]).

5- رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل: ذكره العلموي وقال أنَّه "بناحية الموصلي" ولا نعرف مكانه اليوم، بانيته هي تركان خاتون بانية المدرسة الأتابكية ([2]).

6- رباط زهرة خاتون: قرب القلعة من الطرف الشرقي ، بانيته زهرة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر، وقد مرَّ ذكرها في أثناء الحديث عن المدرسة العادلية الصغرى وقد دثر هذا الرباط. ([3]).

وهناك أربطة أنشئت بمصر: و ويذكر المقريزي أنَّه كان بالقرافة الكبرى عدة دور، يقال للدار منها رباط ونظرا لأن القرافة الكبرى كانت آهلة بالسكان، عامرة بالمساجد والجواسق والبساتين، وكانت معتبرة من متنزهات مصر، وخاصة فى الليالى القمرية، فقد أنشئت فيها أيضا الربط الكثيرة، لإقامة الفقيرات والأرامل فيها ([4]).

ومن الأربطة التي بنيت في مصر :

1- **رباط بنت الخواص:** و كان على هيئة بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون فيه العجائز والأرامل والعابدات ويقع في القرافة الكبرى([5]) .

2- **رباط الأشراف** : الذى أنشأه أبو بكر محمد بن على المادرائى، وخصصه لإقامة نساء الأشراف([6]) .

3- **رباط الأندلس:** أنشأته السيدة علم الآمرية أم ابنة الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله سنة 516 هـ- 1122م، بجوار مسجدها لإقامة العجائز والأرامل والمنقطعات، وكان لهذه السيدة صدقات كثيرة، وكانت تبعث إلى الأشراف بصلات جزيلة، وترسل إلى من أخنى عليهم الدهر من أرباب البيوت والمستورين بأموال كثيرة.([7])

4- رباط البغدادية : أنشأته السيدة الجليلة تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس سنة 648هـ / 1285م، بداخل الدرب الأصفر بالقاهرة، وقد أوقفته على الشيخة الصالحة زينب

---

[1] - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص196 . النعيمي، الدارس، ج2، ص193. العلموي، مختصر الدارس، ص 161. بدران، منادمة الأطلال ، ص296.

[2] - العلموي، مختصر الدارس، ص163.

[3] - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص195. النعيمي، الدارس، ج2، ص193.

[4] - المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص 217 .الغزالي، محمد، تراثنا الفكري، ج1، ص 234.

[5] - المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص 217 .

[6] - المصدر نفسه، ج3، ص 217 .

[7] - المصدر السابق، ج3، ص 217.

ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به ومعها مجموعة من النساء الخيرات يساعدنها في إدارته، وكانت عالمة زاهدة قانعة خيّرة تعظ النساء وتفقهن، وصارت كل من قامت بعدها بمشيخة هذا الرباط يُطلق عليها اسم البغدادية،([1]) وقد أدرك المقريزي هذا الرباط عامرًا وأدرك به إحدى المرشدات وهي الشيخة الصالحة سيدة نساء زمانها(أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية) ، وكانت فقيهة وافرة العلم، زاهدة قانعة عابدة، واعظة حريصة على النفع والتذكير، ذات إخلاص وخشية، وأمر بالمعروف، انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر، وكان لها قبول زائد ووقع حسن في النفوس ([2]).

وكان هذا الرباط موقوفًا على النساء المطلقات حتى يتزوجن، أو من هجرهن أزواجهن حتى يرجعن إلى أزواجهن ؛ صيانة لهن من الانحراف، وقد اشتهر ذلك الرباط بشدة الضبط وغاية الاحتراز والحفاظ على الأخلاق والمواظبة على العباد ([3]).

ولذلك حرصت النساء على إنشاء تلك المؤسسات الوقفية لتقديم الخدمات الاجتماعية والعلمية لغيرهن من نساء العصر، ومن أمثال ذلك ما قامت به الشيخة الصالحة آمنة بنت محمد ابن الحسن بن طاهر القرشية أوقفت رباطا لسكني الفقراء من النساء([4])، وكذلك ما قامت به كل من زينب بنت عمر بن كِنْدي بن سعيد بن علي، أم محمد بنت الحاج زكي الدين الدمشقي، بأنها بنت رباطا ووقفت أوقافاً عليه، فكانت امرأة صالحة، خيرة، لها بِرٌّ وصدقة وتوفيت بقلعة بعلبك عن نحو تسعين سنة رحمها الله عام 699ه/ 1299م([5])، و كذلك ما قامت به فاطمة بنت سودكين الداية وقفت رباط النساء بحلب تحت القلعة، وكانت داية نور الدين الشهيد، وابنها مجد الدين بن الداية الذي أنابه نور الدين حلب([6]).

خامساً الخوانق:

الخانقاه ، بالقاف والكاف ، جمعها خوانق ، لفظة فارسية تعني البيت ([7]) وقيل أصلها خونقاه، أي الموضع الذي يأكل فيه الملك ([8]) ويقول المقريزي أنَّ الخوانق حدث عملها في الإسلام

[1] – المصدر نفسه، ج3، ص 194.

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص 194.

[3] - المصدر نفسه، ونفس الجزء والصفحات .

[4] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 45. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52، ص 406.

[5] – الذهبي، سير أعلام النبلاء ج15ص38

[6] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص 405.

[7] – مادة "خانقاه".دائرة المعارف الإسلامية ، النسخة العربية ، المجلد السادس عشر، ص 459

[8] – المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج3، ص 176.

في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وهي بيوت أعدها الصوفية لكي يخلوا بها تقرباً لله تعالي بكل ما تحمله تلك الكلمة من معني، وهذا هو المعروف والمعتمد،([1]) إلا أن بعض الباحثين رأوا غير ذلك إذ أرَّخوا لظهور الخوانق قبل القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي، قبل ظهور الصوفية ([2])، وهي بناء ديني أقيم على نظام الصحن الذي يحيطه إيوان واحد أو أكثر فبعضها تضم باباً واحداً وبعضها أربع ، وهي بلا مئذنة وبلا منبر وتضم مسجداً لا تقام فيه صلاة الجمعة، ويلحق أحياناً به ضريح أو مدرسة أو سبيل ، تُدرس في مدرسة الخانقاه العلوم الدينية على المذاهب الأربعة ([3]).قامت الخانقاه أحياناً بدور أوسع من المدرسة في نشر الوعي الديني الموجه، وهي بيوت للصوفية تؤدي أغراض دينية وتعليمية، كذلك وكلمة خانقاه مساوية لكلمة رباط في ذلك العهد ([4]) فخانقاه الفرافرة بحلب كان يطلق عليها أحياناً اسم الرباط الناصري، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن جبير في رحلته في نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي عن الشام في العهد الأيوبي قائلاً : إن الرباطات وهي تسمى في بلاد الشام بالخانقاوات كثيرة ويؤمها الصوفية ، ويضيف بأنها كانت قصوراً فخمة لأن الصوفية كانوا هم الملوك في تلك البلاد ([5]).

إلى جانب الخوانق الخاصّة بالرجال، أنشئت في العهد الزنكي خوانق مخصّصة لإقامة النساء، يتعبدن فيها ويتلقين دروساً في الوعظ الديني، ومن أشهر هذه الخانقاهات في حلب " خانقاه نور الدين، حيث ذكر ابن شداد أن الملك نور الدين أنشأ خانقاه للنساء سنة 553ه/1158م على الأرجح([6])، ولكنه لم يُحدد موقع هذه الخانقاه، كما أنه لم يبق لها أي أثر في الوقت الحاضر. ومن الخوانق التي أنشأتها النساء في ذلك العصر في كل من حلب ودمشق فهي كالآتي :

1- الخانقاه الخاتونية: تقع ظاهر باب النصر شرقي جامع دنكز ولصيقه وبابها يفتح باتجاه القبلة كانت تعطى إدارتها لمشايخ الصوفية من أبرزهم الشيخ ابن سكينه والشيخ

---

[1] – المصدر نفسه ، ج3، ص 177.

[2] – متز،آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، جــ 2 ، ص 23 . شعت، شوقي، الخانقاه (الخانكاه) في التراث الحضاري الإسلامي، ص 33.

[3] – شعت، شوقي، الخانقاه (الخانكاه) في التراث الحضاري الإسلامي، ص33.

[4] – فيبدو بأنه قد شاع اسم الرباط للدلالة على الخانقاه في العراق ، كما شاع استخدامه في المغرب العربي . ارتبط اسم الرباط بأماكن مرابطة للمجاهدين .للمزيد انظر الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 46. ورد ذكر الرباط في القرآن الكريم : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عــدو الله وعدوكم " (الأنفال 1 – 60) ، وورد في آية أخرى في قوله تعــالى "يا أيها الذين آمنوا إصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"(آل عمران: آية 200).

[5] – ابن جبير، الرحلة،ج1، ص 108.

[6] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص192. ابن الشحنة، الدر المنتخب، ج1، ص 106

شهاب الدين الرومي وابن السلاوي ، بنتها عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر بانية المدرسة الخاتونية الجوانية السابقة الذكر عام 578هـ / 1181م، ولم يبق لهذه الخانقاه أثر اليوم ([1]).

2- الخانقاه القصاعية: بالقصاعين، داخل باب الجابية. أنشأتها فاطمة خاتون بنت خطلجي، ولا نعرف من هي ولا تاريخ وفاتها ([2]).

3- الخانقاه الحسامية: تقع شمال المدرسة الشبلية البرانية خارج سور دمشق جنوب الشرف القبلي (المرجة) منسوبة لحسام الدين محمد بن عمر بن لاجين المتوفي سنة 587هـ 1190م، بانيتها هي أمه ست الشام أخت صلاح الدين التي مرَّ ذكرها معنا وقد ذكر محمد كرد علي أن مديرية الأوقاف رممتها تحت إشراف مديرية الآثار وهي الآن مدرسة ابتدائية تحت إشراف جمعية الإسعاف الخيري بدمشق([3]).

4- الخانقاه الكاملية : تقع في حلب بالقطعية أنشأتها السيدة فاطمة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب سنة(656هـ/ 1258م) ([4])، فكانت رباطًا للنساء الفقيرات وكتبت فوق بابه " وقفت هذه الخانكاه الرباط فاطمة بنت الملك العادل محمد بن الكامل ابن أبي بكر بن أيوب على المقيمات بها وإظهارًا للصلوات الخمس والمبيت فيها " ([5]).

5- خانقاه الفرافرة : ويسميها الطباخ بالخانقاه العادلية فكانت مخصصة للنساء ، ويذكر أنَّ التي بنتها ضيفة خاتون بنت الملك العادل سـيف الدين أبي بكر أم الملك العزيز محمد داخل باب الأربعين تجاه مسجد الشيخ الحافظ عبد الرحمن بن الأستاذ. ([6])، ويضيف القول: "تجد بعد الباب (المدخل) دهليزاً تدخل فيه إلى صحن مربع طول ضلعه نحو أربعين متراً ، يوجد في الجهة الشمالية من الخانقاه إيوان واسع عظيم الارتفاع له قنطرة مبنية من حجارة ضخمة ، وفي الجنوب يوجد محراب بديع بلغت

---

[1] -ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص192. ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 136. ابن الشحنة، الدر المنتخب، ج1، ص 106 ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، 272. النعيمي، الدارس، ج2، ص114 . بدران، منادمة الأطلال، ص274.

[2] - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص192. النعيمي، الدارس، ج2، ص 168. العلموي، مختصر الدارس، ص 151. بدران، منادمة الأطلال، ص 284. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 52.

[3]- ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص191. النعيمي، الدارس، ج2، ص143. الإربلي، مدارس دمشق ودور حديثها ، " في رحاب دمشق" ، ص 79.

[4] - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ص 31. كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 106.زكي، مشاهير الأكراد، ج2، ص246.

[5] - ابن الشحنة، الدر المنتخب، ج1، ص 108- 113.

[6] - ابن الشحنة، الدر المنتخب، ج1، ص 108. الطباخ راغب، أعلام النبلاء ، ج5 ، ص 28 .

فيه الصنعة منتهاها من الهندسة والهندام ، ويحيط به عمودان من الرخام فوق كل منهما تاج مرخم ترخيماً بديعاً يدل على دقة الصنعة والبراعة ، وفي وسط صحن الخانقاه توجد بحرة مثمنة تشبه تلك الموجودة بمدرسة الفردوس بحلب ويمكن للمرء الدخول من الصحن عبر الدهليز إلى صحن صغير آخر تحيط به أربع غرف"([1]).

6- خانقاه أنشأتها بنت صاحب شَيْرَز سابق الدين عثمان قبالة دورهم ([2]).

7- **خانقاه بدرب البنات** ([3]).

8- خانقاه أنشأتها زُمُرُّد خاتون وأختها بنتا حسام الدين بن عمر بن لاجين وأمّهما أخت صلاح الدين يوسف ([4]).

9- خانقاه أنشأتها بنت والي قوص ([5]).

10- **خانقاه أنشأتها الكامليّة** زوجة علاء الدين بن أبي الرجاء ([6]).

هذه أهم الخوانق التي كانت قائمة في حلب في العهد الزنكي، وقد كان لهذه المؤسسات مشاركة فعّالة في إثراء الحياة العلمية في ذلك العهد نظراً لما كان يُعقد فيها من دروس وحلقات ووعظ، إلى جانب قيامها بالوظيفة الأساسية التي أنشئت من أجلها وهي إيواء المتصوفة للانقطاع فيها للعبادة، ومجاهدة النفس والبعد عن الدنيا ([7]).

من الخانقاوات التي أنشئت في مصر فقد أنشأت خوند طوغاي أم آنوك، زوجة الناصر محمد بن قلاوون، خانقاه أم آنوك وهي تقع خارج باب البرقية بالصحراء، فجاءت من أجل المباني، وجعلت بها صوفية وقراء، ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة، ودفنت بهذه الخانقاه، وهي من أعمر الأماكن على يومنا هذا ([8]).

فإلي جانب تلك الجهود من قبل نساء الطبقة الحاكمة، فقد قامت العديد من النساء القادرات من مختلف طبقات الشعب على وقف المنشئات التي تكفي بمد المؤسسات العلمية بالمال اللازم تقديراً منهن لأهمية العلم والعلماء، أمثال : خديجة بنت نصر الله الدمشقية ([9])، التي وقفت

---

[1] - الطباخ راغب، أعلام النبلاء،ج 5 ، ص 29.

[2] - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص 31. ابن الشحنة، الدر المنتخب، ج1، ص 108.

[3] - ابن الشحنة، الدر المنتخب، ج1، ص 108.

[4] - المصدر نفسه، والجزء والصفحات .

[5] - المصدر نفسه، الجزء والصفحة

[6] - ابن الشحنة، الدر المنتخب، ج1، ص 109.

[7] - الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ج1، ص 470.

[8] - المقريزي، الخطط، ج4، ص 290- 291.

[9] - تقدمت ترجمتها .

بيتها على جامع الحنابلة بدمشق، وخديجة بنت عبد الله بن عبد مناف التي وقفت ربع غلة وقفها لمسجد الطواشي وعبد الغفار ، كذلك ما قامت به فاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم ابن عبد الرحمن أبي القاسم الأنصاري الدمشقي في حياتها، ببناء عدة مدارس وتكايا ووقفت لها أوقافا ([1])، إلا أنَّ بعض النساء وقفن ممتلكاتهن على الأشخاص لا على البناء كما فعلت فاطمة بنت علي بن أحمد بن منصور الغساني ([2])، التي وقفت على إمام محراب مسجد دمشق وفقهاء المالكية المشتغلين في المسجد نفسه، وما قامت به الحافظة أرغوان، عتيقة الملك العادل، ووقفت دارها بدمشق على خدامها ([3]).

لم يقتصر الأمر عند ذلك، بل أسهمت المرأة في ذلك العصر بتكريم العلماء، حيث باعت فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي سواريها لتقدم الفطور في كل ليلة من ليالي رمضان للعلماء والفقهاء ([4]).

نلاحظ من هذه الدراسة الإحصائية عن الأبنية التي ساهمت المرأة في إنشائها قد بنين بدمشق وحلب وحماة ومصرفي فترة الدراسة التاريخية إحدى وعشرين مدرسة، حملت أسمائهن وفي أقل من قرن واحد وكونهن، لهو دليل على الدور الفعال الذي لعبته تلك النسوة في دعم الحركة الثقافية والعلمية في تلك الفترة، فقد شاركن في هذه الحركة سواء بالبناء والإعمار، أو بالدراسة والتدريس، كما شاركت المرأة في ذلك العصر في تيار التصوف، الذي أخذ يشتد تدريجياً في تلك المرحلة، ودعمت هذا التيار بالمشاركة الفعلية فيه أو ببناء الخوانق والرباطات، فقد بنين عشرة رباطات و إحدى عشر خوانق وتسع ترب، كما مرَّ معنا. هذه المباني اندثر بعضها لكن مازال العديد منها موجوداً حتى يومنا هذا يمر عليه الناس ولكن لا يعرفون أن المرأة كانت سبباً في بناءها.

كذلك نطلع من خلال البحث على مدى غنى بعضهن من كثرة الأوقاف التي أوقفنها على المنشآت الدينية، ولعل في الكتابة الوقفية المنقوشة على باب المدرسة المرشدية والتي ما تزال موجودة حتى يومنا بين المدارس في الصالحية دليل على ذلك، وكذلك تدل الأوقاف الكثيرة التي أوقفتها ست الشام على مدرستها "المدرسة الشامية البرانية" التي كانت تعد "من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكثرها أوقافاً"([5]).

---

[1] – الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص 28. ابن حجر، الدر الكامنة، ج 3، ص 222. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص 235. فواز، زينب، والدر المنثور، ص 366. الزركلي، الأعلام ، ج5، ص 131

[2] – ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر، ج70، 34.

[3] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، ص 391.

[4] – كحالة، أعلام النساء، ج4، ص 94.

[5] - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 167. النعيمي، الدارس ، ج1، ص 277.

نستخلص من هذا كله أنّ الكثير من النساء اشتغلن بالعلم فساهمن بشكل فعال في النهضة العلمية ودعم الحركة الثقافية والنشاط السياسي ؛ لأن بناء المدارس كان نوعاً من أنواع الدعم لسياسة الدولة، وهي بذلك تكون قد شاركت جدياً في عملية التطور الحضاري بمختلف أشكاله اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، ليس هذا فحسب بل قدمت لنا صورة موضوعية تعرفنا من خلالها على المرأة في مجتمعنا العربي قديماً كإنسانة لم تكن تعيش بمعزل عن تطورات مجتمعها ولم تكن هامشية أو مهانة بل على العكس كانت تحظى بمكانة لائقة استطاعت أن تشارك في شتى الميادين حتى في مجال العمارة والبناء الذي اختص به الرجال منذ القديم ونافسته في ذلك ؛ أي لم تكن نصف المجتمع المشلول أو السلبي الذي يعيش على سواعد الرجال بل كانت كالطود الشامخ في جميع المجالات وجديرة لتكون كالرجال.

وعلى وجه العموم تبقى الشواهد الأثرية حتى اليوم الحاضر أمام أعيننا صرحاً داحضاً لكل ادعاء قيل عن المرأة في مجتمعنا العربي القديم وشاهداً لما صنعت، منها ما يزال يقوم بوظيفته في المجتمع ومنها ما هو بحاجة لتمتد إليه يد العون لترميمه وإزالة خطر السنين عنه. هذا ما قدمته المرأة في بلاد الشام ومصر فقط ما بين القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، فهل استطاعت المرأة اليوم الوصول إلى ما وصلت إليه المرأة في ذلك العهد أم هل تجاوزته وما هي الدلائل والشواهد التي ستقدمها إلى أحفادها ؟.

الفصل الرابع

دور المرأة العربية المسلمة في الحياة الاجتماعية

المبحث الأول: مكانة المرأة العربية في المجتمع .

المبحث الثاني: المؤثرات الاجتماعية العربية على المرأة الفرنجية (الصليبية) .

المبحث الثالث: مظاهر الانحلال الخلقي وانتشا ر الرذيلة في المجتمع زمن الصراع الإسلامي الفرنجي.

مكانة المرأة العربية في المجتمع:

مما لاشك فيه أنَّ المقاييس الأساسية التي يقاس بها رقي أي مجتمع أو أية حضارة، مكانة المرأة في ذلك المجتمع أو في تلك الحضارة، وإذا كان هناك شبه إجماع عالمي على أنَّ الحضارة العربية الإسلامية هي أعظم حضارة عرفها العالم أجمع في العصور الوسطى، فإن هذا الحكم لم يأتِ على أساس تقدم هذه الحضارة في الآداب والعلوم والفنون فحسب، وإنما أيضًا على أساس رقي المجتمع العربي الإسلامي رقيًّا تشهد عليه مكانة المرأة واتساع دائرة نشاطها في ذلك المجتمع([1]).

أمَّا عن مكانة المرأة ، فالمصادر التاريخية وكُتب الرَّحَّالة الذين زاروا بلاد الشام ومصر في ذلك العصر، بل وحتى المصادر الأدبية كلُّها تشير إلى أنَّ المرأة تمتعت بقسط وافر من التقدير والتكريم سواء أكانت مسيحية أو يهودية أو مسلمة، ويحرصون كل الحرص على صيانة شرفها والدفاع عنها، ومعاملتها معاملة حسنة والفضل في ذلك يعود إلى الإسلام وتعاليمه التي منحت المرأة هذه المكانة ([2])، حيث ظهر دور المرأة بشكل أوسع في ظل الإسلام، فأبطل الكثير من العادات القديمة والتي تنال من مكانتها، وأزال العديد من القيود والتي تَحدُّ من حريتها ورفع من شأنها([3])، إذ جعل لها نصيباً في الإرث، كما سمح لها أن تكون لها ملكيتها الخاصة، وأباح لها كل ألوان الممارسات المالية وجعلها مالكة عائدها وأموالها دون تدخل الرجل في ذلك، يقول تعالي: { للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيبَ مما اكتسبن } ([4])، وأصلح في أحوالها الشخصية إذ جعل للزواج والطلاق أحكاماً وتعدد الزوجات قيوداً، بعد أن كانت كثيراً من الفوضى، إلا أنه في الواقع لم يمنحها المساواة الكاملة بالرجل، ولم يرفع عنها وصايته([5])، بالإضافة إلى نظرة الرجل لها على أساس أنها معاونة له في عمله وشريكة له، إضافة إلي دورها البارز في الحياة العائلية واليومية، كما كان لبعضهنّ دور بارز في الحياة السياسية والعسكرية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي.

---

[1]– عاشور، نظم الحكم،ج1، ص 333. عبد الرازق، المرأة، ص 15

[2] – عبد الرزاق، المرأة، ص15. السامرائي، العادات، ص 230

[3] – السامرائي، العادات، ص 230.

[4]– سورة النساء، أية رقم 32

[5]– بيهم، المرأة في حضارة العرب، ص 101.

فقد تمتعت المرأة بقسط وافر من الاحترام([1]) في تلك الفترة التاريخية، سواء لدي الطبقة الحاكمة أم سائر طبقات الشعب، فالحكام نظروا إلى نسائهم نظرة تفيض بالإجلال والتقدير، وخير شاهد على ذلك تلك الألْقاب التي خصصوها لهنّ وتدل على التقدير مثل "خوند "أي سيدة بالتركية و "خاتون" أي السيدة الشريفة بالفارسية([2]) والستر الرفيع، ففي العصر الفاطمي أطلقوا على زوجات السلاطين لقب " الجهة " ([3]) وكانت أحياناً تقرن بالجهة العالية أو المعظمة ويسبقها كلمة مولاتنا، كما أطلقت ألقاب كثيرة على أميرات قصر الخلافة مثل السيدة، الشريفة، الطاهرة، الجليلة، المحروسة، وفي العصر الأيوبي حظيت بألقاب عدة منها الخاتون، والصاحبة، والستر العالي، وفي العصر المملوكي حظيت على ألقاب أخرى،

[1]– فقد ذكر ابن كثير في حوادث سنة 513هـ / 1117م، أن زوجة السلطان نور الدين محمود عصمت خاتون وصلت إلى بغداد تريد الحج من هناك، فتلقاها الجيش ،" وعملت لها الإقامات وأكرمت غاية الإكرام"، ابن كثير، البداية، ج16، ص 425. وكذلك عندما تزوجها صلاح الدين بعد وفاة سيده نور الدين، أراد اعفافها وصيانتها، وأن يحافظ على كرامتها . البنداري، سنا البرق الشامي، ص 113. وكذلك نشير المصادر إلى أن صلاح الدين الأيوبي ــ بفضل ما أوتي من مروءة ــ يكرم المرأة الإفرنجية ويعفو عنها بالرغم من عد عداوتها للمسلمين. ولا غرو، فقد أعطى الأمان لزوجات بعض أمراء الإفرنج بعد تحرير القدس، لقد شهد المؤرخون ــ بكرم أخلاق صلاح الدين ، وسماحته ، وبأن صلاح الدين عامل النساء الفرنجيات معاملة حسنة وسمح لهن بالخروج من بيت المقدس معزّزات مكرمات ، ومعهن أموالهن ، وأتباعهن وحشمهن نذكر من بينهن «سيبيلا» زوجة الأمير «جي دو لو سينيان» الذي وقع في الأسر، وأطلق مالها وحشمها. وعندما رغبت في الالتحاق بزوجها المأسور بقلعة نابلس، استجاب لرغبتها. كما أعطى أمانه إلى زوجة أرناط صاحب الكرك، فضلاً عن أميرة أخرى كانت مستقرة بالقدس وبعث بهن في حماية جنوده إلى مدينة صور التي اخترنها . ابن الأثير ، الكامل، ج9، ص 184. البنداري، مختصر سنا البرق الشامي، ج1، ص151.العليمي، الأنس الجليل، ج1، ص 350. رينسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 753. ديورانت، قصة الحضارة، ج6، ص 123.

Dajani-Shakeel Hadia ,Jihad in twelfth-century Arabic poetry. A moral and religious force to counter the Crusades, in Muslim, p.96- 113.

وبالمثل، دفعته مروءته إلى البحث عن فتاة إفرنجية أخذها جنوده، فجاءت أمها متضرعة إليه عسى أن يَرَدها لها، فلم يدخر وسعاً في البحث عنها إلى أن أفلح في ردّ البنت إلى أمها. ابن منقذ ، الاعتبار، ج1، ص 165.

[2]– لقب خوند خاصاً بزوجات السلاطين ونراه في بعض المواضع يخاطب به السلاطين أنفسهم، أما لفظ خاتون لمعناه في الأصل أميرة ثم أصبح يستعمل لتكريم المرأة بصفة عامة، مثل : السيدة أو الآنسة. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص 121. عاشور، المجتمع، ص 142.

[3]– المقريزي، الخطط، ج1، ص 411. انظر : ماجد، نظم الفاطميين، ج1، ص 37. وكلمة جهة في اللغة العربية اسم الناحية.

فأطلقوا على نساء السلاطين، بركة الملوك، ذات الحجاب المنيع، سليلة الملوك والسلاطين، الشريفة العفيفة، غصن الإسلام، فرع الشجرة الزكية، الستر الرفيع، يسبقها لقب خاتون، و" خوند "، كما أضفوا عليهن في مكاتباتهم مختلف عبارات الاحترام والتبجيل مثلما يبدو بوضوح في مكاتبات السلاطين لبناتهم وزوجاتهم وأخواتهم([1]) .

ولم يضنِ السلاطين على نسائهم بالمال والمتاع فقد وصف مؤرخي تلك الفترة عن حال نساء السلاطين " لو أردنا وصف ملبوس كل منهن وتجمل بيوتهن لاحتجنا إلى عدة مجلدات " ([2]) وحسبنا أن إحدى الخوندات توفيت، فلما حصرت ثروتها بلغت نيفاً وستمائة ألف دينار([3])،اعتاد بعض السلاطين أن يصطحبوا حريمهم في نزهاتهم الخلوية عند بر الجيزة أو غير ذلك من المواضع وعندئذ يخرج حريم السلطان على الخيول في محفات([4]) مغشاة بالحرير الملون، ويقود خيولهن بعض كبار الأمراء([5])، فإذا خرجت زوجة السلطان أو أمه للحج فإنه يجهزها تجهيزاً عظيماً، فتخرج في برج كبير وعلى محفتها العصائب السلطانية([6])، والكوسات([7]) تدق معها ويتبعها قطار من الجمال المحملة بكل أصناف الكماليات في حين أمر السلطان عدداً كبيراً من الأمراء بمصاحبتها في الطريق([8]) وعند عودتها إلى مصر بعد قضاء شعائر الحج يخرج السلطان لاستقبالها عند بركة الحاج خارج القاهرة ويحتفل بقدومها احتفالاً عظيماً، كذلك يسرع الأمراء إلى تقديم الهدايا الثمينة والفاخرة

---

[1] – القلقشندى، صبح الأعشى، ج7، ص 166. عاشور، المجتمع المصري، ص 143.
فقد أورد المقريزي نوعاً من المكاتبات التي كتبت إلى مخاطبة النساء في العهد الفاطمي، أمثال: الكتاب الذي أرسله الخليفة الآمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلي إلى الحرة ملكة اليمن. " من عبد الله ووليه المنصور أبي علي الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين ... إلى الحرة الملكة السيدة الرضية، الطاهرة الزكية، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن، عدة الإسلام، خالصة الإمام، نصيرة الدين، عصمة المرشدين، كهف المستجيرين .." اتعاظ الحنفا، ج3، ص 103،.

[2] - ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص 121.

[3] - المصدر نفسه، ص 121.

[4] - المحفة: بكسر الميم وهي محمل على أعلاه قبة، وله أربعة سواعد ساعدان أمامها وساعدان خلفها تكون مغطاة بالجوخ تارة وبالحرير أخرى وتحمل على بغلين أو بعيرين يكون أحدهما كأنه قاعد على سرير، القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص 130.

[5] - ابن تغري بردي،النجوم، ج6، ص 256 – 257، ج9، ص 74- 75.

[6]- العصائب، جمع عصابة وهي ألوية حرير صفر اللون، مطرزة بذهب عليها شعر منقوش عليها اسم السلطان وألقابه. القلقشندي، صبح الأعشى ، ج2، ص 128. ج4، ص 8.

[7] -الكوسات، وهي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ومع ذلك طبول وشبابة يدق بها مرتين في القلعة في كل ليلة ويدار بها في الجو . القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 9.

[8] - المقريزي، الخطط، ج4، ص 250. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 221. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 214- 215.

إليها ([1])، وإذا سمع السلطان بمرض إحدى زوجاته فإنَّه يعودها مراراً ، أما اذا أوجد حالتها تستدعي " تغير الجو " فإنَّه يسمح لها بالنزول إلى بولاق حتى تتمتع برؤية النيل " ويذهب عنها الوخم" ([2])، وعندما يتم شفاؤها يحتفل بذلك احتفالاً عظيماً فيتردد عليها أعيان الدولة من الأمراء والقضاة والأكابر للتهنئة ويجمع عند بابها أرباب الزمور والطبول والملاهي، وتعمل في النيل مرامي النفط والصواريخ، ثم تعود الخوند لبيتها بالقلعة في موكب رائع وحولها المشاعل والشموع والفوانيس وخلفها عدد لا يحصى من الخوندات ونساء الأمراء([3])، وإذا توفيت إحدى زوجات السلطان أو الأمراء فعندئذ ينزل كل الأمراء للصلاة عليها، ويكثر السلطان أو الأمير من توزيع الصدقات والأموال على روح زوجته المتوفاة ([4])،وعندما تحمل إحدى زوجات السلطان، فإنه يركز كل آماله في أن يكون المولود ذكرًا يحيى به ذكره، وينشرح له صدره، فإذا تحققت أمنيته، احتفل احتفالًا كبيرًا بالمولود، كما تكرم أم المولود، فيعمل لها بشخاناه([5]) ودائر بيت زركش، وغير ذلك من مظاهر التكريم التي تكلفه آلاف الدنانير، مع استمرار الفرح سبعة أيام.([6])، ولم يقتصر ذلك الاحترام على نساء السلاطين والحكام، فهناك من الشواهد ما يثبت احترام عامة الناس في ذلك الدور لنسائهم، وخير شاهد على ذلك تلك الألقاب التي أطلقها العامة على نسائهم وبناتهم، من باب التزكية والفخر والثناء والتعظيم([7]) مثل: (الأصيلة)، و(ست الخلق)، و(ست الحكَّام)، و(ست الشام) ، (ست الملك)، (ست الناس)، و(ست القضاة)، و(ست الكل)، و(ست الأهل)، و(ست النظر)، و(شمس الضحى)، و(شمسية)، و(ست العلماء)، و(تاج النساء)، و(عصمة الدين)، و(الزهراء)، و(اللطيفة)، و(سعود) ([8]).

---

[1] – المقريزي، السلوك، ج2، ص 235.

[2] – ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص 46.

[3] – ابن تغري بردي ، حوادث الدهور، ج2، ص 226– 229.

[4] – المقريزي ، السلوك، ج2، ص 165– 170 .

[5] – بشخاناه، وجمعها (بشاخين) ، وهي ما يطلق عليه اليوم الناموسية المزركشة أو داير السرير ، أي الحلية التي توضع فوق السرير ، وقد تكون حول الغرفة كلها . لم أجد لها توضيحاً في كتب المعاجم اللغوية ولكن وجدت لها تعريفاً في كتاب ، عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص 418.

[6] – ابن تغري بردي، النجوم، ج3، ص 11 .عاشور، نظم الحكم،ج1، ص 323.

[7] - ابن الحاج ، المدخل، ج1، ص 238. رمضان، المجتمع، ص 276. عاشور، نظم الحكم،ج1، ص323.السامرائي، العادات والتقاليد، ص 138. عبد الرازق، المرأة، ص 16.

[8] – د عبد الرازق، المرأة، ص 16.

وكذلك الكُنَى، مثل: (أم الحسن)، و(أم الخيرات والبركات)، و(أم كلثوم)، وغيرها من الألْقاب والكُنَى المقدَّسة لدى جميع أبناء الديانات السماوية الثلاث([1]).

ومن مظاهر التقدير أيضاً : إذا خرجتْ إحدى النِّساء إلى الطريق وكان زوجها مقتدرًا، يحضر لها حِمارًا يقوده مكاري، ويتبعها خادم ([2]) .

ورغم قلة الإشارات إلى النساء وندرتها في المصادر المعاصرة ، فإننا نجد كثيرًا منها يعبر عن الثناء والتقدير، فكثيراً من المصادرِ التاريخيَّة، وكُتب التراجم تُطالعنا كثيراً على أوصافٍ لبعض النساء، فتوصف الواحدة منهن بأنَّها (كانتْ من النساء العفائف، وذات معروف، وصدَقة وصلاح)([3])، أو أنَّها (كانت ديِّنة عفيفة، بارَّة، كثيرةَ الأوقاف على الخير)، أو أنها(كانتْ على كثير من الدماثة والاحتشام)، أو أنَّها ذات (السِّتْر الرفيع)([4])، أو (الحِجاب المنيع) ([5]).

كذلك عندما توفيت ملكة بنت الملك العادل زوجة الملك المنصور ووالدة ابنه المظفر فلبس المنصور الحداد على زوجته ([6])، قال ابن واصل : رأيته وأنا ابن اثنتي عشرة سنة يومئذ ، وقد لبس ثوباً أزرق ، وعمامة زرقاء([7])، وأخذ الشعراء يرثونها وفي ذلك يقول حسام الدين خشتر بن الجندي الكردي قصيدة منها :

الطرف في لجة والقلب في سعر ** له دخان زفير طار بالشرر

ومنها في لبس المنصور الحداد عليها :

ما كنت أعلم أن الشمس قد غربت ** حتى رأيت الدجى ملقى على القمر

---

[1] علي، الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة ، ص 142. صالحية، من وثائق الحرم القدسي الشريف، ص 104 . أمين، وثائق من عصر سلاطين المماليك ، ص 356.

[2] – عاشور، نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك- المرأة في الحضارة العربية،ج1، ص 323.

[3] – ابن شاهنشاه الأيوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق،ج1، ص 227

[4] – المقريزي، السلوك، ج1، ص79، 107، 118، 421، العيني، عقد الجمان، ج1، ص 146. فالحجاب عند المؤرخين لقب من ألقاب التشريف اختصت به النساء دون الرجال، وكان الخطباء يقولون في الدعاء على المنبر لشجرة الدر سنة 648هـ / 1250م :" اللهم أدم سلطان الستر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين " المقريزي، السلوك، ج1، ص118. ويبدو أن هذا اللقب أطلق على النساء لهذه الصفة لما فيه من العفة والطهارة باعتبار أن من معانيه عند العرب والمسلمين: منقطع الحرة ، ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 298.

[5] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 228. العيني، عقد الجمان، ج1، ص 38.

[6] – أبو الفداء، تاريخ أبي الفداء، ج2، ص 397. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص 136.

[7] – ابن واصل ، مفرج الكروب، ج4، ص 86.

لو كان من مات يفدى قبلها لفدى ** أم المظفر آلاف من البشر

فالمقريزي يورد لنا كيف أن السلطان بيبرس : " نزل من قلعة الجبل بالليل متنكراً، وطاف بالقاهرة؛ ليعرف أحوال الناس، فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعراها سروالها بيده، و لم يجسر أحد ينكر عليه، فلما أصبح السلطان قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين، والخفراء وأصحاب الرباع بالقاهرة"([1]) ؛ لتهاونهم في الدفاع عن نساء المدينة.

وإذا ألْقينا نظرةً على ما جاء في بعض كتب الرَّحَّالة الذين زاروا بلاد الشام في ذلك العصر، أمكْنَنا أن نستشفَّ بعض الجوانب المضيئة من مكانة المرأة. ها هو أحد الرَّحَّالة يقول: " إنَّ الإجلال الواضح كان لكلِّ النساء المسلمات، أو المسيحيَّات، أو اليهوديَّات، فكنَّ يتنقلنَ من مكان لآخر في كلِّ أحياء القدس دون حارس، ودون أن يتعرَّض لهنَّ أحد بكلمة سُوء، سواء أكان كبيرًا أم صغيرًا. وإذا حدث والْتَقتْ واحدة منهنَّ في الطريق رجلاً لا تعرفه، فإنَّها تميل عنه ببصرها، كما أنَّها عادةً ما تسير وهي تضع على وجْهِها الخمار، بحيث لا يمكن التعرُّف إليها، وغالبًا ما تسير محتشمة، ولم تحاول إبرازَ مفاتنها وجمالها؛ لكيلاَ تلفتَ الأنظار إليها " ([2]).

وانظر معي إلى قول رحَّالة آخر عاش فترةً كبيرة في بيت المقدس، وهو الأب (سوريانو) حين يقول: يجب أن تعلمَ أنَّ المرأة هنا تَلْقى كثيرًا من التقدير والإكرام من قِبَل الرجل، وأنَّ على الرجل أن يُقدِّم لها كثيرًا من الأموال نظيرَ تكاليف الحياة؛ لأنَّ المرأة كانت هي ربَّة الأُسْرة، التي تتولى توجيهَ الأموال لشراء ما يلزم منزلَها وأولادَها وزوجَها، ثم نراه يقول: "وكذلك كان على الرجل أنْ يمنحَها الكثيرَ من النقود سنويًّا لشراء ما يلزمها من ملابسَ وأحذية، وكذلك الحال عندما تلد طفلاً جديدًا ([3]) .

ويذكر رحالة آخر زار المنطقة في العصور الوسطي نراه يقول: "إنهنَّ من حيث زينتهنَّ وملابسهنَّ، واتخاذهنَّ الحجاب، وشكلهنَّ الخارجي كُنَّ وقوراتٍ، ولا يمكن مقارنتهنَّ بنساء الغَرْب الأوربي يومئذ، ما جعلهن يَحْظَيْنَ بمكانة لائقة في المجتمع ([4]).

وتشير الوثائق التاريخية القريبة العهد بالدراسة إلى الحِرْص الشديد من الرجال عندما يشعرون بمرض قد يخشى منه الموت على أن يتركوا لنسائهم وبناتهم، وأمَّهاتهم وأخواتهم ما يَضْمنون لهنَّ به حياةً كريمة، خصوصًا إذا كان الزوج لم ينجب من زوجته، أو يكون بلا وريث من الأبناء، وإذا لم تستغرق الورثة الإرث كله، فإنَّ بيت المال والمتمثِّل في ديوان

[1] – المقريزي، السلوك، ج1، ص 181.

Ludovico Di, The Travels of Ludovico Di Varthema in Egypt Syria .pp 13 -14. -[2]

Treatis on the Holy Land Trans. from the Italian, p. 205. -[3]

[4] – علي، وثائق الحرم المقدسي، ص8.

المواريث الحشرية([1])، فإنَّه سيحصل على نصيبٍ أكبرَ من التركة، فكان الرجل منهم إمَّا أن يعمل حصرًا بموجوداته قبلَ الوفاة على يد أحد قُضاة الشَّرْع والشهود، ويثبت أنَ تَركته مَدِينة لزوجته، وأنَّ لها في ذمَّته مبلغ كذا، كمؤخَّر صداق، أو أن يقوم ببيع كلِّ ممتلكاته لها، أو وقفها عليها، أو على أخته أو أمه، أو ابنته أو جاريته،([2]) ويبدو أن هذا التصرُّف لم يكن قاصرًا على المسلمين وحدَهم، بل شاركهم فيه أبناءُ أهل الذِّمَّة من مسيحيِّين ويهود في ذلك العصر([3]).

فالوثائق التاريخية تلقي الضوء على أن الإسلام أعطي للمرأة العربية ذِمَّتُها المالية المنفصلة تمامًا عن ذمَّة أبيها أو زوجها، لا شأنَ للزوج أو لغيره بمالها، بل تتصرَّف فيه كالرجل تمامًا، فتبيع وتشتري وتَهَب وتُوصي، وتتبرَّع وتَرْهَن، وتُؤجِّر وتَسْتأجِر، إلى غير ذلك من التصرُّفات، وليس لأحد أن يمنعها من ذلك ([4]).

ومِن الأضواء الجديدة – أيضًا – حقُّ المرأة في التخلُّص من الزوجيَّة بطريق الخُلْع متى رأتِ استحالةَ الحياة مع زوجها، بأن تُعطيَ الزوج ما كانت أخذتْ منه باسم الزوجيَّة؛ لينهيَ علاقته بها، من مَهْر وتكاليف زواج وزفاف، ونفقة عليها ([5])، وهو ما يُسمَّى كذلك بالفِداء؛ لأنَّ المرأة تفتدي نفسها بما تبذله لزوجها، والخُلْع عادةً ما يكون بتراضي الزوْجَين، فإن لم يتمَّ التراضي

---

[1] – ديوان المواريث الحشرية توضع فيه أموال ممن يموت ولا وارث له أو وله وارث لا يستغرق ميراثه مع التحدث في إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم . القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص 33.

[2] – ففي الوثيقة رقم 220 المؤرخة في 18 شعبان سنة 745هـ / 1345م: أقرَّ الزوج أنَّ كلَّ ما ذكره في الوثيقة مِن قماش وأثاث ونُحاس، وبُسُط وفُرُش مِلْكٌ لزوجته، كما أقرَّ أنَّ لزوجته في ذمته صَداقَها، وقدرُه مائتا درهم. وبذا فإنَّه حَرَم ابن أخيه من الإرث؛ لأنَّه تمَّ تقدير هذه التَّرِكة بمبلغ مائة وستين درهمًا، وبهذا تكون التَّرِكة كلُّها مدينةً لزوجته ، صالحية ، المرجع السابق ، ص 102.

[3]– على ، وثائق الحرم المقدسي، ص 11.

[4] – للمزيد انظر كل من العسلي، الوثائق المقدسية، ج1، ص 252– 253. علي، السيد علي، وثائق الحرم المقدسي، ص 11. فالوثيقة رقم 382 المؤرَّخة في 17 رجب سنة 740هـ / 1340م. تذكر أنَّ إحدى النساء تُدعَى الحاجة الجليلة شيرين بنت عبدالله زوج برهان الدين الناصري، قارئ الحديث الشريف، قد اشترتْ بمالها لنفسها دون غيرها من الحاجَّة المصونة بيرم بنت عبدالله، زوج الصدر الأجل زين الدين خضر الجارية التكرورية الجِنْس، بثمنٍ مبلغُه من الدراهم الفضة معاملة الشام المحروس أربعمائة درهم وثمانون درهمًا، نصفها مائتا درهم وأربعون درهمًا.

[5]– فالوثيقة رقم 47 والمؤرخَّة في 6 ذي القعدة سنة 770هـ / 1370م . قد جاء فيها أنَّ الزوج يتزوَّج امرأتَه خديجة للمرة الثالثة، وأنها كانت قد اختلعتْ منه، ويتبيَّن من هامش الصفحة الأيمن للوثيقة أنَّ الزوج زاد قيمةَ الصداق مائتي دينار، فأصبح الصَّداق 300 دينار للمزيد راجع كل من : العسلي، كامل جميل : الوثائق المقدسية، ج1، ص254– 255.

بينهما؛ فالقاضي يلزم الزوج بالخُلْع. وأهمية الخُلْع: أنه يجعل أمْرَ المرأة بيدها؛ أي: إنَّ الزوج لا يستطيع أن يرجعها إلى عصمته إلا برِضاها، سواء كانتْ في أيام العِدَّة، أم لم تكن، وبعَقْد جديد، واتفاق جديد([1]).

ومِنهم مَن عبَّر عن مكانتها كذلك بضرورة تمتُّعها بالحقوق التي تنظمها الولاية الخاصَّة، كالولاية على النَّفْس، والولاية على المال، وهي سلطة التصرُّف في المال، وخصوصًا على مال القاصِر؛ وذلك لأنَّ أُمَّ القاصر أشفقُ عليه، وأرفقُ به، ولديها من الغَيْرة عليه والعناية بأمره ما لا يتوافر على الوجه الأكْمل عندَ غيرها من ذوي الأرحام، ما دامتْ أهلاً للوصاية. ([2]).

كما تُشير بعض الوثائق إلى حقِّ المرأة في الشهادة في القضايا التي لم تَجْرِ العادة باطِّلاع الرِّجال على موضوعاتها، كالولادة، والبكارة، وعيوب النساء في المواضع الباطنة ([3]).

على أنه من المبالغة أن نتصور المجتمع الإسلامي في تلك الفترة التاريخية والتي تلاها ، قد قَدَّرَ المرأة على طول الخط، وأحلَّها المكانة اللائقة بها في المجتمع بوصفها شريكة الرجل وساعده الأيمن في الحياة، فإذا رأينا بعض الإشارات والعبارات التي تدل على تقدير المعاصرين للمرأة، فإن هناك في المصادر نفسها ما يفهم منه أن المرأة في حالات عديدة ظلت "محل الازدراء والاستخفاف". ([4]) ومن ذلك: ما كان يُخيِّم على المنزل من كآبة عندما يعلم الرجل بأنَّ زوجته قد رُزِقت طفلة، فلا يعطيها أحدٌ الاهتمامَ، حتى تَكْبَر وتوشك أن تتزوَّج، فمنذ الطفولة تبدو البنات وكأنهنَّ سيِّدات صغيرات، فملابسهنَّ تشبه تمامًا ملابسَ أمهاتهنَّ، ولكنهنَّ يختلفنْ من حيث الحجم، كما تقع عليهنَّ كلُّ أعباء الحياة العائلية، فبمجرَّد أن تصبح البنت قادرةً على المشي والجري، فعليها أن تتعلَّمَ إحضار الماء من البئر، وأن تخبزَ، إلى جانب القيام بكلِّ أعباء المنزل ([5])بالإضافة إلى نظرة الرجل لها كانتْ على أساس أنَّها خاضعةٌ له، ومعاونة له في عمله، فيتقدَّم عليها في المجالس، وكثيرًا ما يأكل الرجلُ وامرأتُه تخدُمه بتقديم الطعام له، ثم تأكل بعدَه! إلى جانب الأعباء الكثيرة التي تُلْقى على عاتقها داخلَ المنزل ([6]) ومن المآخذ التي أخذها عامة الناس على القضاة في ذلك الدور ما أورده ابن حجر العسقلاني بأنه : "إذا تحاكم إليه رجل وامرأته نصر المرأة "– وكأن المفروض أن ينصر

---

[1] – خيرت، مركز المرأة في الإسلام ، ص90.

[2]– خيرت، مركز المرأة في الإسلام، ص 60 .

[3] – المرجع نفسه، ص48 .

[4] – العيني، عقد الجمان، ج29، ص 10.

[5] – علي ، القدس في العصر المملوكي، 273.

[6]– المرجع نفسه، ص273.

الرجل، ظالمًا أو مظلومًا- مما جعلهم يثورون على القاضي ويضربونه بالنعال وينهبون بيته ([1])، ولم يتورع بعض سلاطين المماليك عن ضرب امرأة بين يديه، وتشهيرها على حمارة في الطريق العام، وفي عنقها زنجير([2]) .

ومع هذا فيمكننا القول: إنَّ المرأة العربية، وعلى الرغم من مشاركتها في مجالات الحياة الكثيرة ودَورها البارِز في الحياة العلميَّة والدينيَّة والأدبية، إلى جانب الحياة اليوميَّة – فإنهَّا إيضاً الشريكُ المغبون بالنِّسبة للرجل في ذلك العصر، ولكنَّها لم تقفْ مكتوفةَ الأيدي ودليلنا على هذا: ما جاء في الوثيقة رقم 278، وهي بلا تاريخ، وفيها استغاثة مِن امرأة تُدْعَى غالية بنت عثمان بن ثعيلب، تطلب من قاضي المدينة أن يُنصفَها من أخيها الذي طمع في ميراثها مِن والدها، ووضع يدَه عليه، واستبدَّ بكلِّ شيءٍ، من عقار وأرض، وزَرْع وضَرْع ([3]).

أولاً: أثر الجواري في المجتمع :

وإذا كانت المرأة لم تصل في العصور الوسطى إلى تلك الدرجة من التقدير التي تحققت لها في العصور الحديثة، فإن جزءًا كبيرًا من السبب في ذلك يرجع إلى الفكرة السائدة عندئذ، وهي أنَّ الله خلق المرأة للمتعة والاستغلال ليس إلّا، وظهرت هذه الفكرة بوضوح في شغف الأمراء والحكام باقتناء الجواري ([4]) الحسان، ودفع الأموال الطائلة في شرائهن، كما يشترون الحلي والجواهر وربما يرجع ذلك لأسباب خاصة([5])،حتى ضمَّ المجتمع طائفة كبيرة منهن ([6]) ومن الطبيعي أن يكنّ من ربات الحسن ونافذات الكلمة، لأن الجمال قوة، والحب سلاح، فقد لعبن دوراً في قصور الأمراء والسلاطين، وخاصة فأغلبهن على درجة من الكفاءة([7]) في

---

[1]- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 199.

[2] - المقريزي، السلوك، ج2، ص 664، 692.

[3] - العسلي، وثائق مقدسية، ج1 ، ص 217 – 218 .

[4]- وهو ما يحصل عليهن المحررون أو الفاتحون في الحرب، فهن ملك الفاتحين ولو كنّ من بنات الملوك أو الدهاقين، يستخدموهن أو يستولدونهن أو يتصرفون في بيعهن تصرف المالك بملكه، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 32. زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج5، ص 35.

[5]- يرجع ذلك إلى حالة التفاخر بين الحكام من جهة ، وإلى حالة الترف وتدفق الأموال وتراكمها من جهة ثانية، الأصفهاني، الأغاني، ج16، ص137. رمضان، المجتمع، ص 91.

[6] – فاق الفاطميون سواهم من الإكثار من الجواري، ولما قبض صلاح الدين على قصورهم وجد اثنى عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل سوي الخليفة وعائلته وأولاده ، المقريزي، الخطط، ج1، ص 36. ج2، ص 485. زيدان، تاريخ التمدن، ج5، ص 135- 136.

[7] – كان تعليم الجواري وتزيينهن من أبواب الرزق الواسعة في ذلك العصر، حيث كان المسئول عنهن يروينها الأشعار ويلقنها الغناء، ويتم تحفيظها القرآن، أو يعلمهن الأدب والنحو والعروض . زيدان، تاريخ التمدن، ج5، ص 36.

أمور الحياة، ومن ذلك أنَّ الملك العادل اختار جارية من جواريه لتصبح أماً لابنه؛ لحسن إتقانها فن الطبخ، وإعجابه بطعام قد تناوله بمناسبة، فكان طريقة طبخها ؛ سبباً لتعرف عليها وزواجه منها، وحاكى الأمراء وعامة الأهالي الحكام والسلاطين في الإكثار من شراء الجواري، كل حسب سعته، وقد عرف المجتمع الإسلامي في ذلك العصر نوعين من الجواري: البيض والسود، وهناك من فضل السود على البيض، وتوقفت قيمة الجارية ومنزلتها عند صاحبها على ما فيها من مميزات، كحسن الطلعة أو جمال الصوت، أو غير هذا وذاك من المؤهلات والمبررات، أما أسواق الرقيق التي انتشرت في تلك العصور([1])، فكانت تباع فيها النساء –كما تباع المواشي–، ولكل سوق دلال يجيد عرض البضاعة والترويج لها، وإظهار محاسن الجارية ذات الوجه الجميل أو الصوت العذب، أو غير هذا وذاك من ضروب الفتنة والإغراء ([2])، وكثيرًا ما تزوج السيد جاريته –إلى جانب زوجته الحرة– وفي هذه الحالة اشترط الفقهاء ضرورة عتق الجارية قبل العقد عليها([3]) ويتوافر في المصادر المعاصرة أسماء كثيرات من الجواري، قُدِّرَ لهن أن يلعبن أدوارًا هامة في قصور الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء.

وجرت العادة أنه إذا دخل السلطان أو الأمير الحمام، صحبته بعض الجواري لخدمته في الحمام، وفيما عدا اللذة الجنسية، اقتنى السلاطين والأمراء الجواري للغناء والطرب، حتى أصبح من الأشياء المألوفة أن يكون لكل خليفة أو سلطان أو أمير جوقة مغانٍ كاملة من الجواري ([4])

ولكن على الرغم مما ورد في المصادر المعاصرة عن المكانة السامية التي تمتعت بها بعض الجواري عند سادتهن، إلّا أن هناك إشارات عديدة في هذه المصادر، إلى ما تعرضت لها الجواري أحيانًا من أذًى وامتهانٍ نتيجة لوضعهن الاجتماعي واعتبارهن سلعةً، لصاحبها مطلق الحق في التصرف فيها، وحسبنا ما جاء في قصة مريم الزنارية –من قصص ألف ليلة– فردت الفتاة "يا أمي، بعد أن يباع الإنسان في بلاد المسلمين من تاجر إلى تاجر يصير محكومًا عليه، فكيف أبقى بنتًا بكرًا؟ إن التاجر الذي اشتراني هددني بالضرب، وأكرهني

---

[1]– عاشور، نظم الحكم،ج1، ص324.

[2] – الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص ص80.

[3] – نستدل بحديث أنس أن الرسول صلي الله عليه وسلم " أعتق صفية وجعل عتقها صداقها" انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج5، ص 404. ووجه الإستدلال أنه أخرجها عن ملكه بالعتق وردها إليه بالشرط.

قال الفقهاء: إذا أعتق الرجل أمته على أن يجعل عتقها صداقها صح العقد والمهر على ظاهر الحديث . ابن حجر، فتح الباري، ج9، ص 139.

[4] – رمضان، المجتمع، ص 91، ص 277.

وأزال بكارتي، ثم باعني لآخر ... " ([1]). هذا إلى أن بعض السادة أكثروا أحياناً من إيذاء جواريهم، ويلاحظ أن الجواري عشن في قصور الحكام والأمراء وكنَّ جزءًا أساسيًّا من الحريم، فطبق عليهن من قواعد العزلة والحجاب ما كان يطبق تمامًا على بقية حريم الخليفة أو السلطان أو الأمير، والفئة الوحيدة التي سمح لأفرادها غشيان الحريم هي فئة الطواشية([2]) (الخصيان)([3])، بحكم ما لهم من وضع اجتماعيٍّ خاصٍّ ([4]).

ولا شك أنَّه حَدَث نَوْع من الفتور – على الأقلِّ – في العلاقة بيْن الرجل والمرأة في ذلك العصر، إما بسبب ما كان يُخصِّصه السيد لجواريه من أموال وعقارات، أو ما نِلْنَ من حَظْوة لديه، وعن أثر الجواري في العَلاقات الزوجيَّة يقول الرَّحَّالة (بيرو طافور): إنَّ المسلم يؤثِر الزواج من مسيحيَّة – يقصد بذلك إحدى الجواري – دون مهْر، على الاقتران بمسلمة مهما كان مهرُها، لا سيِّما إذا كانتْ مسلِمةً حُرَّة ([5])، كما أنَّ كِبار رجال الدولة وموظَّفِيها كانوا يُفضِّلون في ذلك العصر الزواجَ من الجواري([6])، أضِفْ إلى ذلك ما قاله رحَّالة آخر عن تغيُّب بعض النساء عن منازلهنَّ في أوقات كثيرة من النهار، ومع ذلك قلَّمَا يتعرَّضنَ للوم أزواجهنَّ، وربما كان السبب في ذلك قيام الجواري بكلِّ الأعباء المنزلية إلى جانب تلبيةِ حاجات الزَّوْج ([7]).

كما يعكس لنا أدبُ العصر المملوكي بوجه عام بعضًا من الجوانب التي تدلُّ على مدى ذلك الفُتور في العلاقات في بعض الأحيان؛ لأنَّه يتضح لنا من أشعار الشُّعراء المعاصرين أنَّ

[1] – قصة التاجر نور الدين ومريم الزنارية، ألف ليلة وليلة، ج4، ص 180 .

[2]- الطواشي : جمعه طواشية وهم الخصيان الذين استخدموا في الطباق المملوكة وفي الحريم السلطاني وكانت لهم حرمة وافرة. يدخل في حكم الممسوح للنظر إلى النساء. فقال الأكثرون : ومنهم السيوطي المعاصر عن الخصيان أن نظرة الخصي إلى النساء كنظرة الفحل إلى المحارم " كما أن الخصي ينقضون الوضوء باللمس شأنهم في ذلك النساء. عاشور، المجتمع، ص 35. نقلاً عن السيوطي، أحكام العقيان في أحكام الخصيان، ص 1-3. اليحصبي الدمشقي، كفاية الأخيار، ج1، ص 350 .وعليه يُحمل قوله تعالى { أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال } سورة النساء: آية 31.

[3] – وقد انتشر الخصيان في المجتمع الإسلامي انتشاراً سريعاً مع أن الإسلام حرم الخصاء تحريماً قاطعاً، فكان العبيد يخصون خارج حدود الدولة الإسلامية ثم يجلبون ويباعون في أسواق الرقيق في بغداد، وغيرها من المدن الإسلامية، الصلابي، المغول، ج1، ص 59.

[4] – المقريزي، السلوك، ج 2، ص 595. عاشور، المجتمع المصري، ص134 . نظم الحكم ،ج1،ص325

[5]– حبشي، رحلة طافور، ص 65- 67

[6]– . الصلابي، المغول (التتار)بين الانتشار والانكسار ، ج1، ص 59.

[7] – حبشي، رحلة طافور، ص 65- 67 . علي، السيد علي، الجواري ص 37.

صورةَ المرأة المحبوبة – كمثال للمرأة الحُرَّة التي شاع ذِكْرُها في التراث الأدبي – قد تغيَّرت إلى صورة الجارية الحَسْناء التي تُتْقِنُ فنَّ الحُب؛ لذلك نقف في هذا الأدب على كثيرٍ من أمثال هذه الصورة، التي يَرِد في ثناياها أسماءُ كثيرةٍ من الجواري التي شاعتْ يومئذ، مثل: (وردة)، و(حدق)، و(حكم الهوى)، و(نسيم)، و(اشتياق)، و(هيفاء)، و(انشراح)، وغيرها وطبيعي بعدَ ذلك أنْ نسمع عن ضِيق بعض الرجال بزوجاتهم([1]).

كذلك يبدو أنَّ نظرةَ المعاصرين للمرأة التي قامتْ على أساس أنَّها خُلِقت للمتعة والاستغلال ليس إلاَّ لا حقوق لها([2])، قد ازدادتْ رسوخًا بسبب كثرة هؤلاء الجواري، وما قَدَّمْنَه من متعة جسديَّة([3]) بما يؤكِّد هذه النظرة، ومِن الواضح أنَّه – نتيجة لكثرة أعداد الجواري في ذلك العصر – قد ازداد زُهْد الرجل في المرأة الحُرَّة، وقابل ذلك زُهْد المرأة في الرجل، وربَّما كان من العوامِل المشجِّعة على رواج هذه الظاهرة بيْن النِّساء وجود مجتمعاتٍ نسائيَّة قائمة بذاتها، تمثَّلت في وجود كثير من الأماكن الخاصَّة بالنساء، كالخوانق، أو الربط، أو الزوايا.

وأخيرًا يجب أن نشيرَ إلى أنَّ الجواري قد أثَّرنَ بشكل آخَرَ في مكانة المرأة الحُرَّة في مجتمع ذلك الزمان، ونظرة الرجل إليها، إذ هناك من الدلائل الأدبية ما يُشير إلى أنَّ الجواري قد كان لهنَّ أثرٌ كبير في انتشار تعاطي المخدِّرات في المجتمعات النِّسائيَّة، وربَّما دلَّ على ذلك ما نراه من قول (ابن الوردي) في وصف مليحة مسطولة([4]) :

مَلِيحَةٌ مَسْطُولَةٌ إِنْ لُمْتَهَا فِيمَا جَرَى

تَقُولُ كُلُّ ظَبْيَةٍ تَرْعَى الْحَشِيشَ الأَخْضَرَا

ولا نغالي إذا قلنا: إنَّ الجواري قد أثَّرنَ حتى في ذَوْق الرجل تأثيرًا واضحًا، فلم يعد الشاعِر في مصر والشام بوجه عام يتغزَّل في الجمال الأنثوي، الذي تغزَّل به العَرَب، بل أصبح الجمالُ التركي والمغولي هو ذوقَ العصر، ومثارَ إعجاب الشعراء، بينما أصبح الجمالُ العربي مرفوضًا إلاَّ مِن الشعراء الذين ينحدرون من أصول عربيَّة، وهذا ما يظهر بوضوح في أشعار كثيرٍ من الشعراء الذين عاصروا تلك الحِقْبة([5]).

---

[1] – أمين، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول، ص300 – 301 . علي، الجواري، ص 37 – 38 ..

[2] – شلبي، أمين ، موسوعة الحضارة الإسلامية، ص 74.

[3] – بيهم، المرأة في حضارة العرب، ص 101.

[4] – أمين، المجتمع المصري ، ص 352– 353.

[5] – المرجع نفسه، ص309. علي، الجواري، ص 56.

وإذا كان الإكثارُ مِن الجواري قد أثَّر بشكلٍ أو بآخَر في مكانة المرأة الحرَّة، ونظرة الناس لها، فقد كانتِ الحروب الصليبيَّة (1095 – 1291م)، نفسها من العوامل التي تركَتْ أثرًا في مكانة المرأة كذلك، فالكِيان الفرنجي (الصليبي) أينما وُجِد في بلاد الشام، قد احتوى على مظاهر الانحلال الخُلُقي، وتدني مكانة المرأة الفرنجية، من ذلك أنَّ مدينة عكًّا الساحليَّة – مثلاً – احتوتْ على حيٍّ للدعارة، عُرِف بالحي الأحمر في ذلك العصر ([1]) .

بل أكثر مِن هذا ما يرويه أحدُ المؤرِّخين اللاتين مِن أنَّ سكَّان بيت المقدس الفرنج المستوطنين – فترة احتلال الصليبيِّين للمدينة المقدَّسة – وحتى الأغنياء منهم كانوا يُقدِّمون أخواتِهم وبناتهم، وحتى زوجاتِهم من أجل متعة زُوَّار المدينة في سبيل الحُصول على المال ([2]) .

ولقدْ زار عددٌ لا بأسَ به من أهالي المدن الشاميَّة المدنَ التي خضعت لحُكم الفرنجة، وترددوا على أمثال هؤلاء النِّسوة اللاتي اشتهرنَ بالجمال الذي شدَّ الكثيرين من الرِّجال إليهن، فأخذوا يتغزلون بنسائهم، من ذلك ما قاله الشاعر ابن القيسراني في امرأة افرنجية لقيها في أنطاكية سنة 540هـ / 1145م،

لقد فتنتني فرنجية   نسيم العبير يعبق بها
ففي ثوبها غض ناعم   وفي تاجها قمر مشرق
وإن تكن في عينيها زرقة   فإن سنا القنا أزرق([3])

وقال في جارية حسناء تسمي " ماريا" كانت تغني بالدف في بلاد الفرنجة وتغيظ النصارى بأغانيها وتتقرب بها إلي قلوب المسلمين وهي تقول :

علقت بحبل من حبال محمد   أمنت به من طارق الحدثان

قال القيسراني فيها:

ألا يا غزال الثغر هل أنت منشدي   علقت بحبل من حبال محمد
لقد أسرتني حيث لا أبتغي الفدا   فقل في أسير لا يسر بمفتدي([4])

وهكذا فقد تأثرت شريحة محدودة من مجتمع الشرق ببعض عادات الصليبيين المألوفة لديهم ([5]) مما أثَّر بشكل أو آخرَ في علاقة الرجل بالمرأة، ومكانتها في ذلك العصر، بل وممَّا

---

[1]– براور، عالم الصليبيين ، ص221.

– [2] Zoé ، Oldenbourg : The Crusades،p. 519 .

[3] – ابن القيسراني، ديوان شعره، ص 204. العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج1، ص324.

[4] –نفس المصدرين ونفس الصفحات

[5]- أبو شامة، الروضتين، ج4، ص 105.

ساعَدَ على رُسوخ تلك النظرة، التي نظر بها الرجل إليها ([1])، حقيقة أنَّ ذلك العصر في مصر والشام امتاز بمسحةٍ برَّاقة مِن الصلاح والتقوى، والتنافُس على إقامة المنشآتِ الدِّينيَّة المختلِفة، ولكن هذه المسحة البرَّاقة كانتْ تُخفِي وراءها انحلالاً خلقيًّا يُثير الاشمئزاز، ولسْنا بحاجة للخوْض في هذا المجال، لكن يكفي أن نُشير إلى كثرة الغِلْمان من جنسيَّات مختلفة؛ ممَّا ساعد على انتشار الشُّذوذ الجِنسي بيْن الذُّكور، والذي تأباه الديانات السماوية جمعاء والذي ساعَدَ عليه بُعْدُهم عن الإسلام، فإذا رأوا فاحشةً يأتونها، ومِن الطبيعي أن يجد هؤلاء الفرصةَ سانحةً لهم في ممارسة نشاطهم، ممَّا ساعد على اهتزاز صورة ومكانة المرأة بشكل أو بآخر ([2]).

وحسبنا أن نقارن بين صورة المرأة في ظل الحضارة العربية الإسلامية –كما رأيناها– وبين ما كانت عليه من إذلال وامتهان في المجتمع الأوروبي المسيحي في العصور الوسطى، وكان أقصى ما لجأت إليه الكنيسة في تلك العصور للتخفيف عن المرأة هو ذلك القرار الطريف الذي أصدرته البابوية، والذي تحدد فيه حجم العصا –من ناحيتي السمك والطول– التي يجوز استخدامها في ضرب المرأة ([3]).

ثانياً: ملابس النساء وزينتهن :

أما عن ملابس النِّساء، فقد اتصفت بالبساطة في أول الأمر، ومن الطبيعي أن يتنوع اللباس بتنوع الأقاليم وتباين طبيعتها ومناخها، فضلًا عن اختلاف الزى من عصر إلى آخر، تبعًا لاختلاط الشعوب والعادات، ومستوى المعيشة بين يسر وعسر. ولا ننسى أن كثيرًا من الشعوب التي دخلت في الإسلام وغدت جزءًا من الدولة العربية الإسلامية الكبرى –كالفرس والأتراك– إنما دخلوا بتراثهم وتقاليدهم وعاداتهم، وكانت لهم أشياؤهم التي تركت بصماتها واضحة في المجتمع العربي الإسلامي، وأزياء الرجال والنساء([4])، وكانت المرأة العربية قبل الإسلام ترتدي ثوبًا بسيطًا مفتوحًا من الصدر، يتصف بالاتساع نوعًا ما، مما يتناسب مع البيئة الصحراوية، فلما جاء الإسلام أوصى بتحشم النساء وعدم إبداء زينتهن إلّا لبعولتهن، فصارت المرأة تلبس عباءة أو ملاءة فضفاضة فوق ثوبها، ومع اتساع الدولة الإسلامية، وازدياد الثراء، واختلاط العربيات بأهل الشام ومصر وغيرهما من البلاد، أخذ زي المرأة يجنح نحو التعقيد والمبالغة، حتى إذا ما كان العصر العباسي ظهر الأثر الفارسيّ واضحًا في الحياة

---

[1]– ابن منقذ، الاعتبار، ص 166 – 167 . عاشور، الحركة الصليبية،ج1، ص 496. زيادة، نقولا، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، ص 161.

[2]– كيلاني، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي، ص 40. علي، المجتمع، ص 118 – 121 Michaud: History of the Crusades Vol. 11. p.191

[3]– عاشور، المرأة الأوربية، ص 44.

[4]– عاشور، نظم الحكم ، ج1، ص 330.

الاجتماعية، فاتخذت نساء الطبقات الراقية غطاء للرأس مرصعًا بالجواهر ومحلًّى بالذهب والأحجار الكريمة، كما اتخذن الزنانير في الوسط، والنعال المرصعة بالجواهر، أما الثياب: فقد استعملن فيها أنواعًا جديدة من الأقمشة الثمينة الرقيقة، وبها خيوط رفيعة من الذهب ([1]).

ففي الحقيقة هذه الملابس تعدَّدتْ وتطورتْ باستمرار؛ لأنَّ الحديث عنها يحتاج إلى عِدَّة مجلَّدات على حدِّ قول أحد المؤرِّخين المعاصرين . ([2]) ومع هذا سنُجمِل الحديثَ بالشكل الذي يُعطينا السِّماتِ العامة التي ميَّزت ملابسَ النساء في ذلك العصْر، ومدى عناية المرأة بملابسها، وأول ما يسترعى الانتباهَ في ملابس النساء، أنَّها تميَّزت بالاحتشام، وهو ما لَفَت أنظار بعض الرحَّالة الأوربيِّين الذين زاروا بلاد الشام ومصر في ذلك العصر، كما أشارت المصادر عن زينة المرأة في ذلك العصر وذكرت أدوات الزينة الخاصة بها، فقد تفننت المرأة في ذلك العصر في مختلف الوسائل التي تظهر جمالها وتبرز فتنتها، وحرصت على أن تأخذ شعر وجهها وجسدها بالتحفيف وشعر حواجبها بالمساواة والزينة ([3]) وعلى أية حال لم يكن هناك فرق في الزى بين مصر والشام، و ذلك أن الدولة كان لها حق التدخل في تحديد الزى ([4]) وما كان يصدر في مصر من أوامر سلطانية وتوجيهات، بخصوص الزى كان يصدر مثله في بلاد الشام، ويلزم الجميع بالتنفيذ ومن يخالف يعاقب ([5])، وهذا يعود ؛ لسيطرة الدولة الأيوبية والمملوكية على بلاد الشام ومصر في تلك الحقبة التاريخية، فإنَّ لباس المرأة منه ما هو مشترك بينها وبين الرجل، ومنه ما هو خاص بها وهو على الشكل الآتي **:**

أ- لباس الرأس : وهو من اللباس الخاص بالنساء.

1- البخنق : وهو عبارة عن برقع صغير تلبسه المرأة ؛ ليغطي رأسها، فقد وصفه ابن سيده بقوله : وقبل البخنق طرفة تتمتع بها المرأة وتحيط طرفيها من تحت حنكها([6])، وفيها يقول الشاعر:

تقبل العاجز الجبات وقد يعجز   عن قطع بخنق المولود

والمقصود أنه توضع على رؤوس الأطفال من البرد([7]) .

[1]- المرجع نفسه، ج1، ص 330.

[2] - ابن شاهين، زبده كشف الممالك، ص 121 . عاشور، المجتمع المصري، ص128 - 129.

[3]- ابن الحاج، المدخل، ج2، ص 167، ج4، ص 104 .

[4] - المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص 910

[5]- المصدر نفسه، ج1، ص 910.

[6] - ابن سيده، المخصص، ج4، ص 48. ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 264. دوزي، المعجم، ص 53.

[7]- دوزي، المعجم، ص 53.

2- البرقع : وهو من أغطية الرأس الخاصة بالنساء، وقد وصفه ابن سيده بقوله : "إن البرقع خيطان تشدهما المرأة من قفا الرأس، يسميان الشبامان" ([1]) .

3- الخمار : وقد جرتْ عادة النساء في العصور الوسطي أن يضعنَ على وجوههن "الخمار"، وهو من أغطية الرأس، وهو بُرْقع أسود شفَّاف يسمح للمرأة أن ترى الناس، ولا يرى أحدٌ وجهَها، وله أهمية عند المرأة لستر الرأس والعنق وجزء من الصدر ([2])

4- العصائب : وهي من الألبسة التي وصفها ابن منظور " بأنها كل ما يتعصب به الرأس" ([3])، وكانت عاملاً مشتركًا بين جميع نِساء ذلك العصر، ولكنَّها اختلفتْ من حيث جودتُها، ونوعُ قماشها وزينتها باختلاف الطبقات الاجتماعيَّة، والأحوال الاقتصاديَّة، "العصابة" وقد كانت المرأة تضع العصابة كثيراً في الأفراح والمناسبات السارَّة، وهي طرْحة من الحرير مربَّعة الشكل لها حاشيةٌ حمراءُ أو صَفْراء، وهي تُطوى بصورة منحرِفة، ثم تُلَّف على الرأس، وتتدلَّى من الخَلْف، حتى إن الكثير منها كانت تنقش بأبيات من الشعر الرقيق، أو ترصع بالجواهر و الأحجار الكريمة([4])، وقد كانتْ بيضاء اللون ومطرزة بأحمر أو أصفر، ومنها: "الشعرية"، وهي عصابة مِن قماش خفيف تُعصَب بها الرأس، مصنوعة من الشَّعْر، وخاصة شَعْر الحصان، وتُغطي العيون، وتكون فوق "النِّقاب" أو "الخمار"، وتتدلَّى فوق العيون حتى لا تُرى عيون النساء ([5]).

ومنها: "المناديل" التي استخدمتْها النِّساء على مختلف طبقاتهنَّ، وتكون كبيرةً أو صغيرة، وقد وُجِدَ في ذلك العصر أنواعٌ مختلفة من المناديل، منسوجة من الكَتَّان أو الحرير، وألوانها الأبيض والأزرق والأحمر، مطرزة، ولها حواشٍ مختلفة بيضاء وحمراء، وسوداء وزرقاء، وكموني أو أصفر، فكانت أحياناً تضعه على وجهها فلا يراها أحد ([6])

---

[1] – ابن سيده، المخصص، ج4، ص 39. دوزي، المعجم، ص 59- 62.

[2] – ذكر ابن سيده، أن الخمار يعني الستر باللغة العربية، فيقال خمرت المرأة رأسها، إذا غطَّته، فكل ما غطته سترته، المخصص، ج4، ص 39. كما ذكر دوزي أن نسيج الخمار م كتاني أبيض رقيق، يستر الوجه من جذر الأنف، المعجم، ص 59.

[3] – ابن منظور ، لسان العرب، ج2، ص 93.

[4] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج6، ص 424.

[5] – ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص200 – 296، علي، محمد كرد، خطط الشام، ج6، ص307 . صالحيه، وثائق الحرم القدسي، ص 22 – 54. رمضان، المجتمع، ص 215.

[6] - قساطلي، الروضة، ص 199. صالحيه، وثائق الحرم القدسي، ص 22 – 54.

5- النِّقاب وهو نوع من أنواع البرقع، ولكنه صغير([1])، الذي يغطِّي الوجه، ولا تظهر منه العينان، ويكون شفَّافًا، أبيض اللون غالبًا مطرَّزاً بحرير أسود، أو له حاشية زرقاء، أو زيتية اللون، وعلى ذلك، فإن غطاء الوجه هذا- غالبا- ما كان يصنع من الحرير أو القطن الرقيق، ومن الطبيعي أن المرأة تضعه عند خروجها من المنزل إلى السوق، أو عند حضور بعض المناسبات العامة، مثل : حضور الأعراس ومجالس الوعظ أو ما شابه ذلك([2])وأخيراً ؛ فإن النقاب كلمة عامة تختلف باختلاف الأوضاع التي يتخذها على الوجه، فمثلاً إذا أدنت المرأة النقاب على عينيها أطلق عليها الوصوصة ([3]).

6- القناع : ويسمي كذلك المقنعة، وهو من أغطية الرأس التي اتخذتها المرأة للرأس أو الوجه معاً، وهو ما تقنع به المرأة رأسها و وإخفاء محاسنها ([4]) وتثبَّت على الرأس بقطعة قماش، وكانتِ الأقنعة تنسج من قماش العصائب، وتجعل لها حواشٍ من الكتَّان الأزرق.

7- القبعات و الطواقي : ويرتدين فوقَ رؤوسهنَّ قُبَّعة، وهي غطاء للرأس يقمن بصنعه يدويًّا، وتتدلَّى منه عصابتان مِن القُماش الأبيض الطويل، أو "الطاقية" التي يبلغ ارتفاعُها حوالي ثلثي ذراع، لها قِمم على شكل قباب مستديرة أو مسطَّحة، من الصوف أو الحرير، أو الجوخ بألوان مختلِفة، لكنَّ أكثرَها شيوعًا اللون الأزرق([5]).

8- الشاش، وهي عصبة تلبسها المرأة؛ بحيث يكون أولها عند جبينها، وآخرها عند ظهرها، ويكون شكلها العام مثل سنام الجمل، فيبلغ طولها نحو ذراع، وارتفاعها ربع ذراع، وأحياناً يباهي في زخرفتها بالذهب واللؤلؤ.([6])

9- العمامة : شاركت المرأة الرجل في لبس العمائم الكبيرة جداً ([7]) في بعض الأحيان، ويبدو أنها تختلف من حيث المظهر والنسيج، ولكن لم تكن على نطاق واسع([8])، بدليل المرسوم الذي أصدره السلطان الظاهر بيبرس عام 662ه/ 1263م، وأمر فيه

---

[1] - رمضان، المجتمع، ص 281.

[2]- العبيدي، الملابس العربية، ص 175.

[3] - والوصوصة من العينيين إذا توصوص أن تنظر المرأة من حاشية النقاب ، ابن سيده، المخصص، ج4، ص 39. ابن دريد، الجمهرة، ج1، ص 321. العبيدي، الملابس العربية، ص 175.

[4] - ابن سيده، المخصص، ج4، ص 38. ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 175.

[5] - صالحيه، وثائق الحرم القدسي ، ص 25.

[6] - عاشور، نظم الحكم ، ج1، ص333.

[7] - قساطلي، الروضة الغناء، ص 126. السيد، عرب الشام، ص197.

[8]- العبيدي ، الملابس العربية، ص 168.

بأن ينادى في مصر بأن كل امرأة لا تتعمم بعمامة ولا تتزيا بزي الرجال وهددت كل من فعلت ذلك بعد مرور ثلاثة أيام من صدور هذا النداء بسلب كل ما عليها من كسوة وملابس([1])، ولكن ذلك المنع لم يدم طويلاً و الدليل على ذلك المرسوم الذي أصدره الأمير علم الدين الشجاعي ([2]) في دمشق عام 690ه / 1293م بإبطال العمائم للنساء : " فنودي في دمشق بإبطال العمائم للنساء، وأن لا تزيد المرأة على المقنعة "([3]).

ب- الملابس الداخلية :

تعددت الألبسة الداخلية للمرأة، وهي على الشكل الآتي :

1- الأتب : وهو ثوب تشقه المرأة، وتلقيه في عنقها من غير كمين أو جيب([4])، وقيل هو من الثياب ما قصر إلي نصف الساق، وهو من غير الإزار لا رباط له، وليس على خياطة السراويل، ولكنه قميص غير مخيط الجانبين([5])، ومن أنواعه الأصدة وهي مخصصة للفتيات([6])، بالإضافة إلي البقير أو البقيرة، والذي اعتبر الأتب نفسه([7]).

---

[1] – المنصوري، مختار الأخبار، ص 26.

[2] - هو علم الدين الشجاعي المنصوري. وزير الديار المصرّية ومشدّ دواوينها ونائب سلطنة دمشق. كَانَ رجلاً طويلاً تامّ الخلق، أبيض اللون، أسود اللحية، عَلَيْهِ وقار وهيبة وسكون، وَفِي أنفه كبر وَفِي أخلاقه شراسة وَفِي طبيعته جبروت وانتقام وظلم وعسف، وَلَهُ خبرة تامّة بالسياسة والعمارة. ولي شدّ الديار المصريّة، ثُمَّ الوزارة، ثُمَّ ولي نيابة دمشق، فلطف بأهلها، وقلّل شرّه، فدام فِيهَا سنتين، ثُمَّ عُزل بعّز الدين الحموي، وكَانَ يعرض فِي تجمّل وهيئة لا تبغي إلاّ للسلطان، وكَانَ فِي الجملة لَهُ ميل إلى أهل الدين وتعظيم الإسلام. وعمِل الوزارة أوّل دولة الناصريّة أكثر من شهر، ثُمَّ قُتل شَرَّ قتلةٍ، في سنة 693هـ / 1294م. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص55. الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج5، ص 157. فقد مدحه الشعراء في ابطال العمائم للنساء ومن ذلك :

هَذَا الأمير غَيُورٌ ... لأنّه قَدْ أزالا
عمائماً وخفافاً ... عَلَى النساء ثقالا
وغارَ لما تَبرَّج ... نَ والتزمْنَ الحِجالا
والآن عُدْنَ نساءً ... وكُنَّ قبلُ رِجالا

[3] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص 55.

[4] – ابن سيده، المخصص، ج4، ص34.

[5] – ابن منظور ، لسان العرب، ج1، ص 200.

[6] – ابن سيدة ، المخصص، ج4، ص 35

[7] – المصدر نفسه، ج4، ص 35.

2- القلالة : ويقع تحت الثوب، يلي الجسد، وهو لباس اختصت به النساء وبعض الرجال، وهو يلائم مجالات اللهو والطرب، فهو ثوب مفرط في الشفافية والخفة ([1])

3- القميص: وجرتِ العادةُ أن ترتدي النِّساء "قمصانًا" كانتْ ترى من تحت ملابسهنَّ الخارجية، من هذه القمصان ما عُرِف باسم "البهطلة" ([2])، والقميص، له فتحةُ عُنق دائريَّة، وبدون فتحة أماميَّة، وقد اختلفتْ أطواله باختلاف رغبات النساء فيه، وكانتْ أكمامه تتراوح بيْن الاتِّساع والضِّيق، لكن الاتساع يوحي بالغِنَى، وقد صُنعتْ هذه القمصان من الكَتَّان أو القطن، أو الحرير المشتهر الإسكندراني، وألوانه بيْضاء أو زرْقاء، أو "شمط" مختلفة بين الأزرق والأبيض، وبعض النِّساء كنَّ يطرزنَ قمصانهنَّ، وبعضهنَّ الآخَر يلبسنَ أنواعًا من القمصان البندقيَّة المكبوسة، أي: "البليسية" ([3]) وكان القميص يُلبس مع "المئزر"، وهو نوعٌ مِن السراويل التي تصل إلى الركبتين، وتعتبر ثوبًا داخليًّا، وعندما كانتْ تلفُّه المرأة حولَ وسطها وأرجلها، ويغطي حتى أواسط الأرجل، ويغلب عليه اللونُ الأسود، وهو أقصر من "الإزار" . ([4])

4- الإزار: شاركت المرأة الرجل في لبس الإزار، وهو عبارةٌ عن مُلاءة متَّسعة فضفاضة من قماش غير مطرَّز، تلفها المرأةُ حولَ جسدها([5])، وكان "الإزار" بالنسبة للمسلمات أبيضَ اللون، بينما المسيحيات يكون لهن الإزار أزرق اللون، واليهوديات أصفر اللون، والسامريات أحمر اللون، ويُشدُّ حولَ الإزار حزامٌ عرف باسم "الزُّنَّار" ([6]).

5- الصّدار : وهومن ألبسة النساء، وهو ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يُغشي الصّدر والمنكبين([7]) وعرفه ابن منظور : بأنه لباس داخلي للنساء فقط، وهو قميص صغير يلي الجسد ([8]).

---

[1] – دوزي ، المعجم، ص 26.

[2] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص57.

[3] – المقريزي، الخطط، ، ج2، ص322 . ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص 350. العبيدي، الملابس العربية، ص 201. صالحية، من وثائق الحرم القدسي، ص 21. السامرائي، العادات والتقاليد، ص 140.

[4] - علي ، السيد علي، من وثائق الحرم القدسي، ص 25، المرأة الشامية والمصرية، زمن الحروب الصليبية، ص 12.

[5]- ابن سيده، المخصص، ج4، ص 68.

[6] – ابن سيده، المخصص، ج4، ص 68. ماير، الملابس الملوكية، ص 125. عبد الرازق، المرأة المملوكية، ص 182– 183. صالحية، محمد عيسى نفسه، ص 20.علي ، من وثائق الحرم القدسي، ص 25، المرأة الشامية والمصرية، زمن الحروب الصليبية، ص 12.

[7] – ابن سيده، المخصص، ج4، ص 39.

[8] – ابن منظور، لسان الغرب، ج6، ص 116.

6- المجسد : وهو ثوب يلي جسد المرأة([1])، وهو من الملابس الداخلية التي لا يمكن للمرأة الظهور فيه، وهو يغطي بالملابس الأخرى .

7- الدروع : ومفردها درع وهو قميص اتخذته المرأة لباساً لها ([2])، " وهو ثوب تجوب المرأة وسطه، وتجعل له يدين، وتخيطه فرجيه" ([3])، وهو أيضاً القميص الصغير، تلبسه الجارية في بيتها([4])، والدروع ـــ غالباً ــ مصنوعة من نسيج ذي لون واحد، ويكون في- العادة – أزرقٌ فاتحاً مائلاً إلى الاخضرار، وخالٍ من الزخارف، وهو منسوج بطريقة الأيكات([5])، وهناك نوع من الدروع تحتوي على أكمام قصيرة يخاط جانبها، تلبسه ربات البيوت، ويسمونه السبخة أو السبيخة([6]).

8- الشّوذر : وهو الملحفة، وهو مُعرَّب عن كلمة جاذر([7]) الفارسية، كما يوصف بأنه الأتب ([8]) ويتبين لنا من خلال الوصفين أنه ثوب ليس له أردان .

9- السراويل : شاع استعماله في ذلك العصر وخاصة من النوع الطويل ودليل ذلك ما رواه المؤرخون عند إشارتهم إلى مقتل شجر الدر أولى سلاطين الدولة المملوكية التي عثر عليها في أحد الخنادق أسفل القلعة وليس عليها سوى سراويل شد إلى وسطها بواسطة " تكة " استولي عليها بعض أراذل العامة" ([9]) وما ذكره المقريزي من أن السلطان الظاهر بيبرس قد قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين والخفراء؛ لأنه رأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعراها سروالها ([10]).

كذلك كانت "الغِلالة" – بكسر الغَيْن – وهي من أكثر الملابس انتشارًا في ذلك العصر، ويُقصد بها الملابس الحريريَّة الرقيقة الداخليَّة، أو المصنوعة من المنسوجات الرقيقة ([11]).

---

[1]– ابن سيده، المخصص، ج4، ص 37.

[2]– المصدر نفسه، ج4، ص 35.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 436.

[4]– المصدر نفسه، ج9، ص 435.

[5] – ابن سيده، المخصص، ج4، ص 16.

[6]- المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحات.

[7]– دوزي، المعجم، ص 180.

[8] –ابن سيده، المخصص، ج4، ص 46.

[9]– المقريزي، السلوك، ج1، ص 404. ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص 92.

[10] –المقريزي، السلوك، ج1، ص 181.

[11] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، 1343. الثعالبي، فقه اللغة، ج1، ص 896.

ت- الملابس الخارجية :

لقد شاركت المرأة الرجل في ملابسه الخارجية من حيث أسمائها، وإن اختلفت من حيث تفاصيلها وشكلها وأنواع المنسوجات المستعملة فيها، فكان يراعى فيها حسن المنظر والفخامة. وكانت على أقسام وأنواع متعددة، ومنها :

البرنس : وهو ثوب تلتحف به المرأة، وهو شبه الدرعة والجبة([1])، وقد تفننت المرأة به وزينته بخلاف الرجال، وللبرنس أنواع منها :

القباء : مِن أكثرِ الملابس النِّسائيَّة انتشارًا في ذلك العصر القباء وهو الرداء المفتوح من الأمام([2])، ومغلَق عند صدرِه، ويمتد إلى القدمين، وهو فضفاض، وله كمان طويلان وواسعان، وقد ثبت جانباه عند الوسط بواسطة نطاق . وكان ينسج من القُطن أو الصُّوف أو الحرير، وأما ألوانه: فالأبيض، وهو الأكثر شيوعًا، وأحيانًا يكون اللَّوْن الأزرق أو الأخضر أو الأحمر، وهذا القباء كان يتمُّ صنعه محليًّا مِن خامات محلية، وبعضه الآخر كان يتمُّ صنعه من قماش مستورَد من البلاد الأوربية ، وبعضه الآخر كان يتمُّ تزيينه بفرو سِنجاب قبرصي ([3]) .

كما كنَّ يرتدينَ "الحَبرة"، وهي عبارة عن ثوب خارجي يصنع من القطن أو الكتان ، واسع مخطَّط، أو أزرق على الغالب، واهتمت النساء في بعض المناطق الإسلامية الشامية والمصرية بلبسها، وهي عبارة عن "ملاءات" ملونة بأصفر وأحمر، ومِن اللون الأبيض فقط([4]).

الربطة : وهو شيء رفيع يشبه الملحفة خاص بالمرأة ([5]) كما تحيط خصرها بأمور أخري؛ مثل الحبل المفتول، فيه لونان، وربُّما شدتَّه على وسطها، كما لبسن الأحزمة التي تعرف بالزنَّار([6])

كما ينبغي أن نُشيرَ إلى نساء الحُكَّام اللاتي كنَّ يرتدين حلَّة مذهبة، يصل عدد قطعها إلى خمسَ عشرةَ قطعة، فكان غطاء الرأس وحْدَه يتكوَّن من أربع قطع، تلبس وَفقًا لترتيب معيَّن بحيث يغطي الرأس، ويتدلَّى طرف أحد القطع، حتى يصلَ إلى الأرْض من جهة الظهر،

---

[1] – ابن سيده، ج4، ص 84.

[2] – رمضان، المجتمع، ص 285- 286.

[3] – ماير، الملابس المملوكية، ص: 124؛ صالحية، من وثائق الحرم المقدسي، ص 20 – 21.

[4] -الحبرة : مثل عنبة من البرود اليمانية؛ أي ثوب يصنع باليمن . ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص157.

[5]– الشريشي، مقامات الحريري، ص 30.

[6] – رمضان، المجتمع، ص 286. السامرائي، التقاليد والعادات، ص 142.

وباقي الملابس تتكوَّن مِن رداءين من الحرير، وقميص مُذهب بأكمام قصيرة وسروال، ومُلاءة واسعة لتغطية كلٍّ تلك الثياب، وكانتْ ملابس باقي نساء دُور الحكَّام تقلُّ مكوناتها تبعًا لمكانة المرأة، وتتراوح ما بيْن حُلَّة مذهبة وحلَّة حريرية، كما كانتْ هناك ملابس خاصَّة بالجواري، لعلَّ الهدف منها إبراز مفاتنهنَّ؛ لِيكُنَّ متعةً للناظرين، وكانت بعض النساء يلبسنَ الثياب الموشاة بحرير دمياط، ودبيق تنيس([1])، ويبدو أنَّ هذا النَّوْع من الثياب كان خاصًّا بالمرأة الثرية ([2])، وقد تفننت النساء – وخاصة داخل القصور– في خياطة الثياب وتطريزها، حتى إن البدعة التي نراها اليوم من كتابة بعض الكلمات والعبارات على ملابس الفتيات، عرفت في تلك العصور، فكتبت بعض الأشعار والعبارات على أكمام القمصان، وعلى ذيلها، واستخدموا في ذلك الخيوط الذهبية وغيرها ([3]) .

وترتدي المرأة الريفية إلي جانب الألبسة المتقدمة الذكر، نوعاً آخر يعرف بالجلباب وهو عبارةٌ عن ثوب تغطي به المرأة صدرها وظهرها وجميعَ جسدها، بل وتلتحف به النساء من الرأس إلى القَدمين حين يُرِدْنَ الخروج من منازلهنَّ، وهو من ملابس المرأة الخارجية الفضفاضة.([4]) وكما وضعت الخمار والذي وصفه ابن سيده بقوله : " يعني الستر باللغة العربية، فيقال خمرت المرأة رأسها، إذا غطَّته، فكل ما غطته سترته " ([5]).

كما توجد العصابة ([6])التي تلبسها المرأة الريفية في الشام، كما تلبس المرأة نوعاً آخر في الأفراح والمناسبات السافرة يعرف باسم "شنبر"، حيث تعلق بها سلاسل معدنية، وكانت المتزوِّجات يتلفعنَ به، ويربطنَه من الوراء، أمَّا الأرامل فكُنَّ يعصبنَ عليه المناديل ([7]) .

---

[1] – وينسج في تنيس القصب الملون من عمامات وواقيات ومما يلبس النساء ولا ينسج مثل هذا القصب في جهة غير تنيس، والأبيض منه ينسج في دمياط، كما ينسجون في تنيس البو قلمون وهو قماش ذهبي يتغير لونه بتغير ساعات النهار وتحمل الأثواب من تنيس إلى المشرق والمغرب . للمزيد انظر: خسرو، ناصر، سفر نامة، ص 18– 19.

[2] – المقريزي، الخطط، ج1، ص 410 – 411 . القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص 257، ج12، ص 298. ابن جبير، الرحلة، ص 139، 157. عليوة، حسين، "قطر الندى" ، ص 180

[3]– عاشور، نظم الحكم، ج1، ص 331.

[4]– ابن سيده، المخصص، ج4، ص 39. الشريشي، شرح مقامات الحريري، 149.

[5] – ابن سيده، المصدر نفسه، ج4، ص 39.

[6] – ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 92. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص 424.

[7] – ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص200 – 296، علي، محمد كرد، خطط الشام، ج6، ص307 . صالحيه، محمد عيسى، وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، ص22 – 54. رمضان، المجتمع، ص 215.

، فكان لكل قرية لباس مختص بنسائها يختلف من قرية لأخرى، ولا تزال هذه الظاهرة منتشرة حتى اليوم ([1]) .

كذلك ينبغي الإشارة إلى أنَّ بعض الملابس التي استخدمتْها المرأة في ذلك العصر، قد توارثتْها عبرَ عصور سابقة على ذلك العصر، مثل "الغلالة"، التي جاء أوّل ذِكْر لها في أوراق مِن البردي ترجع إلى القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، كما أنَّ الكثيرات مِن النساء قُمنَ بتطوير وابتكار أشكال جديدة من الملابس ما بيْن فضفاضة وضيقة ([2]).

ومِن السِّمات الواضحة في ملابس نِساء ذلك العصر أنَّ كلَّ طبقة من طبقات المجتمع كان لها ملابسُها الخاصَّة بها، وتختلف إلى حدٍّ ما عن ملابس الطبقات الأخرى مِن جهة الشكل والنوع والجودة، بل ونوْع المنسوجات المستخدَمة في صناعتها.

ومن الطبيعي أن تتفاوت الملابس في قيمتها حسب مكانة المرأة ودرجة ثرائها، فثوب المرأة الغنية بلغت قيمته آلاف الدنانير، حيث كان يحلَّى غالبًا بالذهب واللؤلؤ والجواهر، كذلك كانت العصابة فوق رأسها ترصع بالدر والياقوت والأحجار الكريمة، وربما كتب عليها بعض الشعر بصفائح الذهب، أما المرأة البسيطة الحال فكانت ترتدي الأسمال والخلقان المصنوعة من القطن أو الصوف([3]).

وكان لكلِّ مناسبة ملابسُ معيَّنة تعكس حالَ المرأة النفسيَّة، فكان للأفراح ثيابٌ تناسبها، وللأحزان ثياب تناسبها، وللأعياد ملابس تناسبها، وهي التي تميَّزت بالألوان الزاهية المزركشة ([4]).

كما أنَّ هذه الملابسَ كانت في تطوُّر مستمر، وساعد على ذلك عوامل عدة، أولها: ازدياد نفوذ العناصر غير العربية في المجتمع، ووصول هذه العناصر الجديدة إلى مستوى الأرستقراطية الحاكمة في بعض أجزاء الولايات الإسلامية، ولم تلبث أن غدت بحكم سيادتها قدوة لغيرها من الطبقات التي حاكتها في سلوكها ومظهرها، أما العامل الثاني: فهو الثراء الذي أصابته بعض الدول في تلك المرحلة –نتيجة لظروف اقتصادية معينة– مما ترك بصماته واضحة في الحياة الاجتماعية، وخاصة وضع المرأة وزينتها وملبسها، فضلاً عن عوامل أخرى تمثل في توافرُ المواد اللازمة لصناعتها من ناحية، والصِّلات التجارية مع العراق وفارس وبلاد العرب، والشرق الأقصى والغرب الأوربي مِن ناحية أخرى، مما جَعَل نساءَ ذلك العصر في مصر والشام على عِلم بتطوُّر الملابس وصناعتها في بلادِهم وخارجها،

[1] – الشواف، دمشق، ص 274.

[2] –علي، من وثائق الحرم القدسي، ص 23.

[3] –عاشور، نظم الحكم ، ج1، ص 331.

[4]– دوزي، المعجم، ص 26– 28

أضِف إلى هذا تأثير الجواري على سائِر النِّساء في ابتكار كثيرٍ مما نطلق عليه اليوم اسم "الموضة" ([1]) .

وقد أجمع الرحالة الأوروبيون الذين زاروا مصر في أواخر العصور الوسطى –بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد، وإحيائها في القاهرة– على تشابه ملابس كافة نساء المدن من حيث شكلها العام، ويمكننا تصور الملابس التي اعتادت أن ترتديها المرأة في ذلك العصر بقميص واسع طويل، تصل أطرافه إلى الأرض، له أكمام كبار واسعة، وفوق ذلك القميص سبلة أو إزار يغطي بدنها، ويعلو كافة ملابسها، ووصفت هذه السبلة بأنها بيضاء اللون بالنسبة لجميع المسلمات، وهذا يخالف ما تطور إليه الوضع بعد ذلك في بعض البلاد الإسلامية، عندما أصبح من المراعى في حبرة، أو تزييرة المرأة المتزوجة أن تكون سوداء اللون، ولا تلبس السبلة البيضاء سوى الآنسات([2]).

وقد وصفت الرحالة الأجانب ملابس النساء في ذلك العصر بأنها من "الأقمشة الفاخرة"، ذلك أنَّ النساء في أواخر العصور الوسطى كثيرًا ما بالغن في ثيابهن، سواء من ناحية الهيئة أو القيمة([3]). وقد بلغ الأمر بهن أحيانًا أن تُفَصِّلَ الواحدة قميصها من اثنين وتسعين ذراعًا من القماش البندقيّ الذي عرضه ثلاثة أذرع ونصف، وبذلك تصبح مساحة قميص المرأة أكثر من ثلاثمائة وعشرين ذراعًا مربعًا([4])، أما تكاليف مثل ذلك القميص فقد تجاوزت الألف درهم، ومثله الإزار الخارجي، في حين وصل ثمن خف المرأة إلى ما بين مائة وخمسمائة درهم([5])، ويبدو أنَّ هذا الإسراف من جانب النساء دفع أهل الدولة إلى التدخل في تحديد ملابسهن([6])، وفي هذه الأحوال يطوف المنادون في الطرقات والشوارع، محذرين النساء من لبس القميص الذي يزيد طوله عن اثني عشر ذراعًا، وأن لا تكون الأكمام مفرطة في الاتساع؛ كذلك صدرت الأوامر المشددة بمنع النساء من لبس الملابس الثمينة والبرد الحرير، وأخذت رسل المحتسب تطوف بالشوارع، فإذا وجدوا امرأة خالفت التعاليم ضربوها وجرسوها، وعلى سور القاهرة وأبوابها، نصبت أخشاب، وعلق عليها تماثيل على هيئة نساء، وعليهن القمصان الطوال، وذلك لتذكير النساء بعدم الإسراف وتخويفهن([7]) .

---

[1]– المقريزي، السلوك، جـــ2، قسم 3، ص810. علي، السيد علي، الجواري، ص 44 – 45.

[2]- عاشور، نظم الحكم ، ج1، ص 331.

[3] - عاشور، المجتمع المصري، ص 243.

[4] المقريزي، السلوك، ج3، ص 750.

[5] - المقريزي، السلوك، ج2، ص 166.

[6] - الخادم، الأزياء الشعبية، ص 18. السيد، محمود، تاريخ عرب الشام، ص194.

[7] - المقريزي، السلوك، 2، ص 810. الخطط، ج2، ص 323

من الممكن التماس العذر لعامة النساء في مثل هذه التصرفات السابقة؛ لأنه من المعروف أن كل طبقة في المجتمع مولعة دائمًا أبدًا بمحاكاة من تعلوها من الطبقات، بمعنى: أن المُستَحدَّثات تنتقل دائمًا من أعلى إلى أسفل، وقد شهد المقريزي –شيخ المؤرخين في القرن التاسع الهجري– الخامس عشر للميلاد– بأن ما فعلته عامة نساء عصره في الملبس إنما كان من باب التشبه بما فعلته نساء السلاطين والأمراء ([1]) .

كذلك يلاحظ أن ملابس المرأة لم تظل على حال واحدة مدة طويلة في العصور الوسطى، بل غلب عليها كثرة التغيير والتبديل وظهور المستحدثات –الموضات– كعهدنا بملابسهن اليوم، وقد أخذ بعض المعاصرين على النساء أن لهن محدثات من المنكر، أحدثها كثرة الإرفاه والإتراف، وأهمل إنكارها حتى سرت في الأوساط والأطراف، فقد أحدثن الآن من الملابس ما لا يخطر للشيطان في حساب.([2]) وهكذا فإن ملابس النساء لم تبق على حال واحد من الطول أو القصر، والاتساع أو الضيق، وإنما تعرضت لتغيير مستمر في فترات متقاربة؛ فإذا كان الفقيه ابن الحاج قد أخذ على نساء مصر في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي _تلك البدعة التي أحدثنّها في ثيابهن من جعلها قصيرة وضيقة"([3]) ، ودعا معاصريه إلى منع النساء من تلك الأكمام القصيرة التي أحدثنها([4])، فإن المقريزي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي عاب على نساء عصره إفراطهن في طول الثياب واتساعها، ومبالغتهن في اتساع الأكمام وطولها، حتى إن الواحدة إذا أرخت كمها فإنه يغطي رجلها ([5])، وللمؤرخ ابن تغري بردي عبارة يصف فيها زينة النساء في مصر في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاون– فيقول: "واستجد النساء في زمانه الطرحة، كل طرحة بعشرة آلاف دينار، وما دون ذلك إلى خمسة آلاف دينار، والفرجيات بمثل ذلك، واستجد النساء في زمانه الخلاخيل الذهب، والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة، والقباقيب الذهب المرصعة، والأزر الحرير، وغير ذلك...." ([6]).

[1] – ففي حوادث سنة 793هـ/ 1392م، يعيب المقريزي على عوامِّ النساء أنهن تشبهن في الملبس بنساء الملوك والأعيان، وفي حوادث سنة 850هـ، يصف المقريزي كيف أن نساء السلاطين وجواريهن أحدثن ثيابًا طوالًا تسحب أذيالها على الأرض، ولها أكمام واسعة، سعة الواحدة منها ثلاثة أذرع، وعرف القميص منها بالهطلة، ثم يعقب المقريزي على ذلك بقوله: "وتشبه نساء القاهرة بهن في ذلك، حتى لم تبق امرأة إلّا وقميصها كذلك" . المقريزي، السلوك، ج2، ص 111.

[2] – ابن الأخوة، معالم القربة، ج1، ص 157.

[3] – ابن الحاج، المدخل، ج2، ص243.

[4] - المصدر نفسه، ج2، ص 243.

[5] – المقريزي، السلوك، ج2، ص 111.

[6] – ابن تغري بردي، النجوم، ج3، ص 31.

أمَّا عن ملابس الأقدام "الأحذية" الخاصَّة بالنِّساء، فقد اشتهر منها ثلاثة أنواع، وهي "الخف" وكان لها سوق يباع فيه الخفاف([1])، وهو نوعٌ من الحِذاء العالي المرتفع الكَعْب، المصنوع من الجِلْد أو غيره كالجوخ، وألوانه بَيْضاء أو سماقيَّة؛ أي: كلون نبات السماق.
ومنها: "النعل"، وهو يُشبِهُ الصندل العادي، ويزين وجهه عادةً بحرير.ومنها: "المشاية"، وهو ضَرْب من النِّعال الخفيفة تصنع من القطيفة "المخمل"، أو الجلد الأسود([2]).
ومنها: "الحِذاء" الذي يبلغ منتصفَ الساق أبيض اللون، أو أحمر اللون .
كما كانتِ النساء يرتدينَ في أرجلهنَّ داخلَ المنازل "القباقيب" فهي تصنع من الخشب([3])فقد ذِكْرت بعض المصادر أنَّ "القباقيب" كانت تُصنع من الذهب، وترصَّع بالجواهر ما لم يتدخَّل أحدٌ لمنع مثل هذا الإسراف والتَّرف الزائد ([4]) ، فيبدوا أن القبقاب كان سلاحاً تستعمله النساء للقتل عندما أمرت شجرة الدر بقتل زوجها أيبك بالقباقيب، كما هي نفسها قتلت به .
و"الزرابيل"([5])، والزرابيل هي نوعٌ من الخِفاف تلبسه الجواري، وينبغي أن نشيرَ إلى أنَّه كان هناك نوعٌ من الخِفاف تُحْدِث صوتًا عند المشي بها، ممَّا يلفت أنظارَ الرجال إلى المرأة، وكان هذا يُعدُّ من الأمور المنافية للآداب، التي تستوجِب تدخلَ المحتسب لمنْع النِّساء مِن ارتداء هذا النوع من الخفاف، وتحذير الأساكِفة من صُنْعه ([6]).
كما كانت المرأة المسيحية تلبس في رجليها السرموزة وهي لفظ فارسي معناها رأس الخف فإن سر رأس وموزه خف ([7]) .
والحقيقة: أنَّ المصادر التاريخيَّة أشارت إلى معاقَبة النساء في المُدن مثل: القاهرة ودمشق، وحلب وغيرها؛ لمخالفتهنَّ التعليماتِ الخاصةَ بمنْع النساء من ارتداء هذا النوع من الخِفاف،

---

[1]- فقد ذكر المقريزي بأنه يوجد سوق الأخفافيين، يباع فيه خفاف النسوان ونعالهنّ. المواعظ والاعتبار، ج2، ص 263.

[2] – صالحيه، وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، ص25.

[3]- القلقشندى ، صبح الأعشى، ج1، ص 488.

[4]- المقريزي، السلوك، جــ3، ص 673. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص176 ابن إياس ، بدائع الزهور، ج2، ص 132. ومن الروايات التي تدلل على إسراف المرأة في زينتها، فعندما توفيت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهي زوجة الأمير طاز. وتركت مالاً عظيماً، من جملته قبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، ثمنها ألف دينار مصرية. المقريزي: السلوك، ج2، ص 163.

[5] – مفرد زربول وهو عبارة عن حذاء ينسج من صوف الماعز ويلبس للوقاية من لسع العقارب والحشرات الزاحفة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 310- 311. الجوارنة، أحمد ، مدينة صور العمانية، ج1، ص 49.

[6] – الشيرزي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص: 73.

[7]- المقريزي، السلوك، ج2، ص 105. المواعظ والاعتبار، ج2، ص 263.

مثلما حَدَث من معاقبة بعضهنَّ لمخالفة التعليمات الخاصة بالملابس، وتعليق تماثيل على صورة نِساء، وعليهنَّ القمصان الطوال، وذلك لتذكُّر النساء وتخويفهنَّ ([1]).

أما بالنسبة لزينتهن لعلَّ أولَ ما يلفت النظرَ في نِساء ذلك العَصْر في مصر والشام ، أنَّ الواحدة منهنَّ لم تهمل العنايةَ بنفسها وجسدها، وإبراز محاسنها؛ نظرًا لِمَا عرف في ذلك العَصْر من أنواع الزِّينة المختلفة، فقد كانت الأميرات الملكات يتحلين بحلي من خلاخل وأقراط وعقود وأساور وتمائم لا تختلف كثيراً عما تلبسه المرأة في عصرنا الحالي([2])، كما شاع في ذلك العصر مِن طلاء الأظافر، والوَشْم ([3])الذي اعتادَه كثير من النساء أن يزيِّنَّ به أجزاءً مختلفةً من أبدانهنَّ، فقد ذَكَر الرحَّالة اليهودي موشلام بن مناحم الفولتيري: أنَّ نساء هذه البلاد اعتدْنَ أن يزينَّ أجسامهنَّ برسوم مختلفة، لا يمكن إزالتُها من على الجلد لمدة سِتَّة أشهر على الرغم مِن ذهابهنَّ كثيرًا إلى الحمَّامات العامة([4])، هذا إلى جانب ما يُشير إليه بعضُ الرحَّالة من أنَّ النساء كنَّ يقمن بتخضيب أيديهنَّ وأرجلهنَّ بالحناء، كما اعتدنَ طلاء أظافرهنَّ بطلاء أحمر اللون ([5]).

وتذكُر الوثائق التاريخية القريبة العهد بالفترة التاريخية التي تتناولها دراستنا بعضَ أدوات الزِّينة التي تستخدم لزينة الرأس أو الأذن، أو الرقبة، أو اليد أو الأصابع، فقد جاء في بعض الوثائق أن كثيرًا من النساء اعتدنَ أن يزينَّ أعناقهنَّ بقلائدَ أو سلاسلَ مصنوعةٍ من البلور، أو الأحجار الكريمة، كالعقيق، أو الذهب، أو اللؤلؤ، أو الخرز([6])، والعقود من القطع

---

[1] –المقريزي ، السلوك، 2، ص 810، الخطط، ج2، ص 323. ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 193.

[2] – حتي، فليب، تاريخ العرب، ص 785.

[3] – طريقة الوشم كانت تتم عن طريق وخز الجلد بمجموعة من الإبر تكون سبعاً في العادة على الشكل المراد رسمه ثم يدلك الموضع بمزيج من سناج الخشب أو الزيت، ومن لبن المرأة وبعد أسبوع وقبل أن يبرأ الجرح يوضع عليه معجون من أوراق السلق أو البرسيم فيكسبه لوناً أزرق أو مائلاً إلي الخضرة وقد يدلك مكان الإبر بالنيلج في بعض الأحيان، وغالباً ما يكون الوشم في الوجه في أعلى الذقن، وعلى ظهر اليد اليمني واليسرى أحياناً أو علي الذراع الأيمن ، وقد يكون على الذراعين معاً، وفي القدم وعلى وسط الصدر والجبهة، الزبيدي، تاج العروس، ج9، ص 94.

ويبدو أن طريقة الرسم هذه قد أثارت ثائرة فقهاء عصر المماليك لأنهم كثيراً ما أشاروا في كتاباتهم إلي قول الرسول صلي الله عليه وسلم " لعن الله الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة " صحيح البخاري، ج5، ص 2218، برقم الحديث" 5598"

[4] - Adler: Jewish Travelers , p168

نقلاً عن عبد الرازق، المرأة، ص 151

[5] – Schefer: Voyage du Magnifique ,p 211

[6] - صالحيه، وثائق الحرم القدسي ، ص30 –31

الهامة التي تقتنيها المرأة؛ لارتفاع أثمانها، مما يلجئ المرأة على التصرف فيها في أثناء الأزمات الاقتصادية والشدائد، ، وبذلك يبين لنا أن المرأة كانت تقتني الحلي للزينة، وكذلك للتصرف فيها أوقات الشدة وهذا التقليد ما زال شائعاً حتى يومنا هذا .

ومِن أنواع الزِّينة التي جاء ذِكْرُها في الوثائق وكانت تستخدم لزينة الرأس، "مشخص ذهب فلوري"؛ أي: دينار الذهب الفلورنسي، و"لوح ذهب جنس صوري" أي الدنانير الذهبية المنسوبة إلى مدينة صُور، وعليها صُوَر منقوشة، و"لوح ذهب مكتوب فيه"؛ أي: دينار ذهب منقوش عليه بعضُ الكتابات، وهذه الأنواع كانتْ توضع في عصابات الرأس حيث تُعلَّق بها سلاسلُ معدنيَّة، تثبَّت فيها تلك المشاخص والألواح المشار إليها، فهي تلبسها النِّساء كالطواقي، وتزين بقطع نقدية فِضيَّة، أو قطع نقدية ذهبية ([1]).

هذا إضافةً إلى "الكلابند"، ولعلَّها مشتقَّة من "الكلبدون"، الذي انتشر في العصْر العباسي، وهي مِثل الطَّرْحة([2]) التي تُلبس فوقَ الرأس، وتكون من مطروق الذَّهَب والفِضَّة، وإن كانت "الكلبندات" كلمةً فارسيَّة، معناها لباس الرقبة، أو الكوفية التي تلبسها النِّساء على رؤوسهنَّ، وتربط تحت الذقن، وتُطلق أيضًا على حُليٍّ ذهبية تُلبس حول الرقبة ([3]).

أما بالنسبة لزينة الأذن، فقد لبستِ النِّساءُ أنواعًا من الحلق بأشكاله المختلفة، فقد وُجِد في تَرِكة إحدى النِّساء حلق ذهب بشمائج أربعِ لؤلؤات، وعندَ أخرى حلق ذهب بفصٍّ جميز، كما جاء ذِكْر قُرْط ذهب بلولو، ومنمقة بأحرُف هجائية ([4]) ومن ناحية أخرى: فقدِ استخدم كثيرٌ من النساء أنواعًا من الأساور لتزيين اليد، فصاغوا لنسائهم الأساور المصنوعة من الذهب المرصعة بالجوهر واللؤلؤ، فكانت تأخذ أشكالاً مختلفة منها على هيئة العقرب والدلو ([5]) .

أما أدوات زينة الأصابع: فقدِ اقتصرتْ على الخواتم بأنواعها المختلفة، وأشكالها المتعدِّدة، وكان معظمها مصنوعًا من الذَّهب أو الفِضَّة، وقد تكون بفصوص حمراء، أو زرقاء بلورية، أو فصوص العقيق، وقد تكون بلا فصوص ([6]) .

---

[1]- صالحيه، وثائق الحرم القدسي، ص: 30 - 31، انظر الوثائق 514، 121، 93.

[2] - الطرحة : تطلق الطرحة على خمار المرأة، والطرحة أيضاً شاش رفيع يلف على العمامة بهيئة مخصوصة، وكانت العادة ألا يطرح إلا من علم فضله واشتهر . مبارك، على، الخطط التوفيقية، ج10، ص 92. السيد، عرب الشام، ص196.

[3] -صالحيه، محمد عيسى، وثائق الحرم القدسي ، ص 30 - 31.

[4] - انظر الوثيقة رقم (90) صالحيه، وثائق الحرم القدسي، ص31

[5]- صالحيه، وثائق الحرم القدسي ، ص32. السيد، محمود، عرب الشام، ص 195.

[6]- صالحيه، وثائق الحرم القدسي ، ص32

هذا بالإضافةً إلى موادِّ الطِّيب، فقد حرصت المرأة على استخدام العطور، مثل: العنبر وغيره، وكان يوضع في زجاجات العطر أو "العطريات" من البلور الصخري ومن الزجاج الأبيض، التي يحفظ فيها العطر بأنواعه المختلفة، كما استخدمت المكاحل والتي اهتمت بها المرأة أيضاً في ذلك العصر وكانت تستعمل في الأغراض المختلفة للتجميل مثل رموش العين والحواجب وكذلك للجفون والعيون([1]) وتأخذ أشكالاً مختلفة منها ما هو أسطواني أو مثلثة أو مربعة، وأحيانا كانت تصنع من النحاس أو من الخشب، كما عرفت أيضاً بمكاحلها الزجاجيَّة التي كانت على هيئة قلبين، وفي إحدى الوثائق كانت المكحلة من مادة الفُخار، والمباخِر ذات الأبراج ومن الأمشاط التي استعملتها المرأة في ذلك العصر؛ لتمشيط الشَّعر، وهذه الأمشاط مصنوعة في الغالب من الخشب وهي تشبه الفلاية التي تستخدم حتى الآن، وللمشط جهتان ، جهة للأسنان الرفيعة الحادة وجهة للأسنان السميكة القوية، والجزء الأوسط المحصور بينهما يزخرف بزخارف مختلفة، كما يتم الحفر عليها بعض الكلمات ([2]).

واستخدمت المرأة المرآة لاستكمال أدوات الزينة لديها ، وهي بلا شك تعكس كل الأدوات السابقة، وكانت تصنع في الغالب من الحديد، فكانت مرايا الطبقات الغنية من الصلب أو الخزف المطعم بالذهب والفضة، وترصع بالأحجار الكريمة([3])، كما وجدت المرايا بحاملها النحاسي في ذلك العصر ([4]).

هذا إلى جانب ما يَذكُره أحدُ الرحَّالة الأوربيِّين، الذين زاروا البلادَ في ذلك العصر، أنَّ النساء كُنَّ يرتدين السراويل الطويلة التي تزيِّن أطرافَها الأحجارُ الكريمة والآلي، إلى جانب أنَّ العديد مِن النساء كنَّ يثقبنَ آذانهنَّ ما بيْن عشرة وثمانية ثقوب، ويثبتنَ فيها اللآلئ المختلفة، وبذلك يمكنك التعرُّف إلى مستوى الواحدة منهنَّ الاقتصادي والاجتماعي مِن خلال أذنيها ([5]) هذا عدَا الخلاخيل التي توضَع فوقَ السراويل حتى تظهر للعِيان، وقد تَضرِب الواحدة منهنَّ برِجلها في الغالب، حتى يسمعَ لها حِسٌّ هذه الخلاخيل، التي غالبًا ما كانت تُصنَع من الذهب أو الفضة، وتُحلَّى بالجواهر الثمينة ([6]).

---

[1]– عبد الكريم، المرأة، ص 167.

[2] – عبد الرازق، المرأة، ص 165.

[3]– عبد الكريم، المرأة، ص168.

[4]– صالحيه، وثائق الحرم القدسي ، ص32

[5] – Adler: op. cit. p. 168.. ، عبد الرازق، أحمد ، المرأة، ص 147. علي، السيد علي، وثائق الحرم القدسي، ص 30.

[6] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص 176. ابن الحاج، المدخل، ج2، ص 168. عبد الكريم، المرأة، ص166.

بالنسبة لتسريحات الشعر فهي متنوعة، ويُشير الشعراءُ في إشارات خاطِفة إلى بعض ما كان يتفنَّنُ فيه نساء ذلك العصر مِن جعْل شعورهن على هيئة خاصَّة، فقد كان منهنَّ مَن تفرق شَعْرَها فوق الجبين، وتضفره عِدَّة ضفائر، واضعة بعضها فوق بعض، وقد يرخي بعضُهنَّ هذه الضفائرَ خلفهنَّ ([1]). ويتراوح عددها حسبما ورد في إحدى قصص ألف ليلة وليلة ما بين إحدى عشرة ضفيرة وخمسٍ وعشرين ، بشرط أن يكون العدد فردياً هذا عدا إضافة ثلاثة خيوط حريرية سوداء على كل جديلة، ومعلق بها قطع ذهبية صغيرة ذات شكل مستدير تعرف باسم " صفا " ([2])،كما كان بعضهنَّ يسدلنَ خُصلاً من الشَّعْر على خدودهن تنساب هفهافةً على غير نظام، وكان بعضهنَّ يجعلنَ هذه الخُصلاتِ تستدير حولَ صدغيها، وكان بعضهنَّ يجعلنَ هذه الخصلات تستدير حولَ الخدِّ على هيئة العقرب؛ لذلك كثر حديثُ الشعراء عن الشَّعر المعقرب، وعقارب الأصداغ التي تحمي وردَ الخدود، ولم تكن تلك العناية بزينة المرأة قاصرةً على بنات المدينة، بل شاركتْ فيها المرأة الرِّيفيَّة بحسب مستواها الاقتصادي والاجتماعي . ([3])

أما الحمامات فهي تعتبر مظهر آخر من مظاهر الزينة، وخاصة للمرأة ؛لأنها كانت مثل: معاهد التجميل ([4]) في العصور الوسطي فتهرع إليها الكثير من النساء للعناية بأنفسهن ولإبراز جمالهن ،حيث وجدت الماشطة أو البلانة التي تقوم بجميع وسائل التجميل سواء تصفيف الشعر أو إزالته من جسد النساء([5])، كما كانت توجد مجموعة من الجواري يقمن بعملية التدليك" عمل مساج " لجسم السيدات في أثناء الاستحمام ([6]) وغسْل أجسام المتردِّدات بالماء الساخن الذي يوجد عادةً بالمغطس، وربَّما قامتْ بتكحيل العروس وتمشيطها وتحفيفها، ثم إلْباسها أفخرَ الثياب المطرَّزة ([7]) .

إن فكرة الحمامات الساخنة قد أخذها المسلمون عن اليونان و الرومان ([8]) ولقد برع المسلمون في تشييد حماماتهم ولا سيما في مصر وبلاد الشام، فكان هناك حمامات للرجال وللنساء أيضاً، وفي الحمَّام اعتادتْ أن تجتمع النِّساء والصديقات فيتناقلنَ أخبارَ الناس،

[1] – عبد الكريم، المرأة، ص173.
[2] – عبد الرازق، المرأة، ص 154.
[3] – المرجع نفسه، ص 173.
[4] - انظر : ماجد ،الحضارة الإسلامية، ص 108. عبد الرازق، المرأة ، ص149.
[5] – حمدي، أحمد ممدوح ، معدات التجميل، ص 34.
[6] – المرجع نفسه، ص45. عبد الكريم، ناريمان، المرأة، ص170.
[7] – علي، وثائق الحرم القدسي، ص 28.
[8] – عبد الرازق، المرأة ، ص151.

والاستمتاع بالحمام، وتتباهى كل منهن بما أوتيت من جمال وما توافر لها من حلي... إلى غير ذلك([1])، فقد وصفت لنا المصادر التاريخية بعض الحمامات في ذلك العصر ، بأنه تتوسط واجهته ببوابة ضيقة ذات معالم معمارية زخرفية تدل على صفة المبنى أحياناً توجد بوابتان إذا كان الحمام مخصصاً للسيدات والرجال في آن واحد، أما المدخل غالباً ما يكون منحنياً وفي ركن منه تقبع المشرفة على الحمام لتستقبل الزبائن وتتلقي منهن ودائعهن من نقود وحلي وغير ذلك من يخشى عليه من الضياع في أثناء الاستحمام وهذا المدخل يؤدي إلي بهو فسيح عبارة عن صالة معدة للحصول على قسط من الراحة قبل وبعد الاستحمام، يتوسط هذا البهو ردهة فسيحة مبلطة بالفسيفساء ويتوسطها فسقية رائعة ، وفي جوانبها أيونات بها مصاطب ترتفع قليلاً عن الأرض ومغطاة بحصير أو سجاجيد صغيرة، وأحياناً تحجب بعض هذه المصاطب بواسطة حوافر من الخشب؛ لتمنع عيون الفضوليين من رؤية من بداخلها، كما توجد حنيات أو دخلات صغيرة ؛ لحفظ الأحذية ، ويعلو هذه الردهة (شخشيخة)؛ لإضاءة هذا المكان إضاءة خفيفة إذ أنَّ المستحمات كن يتواجدن فيه وهنّ في أزر من البشاكير أو الفوط ، ويلي هذه الردهة أجزاء الحمام الرئيسية وهي بيت أول وهو عبارة عن قاعة صغيرة مربعة تقريبا أعدت لتنزع فيها النساء ملابسهن ، تمتاز غرفة بيت أول هذه بالدفء وسميت كذلك لأنها أولى الغرف الدافئة، وعندما تخلع المستحمة ثيابها كانت تضع على جسدها إزاراً يصل إلى ركبتين وبعدها تنتقل إلي الغرفة الرئيسية من غرف الحمام المسماة ببيت حرارة، وهو عبارة عن قاعة تعلوها قبة مبلطة بالفسيفساء وتحتوي على أربعة أواوين بكل واحد يوجد حوض حجرٍ وبه أيضاً خلوتان وطهر وبيت نورة وفي بيت الحرارة هذا تقوم البلانة بأداء عملها من تدليك جسد المستحمة بقشور الرمان لتصبح خشنة ويخرج الوسخ وغسله بالماء الساخن الذي يوجد بالمغطس وبعد ذلك تقوم بتجفيف جسدها بالمناشف والفوط ثم تبدأ في إزالة الشعر من بعض المواضع إذ لزم مستخدمة النورة وهي عبارة عن خليط من الجير والزرنيخ وتتلخص طريقة إعدادها إلقاء على كل عشرة أوزان من الجير الأبيض ووزن واحد من الزرنيخ الخالص([2]). وكثيراً ما شدد المحتسب على البلانة مراعاة دقة هذه الأوزان حتى لا تفسد النورة وتحدثنا قصص ألف ليلة و ليلة أن البلانة كانت تستخدم عجينة من السكر والليمون لإزالة الشعر بدلاً من النورة ([3]) وهو ما تستخدمه نسائنا في هذا العصر. وإلي

[1] – عاشور، المجتمع المصري، ص 95– 96.

[2] – ابن بسام ، نهاية الرتبة، ص 71– 72.

[3] – القلماوي، قصص ألف ليلة وليلة، ج3، ص 435.

الحمام ولا تتجه المرأة إلى الحمام إلا محجبة، فتكشف عورتها للبلانة " والنساء في هذا المقام أشد تهالكاً من الرجال! " ([1]).

وعقب انتهاء البلانة من عملها كانت المستحمة تنتقل مرة ثانية إلى غرفة بيت أول حيث تقضي هناك بعض الوقت تحت أيدي الماشطة التي كانت تنحصر مهمتها في تزيين الوجه والرأس بكافة الطرق والوسائل حتى تبدو المرأة عند مغادرتها للحمام في أجمل زينة وأكمل هيئة ما استصحبته معها من الثياب الفاخرة والحلي والجواهر حتى يراها غيرها فتقع المفاخرة والمباهاة ([2]) لذلك لا عجب أن هاجم الفقيه المغربي ابن الحاج معاصريه من العلماء لتركهم نسائهم يدخلن الحمامات باديات العورات وهن يجتمعن في الحمامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات فيكشف بعضهن على عورات البعض([3])، وهذه العبارة تؤدي بنا إلي موقف الإسلام من دخول المرأة الحمام يروي الفقيه تقي الدين ابن تيمية أحد كبار مفكري عصر سلاطين المماليك أن الرسول قد حرم على النساء الدخول إلي الحمامات إلا لضرورة قصوى حين قال : " ومن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر من إناث أمتي فلا تدخل الحمام إلا مريضة أو نفساء " ([4])الأمر الذي أدى إلى نفور أغلب فقهاء هذا العصر من الحمام فالسيوطي يبيحه للرجال بشروط، يقول أنَّه مكروه للنساء إلا في حالات خاصة ([5])، وابن الحاج ينصح معاصريه من الفقهاء بعدم السماح لنسائهم بدخول الحمام: " لما اشتمل عليه في هذا الزمان من مفاسد والعوائد الرديئة " ([6]) فقد صورت لنا قصص ألف ليلة وليلة أهمية الحمامات لدى النساء فقد كانت النساء تجتمع فيه للعناية بزينتهن وليلهون وليتحادثن عن أخبارهن وحياتهن المنزلية وليرين الغريب وليتصلن به، لذلك لا عجب إذ أكثر أدباء عصر المماليك وشعراؤه من وصف الحبيب في الحمام ([7])، كذلك تصور هذه القصص المراحل المختلفة التي كانت تمر بها المرأة في الحمام حتى تخرج في النهاية في أبهى زينة وأجمل صورة فتشير كيف

---

[1]- ابن الحاج، المدخل ، ج2، ص 172. ابن الأخوة، معالم القربة، ج1، ص 202. لأنَّ كشف العورة حرام وقد لعن رسول الله صلي الله عليه وسلم " لعن الناظر والمنظور إليه " . المزي، تحفة الأشراف، ج13، ص 323، رقم الحديث، 19177"

[2] – ابن الحاج ، المدخل، ج2، ص 173.

[3]- المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[4] - ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، ج15، ص 379. الفتاوى الكبرى، ج1، ص 302. ابن الأخوة، معالم القربة، ج1، ص 197.

[5] – عبد الرازق، أحمد، المرأة، ص 151. نقلاً عن السيوطي، منتقي الينبوع ، ص 35.

[6]- ابن الحاج ،المدخل، ج2، ص 172، ص 173.

[7] – ابن دانيال، طيف الخيال، ص 118.

كانت تعطر الرأس بعد الاستحمام بالمسك، وكيف تزين الحواجب والعيون بالكحل، وما إلى ذلك من تبخير الكعوب بالبخور المخلوط بالعنبر والمسك فضلاً عن تخضيب الأيدي بالحناء ([1]) .

ــ نستنتج مما سبق: أن دراســة الحمام ــ بما هو منشــأة وفضاء في ذلك العصر لم تكن أماكن لنظافة البدن، فحسب بل كانت مراكز التجميل للرجال والنساء ، من شأنها أن تــفتح أمام الباحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي آفاقاً جديدة من آفاق البحث، خاصة في مواضيع لها صلة وثيقة بهذا الفضاء كالبحث في أصول بعض المواد التجميلية الطبيعية والاصطناعيَّة التي كانت رائجة بداخله (ملوخية ــ سدر ــ آلة الحمام)؛ وكذا بعض الصناعات كصناعة الصابون، والعطور، والنسيج (المآزر) إلى غير ذلك... الأمر الذي قد يعطي فكرة عن مدى ما وصلت إليه بلاد الشام من رقي في مجال التطور العلمي والحضاري؛ إن الاهتمام بمثل هذه المنشآت الاجتماعية وما يرتبط بها من تقاليد وعادات تعتبر قاسماً مشتركاً بين بلاد الشام وبلدان عربية أخرى، لينهض دليلاً على وجود وحدة ثقافية تشمل مختلف الأقطار العربية.

علمًا بأنَّ المرأة العربية لم تهملِ العنايةَ بنفسها وجسدها؛ نظرًا لما عُرِف في ذلك العصر من أنواع الزِّينة المختلفة، من طلاء الأظافر، والوشم الذي اعتادتْ كثيرٌ من النِّساء أن يُزَيِّنَّ به أجزاءً مختلفة من أجسامهنَّ، وهذه الظاهرة واضحة بصِفة خاصة لدى المرأة المسيحية، التي كانتْ تخرج إلى الكنيسة في أبْهى زينتها، ولعلَّ هذا ما دَفَع كثيرًا من رجال الدين المسيحيِّين إلى محاربة ذلك عن طريق عَقْد المجامع الدينية؛ لإثارة هذه المشكلة ([2]) .

ثالثاً: الحِرَف النسائية :

في البلاط الفاطمي شغلت المرأة الكثير من الوظائف الرئيسية في القصر فعملت في منصب زين الخزان وهو لقب شرفي يمنح للسيدة التي تشرف على خزانة الكسوة الباطنة، فتنظم الملابس الخاصة بالخليفة ويعمل تحت إمرتها ثلاثون جارية ([3]).

---

[1]– وتلك الظاهرة جذبت أنظار الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في عصر المماليك مثل : الرحَّالة اليهودي موشلام بن مناحم الفولتيري الذي كتب يقول : " أنَّ نساء مصر اعتدْنَ تخضيب أياديهن بألوان ثابتة قلما استطاع الماء إزالتها قبل مضي ستة أشهر وذلك على الرغم من اغتسالهن اليومي في الحمامات العامة" Adler: Jewish Travelers , p168 . نقلاً عن عبد الرازق، أحمد، المرأة، ص 151.

[2] – أمين، فوزي محمد، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول، ص 313– 314. علي، محمد كرد ، خطط الشام، دمشق 1936، ج6، ص 307 .

[3] – المقريزي، الخطط، ج1، ص 433. البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية، ص 143.

كذلك شغلت وظيفة مقدمة المائدة في القصر الملكي، وتولت وظيفة مقدمة خزانة الشراب تحفظ أنواع الشراب التي تقدم للسلطان والأواني المصنوعة من الذهب والفضة والبلور، وهناك القهرمانة وهي المسئولة عن إدارة شئون السلطان اليومية وشئون سيدات القصر([1]).

. وينبغي أن نُشيرَ إلى بعض الحِرَف النسائيَّة التي جاء ذكْرُها في الوثائق إلى جانب الحِرَف الأخرى المعروفة مِن قديم الزمان، والتي ما زِلْنا نسمع عن بعضها حتى وقتنا، إلاَّ أنَّه يجب الإشارة إلى أنَّ الوثائق والمصادر التاريخية ألْقت بعض الأضواء الجديدة على بعض الحِرَف، مِن هذه الحِرَف: حرفة "الغاسلة" أو "المغسلة"، وهي التي تقوم عادة بتغسيل الموتى مِن النساء، وإعداد الأكفان لهنَّ، وقد كانتْ تخضع في عملها هذا لإشراف المحتسِب، وغالبًا ما تأخذ منه تصريحًا لمزاولة مِهْنتها هذه، ومِن الطريف أنَّها كانت تقوم بمهمَّة الطبيب الشرعي في عصْرنا، وبخاصَّة إذا كان هناك ما يُستراب منه في أن تكون المتوفاة قد قُتِلت؛ لذا كان عليها في الحالات العادية أن تُدليَ بشهادتها أمام المحتسِب بأنَّ المتوفاة لم يكن بها أثرٌ مِن ضرْب ولا جرح، ولا كسر ولا غيره، وأنها ماتتْ بقضاء الله وقَدَرِه ([2]) وإذا كانتِ المتوفاة ماتتْ مقتولةً فإنَّ الغاسلة كانت تخبر المحتسِب الذي يُبلغ بدوره قاضيَ المدينة لاتِّخاذ الإجراءات اللازمة مِن تحقيقات وخلافه، وإصدار القرارات اللازمة لمعاقبة المتسبِّبين حسبما يتبيَّن له من خلال التحقيقات التي يُجريها.

ومِن الحِرَف المتعلِّقة بالموتى كذلك: حِرْفة "النائحة" أو "الندَّابة"، فكثيرًا ما كانتِ النساء يُظهرنَ الحزن في حالات الوفيات، ويتمُّ استخدام النائحات في المآتِم، وهنَّ اللائي يضربن بالطارات مع نَوْح النِّساء طوالَ أيَّامِ العزاء ([3]).

ومِن حِرَف النساء المتعلِّقة بالزواج: حِرْفة "الخاطِبة"، وظهرت مهنة الخاطبة لأول مرة في العصر المملوكي فإن الخاطبة كانت تعرف كل حرة ومليحة وقبيحة وكان لها دَور كبير في إتمام مهمَّة الخطوبة، باعتبار أنها كان يُتاح لها دخولُ البيوت والاطِّلاع على أسرار الحريم، فتستطيع بذلك أن تأتيَ للعريس بالتي تتَّفق مع رغباته ومطالبه، نظيرَ مبلغ من المال يدفعه لها([4])، وكانتْ مهمَّة "الخاطبة" أن تقومَ بمشاهدة العَروس، ثم تعود وتَصِف للعريس

---

[1]– قهرم جمعه قَهْرمانِه هو كالخازِن والوكيل والحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجُل بلُغَة الفُرس المقريزي، الخطط، ج2، ص 22.

[2]– العسلي، كامل جميل، وثائق مقدسية، ج1، ص125 .

[3]– ابن إياس، بدائع الزهور، ص: 730.

[4] –عاشور، المجتمع المصري، ص119. القساطلي، نعمان، الروضة الغناء ، ص، 327.علي، القدس، ص، 268.

ولأهله جمالَ العروس وعقلها، وحتى إذا كان بها عيْبٌ أخفتْه؛ إمعاناً في إتمام الزواج، في مقابل ما يُتحِفها به أهلُها من هدايا وخلافه ([1]).

كما كانتْ حِرَفة "الماشطة"، أو "البلانة" من الحِرَف التي اشتغلتْ بها النساء في ذلك العصر؛ لكثرة الحمَّامات العامَّة، وفي الحمَّام اعتادتْ أن تجتمع النِّساء والصديقات فيتناقلنَ أخبارَ الناس، والاستمتاع بالحمام([2])، وفي تلك الحمَّامات قامت "الماشطة" بإزالة الشَّعْر من جَسَد النِّساء، وربما قامتْ بعمل الوشْم على جسد الراغبات من النِّساء، بالإضافة إلى عمليات التدليك "المساج"، وغسْل أجسام المتردِّدات بالماء الساخن الذي يوجد عادةً بالمغطس، وربَّما قامتْ بتكحيل العروس وتمشيطها وتحفيفها، ثم إلْباسها أفخرَ الثياب المطرَّزة ([3])كما مر معنا سابقاً.

ومن الحِرَف التي أقبلتْ عليها النساء في ذلك العصر – وما زلنا نسمع عنها في عصرنا الحديث حِرْفة "الدلالة"، وعمل "الدلالة" هو تزويد النِّساء بما تحتاجه الواحدة منهنَّ مِن أقمشة وملابس، وأغطية للرأس وخلافه، وتعير النساء الفقيرات للملابس والحلي ([4]).

وهناك المرأة السارقة الخناقة ، فالشواهد كثيرة في المصادر التاريخية تدلل على أكثر من واقعة تحدثوا فيها عن الخناقة التي كانت تغرر بالنساء، وأحياناً بالرجال تأخذهم إلى بيت معين بعد اتفاقها مع أحد الرجال فيقوم بقتل الضحية بعد سرقة كل ما عليهما من حلي وملابس، ومن ذلك ما أورده أبو شامة في حوادث سنة 661ه / 1263م " سُمر([5]) شاب ذكر أنه كان يرسل زوجته فتدخل في بيوت الناس، فتحسن للمرأة الخروج معها لابسة أفخر ثيابها وحليها وتسوقها بأن تقول : ها هنا عرس أو وليمة أو شيء من هذا الباب وتقول : وقد اجتمعت فيه جماعة من النساء المحتشمات ولا تتركي من الزينة شيئا؛ ليحصل لك التجمل بينهن، فتفعل تلك المرأة المغرورة أقصى ما تقدر عليه وتخرج معها ، فتجيء بها إلي بيت زوجها فتأخذ جميع ما عليها ثم تخنقها، وترميها في بئر في داره وقد فعل ذلك بجماعة من النساء ثم هتكه

---

[1] –ابن منقذ، الاعتبار، ص 71.

[2] –عاشور، المجتمع، ص 107.

[3]– حمدي، معدات التجميل، ص 45.

[4] – صالحية، من وثائق الحرم القدسي، ص 85.

[5] – التسمير ، عقوبة السرقة المقترنة بالقتل، وطريقتها أن يُعَرَّي المحكوم عليه من الثياب ثم يربط إلى خشبتين على شكل صليب، ويطرح على ظهر جمل، وربما طيف بالمحكوم عليه في شوارع القاهرة، وهو على هذه الحال ، وقد يترك هكذا إلى أن يموت، المقريزي، السلوك، ج1، ص 323.

الله فأخذ هو امرأته وضربا فاعترفا، فأما المرأة فخنقت وجعلت في جوال وعلق الجولق تحت الخشب الذي سمر عليها الزوج " ([1]) .

فقد أورد المقريزي حادثة مماثلة وقد وقعت في أيام المنصور قلاوون أن امرأة كانت تستميل النساء وترغبهن حتى تمضي بهن إلى موضع توهمهنَّ أن به من يعاشرهن بفاحشة، فإذا صارت المرأة إليها قبضها رجال قد أعدتهم، وقتلوها وأخذوا ثيابها، فاشتهر بالقاهرة خبرها، وعرفت بالخناقة؛ فما زال بها الأمير علم الدين سنجر الخياط والي القاهرة حتى قبض عليها، و سمرها([2]).

ووقع أيضاً في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أن امرأة بأرض الطبالة كانت عند طائفة البزادرية تفعل ذلك بالنساء، فقبض عليها، وسمروا وسمرت معهم؛ فكانت تقول – وهي مسمرة يطاف بها على الجمال في القاهرة – إذا رأت النساء وهن يتفرجن عليها : " آه يا قحاب، لو عشت لكن لأفنيتكن، ولكن ما عشت "([3]) .

هذه هي بعض الحِرَف التي ورد ذِكرُها في المصادر التي تخصَّصتْ فيها النِّساء في ذلك العصر، إضافةً إلى "المجبراتية"، أي: طبيبة العِظام حاليًّا، و"القابلة" أو "الداية"، وهي مِن الحِرَف التي لا تزال حتى أيامنا هذه، و"الخيَّاطة" و"الواعظة"، و"الشيخة" و"المحدِّثة" أو "المسنِدة"، أي: المشتغلة بعِلم الحديث النبوي الشريف.

ومِن المرجَّح كذلك وجود "ضاربة الرمل والودع" على غِرار ما كان موجودًا عندَ الرِّجال للاهتمام بمعرِفة الطالِع ([4])، وغيرها من الحِرَف التي لا يمكن مِنَ النساء أن يستغنيَ عنها طوالَ ذلك العصر، وما تلاه من عصور حتى عصرِنا الحديث.

المرأة والإنتاج:

قامتِ المرأة العربية بدَوْر مهمٍّ وفعَّال في إنتاج كلِّ ما يلزمها، ويلزم بيتها، مِن أنواع المفروشات التي تُستخدم في المنازل، مثل: البسط التي تنسج من الصُّوف، والسجَّاد والوسائد والمفارش، سواء الجلدية منها، أو المصنوعة من بعض الأقمشة ([5]) وكذلك بعض المقاعِد من القطن أو "الجوخ"، وألوانها على الأغلب زرقاء، وقد تُضيف إليها قطعًا من الجِلْد، أو تبطنها ببطانة زرقاء، وكذلك بعض "الطراريح"، التي كانت تفرش على الأرْض الزرقاء

[1] – أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 338. العيني، عقد الجمان، ج1، ص 95.

[2] – المقريزي، السلوك، ج2، ص 162.

[3] – المصدر نفسه ، نفس الجزء والصفحات.

[4]- ابن الحاج، المدخل، ج2، ص 211. عاشور، المجتمع المصري، ص266.

[5]- غوانمة، يوسف، التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوك، ص 139. السيد، محمود، تاريخ عرب الشام، ص 194.

والبيضاء والحمراء، إضافةً إلى "المساند" لراحة الناس عندَ الجلوس أو عندَ النَّوْم، وكان القماش المستعمل يختلف بحسب الحالة الاجتماعيَّة، فقد يكون قماشها مِن الحرير، أو القماش العادي، وتُحْشَى بالقطن، أو تحشَى بورق الموز، أو اللباد الأبيض، أمَّا ألوانها فكانتْ زرقاءَ أو بيضاء بكِيس أحمر أو زيتي، وأحيانًا تطرز بالحرير الأحمر أو الأبيض([1]) وتقوم بغَزْل الصوف والقطن والكتّان، واستخدمتْ بعض الأنوال في نسج بعض قِطع من القماش لصناعة أغطية الرأس النسائيَّة مِن "طرح" ومناديل وغيرها، وكذلك بعض أغطية الرأس الرجاليَّة وكانت تقوم بحِياكة الملابس الخاصَّة بها، وبأفراد أسرتها بنفسها أو تذهب إلى غيرها من النِّساء "الخياطات"؛ لتخيطَ لها نظيرَ أجْر يحصلن عليه،([2]) أضِف إلى ذلك الكثير من أشغال الإبرة والتطريز، وتزيين الملابس النسائية بوجه خاص، سواء أكان منها الملابس الداخليَّة "التحتانية"، أم الملابس الخارجية "الفوقانية"، والتي جاء ذِكْرها بشكل متنوِّع ومتعدِّد في المصادر التاريخية وعدد من الوثائق المقدسيَّة بوجه خاص، فتقوم بزخرفتها بالخرز و"الترتر"، والقصب وغيرها([3]).

كذلك كانتْ تُصنع اللحف ولا تزال تصنعها، كانتْ تستخدم كدِثار عندَ النوم، وتُحشَى بالصوف؛ لتستخدمَ شتاءً، وبالقطن؛ لتستخدمَ صيفًا، وتقوم بتركيب ملاءة على ظهر اللحاف؛ لتقيَه الأوساخ، وتجعله أقدرَ على منع البرد ([4])هذا بالإضافة إلى بعضِ الركينات "جمع ركينة"، التي يكون القصد منها تزيينَ مكان الجلوس، أو وضعها في رُكْن البيت؛ لتضفيَ جمالاً على المنظر؛ لذا فهي إمَّا أن تكون مطرزة بحرير أزرق أو أحمر، أو حاشية مزركشة([5]).

كذلك قامتِ المرأةُ في ذلك العصْر بصناعة كثيرٍ من السلاسل، وبعض الأوعية المنزليَّة من سَعَف النخيل، وهي مِن الصناعات القديمة، وإلى الآن ما تزال تقوم بها كثيرٌ من نساء القرى وبيعها في أسواق المدينة المختلفة، وبخاصَّة في المناطِق التي تكثر بها المزارات السياحيَّة، وبخاصَّة المسيحيَّة في ذلك العصْر حيث يَفِد أعدادٌ كبيرةٌ من أبناء الغَرْب الأوربي لزيارتها أو الحج إليها، وشراء هذه المنتجات على سبيل التبرُّك بها، ومنها ما كان يُستخدم محليًّا في منازل القدس مثل : مراوح القش والأوعية المصنوعة من الخُوص التي استخدمتْ

---

[1]- محمد عيسى صالحي، من وثائق الحرم القدسي، ص 33 - 34.

[2] - فقد ذكر ابن بطوطة في أثناء وجوده في دمشق بأن العالمة عائشة بنت محمد بن المسلم الحرانية بأنها كانت تتكسب بالخياطة . ابن بطوطة، الرحلة،ج1، ص 55.

[3]- المرجع السابق، نفسه، ص 35. علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص198.

[4] -ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص253.

[5]-صالحية، وثائق بيت المقدس، ص 35.

في كثيرٍ من الأغراض المنزليَّة([1]) ومِن الصناعات التي قامتْ فيها النِّساءُ بدَور واضح في ذلك العصر: صناعة الصابون، حيث كانتْ تقوم النِّساء بعصْر الزَّيْت من الزيتون وغيره في المعاصِر المختلفة، بينما يُحضر لهنَّ الرجالُ مادةَ البوتاس "الصودا الكاوية"؛ ليقمنَ بصناعة أنواع مختلفة من الصابون للاستهلاك المنزلي غالبًا، وربما اشتغلتْ بعضُ النساء في كثيرٍ من مصانع الصابون التي عُرِفت باسم "المصابن"، التي أَنْتجتْ مقاديرَ كبيرةً للاستهلاك المحلي في تلك الفترة([2]).

وفي عصْرٍ لم يكنِ الناس يعرفون ما نعرِف اليوم مِن عمليات حِفْظ الأطعمة بالوسائل المتطوِّرة والحديثة، واستخدام الأجهزة المختلِفة لذلك، أو التقدُّم الهائل في وسائل المواصلات، الذي سهَّل تبادل كثير من السِّلع الغذائية، وتوافرها في غير مواسِم زراعتها، قامتِ المرأة بدور كبير، وجَهْد ملموس في حِفْظ بعض الخُضَر والفاكهة، مثل: البامية، والملوخية، والتين، واللوز، والمشمش، والعنب وغيرها، عن طريق تجفيفها في مواسمِ كثرتها، والاحتفاظ بها؛ لاستخدامها في فصْل ينعدم الإنتاج، وكذلك حِفْظ الطماطم بصُنْعها على شكل معجون "صلصة" في أوانٍ كبيرة، مع المِلْح والزَّيْت حتى يتيسَّرَ استخدامها في وقتِ ندرتها، أو ارتفاع أسعارها، وفي بلاد الشام ، حيث الشتاء الطويل، قامتِ النساء – ولا تزال – بحفظ اللحوم في مقاديرَ كبيرةٍ من الدُّهن الحيواني في آنية ضخْمة؛ لاستخدامها شيئًا فشيئًا، كلَّما دعتِ الحاجة لذلك([3]).

كذلك قامتْ بصناعة أقراص "الكشك" وتجفيفها؛ لاستخدامها عندما تدعو الحاجة، وصناعة بعضِ أنواع من "الشعرية" يدويًّا، بل وتشير بعض المصادر اللاتينية إلى أنَّ النساء في كثير من قرى بلاد الشام قد شاركنَ في إنتاج السُّكَّر، باستخراجه من قصَب السكر، فيقمنَ بتقطيع عِيدانه، وإدخالها إلى المعاصِر، حتى يتمَّ عصرها، ثم القيام بغَلْي هذا العصير لتركيزه، ثم صبه في قوالبَ من الخُوص، وتركه حتى يجف؛ ليخرجَ في أشكال مختلفة، على هيئة مربَّعات كبيرة، أو قوالب أو أقماع، وكذلك إنتاج الجبن والزُّبد والقِشدة، وربما ساعدنَ في صناعة بعضِ الأرائك من جريد النخل، والتي كانتْ تُستخدم للنوْم أو للجلوس عليها، وبعض الحبال والأجولة من الخيش([4]) كما قامتِ المرأة بتربية الطيور الداجنة، وتوفيرها للاستهلاك المحلِّي، سواء لأسرتها أو لسكَّان المدينة الآخَرين، عن طريق بيْعها في أسواق المدينة المختلفة المستديمة والأسبوعيَّة.

[1]- علي، القدس ، ص199.

[2] -علي، القدس، ص199.

[3] علي، السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص 198.

[4] المرجع نفسه.

كذلك كان مِن أوّل واجبات المرأة التي تقوم بها في الصَّباح، أن تأخذَ كميةً من الحبوب التي لديها في المنزل، وربَّما نادتْ على إحدى جاراتها، وتطلب منها أن تساعدَها في طَحْن تلك الحبوب بالرحاة، ثم تقوم بعجن الطحين وخبزه في "الفرن"، التي غالبًا ما تكون في المنزل، وبينما تَنشغلُ الأمُّ بعملية الخبز في الفرن، فإنَّ البنات عادةً ما يقمن بجلْب الماء اللازم للشرب، زيادةً على قيامها بإعداد الطعام بألوانه المختلفة، والذي لا بدَّ وأن يختلف مِن أُسرة لأخرى باختلاف المستوى الاجتماعي والاقتصادي لها، إلى جانبِ دَورها في تربية الأطفال ورعايتهم، وإعداد ما يَلزمهم مِن كسوة وخياطة ملابس وإصلاحها، كلَّما احتاجتْ لذلك([1]) .

وكما شاركتِ المرأةُ في الإنتاج، فقد شاركتْ أيضًا في تصريف الكثيرِ مِن المنتجات في ذلك العصْر، وبخاصَّة نِساء القُرى، فقد شاركتْ في جمْع المحاصيل الزِّراعية، وكان عليها أن تحمل الكثيرَ من الخُضر والفاكهة والبَيْض لبيعها في أسواق المدينة المختلفة، كما كان عليها أن تقطفَ الفاكهة، وتقوم ببيعها لِمَن يمرُّون على قريتها، كذلك تحمل الحطَبَ لبيعه في المدينة([2]) .

وقد ذكر الذهبي في ترجمة للشيخ اليونيني انتقاده لسياسة الملك العادل عن أخذ الضرائب من النساء في الأسواق ، بقوله : تبيع المرأة أوقية وتأخذ منها قراطيس([3])، وتشير بعضُ كتب الرحَّالة الأجانب الذين زاروا القُدس في ذلك العصر إلى أنَّ المرأة الشامية كانت تمارس عملياتِ البيع والشراء في أسواق المدينة بحريَّة تامَّة([4]).

رابعاً: صور من العادات والتقاليد الاجتماعية:

تختلف العادات والتقاليد من مكان لآخر حسب تنوع البلدان([5])، ولكنا وجدنا أنَّ هناك بعض العادات والتقاليد ما هو مشترك في مصر والشام مثل عاداتهم في الاحتفالات بأعيادهم ومناسباتهم المختلفة ذات الطابع الديني والاجتماعي، فالأعياد الدينية مثل: عيد الفطر وعيد الأضحى والمناسبات الدينية الأخرى كالمولد النبوي وشهر رمضان وعاشوراء، لم يكن هناك اختلافاً كبيراً في الاحتفالات التي تقام في بلاد الشام ومصر؛ من خلال مشاركة المرأة فيها، وكذلك الاحتفالات التي تتسم بالطابع الاجتماعي، منها ما يتصل بالأسرة، مثل : الزواج،

---

[1]– علي، القدس، ص274.

[2] – Lees, Robinson: Village Life in Palestine ,pp. 92- 157. عاشور،المجتمع المصري، ص 157.

[3] – الذهبي، سير أعلام، ج22، ص 101.

[4]– Francesco Souriano: Treatise on the Holy Land. pp. 203 - 204.

[5] – الشارتري، تاريخ الحملة، ص 228. الدويكات، إقطاعية طبرية، ص 306.

والإنجاب، والختان، والمآتم والأحزان... وما إلى ذلك ؛ فهناك تشابه كبير بينهما وذلك راجع لاتصالهما سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً .

حفلات الزواج : وهي من المناسبات الاجتماعية السعيدة التي يحتفل بها المسلمون في جميع أنحاء الولايات الإسلامية، فعند الطبقات الشعبية كانت امرأة معروفة "بالخطابة " لها دور كبير في إنهاء مهمة الخطوبة، إذ كانت تتظاهر ببيع العطور والبخور، وغيره من اللوازم التي تحتاجها النساء، وبذلك يتاح لها دخول البيوت، والاطلاع على أسرار الحريم([1]) في الأوقات المختلفة ([2])، وهي – في ذلك – تُوَحِّد جهودها مع عائلة الرجل الذي ينوي الزواج، والراجح أن الفتاة تُؤهل للزواج في سن الخامسة عشر إلي الخامسة والعشرين، وربما كان بتكليف الفتاة بتقديم الشراب والحلوى للزائرين طريقة معروفة للاطلاع على مواصفتها الجمالية ومهاراتها البيتية، وأحياناً يتم التعرف إلى حقيقة مواصفات الفتاة الجسمية والجمالية بمرافقتها إلى حمام النساء ([3])؛ للتأكد من خلو جسمها من العيوب. وفي ذلك يقول محمد كرد علي: "... ومتى أصبح الأمر تقريباً واقعاً، يذهبن (الخاطبات) إلى الحمام معاً ويرين جسمها عارية وشعرها ويشممن آذانها (كذا) وفمها وتحت إبطها ورائحة عرقها وثيابها. وينقلن ذلك إلى الخاطب وعميد الأسرة مع وصف شكلها وجمال وجهها وطولها وغير ذلك"([4]).

وتلك الخطوات يقطعها الرجل بمساعدة أهله ومعارفه، حين يقوم على خطبة الفتاة، لكي تتحقق القناعة في اختيارها، ومن جهة أخرى؛ يسعي أهل الفتاة المخطوبة لمعرفة أخلاقية الخاطب، من خلال الاستفسار عن سلوكه وأصالته، وقدرته المالية، ومنزلته الاجتماعية، من منطقته وبين معارفه ([5])، وما إن حصلت القناعة عند الفتاة أيضاً، حتى تتم عملية الخطوبة بشكل رسمي، بوصول أهل الفتي إلى دار الفتاة المخطوبة للاتفاق على مستلزمات الزواج وتكاليفه ونفقاته، من المهر وغيره، فإذا ما اتفق الطرفان على هذه الأمور تقرأ سورة الفاتحة إيذاناً وبموافقة الطرفين على الموضوع([6]) وحتى يتعرف الآخرون إلى ما وصل إليه الطرفان، أهل الزوج وأهل الزوجة الموافقة بزواج ولديهما ، يتم إعلان الأمر بالجامع ،

---

[1]– عاشور، بحوث في التاريخ الإسلامي، ص 223 .

[2]– شيرو، محمد شخا، الأخلاق والعادات، ج6، ص 284. رمضان، المجتمع، ص 269. السامرائي، فراس ، العادات، ص 183.

[3]– رمضان، المجتمع، ص .269

[4] علي، محمد كرد، خطط الشام، ج6، ص 277 . عاشور، المجتمع الإسلامي، ص 221.

[5] – شيرو، محمد شخا، الأخلاق والعادات، ج6، ص 284.

[6]– رمضان، المجتمع، ص 269 . السامرائي، التقاليد والعادات، ص 183.

وحيث يتم القران في الجامع أو في مسجد المدينة، وبعد عقد القران ينتقل الجميع إلى منزل العروس ثم يستعد الطرفان لاستقبال ليلة الزفاف التي يتقدمها ليالٍ يسمونها (التعاليل) مناسبة لاجتماع الموسيقيين والمطربين ، ويتم توزيع الحلوى والشراب على المدعوين([1])، ويقع على عاتق أسرة العروس أن تجهز أثاث منزل الزوجية ويشمل أوانٍ من نحاس([2]) الذي ينقل في موكب بهيج تصحبه الموسيقي ويتقدمه الراقصون بالسيوف والعصي، وتكون المرأة قد خرجت للحمام وقد تزينت بزينتها، ولونت يديها وقدميها بالحناء؛ حيث تعرف بليلة النقش. ويتم إحياء هذه الليلة أيضاً بالموسيقي والغناء([3]).

وقبل الزفاف، كان الحلبيون يحتفلون احتفالاً كبيراً بدخول العريس إلى الحمام صبيحة ليلة الدخول على عروسه، وفي صبيحة تلك الليلة يضيف محمد كرد علي ــ" يدخل الزوج الحمام ومعه الجم الغفير من الخلان والإخوان، وبعد خروجه منه، يتوجه إلى منزله يتهادى بين شابين من رفاقه، ومع أنغام من الموسيقي، وعلى ضوء المصابيح الضخمة ، يتقدم المنشدون الموكب حتى منزل العروس التي يأخذ زوجها يدها، ويدخلان غرفتهم، و يعمل له أصدقاؤه الولائم على عدة أيام، وهي المسماة بالصباحيات ([4]) .

وفي الخامس عشر من تاريخ الزواج، يقيم الزوج وليمة لأهل الزوجة، تحتوي على أنواع مختلفة من الأطعمة تسمي عزيمة الخامس عشر([5]) كانت هذه الصور التي ذكرناها تتعلق بحفلات الزواج ومقدماته يتصل بالطبقة العامة، فإن لطبقة الحكام والأمراء مراسيمهم الخاصة، في هذا المعني، تبدو فيها المناسبة أكثر أبهة ورونقا وأسلوبا بما يتناسب مقامهم الاجتماعي، ففي سنة 590هــ / 1193م، خطب الملك العزيز ابنة عمه الملك العادل، وحضر ذلك قاضي القضاة محي الدين بن زكي الدين ([6])وجميع عدوله([7]) وكتب عماد الدين الكاتب

---

[1] -رمضان، المجتمع، ص 249- 251.

[2] – ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص 38.

[3] – رمضان، المجتمع، ص 251، 252. نقلاً عن مخطوط مخدرات القصور، ورقة 63.

[4] – علي ، محمد كرد، المرجع السابق، ص. 284. عاشور، المرجع السابق، ص. 221.

[5] – شيرو، محمد شخا، الأخلاق والعادات، ج6، ص291. رمضان، المجتمع، ص 251.

[6] – هو قاضي القضاة مُحي الدين أبو المعالي، محمد بن القاضي زكي الدين علي بن محمد، فكان صلاح الدين هو الذي اختاره ليلقي خطبة الجمعة في المسجد الأقصى بعد استعادته من الفرنجة عام 583هــ 1187م، وتوفي سنة 589هــ 1194م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 364، ص 371. ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص 181.

[7] - أرسل الملك العزيز القاضي المرتضي بن القاضي الجليس عبد العزيز السعدي وكيلاً عنه في حين وكل الملك العادل القاضي أبا حامد بن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون في تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز . ابن واصل، مفرج الكروب ، ج3 ، ص 34.

خطبة العقد، والتي تعد مثالاً طريفاً لخطبة العقد في العهد الأيوبي وجاء فيها " (الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا، فجعله نسباً وصهرا، وشرع النكاح، ووصفه صلة للأرحام، وبراً وشّ به أوزاراً، ورفع به قدراً، وأطلع بسناء سنته في العالم فجراً وأجرى به أجراً، نحمده على أنعمه التي تجلت العيون مجتليها بيضاً غراً وأياديه التي ملأت الأيدي حوافل غررا، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة نتخذها يوم القيامة ذخراً، وبعدها يوم الفزع الأكبر جنة وسترا، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً، وأسماهم وأسناهم في الدنيا والآخرة، الذي بعثه إلي الخلق كافة عرباً وعجماً، وبدواً وحضراً، وبين لهم مناهج الهدي إيجاباً وإباحة وندباً وحظرا، فقال صلي الله عليه وسلم (تناكحوا تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة) وكفى بالنكاح في تحقيق مباهاته فخرا، صلي الله عليه وسلم، على آله وصلاة يجمع لهم شرف الدنيا والآخرة وكان من قضاء الله وقدرة النكاح المسطور في هذا الكتاب، الذي فاح في مناشق الأولياء نشرا، ولاح في في المشارق الآلاء يسرا، وجمع في سماء المعالي للأيام والليالي شمساً وبدراً، وأمر بأحكام عهدة الدين أمراً وسيراً بإبرام عقده للدولة سراً، قرنه الله بالميامين والبركات التي تتأيد دهراً، وتتخلد عصراً) ([1])

ثم قرأ كتاب الصداق وعقد العقد، بحضور الملك الظاهر صاحب حلب، كما تكرر مثل هذا عند خطوبة الملك الظاهر من ابن عمه، إذ جرت مراسيم فاخرة ابتداءً من دخول القاضي بهاء الدين ابن شداد، مبعوث الملك الظاهر إلى عمه الملك العادل، ومعه ثياب كثيرة، كخلع لأرباب الدولة وغيرها، وكان الصداق خمسين ألف دينار، فضلاً عما نثره الناثرون على الشهود والقراء، وجَهَّز الملك العادل ابنته بجهاز خاص وصفه ابن واصل بقوله : " وقدم معها من القماش، والآلات وأنواع المصاغ، ما يحمله خمسون بغلاً وثلاثمائة من الجواري والوصائف([2])والإماء والحرائر ... ما تحمله مائة جمل ([3]) وذهبت الخاتون إلى دارها، فاستقبلها الملك الظاهر(ومشى لها عدة خطوات واحترمها احتراماً كبيراً، وقدم لها خمسة عقود وجوهر، قيمتها خمسون ألف درهم وعصابة مجوهرة ليس لها نضير، وعشر قلائد من العنبر المذهب، وخمساً غير مذهبة...([4])

---

[1] - ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 34- 35.

[2] – كان في خدمة ضيفة خاتون مائة جارية، كلهن مطربات يلعبن بأنواع الملاهي بمائة جارية كلهن يعملن أنواع الصنائع البديعة. ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 214.

[3] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 214. والمعني نفسه عند الداوداري، كنز الدرر، ج7، ص 178.

[4] – ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 214. ابن الداوادري، كنز الدرر، ج7، 178- 179.

ولادة الطفل : يحتفل أهل الشام ومصر بولادة الطفل الجديد بأساليب مختلفة تتناسب ومقدرتهم المالية، ومنزلتهم الاجتماعية، وتبدأ بعد ولادته مباشرة فإن كان غلاماً صلت أسرته على نبينا محمد صلي الله عليه وسلم، وإن كانت بنتاً ترضت على السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، فيبدأ الاهتمام بأم المولود، حيث يقدم لها الحلوى المصنوعة بالجوز ليكثر لبنها، كم يقتصر شرابها على ماء الحمام فيه أصول البنفسج لمدة أسبوع، كما يرسل لها الأقارب والأصدقاء فوائد كثيرة تشمل على الحلويات مثل : الزلابية وأباريج السكر([1]).

في اليوم السابع، يقيم أهل المولود وليمة كبيرة حافلة بأنواع الحلوى ؛ قوامها الدبس والشمرة([2]).

وقد يحضر تلك الوليمة فتيات يغنين ويرقصن للنساء ومطربون للرجال، ومن عادة تلك الولائم أن يصطحب كل مدعو هدية يقدمها للأبوين؛ بعضها مأكول وبعضها الآخر ملبوس، ثالثة عبارة عن مسكوكات ذهبية تعلق في قلنسوة الطفل تسمي (تهناية)([3]) وتلبس أم المولود الملابس الجديدة، ويُطاف بها بأنحاء الدّار في موكب كبير تحيط بها الشموع من كل جانب([4]) والقابلة تحمل المولود، أمامها امرأة تحمل طبقاً فيه شيء من مخلوط الملح، وشيء من الحبوب، تنثره يميناً ويساراً هذا كله عدا احتراق البخور؛ اتقاء لحسد الناس([5]).

وفي اليوم السابع أيضاً يتم ختان الطفل في بعض الأحيان، ولكن بعض الناس كانوا يؤجلون الختان على سن الخامسة تقريبا، ويدعى إلى الحفل الأصدقاء والأقارب الذين تمَد لهم مائدة خاصة، ويقدم المدعوون نقوطهم من السمن والأرز والطيور والغلال والأغنام حسب مقدرة المدعوين، ومكانة الطفل في المجتمع، ومن واجب أهل الطفل رد الهدايا في المناسبات المماثلة([6])

وبعد أربعين يوماً من الولادة؛ تؤخذ النفساء إلى حمام النساء؛ حيث ينفرد لها الحمام في بعض الأحيان، وعند دخولها يُدهن جسمها بالمرنوش والخزامي المغربية، وتجلس نحو ساعة، وبعدها تُغسّل وتخرج([7]) ويتخلل ذلك تناول وجبة الغذاء، والذي يعرف بغداء الأربعين، وهذا

[1]- الغزي، نهر الذهب ، ج1، ص 244.

[2]- هو المقلي من الطعام، رمضان، المجتمع، ص 253.

[3] - رمضان، المجتمع، ص 253.

[4]- ابن الحاج المدخل، ج3، ص 291.

[5]- عاشور، بحوث في تاريخ الإسلام، ص 225.

[6] - رمضان، المجتمع، ص 250.

[7] - كيال، الحمامات الدمشقية، ص 26.

يختلف باختلاف مكانة الأسرة وإمكانيتها المادية، ولكنْ – بصورة عامة – تشمل على بعض أنواع الطعام من زيتون وجزر وليمون وبرتقال ([1]) ، وعند بلوغ الطفل الخامسة من العمر، يرسل إلى الشيخ أو المدرسة([2]).

المآتم والأحزان :

تتمثل أحزان أهل الشام ومصر في حالات عدة، منها الوفاة ومسبباتها من الظروف الصحية، والكوارث الطبيعية، والمشاكل السياسية، والحروب والمنازعات التي طغت على سمة ذلك العصر، فكان للمرأة دور كبير في المآتم والأحزان، إذا مات فرد أقام أهله العزاء عليه أياماً، وحزنوا سنة كاملة لا تختضب فيها النساء بالحناء ولا يلبسن الثياب الحسان، ولا يتحلين ولا يدخلن للحمام، حتى ولو حدث لاضطرار إلى دخوله ، فإذا انقضت السنة، بادروا إلى فعل الأشياء السابقة وسموا ذلك (فك الحزن) ويجتمعون للاحتفال بذلك " حتى كأنه فرح متجدد ، فكثيرًا ما كانتِ النساء يُظهرنَ الحزن في حالات الوفيات، ويتمُّ استخدام النائحات أو النداهات في المآتِم، وهنَّ اللائي يضربن بالطارات مع نَوْح النِّساء طوالَ أيَّامِ العزاء، وهي عادةٌ كانت منتشرةً في كل الشَّرْق العربي في ذلك الوقت ([3])وهو نوْعٌ مِن التعبير عن الحُزْن على الميِّت، كما جَرَتْ عادتهنَّ بترديد بعضِ المقاطع الحزينة، وإثارة مشاعرِ ونفوس النِّسوة من أهل الميِّت والمعزيَّات، للبكاء أو النحيب أو الصراخ، ولطْم الخدود، أو تقطيع الشَّعْر، أو ينثرنَ على رؤوسهنَّ الحنَّاء، ويشددنَ في أوساطهنَّ المآزر، ويخدشنَ خدودهنَّ، ويسودِّنَ وجوههنَّ بسخام القُدور، وعندَ خروج النَّعْش من الدار يضربنَ باب الدار بإناء خزفي، على اعتقاد أنَّ هذا العمل يمنع من أن يلحقَ بالميت غيرُه مِن أهله، وعادة كسر الأواني الفخارية عَقِب خروج جنازة المتوفى، تقليدٌ يوناني قديم، أدخله الصليبيُّون إلى بلاد الشام كما يلطمن على وجوههن وقد لطخن أذرعهن بالسخام،([4]) وفي اللحظة التي يخرج نفس الميت لتشييع جنازته، جرت العادة أن يصيح الرجال والنساء معاً صيحة عظيمة عالية يعتبرونها وداعاً للميت ويصحبها غالباً لطم الخدود ([5]) فإذا ما تحركت الجنازة أحاط المشيعون بالنعش وهم يبكون ويصيحون ومنهم من يقطع ثيابه، ويتبعهم عدد كبير من النسوة وينوحون وينعون في الأسواق والشوارع ([6]) ولم تكن التقاليد والعادات تسمح باصطحاب النساء في مراسيم الدفن،

---

[1] –الغزي، نهر الذهب، ج1، ص 244.

[2]– رمضان، أحمد ، المجتمع ، ص 209.

[3]– ابن إياس، بدائع الزهور، ص: 730.

[4]– رمضان، المجتمع الإسلامي، ص 254.

[5]- ابن الحاج ، المدخل، ج3، ص 246.

[6]– ابن حجر،أنباء الغمر، ج2، ص 249.

بل عليهن البقاء بالدار والتآسي بما يقرأ بالمناسبة من قبل (القارئة) (الملاية) وروي أنه في الفترات اللاحقة منعت النسوة من البكاء والعويل على الميت، لما روي عن السلف الصالح أنه غير مستحب([1]) .

وفي تلك المناسبات الاجتماعيَّة مِن ولادة، وزواج، ووفاة، قامتِ المرأة بدور كبير في إعداد الأطعمة المناسِبة التي تقدِّم للمدعوين والمعزِّين، وتشير بعضُ المراجع على سبيل المثال إلى أنَّ المرأة المسيحيَّة كانت تقوم بسلق القمح، ووضعه في أطباق مع الزبيب والحلوى، ويتمُّ حمْلُه إلى الكنيسة، فيصلي الكاهن عليه في القدَّاس في يوم الأربعين في الوفاة، وتُسمَّى "النياحة"، ويفرَّق على الناس فيترحَّمون على الميت([2]).

كما جرتِ العادة أن تُعدَّ نساء الجيران الطعامَ لعددٍ من الأيام لأسرة مَن يُتوفَّى مِن جيرانهن، بل جرتِ العادة أن تُقام الولائم لإطعام المعزِّين على نفقة الجيران، بحيث يُرسلون الطعامَ لإطعام جماعةٍ منهم وهكذا ([3]) .

الخروج إلى المنتزهات والتسلية :

ومن عادة الناس في ذلك الزمان الخروج إلى المنتزهات العامة في مصر ودمشق، قال تعالى : { وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا}([4])، ولهذا نجدهم لم ينسوا نصيبهم من الدنيا وأن حياة الجهاد والعبادة لم تحل بينهم وبين الاستمتاع بجمال البساتين والمنتزهات، فقد وصف المقريزي أهل مصر بأن من أخلاقهم " الانهماك في الشهوات والإمعان في الملاذ، وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة "([5]).

وقد تعددت وسائل التسلية والترويح عن النفس في مصر ودمشق في العصر الأيوبي و المملوكي وكثيراً ما خرجت النساء إلى المنتزهات و البرك وشاطئ النيل والقرافة ([6]) وغيرها من أماكن اللهو والفرجة، فكانت تخرج مع أسرتها وصويحباتها للتمتع

---

[1]– ابن الحاج ، المدخل، ج2، ص 221.

[2] – لحود، أديب ، العادات والأخلاق اللبنانية، ص، 110 . علي السيد علي، القدس، ص، 148.

[3]– . أديب لحود، أديب، نفسه، ص،104. علي، السيد علي، نفسه، ص 149.

[4]– سورة القصص، آية 77.

[5] – المقريزي، المواعظ، ج1، ص 50.

[6] -قرافة الفسطاط، وهي في شرقيها بها منازل الأعيان بالفسطاط والقاهرة، وقبور عليها مبان معتنى بها، وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التي فيها قبر الإمام الشافعيّ رضي الله عنه، وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للفقراء، ومدرسة كبيرة للشافعية، ولا تكاد تخلو من طرب، ولا سيما في الليالي المقمرة، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص 212.

بمناظر الطبيعة الخلابة، حيث ينكشف ستر الحياء ويختلط النساء بالرجال([1])، وعادة الدمشقيين التفرج في أيام السبت ويبطلون عن أشغالهم بالمدينة، وينقطعون في بساتينهم([2])، ووجدت في بلاد الشام ومصر العديد من المنتزهات، ومنها في دمشق الميدان الأخضر، ومنتزه الجبهة وكان مقصدهم إليه التمتع بالمناظر الخلابة، التي وصفت بأنها أرض مربعة على مساحة فدانين، عليها سقائف بين شجر الصفصاف والجوز، وهي مفروشة بحصير تحيط بها جداول الماء من أربع جهات من البرك والبحيرات والنوافر، وهي على جنب نهر البردي وبها النواعير والحوانيت للطباخين([3]) في حين ؛ تخصص منتزه الربوة([4]) الواقع على سفح جبل قاسيون بممارسة اللهو المباح كالحلق والشعوذة وخيال الظل([5]) وغيرها ([6]) .

كما اشتهرت مصر بمنتزهاتها وحدائقها، فقد اشتهرت جزيرة الروضة بأنها غدت منذ عهد الظاهر بيبرس" فرجاً ومنتزهات"([7]) فقد وصفها ابن بطوطة بأنها "مكان للنزهة والتفرج" ([8])

كذلك كانت صفحة نهر النيل من الأماكن التي يخرج إليها المصريون للنزهة والترويح عن النفس، وكانت القوارب تمر على مياه النهر وبها المغنون والمغنيات " ... فإحداهن تضرب بالطار وأخرى بالشبابة، ومعهن من يصوت بالمزمار مع رفع أصواتهن بالغناء...." ([9])ويتفرج عليهم سكان البيوت المطلة على النيل، كما كانت جزائر نهر النيل محطًّا لتجمعات أفراد المصريين ولهوهم وطربهم([10]).

والواقع أن الناس في عصر المماليك اهتموا اهتماماً بالغاً باستغلال النيل والتنعم بمناظره وهوائه فزرعوا على شواطئه الحدائق الغناء الغنية بأشجارها - ولاسيما أيام الفيضان صيفاً-

---

[1] – ابن الحاج، المدخل، ج1، ص 272- 275، ج2، ص 331. عبد الرازق، المرأة ، ص 47.

[2] أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 74.

[3] – البدري، نزهة الأنام، ص 77- 78.

[4] – توجد على سطح جبل دمشق، وتتوسط البساتين والجبال التي تحيط جهاتها الأربعة، وقد أثر ذلك على مناخها الجميل، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 191. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 181.

[5]– وهو جزء من التمثيل الشعبي يتزامن فيه الضوء والصورة، وفيه مواعظ وحكم عن ذلك انظر : ابن دانيال، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، ص 19. الملحق رقم (3)

[6]- وكذلك توجد المنبع، وهي منطقة جميلة اشتهرت بجمالها وبهجتها، البدري، نزهة الأنام، ص 76- 77.

[7] للمزيد حول منتزهات مصر في العهد المملوكي انظر : المقريزي، المواعظ، ج2، ص 222. ابن الحاج : المدخل ، ج1، ص 246.

[8]- ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص 70.

[9] –ابن الحاج، المدخل، ج1، ص 375.

[10]– قاسم، أثر الحروب الصليبية،ج1، ص 207.

واتجه بعضهم إلى استئجار القوارب والسفن واستصحاب المغاني وجوقات العوالم معهم ([1])، واعتاد أن يزدحم المتنزهون من الرجال والنساء ويتبعهم عدد عظيم من الباعة فيختلط الناس في غير كلفة أو حجاب([2]).

كذلك اعتادت نساء مصر الخروج إلى المقابر والقرافات في الليالي المقمرة وليالي المواسم والأعياد وليالي الجمع من كل أسبوع ومعهن الريحان والزهور كالياسمين وغيره ([3]) بيد أن القرافة كانت من الأماكن ذات الوظيفة الاجتماعية التي تظهر فيها عادات المصريين وروحهم، على الرغم من أنها تشمل العديد من المقابر إلا أنها اعتبرت مكاناً للهو والترويح عن النفس وهناك يدعون الأهل والأصدقاء ويقيمون الولائم ومعهم أولادهم ونساؤهم فيكثر الغناء والرقص ويحدث الفساد باختلاط الرجال بالنساء([4]) .

حتى وصفها المقريزي بأنها: "معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر منتزهاتهم" ([5]) وفيها يقول:

إن القرافَةَ قد حوت ضدينِ ... من دنيا وأخرى فهي نــِعمَ المنزلُ
يغشى الخليعُ بها السماعَ مواصلاً ... ويطوفُ حولَ قبورها المتبتلُ
كــــــم ليلة بتنا بها ونديمنا ... لحن يكـــــادُ يذوب منه الجندلُ
والبدرُ قد مـــلا البسيطةَ نورُهُ ... فكأنما قد فاضَ منهُ جدولُ
وبـــدا يضاحِكُ أوجهاً حاكَيَنَهُ ... لما تكامَلَ وجهُهُ الميت

---

[1] - ابن الحاج، المدخل، ج1، ص 246.

[2] - ابن الحاج، المدخل، ج1، ص 272. ابن إياس، بدائع الزهور، ص 115، عاشور، المجتمع، ص 116.

[3] - المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص 212.

[4] - ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص 74. ابن الحاج : المدخل، ص 267- 270.

[5] - المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص 212.

مظاهر تأثر المرأة الفرنجية بالحياة الاجتماعية في الشرق .

ولم تكن مدة الحروب الصليبية تحمل صفات عدوان الدول الأوربية على الدولة العربية الإسلامية، بل كان هناك نوع من التعايش السلمي ين المسلمين والصليبيين وقد فتح عن هذا [1]القدر من التعايش بالضرورة تأثيرات شرقية على حياة الفرنجة المقيمين رجالاً ونساءً لمدة قرنين من الزمان([2])، وخلال هذه المدة الطويلة تأثرت النساء الصليبيات بما ساد المجتمع الشرقي من عادات وتقاليد([3])، خاصة وأن التأثير الحضاري يفرض نفسه، حيث يتأثر من هو أقل حضارة بمن هو أعلى وأرقي منه وكما يقول ابن خلدون : " الرعية مقتدون به لاعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم "([4])، كما أكدت معظم المصادر الإسلامية للحركة الصليبية عدم تمتع الفرنجة برقي حضاري([5])، وخير دليل على ذلك ما ذكرته المؤرخة اليونانية المعاصرة آنا كومنين Anna Comnena وصفتهم بالوحشية والبربرية([6])، وكما تحدث ابن منقذ ليس فيهم الفضيلة سوي الشجاعة ، وكما سبق وأن ذكرنا في الفصل الثاني عن قدوم النساء الصليبيات منذ الحملة الصليبية الأولي مصاحبة أزواجهن ليساهمن في تلك الحروب([7])، فاستمر وجودهن أكثر من قرنين نتج عن ذلك احتكاك المرأة الفر نجية بالمرأة المسلمة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ويحدثنا ابن جبير عن التعايش بين الفريقين فيقول : " و من أعجب ما يحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم" ([8])، وكذلك عند مروره من دمشق إلى عكا قوله : " وطريقنا كله ضياع متصلة، وعمائر منظمة، سكانها كلها مسلمون، وهم مع الفرنج على حال ترفيه" ([9]) .

ومعني ذلك أن قرى بلاد الشام، التي استولى عليها الصليبيون، ظل بها المسلمون رجالاً ونساءً، وفي نفس الوقت أقام الصليبيون لأنفسهم داخل تلك القرى حصوناً وقصوراً، فشاهدن

---

[1]- ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 392.

[2] –الربيعي، أثر الشرق الإسلامي، ص 22.

[3] – عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص482.

[4] –ابن خلدون، المقدمة، ص 147.

[5]– ابن العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 347.

[6] – Anna Comena: The Alexi ad ,pp. 249- 250.

[7]– ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص 392.

[8]– ابن جبير، الرحلة، ج1، ص 109.

[9] – ابن جبير، المصدر نفسه، ج1، ص 115.

النساء العربيات عن قرب في تلك القرى، فاحتككن بمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية التي عاشتها المرأة العربية([1]).

ومن مظاهر الاحتكاك بين نساء الفرنجة والمسلمات عند وقوع العديد منهن في أسر المسلمين وحملهن إلى بلاد المسلمين كما حدث في الحملة الصليبية الثانية ([2])، وكذلك في وقعة عكا عام 585هـ / 1189م ([3]) وتشير المصادر إلى حدوث تزاوج بين المسلمين وبين الأسيرات الصليبيات كما جاء في قصة الصعيدي والإفرنجية وكذلك عن الفرنجية التي أُسِرت وتزوجها سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر، وأنجبت له ولي عهده ([4])، وكذلك أرملة الأمير الصليبي الفونسو صاحب طليطلة، المعروف في المصادر الإسلامية باسم" الفنش"، التي أسرتها جيوش نور الدين محمود وصهره ومعين الدين آنر، ومعها ولدها عام 543هـ / 1148م ([5])، وأرسلوها أسيرة إلى حلب حيث قضت بها بعض الوقت([6])، واستمررن مقيمات في وسط الجو العربي الإسلامي، بكل عاداته وتقاليده فترات طويلة حيث شاهدن مختلف أنماط الحياة الاجتماعية التي عاشتها المرأة العربية، وقد عايشنها نتيجة الاحتكاك المباشر .

ولا شك في أن النساء الصليبيات قد تأثرن بما ساد في المجتمع العربي الشرقي من عادات وتقاليد، وخاصة أن الحضارة الإسلامية كانت أرقى من مثيلاتها في أوروبا، ومن الملاحظ أن أهم ما تركته الحضارة الإسلامية من أثر اجتماعي على المرأة الصليبية، هو ما كان سائداً بالشرق من احترام المرأة وتقديم العون لها([7])، وهو الأمر الذي افتقده الصليبيون، فكل الدلائل تشير إلى أن الصليبين الأوائل لم تكن لديهم أدني فكرة عن احترام المرأة، ويشهد المؤرخون الغرب بذلك حيث يذكر غوستاف لوبون: " أخذ الغرب عن المسلمين أخلاق

---

[1] – غانم، أمال حامد، التأثيرات، ص 329.

[2] – ابن اتلقلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 402. ابن جبير، الرحلة، ج1، ص114.

[3] –ابن العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188.

[4] –ابن منقذ، الاعتبار، ص 130.

[5] –ولدها هو الأمير برتراند كونت تولوز وهو ابن غير شرعي للكونت الفونسو صاحب طليطلة، وكان يطالب بحقه في حكم طرابلس حيث إن جده ريموند الرابع الصنجيلي واضع أساس إمارة طرابلس، انظر : ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 131. رينسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 426. وتذكر بعض المصادر أنها استمرت أسيرة في حلب اثنتي عشر عاماً. انظر رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 463.

[6] –ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 466، 467. ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 132.

[7] –لوبون، حضارة العرب، ص 403.

الفروسية واحترام المرأة، إذن فليست المسيحية كما يظن بعض الناس في العرب هي التي أنصفت المرأة بل الإسلام " ([1]) .

تبين لنا ذلك من خلال ما قام به صلاح الدين عندما استرد بيت المقدس عام 583هـ / 1187م، من معاملته لنساء الفرنجة كلها تفيض رحمة وعطفاً، وهو انعكاس للفروسية العربية([2])، نتيجة احتكاك الصليبيين بالمجتمع العربي الشرقي ببلاد الشام، أخذت نفوسهم تتهذب شيئاً فشيئاً، وأخذوا في محاكاة العرب في عاداتهم وتقاليدهم، ومما يؤكد تأثر الصليبيين وخاصة النساء بما ساد الشرق العربي من عادات وتقاليد اجتماعية تلك العبارة التي ذكرها المؤرخ فوشيه شارتر Foucher de Charters ، وهو الذي رافق الحملة الصليبية منذ خروجها من فرنسا ، وحتى وصولها إلى بيت المقدس([3])، وذلك إلا أنه لم يستطع أن ينكر حقيقة تأثر الصليبيين بما ساد المجتمع الشرقي الشامي من عادات وتقاليد، فيقول : " إننا نحن الغربيين قد أصبحنا الآن شرقيين، فالذي كان رومانياً أ فرنجياً قد صار في هذه الأرض من أهل الجليل أو فلسطين" ويشير فوشيه في موضع آخر من كتابه إلى حدوث اختلاط اجتماعي، وتزاوج بين الصليبيين الذين وفدوا من غرب أوربا من نساء شرقيات، سواء كن مسيحيات سوريات، أو مسلمات تحولن إلى المسيحية تحت ضغط الصليبيين([4])، فيقول : " وتزوج البعض من غير جنسهم من السوريات والأرمينيات، أو حتى من المسلمات اللائي اعتنقن المسيحية "([5])، مما نتج عنه جيل من المولدين عرفوا باسم الأفراخ، وقد ذكر جوانفيل بأن فلاحي الشام يقال لهم المولدون، وجاء في الهامش في تعريف المولد Poulains بأنه طفل نتاج زواج صليبي من مسيحية سورية([6])، وقد غلبت على هذا الجيل طبائع وعادات الشرق، فتملكتهم الغيرة والشك على نسائهم حتى أن منهم من فرض على نسائهم أن يرتدين الخمار على ما سيأتي ذكره .

---

[1] –المرجع نفسه، ص 328.

[2] – راجع حادثة مساعدة صلاح الدين للمرأة الصليبية التي فقدت طفلها، انظر : ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 32- 33.

[3] –شارتر، تاريخ الحملة، ص 23- 37.

[4] – يذكر فوشيه شارتر أن بلدوين الأول قام بمهاجمة كثير من القري الإسلامية المحيطة ببيت المقدس وأجبر أهلها على اعتناق المسيحية، انظر : الرحلة إلى بيت المقدس، ص 162. كما يشير المؤرخ المجهول إلى قيام الصليبيين بإجبار فلاحي القرى إلى اعتناق النصرانية، أما أولئك الذين آثروا الإيمان بالمسيح فقد خلوا سبيلهم وأبقوا على حياتهم . انظر : مجهول، أعمال الفرنجة، ص99.

[5] – شارتر، تاريخ الحملة، ص 280- 281. زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص 335.

[6] – جوانفيل ، مذكرات، ص 195- 196.

والجدير بالذكر أن المرأة الفرنجية (الصليبية) تأثرت بملابس المرأة المسلمة، حيث قامت بمحاكاة المرأة العربية في ارتداء قميص طويل وسترة قصيرة أو رداء بكمين، كلها موشاة بالحرائر وخيوط الذهب، واحياناً بالجواهر([1])، والمعروف أن التطريز كان من أهم سمات الزي الشرقي، سواء كان منه للرجال أو النساء، لدرجة أنه أقيم في بلاد الشرق الإسلامي ديوان للطراز([2]). فاهتمت بشراء الملابسة الشرقية الثمينة التي تضفي الفخامة والأبهة عليها، فلبست الملابس الشرقية الفضفاضة واسعة الأكمام زاهية الألوان ([3]) مثل الصوف والحرير ويروي جوانفيل، في مذكراته، أنه اشترى مجموعة من العباءات الشرقية على مختلف ألوانها، وأرسل أربعاً منها إلى الملكة مارجريت زوجة الملك لويس التاسع، ففرحت بها الملكة فرحاً كبيراً([4]).

وفي الشتاء كنّ يرتدين الفراء([5])، فإذا خرجن من الدور اتخذن الحجاب شأن المسلمات لا على سبيل الوقار ، بل لوقاية المساحيق التي تغطي وجهها ([6]) ورغبة منهن في محاكاة المسلمات الأرقى حضارة([7])، ومما يذكر، فإن نساء طبقة البولاني قد تحجبن، مثلهن في ذلك مثل النساء العربيات([8])، مما يدل على تأثر المرأة الصليبية بالحياة الاجتماعية للمرأة العربية([9])

وفي نفس الوقت يذكر يوشع براور: أن أبناء الطبقة الدنيا من الصليبيين فرضوا على زوجاتهم ارتداء الحجاب وذلك تشبهاً بما كان عليه حال النساء المسلمات([10])، وذلك حتي لا

---

[1] –الصوري، الأعمال المنجزة، ج2، ص 509.

[2] - عن ديوان الطراز انظر: ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص 330- 331.

– والطراز كلمة فارسية تعني الأردية المحلاة بأشرطة من الكتابة، ثم أصبحت تطلق على المصنع الذي تطرز فيه الملابس، وكانت الدور المعدة لذلك تسمي دار الطراز، وكان القائم على النظر على تلك الدار يسمي صاحب الطراز، وأقيم له ديوان أطلق عليه ديوان الطراز انظر : القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص 60.

[3] –رينسمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 509.الشامي، أحمد، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص 206 شلبى، أجمد، موسوعة الحضارة الإسلامي، ص 75. النقاش، العلاقات، ص 147.

[4] – جوانفيل، مذكرات جوانفيل، ص 261، ص 262.

[5] - رينسمان، المرجع نفسه، ج2، ص 509.

[6] – المرجع نفسه، ج2، ص 509.عاشور، المجتمع الإسلامي، ص 240.

[7] – أنتهاوزن، ريتشارد، فن التصوير عند العرب، ص 44. عاشور، المجتمع الإسلامي، ص 240.

[8] – الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص 81.الجندي، المجتمع الصليبي، ص 112- 113.

[9] – على، محمد كرد، خطط الشام، ج1، ص 81. غانم، آمال، التأثيرات، ص 338.

[10] –-براور، الاستيطان الصليبي، ص 620.

تكشف المرأة الصليبية عن زينتها وجمالها أمام الرجال، مما يدل على اتخاذهم الحجاب لأسباب قريبة من تلك التي نصت عليها الشريعة الإسلامية، ومن ضرورة اتخاذ النساء للحجاب حتي لا تظهر جمالها أمام الرجال([1])، وهذا عكس ما ذكره المؤرخ رنسيمان أنهن اتخذن الحجاب " لا من قبيل الاحتشام، بل لوقاية الطلاء الذي غطي وجوههن" ([2]).

كما عرفن التحلي والتزيين والتخضيب والتعطر([3]) فضلاً عن تلوين أصابعهن بالحناء و تحدثهن بالعربية بكل طلاقة([4])، مما يذكر أن النساء الصليبيات تشبهن بالنساء الشرقيات، فتأنقن في سيرهن، مما جعلهنّ يبدونّ رقيقات وادعات([5])، فانتهجت زوجات التجار حذو السيدات الأرستقراطيات في أحوال كثيرة، بل تفوقن عليهن في وفرة الملابس وارتفاع ثمنها، فأورد لنا المؤرخون أخبار باشيا دي رفييري زوجة أحد التجار في نابلس، والتي بلغ من سحرها وحسنها وزينتها التي فاقت الأميرات([6])، فوقع في غرامها البطريك هرقل، وكان يظن الناظر إليها بأنها كونتيسة أو إحدى البارونات، لما ارتدته من ملابس حريرية، وما اتخذته من جواهر نفيسة([7]) .

وكذلك ما شاهده ابن جبير في أثناء زيارته لمدينة صور سنة 581ه/ 1184م، فترك لنا صورة حية لحياة المرأة الفرنجية، وما توصلت إلي اقتباسه من وسائل التجميل ومظاهر الترف في الملبس، فقال : " ومن مشاهدة زخارف الدنيا المحدث بها زفاف عروس(...) وهي في أبهي زي وأفخر لباس تسحب أذيال الحرير سحباً على الهيئة المعهودة في لباسهم، وعلى رأسها عصابة قد حفت بشبكة ذهب منسوجة... وورائها أكفاؤها ونظراؤها من النصرانيات يتهادين في أنفس الملابس، ويرفلن ([8]) في أرفل الحلي " ([9]).

وعلى هذا النحو انغمست المرأة الفرنجية في التشبه بزي المرأة العربية، حيث ارتدت الأقمشة الحريرية الغالية الثمن، ذات الفخامة والأبهة، تلك التي عرفت عند النساء الشرقيات،

---

[1] -« وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ » سورة النور أية : رقم 31. غانم، آمال حامد، التأثيرات، ص 338.

[2]- رينسمان، تاريخ الخروب الصليبية، ج2، ص 509.

[3]– زيات، النساء الإفرنجيات، ص 5.

[4] – أنتهاوزن، ريتشارد، فن التصوير عند العرب، ص 104. . السامرائي ، التقاليد والعادات، ص 143.

[5]– رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 509–

[6]– المرجع نفسه، ج2، ص 509– 510.

[7] – المرجع نفسه، و. نفس الجزء والصفحات.

[8] - يرفلن : الرفل هو جر الذيل جراً حسناً إذا مشت وركضه بالرِّجل ابن منظور، لسان العرب، ج.11، ص 191. الزبيدي ، تاج العروس، ج29، ص 91.

[9]– ابن جبير، الرحلة، ص 237.

وقد سبقت الإشارة إلى وصف ابن جبير إلى زي العروس الفرنجية ، ومعظمه مأخوذ من زي النساء الشرقيات([1]).

ويبدو أن ما نعمت به المرأة الفرنجية في بلاد الشام من حياة رغدة لم تتعودها، ولم تعرفها في موطنها الأصلي في أوروبا، قد دفعها إلى الإسراف الممقوت في التزين والمغالاة في التبرج ، غير مراعية أصول العادات الشرقية في هذا المجتمع، فأخرجها هذا التبرج عن حياة كريمة شريفة، وأبعدها عن دائرة العفة والفضيلة ([2]).

كما وصف ابن القيسراني ملابس الراهبات والقديسات في كنيسة إنطاكية، وقد ارتدين المدارع ([3])، ووضعن في أوساطهن الزنانير يقول:

كمْ بالكنائس من مبتّلةٍ	مثل المهاة يزينها الخَفَرُ
مِن كلّ ساجدةٍ لصورتها	لو أُلصِقتْ سجدتْ لها الصُّوَرُ
قِدّيسةٌ في حبْل عاتقِها	طولٌ ، وفي زُنّارها قِصَرُ
غرس الحياءُ بصحن وجنتِها	ورداً سقى أغصانَه النَّظرُ
وحكتْ مدارعها غدائرها	فأراك ضعفيْ ليْلةِ قَمَرُ ([4])

فقد وصف ابن شداد لباس المرأة المحاربة، فذكر أنها كانت تلبس ملوطة خضراء؛ أي عباءة([5]).

ومن الشعراء الذين دخلوا تلك البلاد ابن القيسرانيّ ؛ فقد ذكر العماد الأصفهانيّ نقلاً عن الفقيه عبد الوهّاب الدمشقيّ أنّ هذا الشاعر دخل سنة 540هـ / 1146م، بلد أنطاكية لحاجة عرضت له ،" فنظم مقطّعات يشبّب فيها بإفرنجيات" ([6]).

ومهما يكن من أمر ، فإنّ الأشعار التي قالها ابن القيسرانيّ في البلاد المحتلّة ، فقد نقل فيها صوراً من حياتهم في مجالس لهوهم وأعيادهم وكنائسهم وأديرتهم([7])، ولو تتبعنا الطريق التي سلكها الشّاعر لأمكننا أن نقول إن أولى ثغريّاته تلك التي قالها وقد اجتاز بلدة (عزاز) من

[1] - المصدر نفسه، ج1ن ص 237.

[2] – الشامي، أحمد، العلاقات بين الشرق والغرب، ص 206.

[3] المدرع: الدراعة وهي ثوب قصير من صوف وجبة مشقوقة المقدم، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص967. مصطفي، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص 280.

[4] – ابن القيسراني، ديوان شعره ، 215.

[5] – ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 167.

[6] – ابن العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج1، ص324.

[7] – الرقب، شفيق، صور من الحياة الاجتماعية للفرنجة، ص335- 350.

ضواحي حلب، ويظهر منذ البداية انبهار الشّاعر بالنّساء الصليبيّات فيصف حسن وجوههن ، وجمال عيونهن ، واعتدال قاماتهن ، ودقة خصورهن ، وطريقة تسريحهن لشعورهن يقول:

أين عزّي من روحتي بعزاز وجوازي على الظّباء الجوازي

واليعافير سَاحبات المغافيـــــرَّ كالرّبرب المجتازِ

بعيونٍ كالمرهفات المواضي وقدودٍ مثل القنا الهزّازِ

ونحورٍ تقلّدت بثغورٍ ريقها ذَوُبُ سكّر الأهوازِ

ووجوهٍ لها نبوّةُ حسنٍ غير أنّ الإعجاز في الأعجازِ

وسبتني لهاً ذوائبُ شعرٍ عقَدتها تاجاً على أبرواز (1)

وكذلك رسم صورة فنيّة بديعة لهؤلاء النّسوة وقد بَدَوْن من نوافذ دورهن سافرات الوجوه ، وذلك إذ يقول: (2)

واحربا في الثغور من بلدٍ يضحكُ حسناً كأنَّه ثَغَرُ

به قصورٌ كأنّها بيعٌ ناطقةٌ من خلالها الصّورُ

هالاتُ طاقاتهنّ آهلةٌ يَبْسِمُ عن كلّ هالةٍ قمرُ

سوافرٌ كلّما شَعَرن بنا برقعهُنّ الحياءُ والخفرُ

من كلّ وجهٍ كأنَّ صورتَه بدرٌ، ولكنّ ليله شَعَرُ

وقد تبين لنا أن الصليبين تأثروا تأثراً واضحاً بحياة الشاميين الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم (3)، وكان من بين ما راقهم كثيراً من نعم الحياة بعد استقرارهم بالشام الحمامات العامة؛ فأقبلوا عليها أيما إقبال، وقصدوها في أوقات فراغهم يقضون فيها الساعات طلباً للراحة، فضلاً عن الغاية الأولى منها وهي النظافة(4)، وقد أعجبت بها المرأة الإفرنجية بالحمامات التي انتشرت ببلاد الشام بشكل عام، وأخذن في التردد عليها، لدرجة أن نساء طبقة البولاني اعتدن زيارة الحمامات ثلاث مرات في الأسبوع(5)، وعلى الرغم من التضييق الشديد الذي قام به الرجل البولاني على زوجته ومنعها من الخروج خارج المنزل(6)، ويظهر

1 – ابن القيسراني ، ديوان شعره، ج1، ص 167. ابن العماد، خريدة القصر، ج1، ص 342.

2 –ابن القيسراني، شعره، ج1، ص 132.

3– حتي، فليب، تاريخ العرب، ص 733.

4 – النقاش، زكي، العلاقات الاجتماعية والثقافية، ص 150.

5 - Miller: The Latin in the Levant, p.524.

6 – براور ، عالم الصليبيين، ص 113.

أن البعض قد غالى في التردد عليها بدليل موقف جاك دو فيتري (Jacques De Vitry) الذي احتج كثيراً على الراهبات لخروجهن من الأديرة، مخالفات بذلك أنظمة حياتهن ليذهبن إلى الحمامات العامة، وحضورهن مع عامة الناس أيضاً([1])، عارض رجال الدين دخول الحمامات معارضة شديدة لاعتقادهم أن تجريد الجسد من الثياب مدعاة للفجور، وعندهم أن النظافة الروحية هي الأصل، ولا أهمية لنظافة الجسد ... وأن القذارة مظهر من مظاهر العفاف([2])، ولم يكن الإعجاب بهذه المنشأة مقتصراً على العنصر النسوي، بل شمل الرجال أيضاً. وما أكثر ما يسرد علينا أسامة بن منقذ من أخبار الحمامات وكثرة اختباراته مع الصليبيين فيها والملاحظ أن هؤلاء كثيراً ما كانوا يختلطون فيها مع المسلمين (معرة النعمان) ([3]).

وكذلك هو شأن المسلمين، إذ يذكر أسامة بن منقذ، في معرض كلامه عن انعدام الغيرة الجنسية عند الفرنجة، دخوله إلى حمام بصور وكانت تحت السيطرة الصليبية، وما جرى له مع أحدهم وكان قد أخذ ابنته الصبية معه إلى الحمام؛ وذكر أيضاً أنهم كانوا لا يرون غضاضة في غشيان الحمام هم وزوجاتهم، وأنهم كانوا ينكرون شد المئزر على الوسط في الحمام، الأمر الذي كان يثير في بعض الأحيان مشادة، أو يبعث على النكتة الرائعة والفكاهة اللطيفة([4])، كما أنهم لم يكونوا يزيلوا شعر العانة، لذلك استغرب أحدهم من مسلم أزال شعر عانته، فطلب إلى الحلاق أن يزيل له شعر عانته، وأحضر زوجته عند الحلاق كي يزيل لها شعر عانتها وبعد أن أنهى عمله شكره ، ووهب له حق خدمته!! وهذا أيضاً يشير لنا على عدم النخوة والغيرة عندهم([5]).

يتضح مما سبق أن الصليبيين تأثروا بسكان البلاد الأصليين بالنسبة لعادة الذهاب إلى الحمام والاستحمام في الحمامات العامة، ولكنهم اختلفوا عن المسلمين في أنهم سمحوا لزوجاتهم بالاستحمام مع الرجال، كما إنَّهم استغربوا من وضع المئزر على الوسط من أجل ستر العورة، وأصروا على الاستحمام عراة. ولعلَّ هذا الأمر يشير إلى الفرق الشاسع بين القيم الأخلاقية للمجتمع الإسلامي والقيم الأخلاقية للمجتمع الأوروبي. فالقيم الأخلاقية الاجتماعية ترتبط ارتباطاً قوياً بالعامل الديني، بينما الأمر يختلف بالنسبة للمجتمعات الأوربية في العصر الوسيط.

---

[1] - Jacques' de, VI try, A History of Jerusalem, p .62.

[2] – هونكة، فضل العرب على الغرب، ص 35– 36.

[3] – ابن منقذ، الاعتبار، ص 136.

[4] –المصدر نفسه، ص136 ، ص 137.

[5] –ابن منقذ، الاعتبار، ص 136. الحويري، الأوضاع، ص 146.

أما في مجال الطعام، فقد تأثرت النساء الفرنجيات بما كان سائداً في المطبخ الشرقي الإسلامي من عادات وتقاليد لعل أبرزها عدم تناولهن لحم الخنزير الذي تحرمه الشريعة الإسلامية، ومن ذلك ما رواه ابن منقذ عن وصف مائدة أحد الفرسان " جئنا إلى دار فارس من الفرسان ...، فأحضر مائدة حسنة، وقد اعتفى من الديون والخدمة، وله بأنطاكية مُلك يعيش منه، فأحضر مائدة حسنة في غاية النظافة والجودة، ورآني مُتوقفاً عن الأكل فقال: كُل طَّيب النفس، فأنا لا آكل من طعام الإفرنج، ولي طبَّاخات مصريات، ما آكل إلا من طبخهنَّ، ولا يدخل داري لحم خنزير" ([1]).

كما اكتسبت شيئاً من الذوق الشرقي في الأطعمة والأغذية([2])، التي لم تعرفها أوروبا قبل قدوم الصليبيين إلى الشرق، مثل السكر الذي استخدمه أهل الشرق([3])، وقد انبهر الصليبيون رجالاً ونساءً عندما شاهدوا نبات قصب السكر في بلاد الشام([4])، إذ تعلم الصليبيون من العرب فن ترتيب الموائد، وصناعة الكثير من الأطعمة الشرقية([5])، عن طريق استخدام الجواري والإماء، فقد كان أصحاب الموائد من العرب والإفرنج لا يرغبون غيرهنّ في هذا الفن، فقد أخذت النُسوة الصليبيات أسرار الطبخ العربي في جملة ما أخذنَ من تقاليد الحضارة الشرقية([6])، فتعلمن طريقة عمل الفطائر والمعجنات الأخرى وفيما روى عن ابن العديم، أنه ذكر في كتابه "الوصلة إلى الحبيب"، أن الفرنجة كانوا يصنعون نوعاً من الخبز عرف بخبز

---

[1]– ابن منقذ، الاعتبار، ص 140.

[2]– شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ، ص75.

[3] –أول من عرف السكر كانوا الهنود، وهو الملح الهندي، ثم عرفه اليونانيون، ثم عرفه العرب في أثناء تجارتهم مع الهند، وزرعوا قصب السكر في سهول العراق، وعرف في مصر في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وعرفه الأوربيون في القرن العاشر، وازدادت معرفتهم به عصر الحروب الصليبية . انظر : مظهر، حضارة الإسلام، ص 387– 389.

[4] - ابن الأثير ، الكامل ، ج10، ص ص 346. علي، محمد كرد، خطط الشام، ج1، ص 54.

تم التعرف على نبات القصب أثناء زحف جيش بوهيموند على أنطاكية، انظر : شارتر، تاريخ الحملة، ص 145– 105. زابروف، ال–صليبيون في اشرق، ص 333. عن زراعة القصب ومعاصره في بلاد الشام ومصر، انظر : النويري، نهاية الأرب، ج8، ص 119.

[5]– الجندي، جمعة، الاستيطان في فلسطين، ص 267.

[6] –السامرائي، التقاليد والعادات، ص 334.

البيض([1])، وتعرفن على البهارات التي تستخدمها الشرقيات، كما عرفن عمل المشروبات المعطرة والمثلجة والمحلاة([2]) .

كما تأثر الصليبيون بالعادات المتعلقة بالأطعمة، فذكر المقدسي أن "سكان بلاد الشام يخبزون الأرغفة على الحصى في الأفران التي توقد بروث الحيوانات، كما أنهم كانوا يطبخون العدس والبيسارة، ويقلون الفول المنبوت بالزيت ويسلقونه ويباع مع الزيتون ويملحون الترمس ويكثرون من أكله، ويصنعون الخروب ناطفاً وسمونه القبيط، ويسمون ما يتخذون من السكر ناطفاً، ويصنعون زلابية في الشتاء من العجين غير مشكلة" ([3]).

كما تأثرت المرأة الفرنجية بما وجدته من صناعة المخللات المختلفة، والتي كانت تصنعها المرأة العربية من البرتقال أو الليمون الذي لم يعرفه الأوربيون إلا في بلاد الشام([4]).

يمكن القول : أنَّ نساء الفرنجة أحببنّ الطعام العربي، فأقبلنّ عليه ؛ لذلك نجدهن يقبلنّ على التوابل والمشهيات ومختلف أنواعها في موائدهم الغذائية حيث صارت الأطعمة لا تستاغ ولا تلذ لديهم إلا باستعمالها([5])، التي كانت تقدم مع وجبات الدجاج والسمك والأطعمة الأخرى([6])، كما استخدمن زيت الزيتون في طهي الطعام بدلاً من استخدام الزبد ودهن الخنزير، وذلك تأثراً بما كان سائداً عند المسلمين([7]) حيث كان إنتاج الزيتون وفيراً ([8]).

فقد نقل المؤرّخون والكتّاب المسلمون زمن الحروب الصليبيّة صوراً مختلفة من حياة الفرنجة في المدن التي استولوا عليها ، وسجّلوا صوراً متفرّقة لبعض العادات ومظاهر السلوك اليوميّ التي كانوا يمارسونها، وكان أغلب تلك المظاهر ممّا وقع ضمن مشاهدات بعضهم، ولاسيّما ابن جبير وأسامة بن منقذ اللذين دخلا البلاد المحتّلة ولمسا جوانب من عادات القوم وتقاليدهم ([9]).

---

[1] –ابن العديم، الوصلة إلى الحبيب، ص 660.

[2] –النقاش، العلاقات، ص 148.

[3] - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 157- 158

[4] –زابروف، الصليبيون في الشرق، ص333.

[5] – ابن العديم ، الوصلة إلى الحبيب، ص 408. براور، الاستيطان، ص 617.

[6] –بورشارد، وصف، ص 169.براور، عالم الصليبيين، ص 111.

[7] – دانيال، وصف، ص 92.براور، عالم الصليبيين، ص 618.

[8] –براور، الاستيطان، ص 617.

[9] – الرقب، شفيق، صور من الحياة الاجتماعية، 335- 350 .

فقد تفرد ابن منقذ بذكر خبر طريف يهم فضاء النساء الإفرنجيات وإيجابيا تهم، وهو أن امرأة عجوزاً ساهمت بالرغم من كبر سنها في سباق كان ينظمه الصليبيون بالشام ضمن الألعاب التي اعتادوا تنظيمها([1]).

ومن الشعراء الذين دخلوا تلك البلاد ابن القيسرانيّ ؛ فقد ذكر العماد الأصفهانيّ نقلاً عن الفقيه عبد الوهّاب الدمشقيّ أنّ هذا الشاعر دخل سنة 540هـ / 1146م، بلد أنطاكية لحاجة عرضت له ،" فنظم مقطّعات يشبّب فيها بإفرنجيات" ([2]).

ومن الملاحظ تأثر الفرنجة بالمسلمين في الاحتفال بالأعياد، وحفلات اللهو، وقد استعانوا بجوقات الطرب، وما صاحبها من آلات موسيقية مثل :الأرغن([3])، والمزمار([4])، والعود([5]) والقيثارة والربابة إلى غير ذلك، و وقد استعانوا بالمغنيات في أفراحهم([6]).

ومما يدل على تأثرهم بالغناء العربي عندما طلب الملك ريتشارد قلب الأسد من العادل أن يسمعه غناء المسلمين، فأحضر له مغنية تضرب بالجنك، فغنت له، فاستحسن ذلك([7]).

فقد تأثر الفرنجة الصليبيون بعادات المسلمين في المآتم والأحزان حيث أحضروا الندابات في أحزانهم، ومآتمهم ([8])، وتثبت بعض النصوص أن لبس الزى الأسود في مناسبات الحزن والمأتم كان عادة جارية لدى الفرنجة، وهذا ما فعله القساوسة والرهبان ونساؤهم بعد طردهم من القدس([9])، وقد بلغ تعلقهم ببعض العادات والعقائد المحلية، أنهم كانوا يصلون أحياناً في المزارات التي يقدسها المسلمون واليهود([10]) .

وجملة القول، كان لاحتكاك المرأة الصليبية بالمرأة العربية ببلاد الشام، عصر الحروب الصليبية، أثره الواضح في تأثير المرأة الصليبية، بمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية التي عاشتها المرأة العربية. وترى إحدى الباحثات أن احترام الرجل الأوروبي للمرأة؛ إنما يعود

---

[1] –ابن منقذ، الاعتبار، ص 245.

[2]– ابن العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج1، ص324.

[3] – آلة موسيقية نفخية بها منافيخ جلديه وأنابيب ومفاتيح لتنغيم الصوت، مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص 14.

[4]- المزمار وهي آلة مصنوعة من القصب ويزمر بها ، ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص 327.

[5] –العود ، وهي آلة من المعازف وضاربها عواد ، فيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص 386.

[6]– النقاش، العلاقات، ص 148.

[7] –ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 149.

[8]– النقاش، العلاقات، ص 148.

[9]– ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 201.

[10]– –حتي، فليب، تاريخ العرب، ص 733.

إلى تأثرهم بما شاهدوه في الشرق من احترام المرأة العربية، بعد أن كانت المفاهيم الأوربية تنحصر في أن الرجل هو سيد المرأة([1]). ويرى بعض الباحثين أيضاً أن الأوربيين تخلصوا من همجيتهم بفضل اتصالهم بالعرب زمن الحروب الصليبية، وخاصة اقتباسهم مبادئ الفروسية، وأهمها احترام المرأة([2]).

---

[1] –هونكة، زغريد، شمس العرب ، ص 468.

[2] –لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 575.

مظاهر الانحلال الخلقي وانتشار الرذيلة في المجتمع زمن الصراع الإسلامي الفرنجى:

أولاً: اختلاط النساء بالرجال

والجدير بالذكر أن المصادر التاريخية لم تُشر أيّ منها أن هناك اختلاط النساء بالرجال أو حتى لم نجد مراسيم سلطانية تمنع النساء من الخروج من بيتها أو معاقبتها في البلاد الشامية، كما حدث في مصر والقاهرة، خلال فترة الدراسة التي بين أيدينا و ذلك يدلل على أنهم كانوا شديدي الغيرة على نسائهم، فضلاً عن تلك الفترة كانت مليئة بالحروب والمنازعات بين الفرنجة والمسلمين، أما عن اختلاط النساء بالرجال ظهر كثيراً في عصر الدولة المملوكية الثاني، بسبب حالة الترف والانغماس في إشباع اللذات والملذات، كذلك ابتعاد الناس عن الفهم الحقيقي لدينهم في تلك العصور من ناحية أخري، حتى أن بعض المؤرخين المسلمين أمثال العماد الأصفهاني وابن منقذ حيث سجلوا في كتبهم بكل دقة وأمانة عن نساء الفرنجة وما تمتعت به من حرية كبيرة في مجتمعها، وكذلك ما جاء في كتب الأدب و ما جاء على لسان ابن القيسراني عن سفور المرأة الفرنجية ما لم يألفوه في مجتمعهم الإسلامي، ولم يتماشَ مع الأخلاق والدين الإسلامي ولاسيما خروج نساء الفرنجة وهنَّ سافرات الوجوه ومحادثتهنَّ للرجال، كقول ابن منقذ " أن الفرنجة ليس لديهم غيرة ولا نخوة"([1]) أما عن نشاط المرأة المملوكية في شوارع مدينة القاهرة وأسواقها و منتزهاتها فكان عظيماً في العصر المملوكي، فقد ذكر أحد المعاصرين أن مجالس الخلاعة بالقاهرة زخرت بالنساء إلى جانب الرجال([2])، فقد وصف المقريزي أخلاق أهل مصر بقلة الغيرة على نسائهم([3])، بالإضافة إلى ما ذكره أحد الرحالة الذين زاروا القاهرة في عصر سلاطين المماليك، فقد لاحظوا أن المرأة تتمتع بحرية كبيرة في شوارع القاهرة وأسواقها ومنتزهاتها حتى أن بعضهن يتغيبنّ عن منازلهن في أوقات كثيرة من النهار و ذلك قلما يتعرضن للوم أزواجهن([4])، كما يحدث في مجتمعاتنا في هذه الأزمان مِنْ كثرةِ المعاصي، وقلة حياء النساء، وتبرجهنّ وسفورهنّ، وفحش غنائهن، وتنوع الشهوات، وتفنن الملذات، كما يروي ابن الحاج أن النساء كثيراً ما كنّ يخرجن إلى الأسواق، لشراء ما يلزمهن من حاجيات، وربما يمازحن الباعة في أثناء المساومة على الأسعار، بل الغالب أن المرأة تشتري لزوجها ما يحتاج إليه في

---

[1] – ابن منقذ، الاعتبار، ج1، ص 243.

[2] – الجوبري، المختار في كشف الأسرار، ص 35، عاشور، المجتمع المصري، ص 139، عبد الرازق، المرأة، ص 45.

[3] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص 62.

[4] – Schafer ,Leverage qourener, p. 88 .

لبسه لنفسه([1]) كذلك كانت النساء تمثل غالبية رواد الأسواق في بعض المواسم، مثل: خميس العهد الذي اشتهر في ذلك العصر باسم: خميس العدس، فعلى الرغم من أنه عيد مسيحي، فإن المصريين كانوا يحتفلون جميعًا به، وكانت النساء تخرج إلى الأسواق التي تزدحم بهن، في هذا اليوم لشراء البخور والخواتم، حتى يصبح عددهن في الأسواق أكثر من الرجال، ولا بد من البخور في ذلك اليوم حتى يصرف عنهن " العين والكسل و والوعكة من الحسد " ([2]) والجدير بالذكر أن المعاصرين كانوا يرون في خروج النساء إلى الأسواق أمرًا غير مستحب، وكثيرًا ما ثارت المناقشات في الدوائر الحاكمة لمنع النساء من المشي في الأسواق، لا سيما في أوقات الأزمات الاقتصادية والطواعين، وهذا ما يعبر عن المفاهيم الأخلاقية التي كانوا يفسرون بها أسباب الكوارث والأزمات ([3]).

كذلك اعتادت النساء على الخروج إلي المقابر والقرافات في الليالي المقمرة وليالي المواسم والأعياد وليالي الجمع من كل أسبوع ومعهم الرياحين والزهور كالياسمين وغيره([4])، وهناك يدعون الأهل والأصدقاء ويقمن الولائم ومعهن أولادهن وأزواجهن([5])، فيكثر الغناء والرقص ويحدث الفساد باختلاط الرجال بالنساء ([6])، ولكن أكثر ما أثار حنق ابن الحاج هو ما تفعله بعض النساء في زيارة القبور وركوبهن على الحمير، التي كانت وسيلة المواصلات الرئيسية في ذلك العصر، وفي مس المكاري لهن وتحضينه للمرأة في إركابها وإنزالها وحين مضيها يجعل يده على فخذها وتجعل يدها على كتفه مع أن يدها ومعصمها مكشوفان، وقد

---

[1]- ابن الحاج، المدخل، ج1، ص 245، ج2، ص 25.

[2] – ابن الحاج، المدخل، ج2، ص 54– 55. عاشور، المجتمع، ص 225.

[3] – المقريزي، السلوك، ج2، ص 403. ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص76. قال ابن القيم: فالإمام مسؤول عن ذلك والفتنة به عظيمة، ويجب عليه منع النساء من الخروج متزينات متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة والرقاق، ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات ومنع الرجال من ذلك.. ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة. كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة. واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا. وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة." ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ج1، ص406.

و قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء " البخاري، صحيح البخاري،ج12، ص 332. برقم 5069.

[4] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص 212.

[5] ابن بطوطة، ج1، ص74.

[6] المقريزي، السلوك، ج4، ص 614. الخطط، ج2، ص 443.

حرصنّ على زينتهن الكاملة مع الخواتم والأساور الذهبية، فضلًا عن الخضاب في أياديهن([1])، وفي القرافة يختلط الرجال بالنساء ويقضون يومهم في الضحك واللهو والغناء، وكان عامة الرجال يخرجون مع نسائهم إلى القرافة، تجنبًا للمتاعب التي قد تثيرها الزوجة إذا رفض زوجها ذلك، أما أصحاب المناصب أو المكانة الاجتماعية، فكانوا يرسلون مع زوجاتهم حبيبًا أو عبدًا أو عجوزًا ، وكان بعضهم يخرج مع زوجته، ولكنه يمشي بعيدًا عنها([2]) .

فقد انتشرت في أنحاء مصر الزوايا التي تنسب إلى أصحاب الصلاح والتقوى، وكان الناس يتبركون بالشيوخ المدفونين في هذه الزوايا ([3]) وفي تقديرنا: أن ابتعاد الناس عن الفهم الحقيقي لدينهم في تلك العصور من ناحية، ورغبتهم في الفرار من واقعهم المليء بعوامل القهر والإحباط من ناحية أخرى، هو الذي جعل الناس، لاسيما من العامة، يبحثون عن الشفعاء والوسطاء من الشيوخ الذين اعتقدوا في كراماتهم، ومن مظاهر الرغبة في التبرك، والاعتقاد في كرامات الصالحين، أنه كانت هناك عدة مشاهد أو قبور مشهورة يزورها المصريون، ومنها مشهد "زين العابدين" الواقع بين الفسطاط وجامع أحمد بن طولون، وكان الناس يقصدونه للزيارة والتبرك، خصوصًا في موسم عاشوراء، ومشهد السيدة نفيسة، ومشهد السيدة كلثوم، ومشهد ثناء وسنا"([4]) وكانت النساء بصفة خاصة، يخرجن إلى تلك المشاهد لزيارتها والتبرك بها، بل إن العادة جرت على أن يخصص يوم معين في الأسبوع لزيارة كل منها، فكان يوم السبت مخصصًا لزيارة مقام السيدة نفيسة، هو يوم الثلاثاء، على حين كان يوم الاثنين من كل أسبوع هو يوم زيارة مشهد الحسين، أما الخميس والجمعة فكانا لزيارة الشافعي وغيره من الأولياء والصالحين المدفونين بالقرافة ([5]) .

ويروي ابن الحاج أن كثيرا من النساء في ذلك العصر كثيرا ما يخرجن إلي البرك وشاطئ النيل وغيرها من أماكن اللهو والفرجة، حيث ينكشف ستر الحياء الأمر الذي أثار الفقهاء فنادوا بمنع النساء من الخروج علي ذلك الوجه السافر([6])، وكذلك حاول بعض السلاطين منع النساء من الخروج إلى الطرقات وإلى أماكن النزهة لمنع اجتماع الرجال

[1]– ابن الحاج، المدخل، ج1، ص 409.

[2]– المصدر نفسه، جـ1، ص 410.

[3] – المقريزي، الخطط، جـ2، ص429–ص 435 .

[4] – المصدر نفسه، ج1، ص 435– 440.

[5]– ابن الحاج، المدخل، ج1، ص 260 – 270.

[6] – المصدر نفسه، ج1، ص 417، ج2، ص 331.

بالنساء لدرء المفاسد ([1])، فقد تشددت الدولة في بعض الأحيان في خروج النسوة إلي المقابر([2])، كما جاء عن السلف الصالح كراهة زيارة القبور للنساء؛ وذلك لقلة صبرهن وجزعهن وذلك لما جاء على لسان النبي في نهي النساء من الخروج لزيارة المقابر و اتباع الجنائز بقوله : { لعنّ الله زوارات القبور}([3]) وكثيرًا ما كان السلاطين يصدرون الأوامر بمنع النساء من الخروج لزيارة المقابر، ولكن أوامرهم، ما تلبث أن تنسى ([4]) إذ ذكر ابن الفرات في تاريخه، أن نائب السلطنة كتبغا المنصوري أمر في عام 697هـ / 1296م، بأن لا يجتمع الرجال والنساء في ليالي الجمع بالقرافتين([5])([6]) ونقرأ أيضاً عن تسلط الأمير علاء الدين الطبرسي والي باب القلعة، على النساء ومنعهن من الخروج إلى الأسواق، وكان يخرج أيام المواسم إلى القرافة وينكل بهن، فامتنعنّ عن الخروج في زمانه إلا لأمر مهم مثل الحمام وغيره ([7]).

وكثيرًا ما نقرأ في المصادر التاريخية المعاصرة أن بعض السلاطين أصدر أمره بمنع النساء من الخروج إلى الطرقات، و من ركوب النيل، ومن ذلك ما قام به الملك العزيز عثمان حيث أمر بمنع ركوب المتفرجين في المراكب وخاصة في أيام المواسم والأعياد، حيث كان الناس يجتمعون رجالاً ونساءً على شاطئ النيل يمرحون ويلعبون، ويصحب ذلك فساداً

---

[1] – مثلما حدث عام 825هـ / 1422 م عندما منع صدر الدين أحمد بن العجمي المحتسب النساء من الجلوس على حوانيت الباعة للفرجة على المحمل وتشدد في ذلك وكانت العادة أن تجلس النساء صدراً من النهار ويبتنّ بالحوانيت حتى ينظرنّ المحمل من الغد فيختلطن بالرجال في مدة يومين وليلة فتقع أمور غير مرضية . المقريزي، السلوك، ج3، ص 266.

[2] – ابن الحاج، المدخل، ج2، ص 17، ص 23.

[3] – ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، ج3، ص 514 برقم الحديث 1574.

[4] – عاشور، المجتمع المصري، ص111.

[5] – ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص176.

[6] - وفي عام824هـ / 1421م، نودي بمنع النساء من الخروج إلي الترب وتشدد الأمير جقمق الحاجب في ذلك وكان قد كثر في شهر ذي القعدة مرض الناس ومات عدة منهم فصارت النساء يترددن إلي الترب أيام الجمع ويقمن المآتم والعزاء. المقريزي، السلوك، ج3، ص 260.

ويسجل لنا ابن حجر العسقلاني منعا آخر عندما يشير إلي أنه نودي عام827ه/ 1430م بمنع النساء من الخروج إلي الترب وتوعد المكاري بالشنق والمرأة بالتغريق. إنباء الغمر في أبناء العمر، ج8، ص 202.

بيد أن هذا المنع لم يستمر طويلا وعاد الحال إلي ما كان عليه من الخروج إلي الترب أيام الجمع سنة835هـ=1432م وباستمرار هذا الحال قدر شهر عادت النساء بعده إلي الخروج إلي القرافات وغيرها من أماكن اللهو والفرجة . عبد الرازق، المرأة، ص 50.

[7] – ابن تغري بردي، النجوم، ج8، ص 230. المقريزي، السلوك، ج2، ص 51.

كبيراً ([1])؛ بسبب مظاهر الفساد والانحلال التي كانت تبدو واضحة في مثل هذه الأحوال، فكان منعهن من الأسواق على حد قول المقريزي: " نوع من أنواع الفرج"([2]).

لم يكن المجتمع الإسلامي في مصر والشام يستسيغ الاختلاط بين النساء والرجال في الطرق وكان المحتسب لا يسمح حتى للزوجين أن يجتمعا في طريق خال من المارة ، وكان يتفقد المواضع التي تجتمع فيها النساء مثل سوق الغزل والكتان، وشطوط الأنهار، وأبواب حمامات النساء، وغير ذلك فإن رأى شاباً منفرداً بامرأة، ويكلمها في غير معاملة البيع والشراء وينظر إليها، عزَّره ومنعه من الوقوف هناك ويشير الشيرزي في " كتابه نهاية الرتبة " أن كثيراً من الشبان المفسدين يقفون في تلك المواضع التي تجتمع بها النساء وليس لهم سوى التلاعب على النسوان([3])، وكان يفصل بين النساء والرجال في أثناء ركوب الزوارق عند عبور النهر ولم يكتف المحتسب بذلك بل أصدر أمره سنة 502ه/ 1116م بمنع النساء من العبور مع الرجال في نفس الزورق([4])، بينما وجدنا العديد من الروايات التاريخية التي تدل على غيرة الأمراء والسلاطين على نسائهم، ومن أمثلة ذلك ما نسمعه عن عماد الدين زنكي الذي كان شديد الغيرة على النساء ولا سيما نساء الجنود في أثناء خوضهم للمعارك، وأن التعرض إليهن كان من الذنوب التي لا تغتفر، فكان يقول أقل شيء حفظهن من الفساد والهلاك ([5])، ومن مظاهر الغيرة على النساء زمن المماليك تمثل في بناء البيوت مثلا على عهدهم انطلق من مبدأ منع الاختلاط والغيرة على النساء، وفق مبادئ الإسلام وأصوله، فتبني البيوت الطابق الأول للرجال ويسمى"السلاملك" والسفلى للنساء ويسمى "الحرملك" ومدخل البيت ينحرف غربًا نحو دهليز ومنه إلى حجرة الضيوف، حتى لا يرى الدَّاخِل مَنْ في وسط البيت، وكانت هناك مداخل خاصة بالنساء فقط، وكانت شبابيك البيوت مرتفعة بحيث لا يرى السائر في الطريق ولو كان راكبًا من بداخل البيت، وكانت هذه الشبابيك عبارة عن خشب مثقوب يسمح بدخول الضوء والهواء، ويسمح لمن بداخل البيت برؤية من بالخارج بحيث لا يري من بالخارج من بداخل الحجرات([6]).

---

[1] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 116.

[2] – المقريزي، الخطط، جـ2، ص142، السيوطي، حسن المحاضرة، جـ2، ص268، 306

[3] – الشيزري، نهاية الرتبة الظريفة، ج1، ص 106.

[4] – الصلابي، دولة السلاجقة ، ج1، ص425 .

[5] – أبو شامة، الروضتين، ج1، ص 53.

[6] – عاشور، تاريخ المماليك، ص 377.

ومع عناية الولاة والأمراء بحفظ أخلاق الناس، كانت تقع حوادث فيها مخالفة للقوانين الشرعية فبعضها يفلت من مراقبة الحكومة والبعض الآخر تتمكن من التعرف عليه ([1])، وكان بعض الناس يخرجون على القيم الاجتماعية، فكان الرجال يلتقون بالنساء خفية في الليل ولكن ذلك كان من قبيل المغامرة إذ أنَّهم بمحاولتهم الالتقاء بالنساء يعرضون أنفسهم لانتقام ذويهن كما حدث سنة 500ه/ 1103م، عندما دخل صبي إلى داره فوجد فيها رجلاً غريباً عند أخته فما كان منه إلا أن أسرع إلى قتل ذلك الرجل، وقد يقوم بمهمة القتل هذه زوج المرأة إذا علم باتصالها برجل آخر ولا يعبأ بالنتائج المترتبة على هذا القتل بسبب الغيرة على العرض ([2]).

ومن العادات السيئة التي كانت سائدة بين الفرنجة (الصليبيين) فـي بـلاد الشـام، اختلاط الرجال بالنساء، دون أن يكون لديهم أي إحساس بالغيرة نحو بناتهم وزوجـاتهم، ولا شك في أن هذه العادات تتنافي مع العادات والتقاليد الإسلامية، ولهذا فقد استنكرها المسلمون، وقد وصف لنا الرحالة ابن جبير الذي زار بلاد الشام سنة 580هـ / 1184م، عملية اختلاط الرجال والنساء بين الفرجة في أثناء حضوره إحدى حفلات الزفاف الصليبية في مدينة صور، إذ وقف الرجال والنساء في صفين عند باب العروس، وأخذت الآلات الموسيقية تعزف فـي حضرة العروس، حين خرجت من غرفتها بين رجلين أحدهما يمسكها من اليمين والآخر من الشمال، وكانت " العروس في أبهى زى وأفخر لباس، تسحب أذيال الحرير المذهب" ، وكانت تضع على رأسها عصابة من ذهب، وقد حفت بشبكة مذهبة منسوجة، ومثلها على لبتها، وهي رافلة في حليها وحللها، تمشي مشي الحمامة" وكان رجال النصارى يسيرون أمامهـا بـأفخر الملابس، وأشار ابن جبير أيضاً إلى أن المسلمين ومختلف النصارى كانوا يشـاهدون حفلـة الزفاف ولا ينكرون ذلك، بل على العكس، كانوا ينظرون إلى النساء المشاركات في الحفلـة، وقد استنكر ابن جبير عملية اختلاط النساء بالرجال واستعاذ بالله من ذلك([3]) وتحدث أسامة بن منقذ الذي زار مختلف المدن والبلاد الخاضعة للحكم الصليبي، عن الاختلاط بـين الرجـال والنساء، قال أسامة بن منقذ في سياق عرضه لمشاهداته وقائع في حياتهم وعرضـه لنمـاذج منها تدل على انعدام الغيرة لديهم بقوله: .. ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدثا معا والزوج واقـف ناحية ينتظر فراغها من الحديث فإذا تأخرت عليه تركها مع المتحدث ومضى ([4])، ويذكر أنه " شاهد حين زار نابلس تاجراً فرنجياً يبيع الخمر، فجاء يوماً ووجد رجلاً مـع امرأتـه فـي

---

[1] – الحضارة الإسلامية في بغداد ص 178.

[2] – ابن الجوزي، المنتظم ، ج9، صفحات 123، 148 ، 157 ، 159).

[3] – ابن جبير، الرحلة، ص 278– 279.

[4] – ابن منقذ ، الاعتبار، ج1، ص 242.

الفراش فقال له : أي شيء أدخلك إلى بيت امرأتي فقال : كنت تعباناً ودخلت أستريح، فقال : كيف دخلت إلى فراشي قال: وجدت فراشاً مفروشاً فنمت فيه قال : والمرأة نائمة معك قال الفراش لها وما كنت أستطيع أن أمنعها من فراشها، فقال : وحق ديني إن عدت فعلت كذا خاصمتك، فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته([1]) ليس من شك في أن هذه القصة تثير الدهشة والاستغراب عند سماعها، كما أنها تشير إلى المستوى الأخلاقي المتدني عند الصليبيين، على الرغم من إقامتهم في الشرق إلا أنهم كانوا يتمسكون ببعض العادات والتقاليد البالية، التي تتنافي مع التقاليد والتعاليم الإسلامية التي تتمسك بالفضيلة والشرف.

ولم يقتصر الأمر على الرجال العاديين من الصليبيين، بل وصل الأمر إلى رجال الدين اللاتين، الذين لهم علاقات غير شرعية ببعض النساء، ومثال ذلك علاقة البطريك هرقل مع باسكودي ريفيري زوجة أحد التجار الصليبيين، ويبدو أن ذلك البطريك قام بالتأثير على السيدة وجعلها تحضر إليه في بيت المقدس عدة مرات، وقد حدث ذلك بالفعل، وذهبت إليه في بيت المقدس، ومكثت هناك نحو خمسة عشر يوماً وأكثر، وكان البطريق قد أخذ المرأة لنفسه، ثم قدمها للبارون الذي جعلها في غاية الثراء([2]) وبعد وفاة زوج باسكو أرسل البطريك إليها يدعوها للقدوم عليه في بيت المقدس، فلما حضرت إليه اشتري لها بيتاً جميلاً وجعلها بالقرب منه([3])

وقد أشار أحد الباحثين إلى تغير هذه العادة القبيحة نسبياً في الجيل الثاني من الصليبيين بعد إقامتهم في البلاد الإسلامية وتأثروا بالعادات والتقاليد الإسلامية (2) ومن مظاهر التأثر بروز ظاهرة الاختلاط والزواج بين الصليبيين نظراً لقلة عدد النساء الصليبيات اللواتي قدمن للشرق ([4]) والمسيحيات من الموارنة والأرمن والسريان وحتى بعض النساء المسلمات اللواتي تنصرن([5]) ، مما نتج عنه جيل من المولدين عرفوا باسم الأفراخ، وقد ذكر جوانفيل بأن فلاحي الشام يقال لهم المولدون، وجاء في الهامش في تعريف المولد Poulains بأنه طفل نتاج زواج صليبي من مسيحية سورية([6])، وقد غلبت على هذا الجيل طبائع وعادات

---

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص 122- 136.

[2]- البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص 379.

[3]- مجهول، ذيل، ص297، ص 298. الأغا، الحياة الاجتماعية، ص287 رسالة ماجستير غير منشورة – غزة .

[4] -Jacques' de, Vitry, A History of Jerusalem, p .58. الحويري، الأوضاع الحضارية، ص 81.

[5]- الشارتري ، تاريخ الحملة، ص 218.

[6] – جوانفيل ، مذكرات، ص 195- 196.

الشرق، فتملكتهم الغيرة والشك على نسائهم حتى أن منهم من فرض على نسائهم أن يرتدين الخمار على وجوههن ومنعوهن من الخروج إلى الأسواق سافرات، ولم يكن يسمح لهن بالخروج إلا في الأمور الضرورية ([1])، وقد وصفهم الفيتري بأنهم غيورون على زوجاتهم، ويراقبونهم على نحو صارم، حتى من أقرب الناس إليهن من الأخوة والأقارب، ونادراً ما كان هؤلاء يأتون إليهن لزيارتهن، كذلك قاموا بمنعهن من زيارة الكنائس مطلقاً والحضور لاستماع المواعظ، لدرجة لم يكن يسمح لهن بزيارة الكنيسة إلا مرة واحدة في السنة و ذلك بسبب قذارة المجتمع ، ومع ذلك وجد من يسمح لزوجته بالذهاب إلى الكنائس، أو إلى الحمامات العامة ثلاث مرات أسبوعياً، ولكن تحت حراسة صارمة([2]) ولا يفهم من ذلك أن هذا الجيل كان مثالياً في أخلاقه، بل على العكس من ذلك إذ يرى جاك دي فتري بأن هؤلاء كانوا عبئاً على المملكة وسبب خرابها ، إذ اتهمهم بالفساد، وبأنهم عاشوا حياة الرفاهية المطلقة، وأدمنوا على الحياة الصاخبة غير النظيفة ([3]).

ثانياً: الغناء و المجون والزنا :

للغناء دور مهم في بناء الوجدان الإنساني والتخفيف عن النفس البشرية، كونه غذاءً روحياً تميل إليه الروح ومن هنا جاء تشجيع الخلفاء والملوك والسلاطين والحكام، لهذا الفن فيما أشارت الروايات إلى بذخهم بهذا الشأن، حتى إن ابن خلدون وصفه بالصناعة بقوله : " آخر ما يحصل من العمران من الصنائع لأنها كمالية من غير وظيفة من الوظائف" ([4]).

وقد كان للمرأة دور كبير في الحياة الاجتماعية الصاخبة التي عرفتها قصور السلاطين والأمراء، وخاصة في مجالس الرقص والغناء، وقد تفننت النساء داخل القصور في اختيار أزيائهن الثمينة، ذات الألوان المتباينة، المحلاة بخيوط الذهب وبالجواهر، وعلى رؤوسهن العصائب المرصعة بالدرر والياقوت والأحجار الكريمة، مع التزين بالقلائد والأكاليل والتيجان والخلاخل الثمينة، وكان للرقص نصيب كبير في حفلات الخلفاء والأمراء، فتتزين الراقصات بالثياب المزركشة، ويحملن الزهور والرياحين، وربما أقيم الحفل في الحريم، فتدعو نساء الطبقة الراقية الجواري المغنيات والراقصات إلى بيوتهن لإحياء حفلات غنائية راقصة ([5])، فقد كانت منتشرة في العصر الفاطمي حيث كثر الغناء

---

[1] - الحويري، الأوضاع الحضارية، ص 81.

[2] – Jacques' de, Vitry, A History of Jerusalem, p .64- 66.

[3] – Bid :Loc.cit

[4] – ابن خلدون:، مقدمة ابن خلدون، ص 428.

[5] – عاشور، نظم الحكم، ج1، ص 319.

والمغنون والمغنيات، وأقيمت الملاهي والحفلات والحانات على الخليج ما بين الفسطاط والقاهرة، حتى أصبحت تلك المنطقة بؤرة للفساد وتعاطي الحشيشة والإفراط في الاستماع إلى المغنيات، وحضور حفلات المجون والخلاعة التي كانت تقام هناك وسط الأنوار المتلألئة([1])، وتفشي في المجتمع في العهد الفاطمي وجوه عدة من الخلاعة والمجون، اتصفت بصفات عدة، وتسمت بأسماء مختلفة، لكن أوسعها انتشاراً التهتك([2])، لما فيها من الدلالة على تهتك الخلفاء والأمراء وكذلك انتشر التسري ([3]) الذي ازداد وانتشر حتى فرضت الدولة الفاطمية على بيوت الفواحش ضريبة كسائر المهن والسلع التجارية([4])، لم يقتصر الغناء والرقص والمجون على قصور الخلفاء والأمراء والجواري والمغنيين والمغنيين، والتي كان يتخللها الغناء والرقص والإسراف في ارتكاب المعاصي، بل قام العامة بتقليدهم، حيث كان يؤمر بإشعال القناديل والشمع والسروج وتظهر القينات([5]) والمعازف والنساء وعليهن الثياب الملونة الفاتنة، وكانت تشرب الخمور في تلك المناسبات جهراً([6])، فقد ذكر ابن عساكر في ترجمته لعلي بن الحسن العطار 522هـ / 1128م، أن أباه اشترى له جارية مغنية، فتعلَّم منها الغناء، ثم افتقر، فكان يغني في مجالس الشرب ويشرب الخمر إلى أنْ كبر وضعف وساءت حاله([7]) وهذا واضح في وجود مجالس عامة في دمشق لتعاطي الخمر، ويتردد عليها المغنون([8]) .

وفي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كثــر الموســيقيون والطنبــور يون([9]) والقانونيون([10])   وظهور نوابغ من المغنيين والمغنيات في هذا الفن، ولم تخلُ مدينة

---

[1] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص 287.

[2]– هتك : الهَتْكُ حرق الستر عما وراءه وقد هَتَكه فانْتَهكَ و تَهَتَّكَ أي افتضح الرجل، الرازي، مختار الصحاح، ج1 ، ص705 .

[3] – التسري : إعداد الأمة أن تكون موطؤة بلا عزل الذكر عند المني ، ابن عبد رب الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج1، ص 200.

[4] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص 89.

[5] - القينات، جمع قيان، أي الإماء المغنيات، ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص 350.

[6]– ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص 73.

[7] - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج41، ص 33.

[8] – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج44، ص 10.

[9] – الطنابير، هي آلات للعب واللهو والطرب ذات عنق وأوتار، مصطفي وأخرون ، معجم الوسيط، ج2، ص 573.

[10] – القانون هي آلة من آلات الطرب ذات أوتار تحرك بالكشتبان، مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص 763.

دمشق من عوادة وطنبورية وكراعة، و ربابية ([1]) و صناجة ([2]) وراقصـــة، وقــد بنيــت الملاهي في دمشق في منطقة اسمها درج حبرون، وفيها كانت تصــنع آلات اللهــو مثــل : الطنابير والشبابات([3])، وكان يتردد على هذه الملاهي فئات مختلفة من النـــاس مــن بيــنهم الأمراء ([4])، وكما شغف سلاطين المماليك بسماع الغناء واقتناء الراقصـــات، ممـــا جعــل للموسيقي والغناء أهمية كبيرة في ذلك العصر، وقد شجع السلاطين والعظماء منهم بإغــداقهم على المغنيين والمغنيات على انتشار الغناء، يتنافسون فيهن ويفضلون عليهن على كل صاحب ومعرفته بهذا الصنف، وكان لبعضهم أكثر من مائة مغنية، وكان من عساكرهم مــن يــدمن الخمور ويستخدم المغنيين والمغنيات([5])، ومن الرجال والنساء كانوا يمارسون هذه الصناعة للتكسب وهم المحترفون، ومنهم من يولع بها حباً وهم الهواة ([6]).

سجل لنا ابن بطوطة في رحلته وصفاً دقيقاً لأهل مصر بأنهم " ذو طرب وسرور ولهو " ([7]) وكذلك فقد وصف المقريزي أهل مصر بأن من أخلاقهم " الانهماك في الشـــهوات والإمعان في الملاذ، وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة " ([8])، فيبدو من خلال تلك النصوص هو أن حياة اللهو والطرب والتلذذ بمتاع الدنيا من قبل السلاطين والأمراء حينئذٍ. هـــي الســـمة الغالبة على روح العصر في أواخر الدولة المملوكية، ومع ذلك كان هناك من ينفر من الغناء ولا يحضر مجلسه ([9])، وتطالعنا المصادر المعاصرة بأخبار بعض السلاطين والأمراء الذين اضطهدوا المغنين والمغنيات، كالملك الظاهر بيبرس الذي أمــر ســنة 665هـــــ / 1266م، بإغلاق الحانات([10])، ولا سيما ما كان منتشراً منها بالإسكندرية وكذا أرباب الملاهي والمجون والخلاعة ، حتى ضاقت بهم سبل العيش، في عهده وقلَّ عـــددهم، واســـتراحت الـــبلاد مـــن

---

[1] – الربابة وهي وآلة وترية شعبية ذات وتر واحد، مصطفي، وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص 321.

[2] – صناجة فأَما الصَّنْجُ ذو الأَوتار فَهو دَخِيل معرَّب تختص به العَجَم، الذي يُلْعب به واللاَّعب به يقال له الصَّنَّاج والصَّنَّاجة، ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص 311.

[3] – مفردها شبابة وهي نوع من المزمار يسميها العامة منجيرة، مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط، ج4، ص 236.

[4] - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص 255.

[5] – أبو شامة، الذيل على الروضتين، ج1، ص 255. ابن تغري بردي ، ج3، ص318.

[6] – علي، محمد كرد، مدينة دمشق، ص 113.

[7] – ابن بطوطة، الرحلة، ج1، ص 91.

[8] – المقريزي، المواعظ، ج1، ص 50.

[9] – عاشور، المجتمع المصري، ص 116. نصار، لطفي ، وسائل الترفيه في عصر المماليك، ص128.

[10] – الحانات ومفردها حانة، وهي أماكن العبث والاستهتار.

مفاسدهم ([1])، وقد ضُرِبَ بهذا السلطان المثل في السلوك والقدوة، حتى أنه في ختـــان ابنـــه الأمير نجم الدين خضر سنة 672هـ / 1275م " لم يقبل من أحد هدية، ولا تقدمة، ولم يبق من يشمله إحسانه من سائر الطوائف إلا المغاني وأرباب الملاهي، فإنه لم تتفق لهم في طول أيامه سلعة، ولا نالهم منه رزق البتة " ([2]).

كذلك حكى عن أحد الفقهاء أنه سمع بمغنية شهيرة تغني في مكان معين فترك شيخه بعد الصلاة وتسلل خفية لسماعها، فلما عرف شيخه سبب غيابه قال له : عند عودته " أمرها خفيف عندي "([3]) لذلك لا عجب إذا وجدنا أدباء عصر المماليك وشعراء يكتبون عـــن ذكـــر الغناء والمغنيات في شعرهم ونثرهم، ويصحبها إشارات تـــدل علـــى عظـــم مكـــانتهم فـــي المجتمع([4])، وقد اشتهر في ذلك العصر أن لكل سلطان وأمير جوقة مغان كاملة من الجواري ([5])

وقال الشاعر ابن الساعاتي في مغنٍ ومغنية حسناوين :

وغـــــزال غـــازلته ظبية   لهما في كل قلب شرك
أطلعا كأسين في كفهما   ملء كلّ ذهب مُنسبك
فهي بدر، وهو شمس وهما   كوكبا سعد ونحن الفلك ([6])

واشتهرت في ذلك العصر بعض المغنيات منهن فرحة بنت المخايلة([7]) والمغنية الحضرمية([8]) التي رافقت الجيش المتوجه لحرب التتار، وبنت بوري المغنية ([9])، فقد حضرت مجلس الملك الكامل ذات مرة وغنت :

يا طلعة القمرِ المنيرِ ... من جورِ هجرك من مُجيري
فأعجبَ السلطانَ ذلك، وطلبَ الزيادةَ عليه، فحضرت عند السلطان وغنّته بالأبيات التالية:
قسماً بديجُور الشعور ... وبصُبُح أسفارِ الثُّغورِ
وبأسمرٍ حُلوِ المعا ... طفِ واللمى أمسى سميري

[1] – المقريزي، السلوك، ج1، ص 553. عاشور، فابد، الحروب الصليبية، ص 178. نصار، لطفي ، وسائل الترفيه في عصر المماليك، ص128.
[2] – المقريزي، السلوك، ج1، ص 206.
[3] – الأدفوي، الطالع السعيد، ص 326.
[4] – نصار، لطفي ، وسائل الترفيه في عصر المماليك، ص128. عاشور، المجتمع، ص 116.
[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 318.
[6] – ابن الساعاتي، الديوان، ج1، ص 229.
[7] – رمضان، المجتمع، ص 299.
[8] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 216– 217.
[9] – الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص 9 –10.

ما للصوارم والقنا ... فعلُ اللواحظِ في الصدور

فأعجبه ذلك، وأطلق لها كل ما في المجلس([1]) ، وكذلك من اشتهر في ذلك العصر بالغناء في حلب، مغنية تدعى ست النظر([2]) وخديجة الرحابية([3]) ، فكانت بارعة في الغناء والإنشاد، وغيرهن كثيرات ([4]) .

على أنه يلاحظ دائمًا أن المرأة العربية ظلت بعيدةً ما أمكن عن احتراف الرقص والغناء، وأنها أبت أن تنزل إلى مستوى الجواري –من غير العربيات وتبذلهن– معتزة بشرفها، فخورة بعفتها.

لقد عانى المجتمع الإسلامي في فترة الحروب الصليبية، وما تلاها كثيراً من مظاهر التدهور الاجتماعي على الصعيد القيمي والأخلاقي، فالمنحرفون والمنحرفات سلكوا طريقاً رأوا أنه الأسهل والأقصر للوصول إلى ما يطمحون إليه من اللذة السريعة والسعادة المنشودة بأيسر سبيل غير عابثين بقيود المجتمع وتقاليده، ولم يكن هؤلاء في بلاد الشام ومصر وحدهم، بل كانوا موجودين في جميع المجتمعات منذ آلاف السنيين، وما زالوا على حالتهم حتى يومنا هذا ، ونقصد بهؤلاء تحديداً بنات الهوى، وأصحاب الشذوذ والسكارى والحشاشين([5])، ونظراً لعدم اهتمام المؤرخين بأخبار هذه الفئة إلا قليلاً، فقد وجدنا في دواوين الشعراء إشارات إلى هذه الفئة ولا سيما المجاهرين بالمعاصي، فقد ذكر الشاعر ابن خياط أنه كان بطرابلس يهودي فاسق يقال له " المورد " وكان يعيش فيها بين سنة 480- 500هـ / 1087- 1106م، وبحسب رواية الشاعر، فإنه كان زير نساء يغوي نساء المسلمين وأولادهم، فشكى الشاعر عليه صاحب طرابلس وقاضيها جلال الملك علي ابن عمار يحذره من هذا المورد الملعون الذي يغوي البنين والبنات :

ألا مــن مبلغ عني عليــا ** وقــــاه الله صرف النائبات

مَقالاً لم يكن وأبيك مينا ** ولــم أسلك به طرق السعاة

أصغ لبيثك الإسلام شكوي ** تلين له القلوب القاسيات

فليسَ لنصرهِ مَلِكٌ يُرجى ** سِواكَ اليَوْمَ يا مَجْدَ القُضَاةِ

[1] – الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص 9 –10.

[2] – ابن العديم ، بغية الطلب، ج3، ص 173.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص 405.

[4] – كما اشتهرت المغنية دنيا بنت الأقباعي بصوتها الجميل، والتي استدعيت إلى القاهرة، حيث أكرمها حاكمها ، وطلبت منه إسقاط ضريبة المكوس فأجابها، والتي من ضمنها ضريبة خاصة بالمغنيين. ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، ص 252. طرخان، النظم الإقطاعية، ص 78.

[5] – الشواف، دمشق، ص 322.

لأعيا المسلمينَ يهودُ سوءٍ ** فما تحمِي الحصُونُ المُحْصَنَاتِ

ولا للمُوردِ الملعُونِ وِردٌ ** سوى أبنائهمْ بعدَ البناتِ

يبيتُ مُجاهداً بالفِسقِ فيهمْ ** فَتَحْسِبُهُ يُطالِبُ بالتِّراتِ ([1])

بأيَّةِ حُجَّةٍ أمْ أيِّ حُكْمٍ ** أُحِلَّ لَهُ سِفاحُ المُسْلِماتِ

أما أحَدٌ يَغارُ عَلى حَرِيمٍ ** أماتَتْ غِيرَةُ العربِ النُّخاةِ

أنَامَتْ فِي الغُمُودِ سُيُوفُ طَيٍّ ** أمِ انقطعتْ مُتونُ المرهفاتِ ([2])

وفيما يتعلق بالنساء " المتحررات" واللواتي كن يسمين بالمغاني والبغايا والقيان، فإن المؤرخين الرسميين تجاهلوا ذكرهن جرياً على عادته بعدم إفراد تراجم لهذه الفئة وتوابعها من المغنيين والموسيقيين ومن يرونه " منحرفاً" أو متحرراً من عادات المجتمع وقيمه وتقاليده، وهذا لا يعني أن تلك الفئة لم تكن موجودة، ونشير إلى أن ابن شداد ذكر أنه كان في حي العقيبة بدمشق خان يعرف بخان الزنجاري، وهو قديم، وكان به كل مكروه من القيان وغيره، فعمد الملك الأشرف الأيوبي، إلى شرائه وهدمه ثم بنى مكانه " جامع التوبة" عام 632هـ / 1236م وهو باقٍ إلي اليوم([3]).

ويبدو أن خطيب الجامع كان يشرب الخمر، والقيم عليه كان يغني بالجفانة، فنظم الشاعر ابن عنين ([4]) قصيدة ووجهها إلى الملك الأشرف قال فيها على لسان الجامع :

يا مليكا ملأ الرحـــ ... ـــمن بالعدل زمانه

جامع التوبة قد... حملني منه أمانة

قال قل للملك الأشـــ ... ـــرف أعلا الله شانه

لي إمام واسطي ... يعشق الخمر ديانه

والذي قد كان من ... قبل يغني بالجفانه

فكما كنت وما زلـــ ... ـــت ولا أبرح حانه

فأعدني النمط الأو ... ل واستبق ضمانه ([5])

---

[1]- التراث: الثأر أي أنه يريد الثأر من المسلمين.

[2]- ابن خياط، ديوان شعره، ج1، ص37.

[3] – ابن شداد، تاريخ دمشق، ص 87. النعيمي، الدارس، ج2، ص 328.

[4] – هو محمد بن نصير الدين بن نصر بن الحسين بن عنين شرف الدين أبو المحاسن، كوفي الأصل الدمشقي المولد، كان أديباً شاعراً تولى الوزارة بدمشق ، ولد سنة 549هـ / 1156م، وتوفي عام 630هـ / 1234م وله من المصنفات : تاريخ العزيزي : و" ديوان شعره، خليفة، حاجي، كشف الظنون، ج6 ص 113.

[5] – النعيمي، الدارس، ج2، ص 328- 329.

والبيت الأخير يشير بوضوح إلى ما يعرف بضمان المغاني([1])، وكان ذلك منتشراً زمن الدولة الأيوبية والمملوكية، حيث كانت مهنة الدعارة من المهن التي حظيت برعاية الدولة المملوكية؛ ، فكانت الدولة تفرض عليها ضريبة عرفت بضريبة " ضمان المغاني" ([2]) وكانت هذه الضريبة تدر دخلاً كبيراً على الخزينة السلطانية([3])،وكان على كل من ترغب في احتراف الدعارة أن تذهب إلى ضامنة المغاني، ويقول المقريزي: " فأما ضمان المغاني فكان بلاءً عظيماً، وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا، فلو خرجت أجلّ امرأة في مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة، وقامت بما يلزمها لما قَدِر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة " ([4]).

والغريب في الأمر أن " ضامنة المغاني" كانت مثل: النقيب لمن يحترفن الدعارة، ولكنها كانت مسئولة أيضاً عن حرف نسائية أخرى مختلفة، بل ومتناقضة مع هذه الحرفة، إذ كانت مسئولة كذلك عن المغنيات، الواعظات، والقارئات، والندابات فضلاً عن مسئوليتها عن بنات الليل ([5])، فيبدو ذلك لنا واضحاً عما تم ذكره بما يعرف بضمان المغاني أنه كان على مغنية قطيعة أي (مبلغ من المال) تحملها إلى الضامنة – وهي التي تضمن المغاني مقابل مبالغ معلومة، فإن باتت المغنية في غير بيتها، قدمت المال للضامنة التي كان لها أعوان يتفقدون كل ليلة دور المغاني ويخبرونها بأسماء " الغائبات" عن دورهن([6]).

والمشكلة أنه إذا دفعت الغانية ما عليها من رسوم جاز لها التجاهر بما تفعل من الزنا وشرب الخمر دون أن يجرؤ أحد على منعها.

ويبدو أن محترفات الدعارة في عصر المماليك قد تميزن بملابس خاصة بهن.

فقد ذكر المقريزي عن سوق الشماعين أن حوانيت هذا السوق تظل مفتوحة طوال الليل" وكان يجلس به بالليل بغايا يقال لهن زغيرات الشماعين لهن سيماً يعرفن بها، وزى

---

[1]– ويطلق عليه ضمان القيان زمن الدولة الأيوبية، وهو ما ذكره أبو شامة في ترجمة الملك العادل حيث يقول : "إن بعض المغنيات دخلت على العادل في عرس فقال لها أين كنت ؟ قالت : ما قدرت آجي حتى وفيت ما على للضامن، فقال وأي الضامن ؟ قالت ضامن القيان" أبو شامة ، الذيل على الروضتين، ص 169.

[2]– المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص134. ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ج1، ص 191.

[3]– المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج2 ، ص 295 .

[4] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص 134 ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص 103

[5] – ابن تغري بردي، النجوم، ج10، ص 119. ابن الصيرفي، نزهة، ج1، ص 210.

[6] – المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج2 ، ص 295.

يتميزن به، ولبس الملاءات " ([1]). وقال ابن الأبار([2]): المتوفي سنة 533ه / 1237م، في واحدة من بنات الهوي بدمشق، كانت تقيم في الدرب الذي فيه وهو درب ابن الصامت :

في دربِ صامتَ قَحبةٌ ... قد أَشبعت كلَّ المَدينه

ولها أَخٌ في رأْسه ... قَرْنٌ ولا صاري السفينه

يرضى بما ترضى به ... ويبيع عُنْبُلَها بتينه([3])

ومن أخبار النساء المنحرفات في دمشق ما ذكره الجوبري في كتابه " المختار من كشف الأسرار" أن منهن من تضع ما يسمي بالعلفة من بزر الخس والخشاش وبزر البصل، ثم تدقه، فإذا وضعته في أي طعام نام من يأكله لفوره، وكان منهن من تتزين وتخرج إلى الأسواق، فإذا رأت إنساناً غريباً، أو عليه علامات اليسار، جرته إلى بعض الأزقة ثم قالت له: إن زوجي قد تزوج علي، وأنا أريد أن أغيظه، وأنا أجيء معك إلى أي مكان، وليست هذه عادتي، وما لي في الأمر يد، ولكني شديدة الغيرة وأريد أن أغيظ زوجي، ثم تتباكى وتتنحب فيأخذها الرجل إلى داره فتقدم له الضيافة التي تحملها فينام في الحال فتسلبه ما معه وتخرج، وإن كان الرجل غريباً أخذته إلى مكان تعرفه هي وسيدها الذي تشتغل لحسابه وتقدم له الطعام وتسلبه ما يملك وتخرج ([4]) .

كذلك لا نجد اختلافا كبيراً عما تفعله النساء المنحرفات في بلاد الشام ومصر للإيقاع بالرجال، ومن ذلك لجوء بعض النساء في عصر سلاطين المماليك إلى استغلال جمالهن وحسنهن للإيقاع بالرجال، فتخرج الواحدة إلى الشارع وقد استكملت زينتها، وتسير أمام الناس في صورة ملفتة للنظر، " ولهن في مشيهن صنعة"([5])، فإذا طمع فيها أحد الرجال واستهوته وطلبها ردت عليه أنه لا يمكنها أن تذهب إلى أحد، ولكنه يستطيع أن يتبعها إلى منزلها ! وهناك في منزلها يدفع الرجل ثمن شهوته غالياً، إذ وصل ذلك الثمن أحياناً إلى حد قتله وسلب معه من أموال ([6]).

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 584.

[2] – هو أبو محمد الحسن بن يحيى بن روبيل الأبار، من أهل دمشق، كان شيخاً مطبوعاً ديناً ناسكاً لا يشرب الخمر ولا يقرب المنكر؛ وله دكان في سوق الأبارين يبيع الإبر وتوفي بدمشق سنة532هـ / 1143م. العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج1 ، ص364.

[3] – العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج1 ، ص364.

[4] – الجوبري، المختار من كشف الأسرار، ص 143. الشواف، دمشق، ص 324.

[5] - ابن الحاج، المدخل، ج2، ص 241- 242.

[6] - المقريزي، السلوك، ج4، ص 226، 823. انظر : على سبيل المثال حادثة غازية الخناقة ، أورد ابن أيبك الدواداري، نفس الحادثة ، كنز الدرر، ج8، ص 171.

وذكر الجوبري نماذج من حيل النساء وجسارتهن، فقال : " إنه كان مع أصحابه في مجلس أنس ولهو وكانت معهم بعض النساء، فاستدعى الجوبري امرأة يعرفها وقومه لتسمر معهم وتبيت عندهم، فلم تلبث أن دخلت عليهم المجلس فجلست على الصفة تخلع نعلها فلمّا خلعت فردة رأت زوجها ضمن الحاضرين في المجلس، فلم تتغير ولا ارتدت ولا تأثر وجهها، وبادرت بخفها إلى زوجها تضربه به حتى غاب عن رشده، ثم جرته من لحيته وخرجت به من المجلس وهي تضربه وتشتمه وتقول إنها دخلت كل المجالس المشبوهة في البلد، وهي تبحث عنه، وقاعد هنا مع الغواني والفسّاق وأرادت أخذه إلى القاضي بالجرم المشهود فترجاها القوم وتوسلوا إليها، فاشترطت أن يحلف لها زوجها بالطلاق أنه لا يعود إلى هذا المكان فحلف لها، وعندما طلب منها مرافقته إلى البيت قالت : ما أدخل لك اليوم بيتاً ولا الليلة وأنا ذاهبة إلى أختي؛ لأنام عندها عقوبة لك ولخيانتك "([1]).

وقال: " كان لي صاحب من أهل دمشق، تعرف على امرأة متزوجة يغيب زوجها طوال النهار، فكان يجيئها كل يوم ظهراً وينصرف عصراً وكانت في السابعة عشرة من عمرها، وفي أحد الأيام وبعد أن أمضى معها ثلاثة شهور، شاهدت زوجها يدخل من باب الدرب والرجل عندها فوثبت ووثب الرجل فقالت : اقعد واسكت، وعمدت بسرعة على مسمارين في الجدار فعقدت عليهما ملحفة وقالت للرجل : اجلس خلفها، فجاء زوجها فقال لها من عندك؟ فقالت : بنت خالتي ضربها زوجها وجاءت عندي، وما عندي شيء أطعمها، فذهب زوجها يأتي بالطعام فانطلق الرجل يريد الباب فمنعته وقالت : لابد أن تأكل معنا، وعاد زوجها ووضع الطعام، وهي تناول الرجل من تحت الملحفة ولم تكتف بذلك، بل أصرت على توصيل ابنة خالتها إلى بيتها والمبيت معها، ولما غادر زوجها البيت خرجت مع الرجل وباتت عنده في داره" ([2])

ثم يقول : " وتزوجت بعد ذلك بنتاً في السادسة عشرة من عمرها قالت لي الخاطبة إن أباها رجل إمام، وأمها لم تخرج من دار أبيها منذ أربعين سنة، والبنت لا تعرف يمينها من شمالها (...) فأقمت معها ستة شهور، وجئت ذات يوم إلى البيت فوجدت ملحفة معلقة في زاوية البيت، فقلت من عندك؟ قالت : بنت أختي جاءت تزورني، فرفعت الملحفة فإذا تحتها رجل قاعد، فقلت له : إذا كنت أنت بنت أختها فأنا كنت بنت خالتها... ثم أنزلته وتركتها، وحلفت

---

[1] – الجوبري، المصدر السابق، ص 181.

[2] – المصدر نفسه، ص 182.

ألا أتزوج بعدها" ([1]) والقصص المماثلة كثيرة، وأوردنا نماذج منها لمعرفة جميع جوانب المجتمع في ذلك العصر.

كما كانت هناك أماكن خاصة بالبغاء في المدن والريف المصري إذ يذكر المقريزي أن الأرمن قد اتخذوا من المنطقة التي عرفت باسمهم، وكراً لبيع الخمور والدعارة" حتى إن المرأة إذا تركت أهلها أو زوجها، أو الجارية إذا تركت مواليها أو الشاب إذا ترك أباه، ودخل عند الأرمن ... لا يقدر أن يأخذه منهم ولو كان من كان " ([2]) وبطبيعة الحال فإن تساهل الدوائر الحاكمة مع أهل الفواحش والبغايا أدى إلى التجاهر بالزنا وشرب الخمر([3])، فقد ذكر ابن الصيرفي أن هناك حارات في بلاد الريف كانت مخصصة للدعارة " ومن اجتاز بها غلطاً ألزم أن يزني بخاطئة فإن لم يفعل فدا نفسه بشيء " ([4]) .

وكانت بيوت الفواحش والبغايا تضمن من قبل الولاة والمقدمين، وكان تحت رعاية الضامن عدة عرفاء يقومون بجبي الرسوم من بيوت الفواحش، وعليهم جند مستقطعين([5]). فهذا يدل على انتشار مظاهر المجون والخلاعة والشذوذ الجنسي والدعارة، ومجالس الموسيقي والخمور، فهو معروف عن الحياة الاجتماعية في القاهرة آنذاك وطوال عصر سلاطين المماليك ([6]).

---

[1] – المصدر نفسه، ص 183.

[2] – المقريزي، السلوك، ج2، ص 395.

[3] – المصدر نفسه، ج2، ص 295.

[4] – ابن الصيرفي، نزهة ، ج1، ص 168. المقريزي، السلوك، ج2، ص 295.

[5] – المقريزي، السلوك، ج1، ص 392.

[6] – عاشور، المجتمع المصري، ص 227– ص 233. قاسم، عصر السلاطين، ص 198.

ثالثاً: دور المرأة الإصلاحي الاجتماعي :

وقد قامت المرأة المسلمة بدورها الدعوى في إصلاح المجتمع ومعالجة مشاكله وعلى الخصوص المشكلة الأخلاقية؛ لأنها أصل البلاء في الغالب ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ ([1]). ولذلك هرع الصالحون من العلماء والعالمات الداعين والداعيات إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة؛ لفهم الكوارث وأسبابها، وكيفية التعامل مع أثارها النفسية والمادية، ومن أهم الوسائل التي اتبعتها الداعيات في المجتمع الأيوبي و المملوكي.

1- الوعظ : لاشك أن الخطاب المباشر هو آلية مهمة في إيصال الرسائل التي تريد إيصالها إلى المستقبل، لذلك شجع العلماء النساء على الوعظ وممارسة الدعوة لإصلاح الأخلاق والاعتقادات المخلة بالفهم للإسلام، و كنَّ يعظنَّ عموم النساء في أماكن متعددة كالبيوت أو المساجد أو الربط والخانقاهات، ومن أشهر من تخصص في وعظ النساء خديجة بنت يوسف بن غُنَيْمة بن حسين العالمة، الفاضلة، أمة العزيز البغدادية ثم الدمشقية، اشتهرت بالوعظ وكانت تعظ النساء ([2]). وكذا فاطمة بنت سهل بن بشر بن أحمد الإسفرايني بأنها كانت تعظ النساء في بعض المساجد([3]).

وكذلك فاطمة بنت عباس أبي الفتح البغدادية([4])الشيخة المفتية الفقيهة العالمة الزاهدة العابدة، أم زينب البغدادية الحنبلية الواعظة، كانت وافرة العلم، تسأل عن دقائق المسائل، وتتقن الفقه إتقاناً بالغاً و يقول ابن كثير فيها أنَّها: (كانت من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وتفعل مالا يقدر عليه الرجال، وكان ابن تيمية يثني عليها،(...)وإذا علم أنَّها ستحضر درسه استعد لها لكثرة وحسن مسائلها وسرعة فهمها. " ([5])، وانتفع بها نساء أهل دمشق لصدقها في وعظها وقناعتها ثم تحولت إلى القاهرة فحصل بها النفع وارتفع قدرها([6]).

2- بناء الربط الخاصة بالنساء : وهذه الوسيلة خطوة أخرى متقدمة في الجانب التطبيقي المؤسسي، و الربط هي مؤسسة تقوم على تربية الفرد نفسياً وأخلاقياً وقد كثرت في

---

[1]- الأعراف : أية 58.

[2] – الذهبي، تاريخ الإسلام الذهبي ، ج52 ، ص 404

[3] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج70، ص 262.

[4] – الصفدي ، أعيان العصر، ج4، ص 28. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 418. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 34. ابن محمد الأموي، معجم أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية، ج1، ص116. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، 239.

[5] – ابن كثير، البداية و النهاية، ج14، ص 82.

[6] – الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4، ص 40 . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1 ، ص418. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص 34.

بلاد الشام و مصر؛ لتكون أمكنة لإصلاح الأفراد بتربيتهم تربية إسلامية تصفي نفوسهم من المعاصي وتعينهم على الاستقامة على الأخلاق الإسلامية، وهو دور تقوم به منظمات غربية بين ضحايا الكوارث في عصرنا في آسيا وإفريقيا؛ لإيواء النساء العاجزات، أو المطلقات أو من فقدن عائلهن، فتكون تلك الرُبُط مفتوحة أمامهن لإيوائهنّ والصرف عليهنّ([1])، وكما مر معنا سابقاً في الفصل الثالث قيام النساء ببناء العديد من الربط الخاصة بهن وكان في كلّ رباط شيخة تتولى تعليمهنّ وتثقيفهنّ كما ذكر في رباط عذراء خاتون داخل باب النصر بدمشق([2]).

ورباط البغدادية : أنشأته السيدة الجليلة تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس سنة 648هـ / 1285م، وكان هذا الرباط موقوفًا على النساء المطلقات حتى يتزوجن، أو من هجرهن أزواجهن حتى يرجعن إلى أزواجهن ؛ صيانة لهن من الانحراف، وقد اشتهر ذلك الرباط بشدة الضبط وغاية الاحتراز والحفاظ على الأخلاق والمواظبة على العبادة ([3]).

كما واجهت المرأة في ذلك العصر مشكلة أخرى ألا وهي مشكلة الترمل، وهي من المشكلات الاجتماعية الكبرى، نتيجة للمعارك التي دارت بين الفريقين، فغالباً ما تفقد المرأة زوجها وأولادها و إخوتها في ساحات القتال، وكذلك البنات اللاتي فقدن آباءهن، وهذه الخسائر يظل تأثيرها مدي الحياة، وأشرفت الدولة النورية على تزويج الأرامل والاهتمام بهن ووجد الأطفال اليتامى الذين فقدوا آباءهم في ساحات الهيجاء العناية والاهتمام، وأشارت المصادر التاريخية إلى أن الدولة حرصت على علاج أوضاعهم من خلال صرف مخصصات لهم من مال وكساء ([4]) ، ففي سنة 569ه/1173م استدعى نور الدين محمود بن زنكي رؤساء دمشق ومشايخها ومقدمي حاراتها ودروبها، وقال : أريد منكم أن تكشفوا عن أحوال مجاوريكم فعّرفوني باليتامى والأرامل ومن انقطع عن التكسب ومن اختلت أحواله لنظر في حالهم ففعلوا ذلك فبعث إليهم بالغلات والكسوات ووظف لهم الوظائف ([5]).

وقد استجاب بعض السلاطين والأمراء لنصائح وإرشادات العلماء والفقهاء على مختلف العصور، باتخاذ العديد من الإجراءات وإصدار المراسيم ضد المنكرات والفواحش؛ لتطهير المجتمع من بعض الآفات التي انتشرت في تلك الحقبة من الدراسة ، ما قام به

---

[1] – المزيني، الوقف وأثره، ص620.

[2] – ينسب هذا الرباط إلى الست عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب المتوفاة سنة 593هـ (1196م)، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة – قسم دمشق – ص196 .

[3] - المقريزي، الخطط، ج2، ص427–428.

[4] – ابن العديم، زبدة حلب، ج2 ، ص39 . الصلابي، عصر الدولة الزنكية، ج1، ص 478

[5] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 344.

السلطان نور الدين محمود أنه أمر بإبطال الخمارات والخمور من مدينة دمشق، فقال فيه الشاعر ابن صدقة متحاملاً عليه :

أنهيت عـــن شرب الخمور وأنت مــن كأس المظـــالم طافح مخمـــــــــور
عطلت كاســـــــات المـــــدام تعففاً وعليك كاســـــــات الحرام تدور ([1])

واستمر السلاطين الأيوبيون على نفس النهج في مكافحة أنواع الفساد والمنكرات، ومن تلك الإجراءات التي قام بها الملك العادل سنة 612هـ / 1216م، حيث أبطل ضمان الخمر والقيان ([2])، فطَّهر جميع ولايته من الخمور والخواطئ والقمار والمخنثين لمنع انتشار الرذيلة والبغاء([3])، فهذا يدلل على أن تلك الظاهرة كانت منتشرة في معظم أقاليم الدولة الإسلامية في مصر والشام، ومن المآخذ التي أخذت على السلاطين في ذلك المجال ما أخذه الحافظ ابن كثير على المعظم عيسي " أنه أعاد ضمان القيان والخمور والمغنيات وغير ذلك من الفواحش والمنكرات التي كان أبوه قد أبطلها" ([4])، فكان عذره أنه بحاجة إلى هذه الأموال؛ لينفقها على الجند واحتياجه إلى النفقات لمواجهة الفرنج ، فيقول الحافظ ابن كثير : وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمور فإن هذا العمل يمكن العدو بهم ويثبط الجند على القتال، فيولون بسببه الأدبار، فهذا يؤدي إلى تدمير وتخريب الديار، كما جاء في الأثر " إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني" ([5]) فلذلك كان ضرره أكثر من نفعه.

ومن تلك الإجراءات في ذلك الشأن تلك التي أصدرها الظاهر بيبرس عام 666هـ / 1270م، " أمر بإراقة الخمور وإبطال الفساد، ومنع النساء الخواطئ من التعرّض إلى البغاء من جميع القاهرة ومصر، وسائر الأعمال المصرية، فتطهرت أرض مصر من هذا المنكر، ونهبت الخانات التي كانت معدّة لذلك، وسلب أهلها جميع ما كان لها، ونفى بعضهم، "وحبست النساء حتى يتزوّجن" ([6])، ولكن العمل بذلك الأمر لم يستمر طويلاً، ودليل على ذلك الإجراءات التي اتخذها السلطان الناصر محمد قلاوون سنة 720هـ / 1320م، بإبطال بيوت

---

[1]– أبو شامة، الروضتين، ج1، ص 55.
[2]– أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 138. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج44، ص 10.
[3] - المصدر نفسه، ص 169.
[4]– ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 97.
[5] – المصدر السابق، ج13، ص 97.
[6] – المصدر نفسه، ج1، ص 134. ابن الفرات، تاريخ، ج6، ص 96. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 313. عاشور، المجتمع، ص 246.

الفواحش، وأبعد أرباب الملاهي، وأغلق الحانات، وكتب السلطان لسائر نواب الشام وإبطال ضمان الخمارات، واستتابة أهل الفواحش" فعمل ذلك في سائر المدن الشامية وضياعها ([1]) .

وهكذا كان انحراف الأخلاق، وانتشار أمراضه الاجتماعية من أهم النتائج التي تمخضت عن الحروب الصليبية، حيث انتشرت بيوت الدعارة في معظم البلاد الإسلامية، كما انتشرت مجالس الموسيقي والشراب، والغناء في الدولة الأيوبية والمملوكية، وحظيت الدعارة برعاية الدولة، وفرضت عليها ضريبة ضمان المغاني .

بطبيعة الحال عاني المجتمع الفرنجي (الصليبي) من مظاهر الانحلال الخلقي وتفشي الرذيلة وانتشار الأمراض، بسبب تمسكهم بالسلوكيات الأخلاقية البالية التي كانت سائدة في الغرب الأوروبي وقتذاك وانتقالها معهم إلى الشرق، منذ أن صحبت المرأة الفرنجية الصليبية الحملات الصليبية على الأرض المقدسة كانت تقوم ببذل نفسها لمتعة الجنود وذلك لاعتقادها قربة لله، وكان من مظاهر تدني مكانة المرأة الصليبية، انتشار أسواق الخمارات، وبائعات الهوى في المدن الصليبية([2])، وقد أثر ذلك تأثيراً سلبياً على قواتهم العسكرية، كما أسلفنا سابقاً، وخاصة في أوقات الشدة والحروب، حيث بذلت الجهود للحد من تلك الرذائل([3])، ومن ذلك ما قام به ريتشارد قلب الأسد عام 587هـ / 1191م، حين غادر عكا لقتال المسلمين؛ فمنع النساء من مصاحبة الجيش ، واستثني من ذلك الغسالات، مما أسخط الجنود الذين حرموا الراحة والنعيم، ومعاشرة النساء الساقطات ([4]).

بل أكثر مِن هذا ما يرويه أحدُ المؤرِّخين اللاتين مِن أنَّ سكَّان بيت المقــدس الفــرنج المستوطنين – فترة احتلال الصليبيِّين للمدينة المقدَّسة – وحتى الأغنياء منهم كانوا يُقــدِّمون أخواتِهم وبناتهم، وحتى زوجاتِهم من أجل متعة زُوَّار المدينة في سبيل الحُصول على المــال ([5]) .

لذلك لا غرابة أن مهنة الدعارة كانت نشطة للغاية، حتى إن العاهرة التي كانت ترافق الجندي في المعسكر الصليبي تحيا حياة أفضل من ساقي الملك الفرنسي نفسه([6])، وقد أقر المؤرخون الصليبيون أنفسهم بتواجد ظاهرة الزانيات والمومسات في مجتمعهم التي اشتهرت بهم مدينة

---

[1]– المقريزي، السلوك، ج3، ص 30 .

[2] – الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص 262.

[3]- يرجع مؤرخو الحملة الصليبية الأولى متاعب الفرنج عند أنطاكية إلى فسوقهم وخطاياهم، كما يشير المؤلف المجهول، بينما يشير ريموند دا جيل صراحة إلى ممارسة الفرنج الزنا. مجهول، أعمال، ص 56. ريموند داجيل، تاريخ الفرنجة، ص 89.

[4]– مجهول، الحروب الصليبية، ج2، ص 58.

[5] –. Zoé ، Oldenbourg : The Crusades،p. 519

[6]– المصدر نفسه، الحرب الصليبية،ج2، 59.

كبيرة مثل عكا، فقد ذكر الفيتري أن مدينة عكا كانت تعج ببيوت الدعارة، ولأن المومسات يدفعن أعلى الإيجارات، فلهذا فإنه ليس المدنيون فحسب بل ورجال الدين الذين يقومون بتأجير منازلهم في جميع أنحاء مدينة عكا للمومسات لما تدر عليهم من أرباح طائلة ([1]).

ويشير فوقاس إلى ازدحام مدينة عكا بالسكان وإلى أنه تحتوي ألواناً من الفساد، والتحلل الخلقي الناجم عن تدفق أعداد متزايدة من الغرباء، وإن ذلك صاحبه انتشار العديد من الأمراض، والأوبئة مما أدي إلى تعدد صور الردى بها([2]) وربما هذا النص يفسره لنا ما شاهده ابن جبير في رحلته لتلك المدينة، وذكر أنها " تستعير كفراً وطغياناً، وتفور خنازير وصلباناً زفرة قذرة مملوءة كلها رجساً وعذره" ([3]) .

من الملاحظ لكلا النصين أنهما اتفقا على حقيقة تفشي التحلل الخلقي، والرذيلة في مدينة عكا، ويعود ذلك إلى أنها مدينة ساحلية وهي مهبط القادمين من الغرب، وكذلك وجود عدد كبير من الفاسقات اللاتي اشتهرت مراكزهن في المدينة، ومن المنطقي تزايد أعدادهن من خلال التفسخ الأخلاقي الذي يواكب المجتمعات المحاربة التي تموت فيها الرجال، وتبقي النساء أرامل بعد وفاة أزواجهن، على نحو يفتح الطريق أمام الرذيلة([4])، كما كان في مدينة عكا حي عرف بالحي الأحمر([5])، ويقدم المؤرخ المجهول الذي رافق الملك ريتشارد في حملته إلى عكا وصفاً دقيقاً لمجالس الطرب، والشراب الذي تدار فيه كؤوس الخمر، وما يصاحبها من لهو ومجون، وانغماس الناس في الملذات ، ووصف الراقصات، وما يتزيين به من حلي ، وما يرتدينه من ملابس خليعة تظهر مفاتنها ومحاسنها " لتبرز من أجسادهن ما يثير شهوة الناظرين " ([6]).

فذكر العماد الأصفهاني سنة 585هـ / 1189م أنه : " وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة إفرنجية مستحسنة ، متحلية بشبابها وحسنها متزينة، وقد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجرائر، واغتربن لإسعاف الغرباء، وتأهبن لإسعاد الأشقياء(...) فوصلن وقد سبلن أنفسهن، وقدمن للتبذل أصونهن وأنفسهن وذكرن أنهن قصدن بخروجهن تسبيل فروجهن، وأنهن لا يمتنعن من العزبان، وأنهن لا يتقربن بأفضل من هذا قربان" ([7]) .

---

[1]- Jacques' de, Vitry, A History of Jerusalem,p . 62 .

[2] - فوقاس، الرحلة، ص 383. الأغا، الحياة الاجتماعية، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، ص 284(

[3]- ابن جبير، الرحلة، ص 383.

[4]- Jacques' de, Vitry, A History of Jerusalem, p . 62 .

[5]- براور، عالم الصليبيين، ص 202. عوض، العلاقات، ص 133.

[6]- مجهول، الحرب، ج2، ص 153- 154.

[7] – العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 186، 187. ، أبو شامة، عيون الروضتين، ج4، ص 105.

وعلى كل حال، فإن الكتابات التاريخية الإسلامية تجعل من المرأة الإفرنجية متحررة إلى حد الميوعة، وقد يكون ذلك قياساً على قيم المجتمع الإسلامي وعاداته، لذلك نجد المؤرخين يسهبون في ذكر ما يعتبر شاذاً في مخيلهم الاجتماعي وفي هذا الصدد، يطنب الأصفهاني في ذكر العديد من الصفات التي تصوّر ميوعة المرأة الإفرنجية. فهي ــ حسبما يذكره ــ تتميز بالتبرج والميوعة والتغنج والشبقية دون أن يخفى ما تميزت به من جمال ربما يكون قد جعلها تنحو نحو مجال الميوعة، فهو يصف قامتها فيذكر أنها "عجراء هيفاء غناء لفاء" ولم يخف إعجابه بجمالها، فذكر أنها " تسحر بنظراتها نُظَّارها، وتنثني كأنها غصن"([1])

وقد كان العماد الأصفهاني أميناً على التاريخ عندما ذكر انزلاق العديد من الجهال والفسقة من جيش المسلمين للتعامل معهم من أجل هؤلاء النسوة، فقد فتنوا بهن، فكانوا يترددون على تلك الأماكن باستمرار ؛ لضربهن قبابهن بالقرب من معسكر جيش المسلمين ([2])، فيقول المؤرخ العماد الأصفهاني : " وأقمن في قباب معروفة معلومة، وانضم إليهن أترابهن من الحسان الشواب، و فتحن أبواب الملاذ، وسبلن ما بين الأفخاذ (...) وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية وعجبوا كيف تعّبدن بها بترك النخوة والحمية، وأبق من المماليك الأغبياء جماعة ابتلوا الغواية، فمنهم من رضي فأقام ومنهم من ندم فعاد " ([3]) .

وتضمن مرسوم مجلس نابلس 514هـ / 1120م، بعض القرارات التي تحد من انغماس الإفرنج في الرذيلة فقد جاء القرار الخامس بأنه إذا ضاجع إفرنجي زوجة إفرنجي آخر واعترف بذلك فإنَّه ينفي خارج البلاد بأمر قضائي وتقتل الزانية إلا إذا صفح عنها زوجها، فيكون لزاماً عليها مغادرة البلاد إلى غرب أوروبا ([4]).

نلاحظ أن مسألة صفح الزوج عن زوجته أو حتي التقاضي عن الأمر كله كانت أمراً معتاداً يحدث بين الفرنج حتي بعد صدور قرارات مؤتمر نابلس، وقد فسر أسامة بن منقذ حدوث الظاهرة لافتقار الفرنج للغيرة على العرض، ويضرب مثالاً على ذلك بروايته عن الفرنجي الذي عاد إلى منزله ليجد زوجته فراشه مع إفرنجي آخر يمارسان الفاحشة، فلم يتعد رد فعل الزوج سوى أنه استفسر من الرجل عن سبب دخوله إلى بيته، ونومه في فراشه

---

[1] العماد الأصفهاني، المصدر نفسه.

[2] – العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص 188.ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص 308.أبو شامة، عيون الروضتين، ج4، ص 106 . ابن كثير، البداية والنهاية ، ج13، ص 334. العليمي، الأنس الجليل، ج1 ، ص 362.

[3] ـ العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 188. أبو شامة، عيون الروضتين، ج4، ص 105 . الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص 66.العليمي، الأنس الجليل، ج1 ، ص 362.

[4] ـ عطية، مجلس نابلس، ص 47. الأغا، الأوضاع الاجتماعية، ص 286(رسالة ماجستير غير منشورة) .

ولامه على ذلك إن عاد سيخاصمه، فَعلَّق ابن منقذ على تلك الحادثة بقوله" فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته "([1]).

أما في القرار السادس فيقضي بأنه " إذا راودت الشكوك فرنجياً حول ارتكاب رجل دين من الفرنج مع زوجته، فعلى الزوج أن يمنع رجل الدين من التردد على منزله أو التحدث مع زوجته، وإذا ما اكتشف الزوج أنهما لا يزالا يلتقيان، وضبطهما بعد ذلك يرتكبان الفاحشة؛ فليعرض قضيته على عدالة الكنيسة، وإن لم تنصفه يعرض الأمر لاحقاً على محكمة علمانية" ([2]).

ومن القرار السابع للمجلس ندرك أن المجتمع الإفرنجي لم يخلُ من القوادين من الرجال والنساء الذين يسهلون أمر قيام علاقات غير شرعية بين الرجال والنساء من اللتين، وكانوا يديرون بيوت الدعارة التي انتشرت في المدن الصليبية، فيقضي القرار السابع" بأن يخضع للمحاكمة كل قواد أو قوادة يقوم بإغواء زوجة أحد الأشخاص وجعلها تمارس خطيئة الزنا، وتحاكم كذلك الزانية"([3]).

وإلى جانب ارتكاب الفاحشة مع زوجات الآخرين، والاعتداء على حرمة بيت رجل آخر وانتشار بيوت الدعارة، واجه مجلس نابلس مشكلة الشذوذ الجنسي بين الصليبيين، وممارسة اللواط؛ لذا فإن مجلس نابلس أصدر أربع قرارات لمعالجة هذه المشكلة([4]).

كما قرر مجلس نابلس عقوبات رادعة ضد رجال اللتين؛ إذا ما سعوا إلى إقامة علاقات جنسية غير شرعية مع النساء المسلمات؛ فأصدر المجلس خمس قرارات لمعالجة هذه المشكلة منها.

- إذا ثبت أن أحداً ضاجع امرأة مسلمة برغبتها الشخصية يعاقب الاثنان معاً، وذلك بأن يخصي الرجل، ويجدع أنف المرأة([5]).
- كذلك تقرر أنه إذا أرغمت امرأة مسلمة بأن تمارس الجنس مع رجل مسلم، يتم تطبيق عقوبة الزنا على كل منهما، أما إذا تعرضت للاغتصاب فهي في هذه الحالة غير مذنبة، ويتم إخصاء الرجل([6]).
- أما إذا ضاجعت امرأة فرنجية رجلاً مسلماً بإرادتها فيقع عليهما معاً جزاء الزنا؛ أما إذا تعرضت للاغتصاب فلا تعد هي مذنبة، ويخصى المسلم([1]).

---

[1] - ابن منقذ، الاعتبار، ص 243.
[2] عطية، مجلس نابلس، ص 47. الأغا، الأوضاع الاجتماعية، ص 286(رسالة ماجستير غير منشورة) .
[3] - المرجع نفسه، ص 47.
[4] - المرجع نفسه، ص 47.
[5] - برندويج، الدعارة، ص 179.
[6] -المرجع نفسه، نفس الصفحات.

- هكذا نجد أن القرارات الخمس الأخيرة تحرم على الفرنج رجالاً ونساءً إقامة علاقات جنسية مع المسلمين من الرجال والنساء وذلك لمخالفة السكان المحليين للفرنج في العقيدة فلم يكن العنصر هو المانع وإنما العقيدة([2]).

وبالرغم من العقوبات الرادعة التي أقرها قادة الصليبيين ضد مرتكبي الفواحش من رجالهم، فإن الفرنج بقوا على سلوكهم وخطاياهم، لأن سلوكياتهم الغير أخلاقية تأثرت بقيمهم السائدة في الغرب الأوروبي و قد بقي الصليبيون متأثرين بهذه السلوكيات في الشرق لعدم وجود أي وازع ديني.

---

[1] - برندويج، الدعارة، ص 179.
[2] - برندويج، الدعارة، ص 179.

الخاتمة

استطعنا بفضل من الله سبحانه وتعالى اكمال دراستنا لموضوع البحث فأعطينا جوانبه قدر استطاعتنا متوصلين إلى نتائج عدة :

- ❖ توصلت الدراسة إلى أن المرأة المسلمة أثبتت قدرتها على تدبير شئون الحكم على أكمل وجه في تلك الفترة التاريخية الحاسمة، وحفظت الملك وبقيت وفيَّة لأسرتها ، فكان للمرأة تأثير واضح في سياسة الدولة سواء من خلف الستار أو من أمامه .
- ❖ أوضحت الدراسة دور المرأة المسلمة في القتال ضد الفرنجة وغيرهم، حسب طاقتها، سواء كان ببذل مالها من أجل إطلاق سراح الأسري، وتقديم يد العون للجرحى والمصابين، أو من خلال إثارة الحماسة والحمية في نفوس المجاهدين .
- ❖ خلصت الدراسة إلى أن المرأة الفرنجية كانت من أولى الجموع التي خرجت إلى الشرق، وموقفها من الدعاية الصليبية، فقد كان لها دور بارز أثَّرَ على الحملات الفرنجية تأثيراً واضحا كما أرجع مؤرخوهم المعاصرون، إلى أنها كانت سبباً في هزائمهم .
- ❖ كما سلطت الدراسة الضوء على مكانة المرأة الفرنجية في مجتمعها من خلال وصولها إلى العرش في الشرق بفضل النظام الوراثي، ومشاركتها في القتال إلى جانب الجند في أرض المعركة، كما اُستخدمت للترفيه وتسلية الجنود.
- ❖ أن تعليم المرأة في تلك الفترة كان يتم في منازل العلماء والمساجد والربط ضمن الحدود الشرعية، فلم يكن هناك مدارس خاصة بهن لتعليمهن .
- ❖ لم يقتصر عطاء المرأة المسلمة على تدبير أمور الحكم والتضحية فقط، بل امتد هذا العطاء إلى المجال العلمي والتعليمي، فظهرت الفقيهة والمُحدِّثة والمفتية، التي يقصدها طلاب العلم، ويأخذ عنها بعض أساطين العلماء، وتُستفتى في بعض الأمور التي تخص عامة المسلمين، وظهر من العالمات المسلمات من تعقد مجالس العلم في كبريات المساجد الإسلامية، ويحضر لهنَّ الطلاب من الأقطار المختلفة للقراءة عليهن، وعُرف عن بعض الفقيهات والمحدثات المسلمات أنهن أكثرن من الرحلة في طلب العلم إلى عدد من المراكز العلمية في مصر والشام والحجاز حتى صرن راسخات القدم في العلم والرواية، وكان لبعضهن مؤلفات وإسهامات في الإبداع الأدبي.
- ❖ توصلت الدراسة من خلال تراجم النساء التي زخرت بها كتب التراجم والتاريخ في بلاد الشام ومصر إلى وجود نماذج فريدة من النساء ضَاهَيْنَ الرجل بعلو السماع وكانت لهن جهود عظيمة في خدمة علم الحديث، حتى نزل بأهل الأرض بموتهن درجة في الحديث.

- ❖ زاحمت المرأة المسلمة الرجال بإثراء الحياة العلمية والثقافية من خلال بناء المراكز العلمية ورعايتها لها من خلال الأوقاف التي أوقفتها عليها للحفاظ على ديمومتها واستمراريتها في العطاء.
- ❖ ومن النتائج التي توصلت إليها خلال الدراسة أن المرأة في تلك الفترة التاريخية سواء كانت مسلمة أو مسيحية حظيت بمكانة عالية في المجتمع أحاطت بها هالة من التقدير والاحترام سواء كان في الطبقة الحاكمة أو العامة من خلال الألقاب، التي أطلقوها عليها من باب الثناء والتزكية والفخر العظيم.
- ❖ هناك دور للمرأة في الحياة العامة من خلال المهن والحرف التي كانت تقوم بها، والتي تناسب تكوينها فظهرت الماشطة أو البلانة التي تهتم بزينة النساء في الأفراح والخطابة وغيرها.
- ❖ كما بيَّنت الدراسة أن المرأة العربية لم تهملِ العنايةَ بنفسها وجسدها؛ نظرًا لما عُرِف في ذلك العصر من أنواع الزِّينة المختلفة: من طلاء الأظافر، والوشم الذي اعتادتْ كثيرٌ من النِّساء أن يُزَيِّنَّ به أجزاءً مختلفة من أجسامهنَّ .
- ❖ كما وضحت الدراسة صورة خاصة عن المرأة الصليبية ومدي تأثرها بالحياة في الشرق، وذلك من خلال العادات والتقاليد الإسلامية، وظهر هذا التأثير واضحاً في نواحي عدة، منها ارتياد الحمامات، والملابس والزينة والطعام والشراب وحفلات الزفاف وغيرها .
- ❖ كما أوضحت الدراسة مظاهر اختلاط النساء بالرجال في أثناء خروجهنَّ في مواسم الأعياد والجمع للقرافة، وللتنزه وما كان ينجم عن ذلك ارتكاب المعاصي والمفاسد، وتوضيح ودور السلاطين والأمراء المماليك، في ردع مثل هذه الأمور وإصدار العديد من المراسيم والسلطانية لمنع خروج المرأة من بيتها إلا لحاجة ضرورية درءاً للمفاسد .
- ❖ خَلُصَتْ الدراسة إلى أن من نتائج وآثار الحروب الصليبية ظهور مظاهر التفسخ القيمي والأخلاقي على الجانبين وانتشار مظاهر الرذيلة الفسق، فقد عاني منها المجتمع الصليبي في الشرق وظهور العديد من الأمراض الخبيثة، وكما ازداد هذا الانحلال في عهد الدولة المملوكية التي ساعدت على انتشار البغاء والدعارة إذ كانت الدولة تفرض ضريبة على من يمارسها من أجل ما تُدِرُّه على الخزينة من أموال .

ومن التوصيات التي خلصت إليها في هذا البحث، آمل أن تكون حافزاً لطالبات العلم نحو الجد في التفقه في الدين وإتقان ما ينفعهنّ في حياتهنّ العلمية والعملية. فليكن ذلك دافعاً للمرأة المسلمة في وقتنا الحاضر إلى التمعن في تاريخ أختها المسلمة في كل عصر لتفتخر بها من خلال إنجازاتها العلمية والحضارية، فتقتبس منها ما يعينها إلى بناء المجتمع و يكون لها دورها الفاعل في المسار الحضاري بضوابطه المستنبطة من مصدريته ومرجعيته الشرعية .

الملاحق

ملحق رقم (1)

الهدنة بين بيبرس وإيزابيلا ملكة بيروت 667هـ / 1269م.

وهذه نسخة هدنة من هذا النمط عقدت بين السلطان الملك الظاهر بيبرس أيضا وبين ملكة بيروت من البلاد الشامية في شهور سنة سبع وستين وستمائة حين كانت بيدها وهي

بيبرس وبين الملكة الجليلة المصونة الفاخرة فلانة ابنة فلان مالكة بيروت وجميع جبالها وبلادها التحتية مدة عشر سنين متوالية، أولها يوم الخميس سادس رمضان سنة سبع وستين وستمائة الموافق لتاسع أيار سنة ألف وخمسمائة وثمانين يونانية على بيروت وأعمالها المضافة إليها الجاري عادتهم في التصرف فيها في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأيام ولده الملك المعظم عيسى وأيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز، والقاعدة المستقرة في زمنهم إلى آخر الأيام الظاهرية بمقتضى الهدنة الظاهرية بمقتضى وذلك مدينة بيروت وأماكنها المضافة إليها من حد جبيل إلى حد صيدا، وهي المواضع الآتي ذكرها جونية بحدودها والعذب بحدودها والعصفورية بحدودها والراووق بحدودها وسن الفيل بحدودها والرح والشويف بحدودها وأنطلياس بحدودها والجديدة بحدودها وحسوس بحدودها والبشرية بحدودها والدكوانة وبرج قراجار بحدودها وقرينة بحدودها والنصرانية بحدودها وجلدا بحدودها والناعمة بحدودها ورأس الفيقة والوطاء المعروف بمدينة بيروت وجميع ما في هذه الأماكن من الرعايا والتجار ومن سائر أصناف الناس أجمعين والصادرين منها والواردين إليها من جميع أجناس الناس والمترددين إلى بلاد السلطان فلان وهي الحميرة استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين وأعمالها وقلاعها وبلادها وكل ما هو مختص بها والمملكة الأنطاكية، وقلاعها وبلادها وجبلة واللاذقية، وقلاعها وبلادها وحمص المحروسة، وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها ومملكة حصن عكا وما هو منسوب إليه والمملكة الحموية وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها والمملكة الرحبية وما هو مختص بها من قلاعها وبلادها والمملكة البعلبكية، وما هو مختص بها من قلاعها وبلادها والمملكة الدمشقية وما هو مختص بها من قلاعها وبلادها ورعاياها وممالكها والمملكة الشقيفية، وما يختص بها من قلاعها وبلادها ورعاياها والمملكة القدسية، وما يختص بها والمملكة الحلبية وما يختص بها والمملكة الكركية والشوبكية، وما يختص بها من القلاع والبلاد والرعايا والمملكة النابلسية والمملكة الصرخدية، ومملكة الديار المصرية جميعها بثغورها وحصونها وممالكها وبلادها وسواحلها وبرها وبحرها ورعاياها وما يختص بها والساكنين في جميع هذه الممالك المذكورة وما لم يذكر من ممالك السلطان وبلاده وما سيفتحه الله تعالى على يده ويد نوابه وغلمانه يكون داخلا في هذه الهدنة المباركة ومنتظما في جملة شروطها، ويكون جميع المترددين من هذه البلاد وإليها آمنين مطمئنين على نفوسهم وأموالهم وبضائعهم من الملكة

فلانة وغلمانها، وجميع من هو في حكمها وطاعتها برا وبحران ليلا ونهارا ومن مراكبها وشوانيها

وكذلك رعية الملكة فلانة وغلمانها يكونون آمنين على أنفسهم وأموالهم وبضائعهم من السلطان ومن جميع نوابه وغلمانه، ومن هو تحت حكمه وطاعته برا وبحرا ليلا ونهارا في جبلة واللاذقية وجميع بلاد السلطان ومن مراكبه وشوانيه، وعلى أن لا يجدد على أحد من التجار المترددين رسم لم تجر به عادة بل يجرون على العوائد المستمرة والقواعد المستقرة من الجهتين وإن عدم لأحد من الجانبين مال أو أخذت أخيذة وصحت في الجهة الأخرى ردت إن كانت موجودة أو قيمتها إن كانت مفقودة وإن خفي أمرها كانت المدة للكشف أربعين يوما، فإن وجدت ردت وإن لم توجد حلف والي تلك الولاية المدعى عليه وحلف ثلاثة نفر ممن يختارهم المدعي وبرئت جهته من تلك الدعوى فإن أبى المدعى عليه عن اليمين حلف الوالي المدعي وأخذ ما يدعيه وإن قتل أحد من الجانبين خطأ كان أو عمدا كان على القاتل في جهته العوض عنه نظيره فارس بفارس وبركيل ببركيل، وراجل براجل وفلاح بفلاح وإن هرب أحد من الجانبين إلى الجانب الآخر بمال لغيره رد من الجهتين هو والمال ولا يعتذر بعذر وعلى أنه إن تاجر فرنجي صدر من بيروت إلى بلاد السلطان يكون داخلا في هذه الهدنة وإن عاد إلى غيرها لا يكون داخلا في هذه الهدنة وعلى أن الملكة فلانة لا تمكن أحدا من الفرنج على اختلافهم من قصد بلاد السلطان من جهة بيروت وبلادها وتمنع من ذلك وتدفع كل متطرق بسوء وتكون البلاد من الجهتين محفوظة من المتجرمين المفسدين، وبذلك انعقدت الهدنة للسلطان وتقرر العمل بهذه الهدنة والالتزام بعهودها والوفاء بها إلى آخر مدتها من الجهتين لا ينقضها مرور زمان ولا يغير شروطها حين ولا أوان ولا تنقض بموت أحد من الجانبين، وعند انقضاء الهدنة تكون التجار آمنين من الجهتين مدة أربعين يوما ولا يمنع أحد منهم من العود إلى مستقره وبذلك شمل هذه الهدنة المباركة الخط الشريف حجة فيها والله الموفق في تاريخ كذا وكذا

القلقشندي، صبح الأعشى ، ج14، ص 43، 44، 45، 46، 47)

ملحق رقم (2)

وقفية ست الشام:

" بسم الله الرحمن الرحيم: هذه مدرسة الخاتون الكبيرة الآجلة عصمة الدين ست الشام أم حسام الدين بنت أيوب بن شادي رحمها الله، وقفتها على الفقهاء والمتفقهة من أصحاب الإمام / الشافعي (رضي الله عنه) والموقوف عليها وعليهم وعلى ما يتبع ذلك، جميع القرية المعروفة ببزينة، وجميع الحصة وهي أحد عشر سهماً ونصف من أربعة وعشرين سهماً من جميع لمزرعة المعروفة بجرمانا، وجميع الحصة وهي أربعة عشر سهماً من القرية المعروفة بالتينة، ونصف القرية المعروفة بمجيدل السويدا، وجميع القرية المعروفة بمجيدل القرية، وذلك في سنة ثمان وعشرين وستمائة ."

مرجعها هو النص المكتوب على العتبة، وهو مرجع موثوق به تماماً ,بأنها وقفية مفصلة دقيقة.

المصدر: أحمد شلبي،التربية والتعليم في في الفكر الإسلامي، ص ,380 بتصرف.

ملحق رقم (3)

مسجد الفردوس بحلب





المصدر : نضال يوسف، ضيفة خاتون".. المرأة التي حكمت حلب" ،الأربعاء 21 نيسان 2010

ملحق رقم(4)

المدرسة الصاحبية – دمشق



إعداد عماد الأرمشي
باحث تاريخي بالدراسات العربية والإسلامية لمدينة دمشق

الملحق رقم (5)

جدول رقم (1)

احصائية بعدد النساء العالمات في بلاد الشام ومصر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر.

صفحة النساء العلمية	العدد الكلي للنساء	عدد النساء في القرن الخامس هـ/11م	عدد النساء في القرن السادس هـ/12م	عدد النساء اللاتي امتدت حياتهن إلى أوائل القرن السابع هـ/13م	ملاحظات
الحافظات	9	–	8	1	
العالمات في الحديث	12	3	3	6	
المحدثات	277	19	152	107	5 بالإضافة آخريات لم ترد سنة وفاتهن
الفقيهات	5	–	–	5	ورد أسمائهن جميعاً في المحدثات
الواعظات	8	1	5	2	4 ورد ذكرهن في المحدثات
الكاتبات	9	2	3	4	
الأديبات والشاعرات	6	1	–	5	
المجموع	326	26	171	130	

قائمة المصادر والمراجع

أولا -المصادر:

أ -المصادر العربية.

ب -المصادر الأجنبية غير المترجمة.

ج -المصادر الأجنبية الُمعَرَّبة.

ثانيا -المراجع:

أ -المراجع العربية.

ب– المراجع الأجنبية غير المترجمة .

ج -المراجع المُعرَّبة.

ثالثا -الموسوعات.

رابعا -الرسائل العلمية.

خامساً -البحوث والدوريات.

أولاً - المصادر :

أ-المصادر العربية :

1- القرآن الكريم .
2- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت: 630هـ / 1233م)
الكامل في التاريخ، ج11، دار الكتب العلمية- بيروت ، 1987م.
اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر بيروت، د. ط، د. ت .
3- ابن الأخوة، ضياء الدين محمد القرشي .(ت :729 هـ /1332م) .
معالم القربة في أحكام الحسبة، علَّق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شم س الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001 م.
4- الأربلي، أحمد بن زمر، (ت : 726هـ / 1325م).
مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها، تحقيق : محمد أحمد الدهان، دمشق، 1367- 1947م.
5- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد :
تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 2001م.
6- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن حسن. (ت: 356هـ / 1966م) : الأغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1407هـ 1986م.
7- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس. (ت : 560هـ/1164م): المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ/1994م.
8- الإصطخرى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. (ت : في القرن 4هـ / 10م) : مسالك الممالك، د.ط، مطبعة أبريل، ليدن، 1927 م.
9- ابن إياس، محمد بن أحمد. (ت: 930هـ / 1533م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفي، ط3، القسم الأول، الهيئة العامة للكتاب- القاهرة، 1983م-1984م.
10- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة .(ت : 256هـ / 867م) :الجامع الصحيح حسب ترقيم فتح الباري، ط1، دار الشعب، القاهرة 1407هـ / 1987م.
11- البدري، أبو البقاء محمد القرشي .(من علماء القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي) : نزهة الأنام في محاسن الشام، القاهرة 1341هـ / 1922م.

12- البغدادي، صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق. (ت: 739هـ/1339م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد اليحاوي، دار المعرفة الجامعية، بيروت، د.ط، د.ت.
13- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد . (ت: 487هـ/1094م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1982م.
14- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي. (ت: 779هـ/1377م): الرحلة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.
15- البنداري، الفتح بن علي بن محمد. (ت: 622هـ / 1225م) : مختصر سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، الطبعة الأولي، مكتبة الخانجي، 1979م.
16- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف. (ت: 874هـ/1469م): "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.د.ط.
17- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. (ت: 728هـ / 1327م): الفتاوي الكبري، تحقيق : محمد عبد القادر عطا – مصطفي عبد القادر عطا، ط1، الناشر دار الكتب العلمية، 1408هـ / 1987م.
18- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور. (ت :429هـ / 1036م) : فقه اللغة و سر العربية، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، بدون ت، د. ط.
19- ابن جبير، محمد بن أحمد . (ت :614هـ/1217م): الرحلة المسماه تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، د. ط، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب، المصري، بيروت–مصر، د. ت.
20- الجرجاني، علي بن محمد الشريف .(ت :816هـ/ 1413م): كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، 1985م.
21- ابن جماعة، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم. (ت: 733هـ / 1332م) المشيخة، تخريج شيخ الإسلام علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي المتوفي سنة 739هـ / 1338م، دراسة وتحقيق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مجلدان، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1408هـ / 1988م.

22- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (ت: 597هـ/1200م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، 1413هـ/1992م.

23- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي القاسي.(ت: 737هـ / 1337م): المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ط، د . ت.

24- ابن حجر، أحمد بن علي. (ت: 852ه / 1448مـ) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ، تحقيق محمد عبد الحليم خان ، دار النشر المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند ، ط2، 1972م.

- أبناء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989 م.
- المعجم المفهرس، تحقيق د. محمد شكور محمود الحاجي أمرير المياديني، الناشر مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1418هـ - 1998.

25- الحسيني، تقي الدين أبي بكر، كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار، تحقيق د. علي بن عبد الحميد بطلجي ومحمد وهي سليمان، ج1، الناشر دار الخير – دمشق 1994م.

26- بن حماد، أبو عبد الله محمد بن علي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق :التهامي و عبد الحليم عويس، الناشر دار الصحوة، القاهرة، 1401هـ / 1990م.

27- ابن حيان، جعفر بن حيان .(ت: 369هـ/ 980م) : طبقات المحدثين، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، ج4، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1، 1992م.

28- الحموي، أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف .(ت:630هـ/1232م): "التاريخ المنصوري"، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد دودو، مراجعة عدنان درويش، مطبعة الحجاز، دمشق، 1981م.

29- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله. (ت :626هـ/1228م): معجم الأدباء، المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، 7 أجزاء، حققه وضبط نصوصه وقدم له : عمر فاروق الطباع، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 1420هـ/1999م.

- معجم البلدان، 7أجزاء، ط2، دار صادر، بيروت، 1416هـ/1995م.

30- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم. (ت: 581هـ/ 1185م) : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1975م .

31- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي. (ت: 367هـ / 977م) : صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. صورة الأرض، 2ج، ليدن، 1938م.

32- خسرو، أبو المعين ناصر. (ت: 482 هـ / 1088م) : سفرنامه، تحقيق: يحيي الخشاب، ط 3، دار الكتب الجديدة، بيروت، 1983 م.
33- الخطيب البغدادي، الحافظ أحمد بن علي بن ثابت .(ت :463هـ / 1070م): تاريخ بغداد مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (بلا سنة).
34- ابن خلكان، أحمد بن محمد، (ت: 681هـ / 1282م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
35- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي. (ت: 808هـ / 1405م): التاريخ المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، لبنان، بيروت 1979م.
36- خليفة، حاجي مصطفي عبد الله. (ت 1067هـ/1656م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين التقيا، ج2، دار إحياء التراث العربي، بدون. ت.ط
37- ابن خياط، أبي عبد الله محمد بن علي التغلبي. (ت: 517هـ/1123م): "ديوان ابن خياط"، تحقيق خليل مردم بكن المطبعة الهاشمية –دمشق، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة 1958م، د.ط.
38- أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني .(ت: 275هـ / 888م) : سنن أبي داوود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء 2/ 4، دار الفكر، د. ت.
39- ابن دانيال، شمس الدين عبد الله بن دانيال. (ت: 760هـ / 1358م): خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، تحقيق: إبراهيم حمادة، مصر 1383هـ / 1963م
40- ابن دقماق، (ت 809هـ / 1407م): الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين بن عز الدين علي، ج1، عالم الكتب، ط1، 1405هـ / 1985م.
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ت .
41- الدواداري، أبي بكر بن عبد الله ابن أيبك . (ت :732هـ / 1332م) : كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، د. ط، القاهرة، 1380هـ - 1961م
42- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (ت: 748هـ / 1369م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط7، بيروت، 1990.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو ماجد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت.

- معرفة القراء الكبار علي طبقات والإعصار، تحقيق: بشار عود معروف، وآخرون، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1404هـ ، الطبعة الأولي .
- معجم الشيوخ، جزءان، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطائف، 1409هـ/1988م.
- تاريخ دول الإسلام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ومحمد مصطفى إبراهيم، القاهرة، 1974م.
- تذكرة الحفاظ، 4أجزاء في مجلدين، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ميزان الإعتدال في نقد الرجال، ط1، مطبعة السعادة، مصر 1325هـ / 1925 م.
- ذيل تاريخ بغداد (المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد ابن الدبيثي)، اختصار الذهبي وطبعة أخري بلفظ انتقاء الذهبي، عني بتحقيقه والتعليق عليه ونشره : د. مصطفي جواد، ج1، مطبعة المعارف، بغداد 1371هـ / 1951م ، ج3، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1397هـ / 1977م، راجعه وقدم له: د. ناجي معروف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ / 1985م.

43- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (ت: 721هـ/1321م): "مختار الصحاح"، تحقيق محمود خاطر، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.

44- ابن رافع، أبو المعالي محمد بن رافع السلامي . (ت: 774هـ / 1372م) : الوفيات، تحقيق: صالح مهدي عباس، ط1، بيروت 1972م، مطبعة الموصل 1982م.

45- ابن رجب، زين الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي. (ت: 795هـ / 1393م) : الذيل على طبقات الحنابلة، صححه: محمد حامد الفقي، جزآن في مجلد واحد، مطبعة السنة المحمدية، 1373هـ / 1952م.

46- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني، أبو الفيض. تاج العروس من جوهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهدية، د. ط، د. ت.

47- ابن الساعاتي، على بن رستم، ديوان ابن الساعاتي، تحقيق : أنيس المقدسي، المطبعة الأمريكية، بيروت 1938م.

48- السبكي، عبد الوهاب بن علي. (ت: 771هـ / 1369م) :

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو وآخرون، دار إحياء الكتب العلمية، ط6، القاهرة (د. ت)
- معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار، ط 2، مكتبة الخانقي، القاهرة، 1193 م.

- معجم الشيوخ، تخريج شمس الدين أبي عبد الله بن سعد الصالحي الحنبلي 702-759هـ= 1302- 1358م)، تحقيق: د. بشار عواد - رائد يوسف العنبكي- مصطفي اسماعيل الأعظمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2004.

49- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر، يوسف بن قزاوغلي. (ت :654هـ/1256م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق ودراسة: مسفر ابن سالم الغامدي، الجزء الأول، المملكة العربية السعودية جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة، 1987م.

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: حيدر آباد، الدكن، الهند، 1952م الجزء الثامن

50- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. (ت: 902هـ/1496م): "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، القاهرة، 1934-1936م، د.ط، د.ن.

51- السلفي، صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة ، (ت: 576هـ / 1181م) : معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، الناشر المكتبة التجارية، مكة المكرمة، د. ت

52- ابن سيده، أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ / 1996م.

53- السيوطي ، الحافظ جلال الدين (ت 911هـ / 1505م) : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ.

54- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل (ت: 665هـ / 1266م) : الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق: ابراهيم الزيبق، جزآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997م.

- تراجم رجال القرنيين السادس والسابع المعروف بذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلَّقَ عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1422هـ / 2002م.

55- ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين. (ت: 607 هـ/ 1120 م): مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي، د.ط، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

56- ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، باريس، 1894م.

57- ابن الشحنة، أبي الفضل محمد (ت 890هـ / 1485م) :الدر المنتخب في مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، عالم التراث، سورية، دمشق 1404هـ / 1984م.

58- ابن شداد، بهاء الدين يوسف. (ت: 632هـ/1234م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، دار الفكر، بيروت، د.ط،
59- ابن شداد الحلبي، عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم.(ت: 684هـ/1258م):الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1992م.
60- الشريشي، أحمد بن عبد المؤمن. (ت: 620هـ / 1222م) : شرح مقامات الحريري، تحقيق: محمد عبد الحليم، ط3، مصر 1953م.
61- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك .(ت: 764هـ / 1363م): الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت ريتر.ب. ت. د. ط
-أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق، نبيل أبو عمشة، وعلي أبو زيد، ومحمد موعد، ومحمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر بيروت -لبنان، ودار الفكر، دمشق - سوريا د.ت.
62- الضياء المقدسي، الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي :الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، دار النشر مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة. 1410هـ / 1989م.
63- الطرابلسي، إبراهيم بن موسى .(ت922هـ / 1566م): الإسعاف في أحكام الأوقاف، بيروت، دار الرائد العربي، 1401هـ /1981م.
64- ابن طولون، محمد بن على الصالحى. (ت: 952 هـ1553 م) : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، 2ج، تحقيق محمد احمد دهمان، ط 2، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980 م.
65- ابن عبد ربه، احمد ابن محمد . (ت: 328 هـ/ 940 م) : العقد الفريد، تحقيق : أحمد أمين وآخرون، 7ج، د.ط.، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م.
66- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون. (ت: 660هـ/1286م): تاريخ مختصر الدول، بيروت، د.ط، د.ت، د.ن.
67- ابن عبد الدائم المقدسي، أبي بكر بن المسند زين الدين أبي العباس أحمد بن عبد الدائم ، مشيخة ابن عبد الدائم المقدسي، تحقيق : إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط1، 1997م.

68- العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي. (ت: 380هـ / 992م): الكتاب العزيزي أو المسالك الممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، د. ط، د. ت.
69- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله. (ت 660هـ/1261م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، 1988م.
- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، 1968م.
- وصلة الحبيب في ذكر الطيبات والطيب، تحقيق : سليمان محجوب ودرية الطيب، حلب 1409هـ / 1988م.
70- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله. (ت: 571هـ/1175م): - تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: عمرو بن عرامة العمروي، عدد الأجزاء 80، د. ط، الناشر دار الفكر د. ت.
71- ابن العماد، عبد الحي الحنبلي. (ت :1089هـ / 1678م) :شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1988م.
االعمادلأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله(ت: 596هـ / 1199م)
الفتح القسي في فتح القدسي ، دار المنار ، الطبعة الأولي ، 2004م.
- خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم الشعراء في مصر نشره، أحمد أمين، شوقي ضيف، إحسان عباس ، ج2 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر نشر القاهرة، د.ت، د.ط.
72- العمري، شهاب الدين ابن فضل الله (749هـ / 1348م) :مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، دراسة وتحقيق: دوروتيا كرافولسكي، د.ط، المركز الإسلامي للبحوث ، بيروت، 1986 م.
73- ابن العميد، المكين جرجس بن إياس. أخبار الأيوبيين، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، د. ط، د. ت .
74- العليمي، مجير الدين الحنبلي . (ت: 927هـ / 1521م) :الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، تحقيق: عدنان يونس عبد الحميد، ط 1، مكتبة دنديس، الخليل، 1999 م.
75- العيني، بدرالدين محمود . (ت : 855هـ/1451م):عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق : محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج(1) سنة 1987م، ج(2) سنة 1988م، ج(3) سنة 1990م.

76- الغزي، كامل بن محمد بن مصطفي البالسي الحلبي (ت: 1351هـ / 1849م) : نهر الذهب في تاريخ حلب، ط2، دار العلم حلب، 1419هـ .
77- الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني. (ت: 832هـ / 1430م) : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1410هـ / 1990م.
78- أبو الفتح، ناصر الدين بن عبد السيد أبي المكارم أبن على أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي. (ت: 610هـ / 1214م) : المغرب في ترتيب المعرب، د. ط، الناشر دار الكتاب العر بي، د. ت.
79- أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود، (ت 732هـ/1331م): المختصر في أخبار البشر، جزآن، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.
- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه مطبعة رينود، والبارون ماك كوكين ريسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.
80- ابن الفرات، ناصر الدين محمد. (ت: 807هـ / 1404م) : تاريخ ابن الفرات، 4مج، نشر: حسن محمد الشماع، د.ط، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1969 م.
81- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري. (ت:170هـ/ 787م) : كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي د . إبراهيم السامرائي، الناشر دار ومكتبة الهلال . د. ط، د. ت.
82- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين. (ت: 723هـ / 1323م): الحوادث الجامعة والتجارب الجامعة، وقف على تصحيحه وعلق عليه: مصطفي جواد، مطبعة الفرات، بغداد 1351هـ .
83- فوري، علاء الدين بن علي بن حسام المتقي الهندي. (ت: 975ه/ 1574م):كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ / 1981م.
84- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر أحمد بن يعقوب. (ت: 817هـ / 1415م) : القاموس المحيط، ج1، تحقيق :التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف د. نعيم العرقوسي، ط8، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 1426هـ 2005م.
85- ابن قاضي شهبة، بدر الدين .(ت: 874هـ/1469م):الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق : محمود زايد، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م.

86- القرشي، محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن محمد الحنفي المصري .(ت: 775هـ / 1373 م) :الجواهر المضية في طبقات الحنفية، جزآن في مجلد واحد، ط1، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، الهند حيدر آباد الدكن، 1332هـ / 1921م.

87- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. (ت: 682هـ / 1283م):آثار البلاد وأخبار العباد، د.ط، دار صادر، بيروت ، د.ت.

88- ابن القلانسي، أبي يعلي حمزة. (ت: 555هـ/1160م): ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.

89- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله. (ت: 821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، 1963م.

- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق :عبد الستار أحمد فراج، ط2. مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1985م.

90- القنوجي، صديق أحمد: (ت: 1357هـ / 1954م) :أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، بيروت، 1987م.

91- ابن القيسراني، محمد بن نصر بن صغير بن داغر المخزومي الخالدي أبو عبد الله شرف الدين .(ت: 548هـ / 1153م): ديوان ابن القيسراني، جمع وتحقيق ودراسة: عادل جابر، الوكالة العربية – الزرقاء، 1990م.

92- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: د. محمد جميل غازي، د. ط، الناشر مطبعة المدني، القاهرة، د. ت.

93- الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي. (ت: 1382هـ): فهرس الفهارس و الأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق : إحسان عباس، ط2، الناشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

94- الكتبي، محمد بن شاكر . (ت: 764هـ / 1362م) :عيون التواريخ، ج12، تحقيق: د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داوود، مطبوعات وزارة الإعلام، بغداد، 1977م.

95- الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط4، 1406هـ / 1986م .

96- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي. (ت: 774هـ / 1372م): البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1987م.
97- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (ت 273هـ / 884م): سنن ابن ماجة، كتب حواشيه: محمود خليل ، ج5، مطبعة الرسالة، الناشر مكتبة أبي المعاطي، د. ت.
98- المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي. (ت :742هـ / 1440م) : تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط1، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت، 1400هـ / 1980م.
99- مسلم، بن الحجاج، أبو الحسن، القشيري، البيسانوري .(ت :261 هـ / 864 م)،صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية -القاهرة، 1374 ه 1955 م.
100- ابن مفلح، الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت 884هـ / 1480م) :المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد ، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض – السعودية، 1410هـ / 1990م.
101- المقدسي، محمد بن أحمد(ت 390هـ/999م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980م.
102- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاوي. (ت :387هـ/1997م):أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1980م، د.ط.
103- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر. (ت: 845هـ/1441م):السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، جزآن، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1408هـ/1987م.

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال
- الناشر وزارة الأوقاف، ط2، مصر 1416هـ / 1996

105-ابن مماتي، الأسعد بن مماتي . (ت606هـ/1209م):قوانين الدواوين، تحقيق :عزيز سوريان عطية، القاهرة، 1973م.
104- المكي، أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد ابن فهد الهاشمي، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ / 1998.

105- المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي. (ت: 656هـ / 1258م) : التكملة لوفيات النقلة، حققه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، ط2، 4 مج، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان 1401هـ / 1981م).

106- المنصوري، بيبرس، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتي سنة 702هـ، حققه : د.عبد المجيد صالح حمدان، ط1، دار المعرفة اللبنانية 1413هـ / 1993م.

107- ابن منظور، محمد بن مكرم . (ت :711هـ/1311م): لسان العرب، ط 1، دار صادر، بيروت، د.ت.

108- ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي الكناني الشيرزي (ت 584هـ/1188م): "كتاب الاعتبار"، حرره فيليب حتى ،مطبعة جامعة برستون، الولايات المتحدة، 1930، والدار المتحدة، 1986م

109- ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي (ت: 842هـ / 1440م): توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم، 10 أجزاء، تحقيق محمد نعيم العرقوسي، ط1، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م .

110- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق الوراق . (ت: 385هـ / 995م) :الفهرست، بيروت، د. ت.

111- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي.(ت: 303هـ/ 917م) :سنن النسائي، المجتبي من السنن، ط2، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب 1406هـ 1986م.

112- ابن نقطة الحنبلي البغدادي، أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني بن أبي بكر ابن شجاع. (ت: 629هـ / 1233م) .إكمال الإكمال (تكملة كتاب الإكمال لابن مأكولا)،خمسة أجزاء، تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي، ط1، الناشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1410هـ / 1990م.

- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، جزء1، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، الناشر دار الكتب العلمية، 1408هـ / 1988م

113- النعيمي، عبد القادر محمد بن عمر.(ت: 927هـ / 1521م) : الدارس في تاريخ المدارس، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

114- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. (ت: 733هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب، 31جزء، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1412هـ/1992م.

115- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم. (ت: 697هـ/1298م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1-3، تحقيق : جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1953/ 1957م.

116- ابن الوردي زين الدين عمر بن المظفر بن أبي الفوارس. (ت: 749هـ/1348م): تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، ط1، دار المعرفة بيروت، 1970م.

117- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان. (ت: 768هـ/1366م):مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت، 1974م، د. ن، د. ط.

118- اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسي. (ت : 541هـ / 1146م) : الإلماع إلي معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط 1، دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس، 1970م.

- ترتيب المدارك و تقريب المسالك، طرابلس، ليبيا، 1388هـ ، 1986م.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، د.ط، دار المكتبة العتيقة ، دار التراث . د.

119- اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب. (ت: 284هـ 896م) : كتاب البلدان، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد أمين ضناوي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2002 م.

120- اليونيني، قطب الدين موسي بن محمد . (ت: 726هـ / 1326م) : ذيل مرآة الزمان، 4ج، تحقيق كرنكو، د.ط، د.ن، حيدر أباد، 1337 هـ .

ب-المصادر الأجنبية الغير المترجمة:

1- Albert d,Aix : Historia Hierosoly mitana, en: R. H. C. H. Occ., tome IV,paris,1879.
2- Albert of Aachen, Historian Ierosolimitana: History of the Journey to Jerusalem, ed. and trans. Susan B. Edging ton (Oxford: Clarendon, 2007).
3- Adler: Jewish Travellers ،London 1930
4- Anna, Comnena, The Alexiad, London 1928.
5- D .I belin , Jean, Le Livre dejean D,Ibelin, Assiaes de Jerussalem, Tom, I, Paris,1841.
6- Eracle Estoire d,Eracles Emperear et de congest dela Terred Outre meEd.R.H.C.Hoostom II(Paris,1859).
7- Jacques' de, Vitry, A History of Jerusalem, Trans. By. Stewart, P.P.T.S,Vol. XI, London 196l .
8- Runciman, Steven, A History of the Crusades, The King domed JerusaLem 1100- 1187l,V2, New York 1966.
9- Schefer (C) : Voyage du Magnifique Etters illustrate Cheval fen Domenico Trevisan. Paris, 1864.
10- Francesco Souriano, Treatise on the Holy Land
11- William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, 2 vols., trans. And annotated Emily A. Babcock and A.C. Krey (New York, NY: Octagon, 1976) .
12- Zoé, Oldenbourg, The Crusades, New York 1966.

ج-المصادر الأجنبية ال معربة:

1- أرنول وصف أوضاع مدينة القدس، والأماكن المقدسة، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ترجمة : سهيل زكار، ج 39 ، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1999 م.
2- أمبرويز الحروب الصليبية، صليبية رتشارد قلب الأسد، 2ج، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب، ترجمة: سهيل زكار، ج 32 ، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1998 م.
3- بادربورن، أولفر أوف بادربور ن. الاستيلاء على دمياط، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، ج 34 ، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1998 م.
4- بورشارد من جبل صهيون (عاش في القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري): وصف الأرض المقدسة"، ترجمة سعيد البيشاوي (عمان دار الشروق 1995م.

5- جوانفيل، جان جوانفيل، حياة القديس لويس وحملاته على مصر والشام، مذكرات جان سيردي جوانفيل، ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، القاهرة 1968م.
6- ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس"، ترجمة : حسنين محمد عطية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990م
7- دانيال، الحاج الروسي دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، 1106-1107م"، ترجمة: سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة، ط1، د.ف، عمان 1992م.
8- الشارتري، فوشيه الشارتري. تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، ط 1، دار الشروق، عمان، 1990 م.
9- الصوري، وليم الصور ي. تاريخ الحروب الصليبية، 2ج، ترجمة : سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2003 م.
10- فوقاس، رحلة يونس فوقاس في الأرض المقدسة، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، ج 35 ، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1998 م.
11- الفيتري، يعقوب الفيتري. تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد البيشاوي، ط 1، دار الشروق،عمان، 1990م.
12- متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريدة، المطابع العربية، بيروت، 1967 م.
13- مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، د.ط، دار الفكر العربي، 1958 م.
14- مجهول، الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشار د ج2، ترجمة:حسن حبشي، د.ط ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2000 م.

ثانيا- المراجع:

أ- المراجع العربية.

1- أباظة، نزار، معجم شهيرات النساء في سوريا ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر دمشق – سوريا ، بيروت –لبنان، ط1، 1423، 2001م
2- أحمد، ناريمان عبد الكريم، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 199م.

3- آل سلمان، أبي عبيدة مشهور بن حسن، عناية النساء بالحديث النبوي، ط1، دار ابن عفان، 1410هـ 1994م.

4- أمين، فوزي محمد أمين، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول، القاهرة،1982م.

5- إبراهيم، ناجية عبد الله، الجهود العلمية للمرأة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، د. ط، الناشر مؤسسة بلسم ، عمان – الأردن 1996م.

6-الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1957.

7-بدران، عبد القادر، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق زهير الشاويش، د. ط، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م.

8-البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1368هـ / 1948م.

9-البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصطفين (طبعة الأوفست) مج2، بيروت، 1995م.

10-البيشاوي، سعيد عبد الله ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية / 492هـ - 690هـ / 1099- 1291م ، ط1، عمان، 1411هـ / 1991م.

- الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية 1099م- 1291م، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1986 م

11-بيهم، محمد جميل، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ط1، دار العلم للجامعيين، 1962م.

12-جميعان، مخائيل، المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية، المطبعة الاقتصادية، د. ت.

13- بن جنيد، يحيى بن محمود، الوقف والمجتمع، نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي – الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية 1417هـ/ 1997م

14-حبشي، حسن، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي"، القاهرة، 1968م.

15-حتي، فيليب، وآخرون، تاريخ العرب ترجمة جورج حداد، وعبد الكريم رافق ، ط9، دار غندور، بيروت، 1958م.

16-الحجي، حياة، ناصر، صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك الطبعة الأولى، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1412 ه- 1992 م. 14

17- حسين، حسن عبد الوهاب، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية، 1999م :
18-حمادة، محمد ماهر، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م.
19-حمدي، أحمد ممدوح، معدات التجميل في متحف الفن الإسلامي، القاهرة، 1959م.
20-الحويري، محمود محمد، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، القاهرة ،1400هـ/ 1979م.
21- الخادم، سعد، الأزياء الشعبية، القاهرة، 1961م.
22-الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية"، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.
23- دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية، دار الفكر، دمشق – بيروت 1990م.
24- الدويكات، فؤاد عبد الرحيم، إقطاعية طبريا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي"، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، اربد، 1423هـ/2002م.
25- رمضان، أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، القاهرة 1977م .
26- الزركلي، خير الدين، الأعلام ، تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الخامسة، 1980م.
27- زكار، سهيل، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية(المشرق)، دار الفكر دمشق، 1415 ه- 1995 م.
28- زكي، محمد أمين، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان منذ أقدم العصور التاريخية حتي الآن، ترجمه إلى العربية محمد علي عوني، القاهرة 1936م.
29- زيدان، جورجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة حسين نصار، دار الهلال ، د. ت.
30 - زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، مؤسسة فرانكليين للطباعة والنشر، بيروت- نيويورك1969م.
31- السامرائي، فراس سليم حيادي، التقاليد والعادات الدمشقية خلال عهود السلجوقيين – الزنكيين – الأيوبيين، ط1، الناشر، دار الأوائل، 1425هـ /2004م.
32- الساريسي، عمر نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية، الطبعة الأولى دار المنارة، جدة السعودية،1405هـ - 1985م.
33- سعداوي، نظير حسان، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، القاهرة 1961م .
34- السيد، محمود، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي، ط1، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

35-الشامي، أحمد، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، دار النهضة العربية، الطبعة الأولي، 1045هـ / 1985.

- صلاح الدين والصليبيون، تاريخ الدولة الأيوبية، ط1، مكتبة النهضة العربية – القاهرة 1991م.

36- شبارو، عصام، تاريخ المشرق العربي الإسلامي منذ دخول السلاجقة بغداد حتى دخول العثمانيين القاهرة (447- 923هـ = 1055- 1517م)، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1999م.

37- شلبي، محمود، حياة شجرة الدر، دار الجيل، بيروت، ط2، 1407ه- 1987م.

صالحية، محمد عيسي، من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكي حوليات الآداب السادسة، جامعة الكويت، 1985م.

38-الصلابي، عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1،2006- 1427هـ .

- دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، 1427هـ / 2006م.

39- طرخان، إبراهيم طرخان. النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط والعصور الوسطي، د. ط، دار الكتب العربي، القاهرة، 1968 م.

40- طقوش، محمد سهيل، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام (521- 630هـ / 1127- 1223م)، ط1، دار النفائس، لبنان – بيروت، 1419ه/ 2006م.

41- عاشور سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد في العصور الوسطى، الطبعة السابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005 م.

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، 1963
- العصر المماليكي في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، 1976م.
- أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار القلم، المكتبة الثقافة، 1964م.
- أوروبا في العصور الوسطي، التاريخ السياسي، الجزء الأول، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1983م.

42- عاشور، فايد حماد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، د.ط.

43- عبد الرازق، أحمد، المرأة في مصر المملوكية، الهيئة المصرية للكتاب ، عام 1999م

44- العبيدي، صلاح الدين، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، بغداد 1976م.

45- عثامنة، خليل، فلسطين في العهدين، الأيوبي والمملوكي(1187- 1516م) ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2006م.

46- العريني، السيد الباز، الشرق الأدني في العصور الوسطي، الأيوبيون، دار النهضة العربية، د. ط. ت.

47- العسلي، كامل العسلي، الوثائق التاريخية، مج2، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مؤسسة عبد الحميد بن شومان 1985م.

48- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، الناشر الساقي، 1422هـ ـ 2001.

49- علي، السيد علي ، القدس في العصر المملوكي، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986 م.

- الجواري في مجتمع القاهرة المملوكي، الهيئة المصرية العامة 1988م.
- المرأة المصرية والشامية في عصر الحروب الصليبية، المجلس الأعلى للثقافة، 2002

50- على، عبد الحفيظ على. مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على الحركة الصليبية، ط 1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1959 م.

51-علي، محمد كرد، خطط الشام"، بيروت، 1971م. -"الإسلام والحضارة العربية"، د. ط، دار الكتب المصرية، 1934م.

- مدينة دمشق مدينة السحر والشعر و الجمال، دار اقرأ، مصر د. ت.

52- العلموي، مختصر تنبيه الطالب إرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبوعات مديرية الآثار القديمة العامة بدمشق 1947م.

53- عوض، محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية"، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995م.

- تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية والحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية في القرنين 6-7 هـ = 12- 13م، ط 1، دار الشروق، عمان، 2004 م.

54- الغامدي، عبد الله سعيد محمد، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1410هـ، د.ط، د.ن.

55-غوانمة، يوسف درويش، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن، في العصر المملوكي الطبعة الثانية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1982 م.

56- قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الأيديولوجي ة-الدوافع-النتائج، د.ط، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ، 2003م.

- عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، ط 1، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 1998 م.

- الأيوبيين والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري، بالاشتراك مع علي السيد علي عين للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، مصر- بدون ط، ت.ــ

57- قساطلي، نعمان، الروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء، ط2، دار الرائد العربي، 1982م.

58- القلماوي، سهير، ألف ليلة وليلة، القاهرة، 1960م.

59- كحالة، عمر بن رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والمسلمين، 5أجزاء، ط2، مؤسسة الرسالة.

- معجم المؤلفين، د. ط، الناشر مكتبة المثني، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت .

60- -كيال، منير، الحمامات الدمشقية وتقاليدها، د. ط، 64 19

61- لتسرنج، بلدان الخلافة الإسلامية، بيروت، 1985م

62-ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1972.

63- مبارك، زكي، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، جزآن، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، 1357 ه- 1938 م، مصر.

64- محمد، أحمد محمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977 م.

65- مصطفي، شاكر، المدن في الإسلام، ط1، دار السلاسل، الكويت 1988م.

66- مصطفى ، إبراهيم و أحمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار، المعجم الوسيط ،تحقيق، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للنشر، د.ت.

67-مظهر، جلال، حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العلمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1986م.

68- معروف، ناجي، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1973.

69- مقامي، نبيلة إبراهيم، فرق الرهبان والفرسان في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة – 1994م.

70- بن موسي، تيسير، نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية وحتي وفاة نور الدين، الدار العربية للكتاب، بد. ت .
71- المنجد، صلاح الدين، دمشق القديمة، دمشق1949م.
72- نصار، لطفي احمد نصار. وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، ط1. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999 م.
73- النعيرات، أسامة محمد نعيرا ت. إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي492هـ - 690هـ / 1099- 1291م ، ط 1، مؤسسة الأسوار، عكا، 2002 م
74- نقاش، زكي، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية"، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت،1378هـ/ 1958م.
75- يحيى بن محمود بن جنيد. الوقف والمجتمع، نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي – الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية 1417هـ/ 1997م
76- يوسف، جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر، هزيمة لويس التاسع في، مؤسسة شباب، الجامعة الإسكندرية، 1984م.
أرشيف المجلس العلمي – موقع الألوكة، ج10، ص 3764. www.majles.alukah.net

ب- المراجع الأجنبية الغير مترجمة

.

1- Brahim EL Kadiri Boutchich, The Image of the Crusade Woman through Islamic Writings Contemporary with the Crusades, Moroc

2- Dajani-Shakeel Hadia ,Jihad in twelfth-century Arabic poetry. A moral and religious force to counter the Crusades, in Muslim World 66 (1976)
3- D. J. Duncan, Scholarly views of Shajarat al-Durr. A need for consensus, in Arab Studies Quarterly 22 (2000).
4- James Michael Illston 'An Entirely Masculine Activity'? Women and War in the High and Late Middle Ages Reconsidered A Thesis Submitted in Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in History, Department of History,University of Canterbury, 2009.
5- Hodgson, Natasha R., Women, Crusading and the Holy Land in Historical Narrative: (Woodbridge: Boydell, 2007).

6- Holt, Andrew, The Snare of the Devil Women, Sin, and Crusades Propaganda University of North Florida Spring, 2005.
7- Kedar, Benjamin Z., 'The Passenger List of a Crusader Ship, 1250: Towards the History of the Popular Element on the Seventh Crusade', Studi Medievali , Series, 1972.
8- Runciman, Steven, A History of the Crusades, The King domed JerusaLem 1100- 1187l,V2, New York 1966.

9- Lambert, Sarah, ''Crusading or Spinning', in Gendering the Crusades, eds. Susan B. Edgingtonand Sarah Lambert (New York, NY.: Columbia University Press, 2002 .
10- L a Mont, Feudal Monarchiyin the Latin Kingdom of Kingdom of Jerusalem, 1100- 1291, 1932.
11- Ludovico Di Arabia Desrt ،Syria ،The Travels of Varthema in Egypt Arabia Felix ،and London, 1863.

12-Maier, Christoph T, 'The Roles of Women in the Crusade Movement: A Survey', Journal of Medieval History 30 (2004)
13- McLaughlin, Megan, The Woman Warrior: Gender, Warfare and Society in Medieval Europe, Women's Studies 17 (1990)
14- Miller: The Latin in the Levant, London 1908.
15 -Powell, James M, The Role of Women on the Fifth Crusade', in The Horns of Hattin, ed. B.Z. Kedar (London: Variorum; Jerusalem: Yad Izhak Ben-Zvi and Israel Exploration Society,(1992)
16- Ramsay: The historical geography,of Asia minor, Amsterdaam, 1962
17-Nicholson, Helen, Women on the Third Crusade', Journal of Medieval History 23, 1997.

18- Treatis on the Holy Land ،Trans. from the Italian by. Fr. Theophilus Bellorini ،Jerusalem 1948

.

الموقع الالكتروني: موسوعة الحروب الصليبية
http://www.womeninworldhistory.com/heroine3.html

ج- المراجع الأجنبية المعربة:

1- أنتهاوزن، ريتشارد، فن التصوير عند العرب، ترجمة : عيسي سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، 1974م.

2- باركر، أرنست، الحروب الصليبية، ترجمة : السيد الباز العريني، دار النهضة العربية – بيروت 1967م.

3- براور؛ "عالم الصليبيين"؛ ترجمة: د . قاسم عبده قاسم، ود. محمد خليفة حسن، دار المعارف، 1981

4- جب، هاملتون. أ. ر: صلاح الدين الأيوبي(دراسات في التاريخ الإسلامي) ، حررها: يوسف أيبش، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1973م.

5- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة : محمد بدران، ط2، القاهرة 1965م.

6- دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ترجمة: أكرم فاضل، بغداد، 1971م.

7- رنسيمان، ستيفن. تاريخ الحروب الصليبية، 5ج، ترجمة: السيد الباز العريني، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1996 م.

8- زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة: إلياس شاهين د.ط، دار التقدم، موسكو، 1986 م.

9-سميث، جونثان رايلي، تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: قاسم عبده قاسم، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1427هـ / 2007م.

-الحملة الصليبية الأولي وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة :محمد فتحي الشاعر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1999م.

11- سوريال، عزيز عطية، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فليب صابر سيف، ط2، دار الثقافة، دار الجيل، د. ت.

12-ماير، هانز إبرهارد، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: عماد الدين غنيم، ط 1 مجمع الفاتح للجامعات، طرابلس، 1995 م.

13- ماير، الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، ط 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972 م

14- معلوف، أمين، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة :عفيف دمشقية، ط1، دار الفارابي، بيروت– لبنان، 1989م.

15- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدني في العصور الوسطي، القاهرة 1985م.

16- هونكة ، زغريد، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي ، مراجعة: مارون عيسى ألخوري ، ط4 ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، 1400هـ/1980

ثالثاـ الموسوعات.

1- دائرة المعارف الإسلامية ، ج15 ، ترجمة: محمد ثابت وآخرون، 15 مج، د.ط ، دار المعرفة، بيروت،د.ت.

2- زكار، سهيل زكا ر. الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق و ترجمة:

50ج، ط 1، دار الفكر، دمشق، - 1995

3- شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط7، مكتبة النهضة المصرية، 1986م.

4- صالحيه، محمد عيسي، الطب والأطباء في فلسطين، وقع ضمن الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، ج 3، ط 1، بيروت، 1990 م.

5- عاشور، سعيد عبد الفتاح، نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك- المرأة في الحضارة العربية- المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة ، 1987م

6- العسلي، كامل، الحياة الفكرية في فلسطين، وقع ضمن الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، ج 3، ط 1، بيروت، 1990 م.

7- قاسم، عبده قاسم، أثر الحروب الصليبية في العالم العربي – بعض مظاهر الحياة اليومية في عصر سلاطين المماليك، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة ، 1987م.

8-مصطفي، شاكر، فلسطين بين العهدين الفاطمي والأيوبي، وقع ضمن الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، ج 2، ط 1، بيروت، 1990 م.

9-نيال كريستي، موسوعة النساء والثقافات الإسلامية، المنهجيات والمنظومات لدراسة النساء والثقافات الإسلامية، مج1، تحرير سعاد جوزيف، ترجمة بثينة الناصري، الناشر دار بريل – ليدن – بوسطن 2003م.

10-الموسوعة الفقهية الكويتية،. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت

عدد الأجزاء : 45 جزءا، الطبعة (من 1404 – 1427 هـ)، الأجزاء 1 – 23 : الطبعة الثانية ، دارالسلاسل – الكويت، الأجزاء 24 – 38 : الطبعة الأولى ، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء 39 – 45 : الطبعة الثانية ، طبع الوزارة موقع المكتبة الشاملة
11–أرشيف المجلس العلمي – موقع الألوكة، www.majles.alukah.net

رابعاً ـ الرسائل العلمية .

1– الأغا ، إحسان حلمي : الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية 492– 690هـ / 1099– 1291م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، كلية الآداب غزة ، 2007م.
2– الجندي، جمعة : حياة الفرنج ونظمهم في الشام خلال قرنين الثاني عشر والثالث عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، عين شمس ، عام 1989م.
3– الشواف ، عبد المعين محمد طاهر: دمشق بين سقوط الفاطميين وظهور الأيوبيين / 468– 569هـ / 1075– 1173م،دراسة اقتصادية اجتماعية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة دمشق / كلية الآداب، 2007/ 2008م
4– أبو عون، عبد الرحيم حسين سعد الله : إقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح نابلس، 2004م.
5– الفراني ، عبد الحميد جمال :
المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي في بلاد الشام / 491– 690هـ / 1098– 1291م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، كلية الآداب غزة ، 1426هـ / 2005م.

خامساًـ البحوث والدوريات .

1– بروندیج، أ. جيمس، الزنا (الدعارة) : واختلاط الأجناس والتطهير الجنسي في الحروب الصليبية الأولي، ص 57– 65. ، وقع ضمن كتاب، حسين حسن عبد الوهاب، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية، 1999م :
2– البيشاوى، سعيد عبد الله، المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، م ج 15 ، 2002.
3– بلدوين، مارشال ، الدويلات اللاتينية تحت حكم بلدوين الثالث وعموري الأول (1143– 1174م) ترجمة وتعليق: صلاح حسن العاوور، تحرير سعيد عبد الله البيشاوي، محمد مؤنس عوض، دار الشروق – الأردن 2004م.

4-جواد، مصطفي، الثقافة النسوية في العراق في العصور الوسطي، مجلة العلم الجديد، بغداد، ج1-2، أيلول 1953.
5-حميد، عفاف عبد الغفور، جهود المرأة في نشر الحديث وعلومه، مجلة جامعة أم القري الشرعية واللغة العربية وآدابها، ج19، ع 42، 1428هـ .
6-الرقب، شفيق محمد، صور من الحياة الاجتماعية للفرنجة من النثر الفني زمن، الحروب الصليبية، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج 23 ،ع: 2، الأردن، 1996 م.
6- زيات، حبيب، احتيال الملوك الأيوبيين في رشوة النساء الفرنجيات، مجلة المقتطف، العدد :36 ، سنة 1938م الشاعر ، منى سعد محمد: خاتونات البيت الأيوبي- كنموذج لدور المرأة في العصور الإسلامية، القاهرة 2003/ 1424ه،
7- زيان، آمال حامد ، التأثيرات الاجتماعية العربية على المرأة الصليبية، مؤتمر عقده اتحاد المؤرخين العرب بعنوان " المرأة العربية عبر عصور التاريخ" منشورات اتحاد العرب حصاد 19، القاهرة 1433هـ / 2011م.
8- شاهين، رياض مصطفي، هدنة الرملة والظروف المحيطة بها، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد التاسع ، العدد: الأول،2001م.
9-الشيال، جمال الدين، الجاسوسية في حروب الصليبين، مجلة المقتطف، سنة 1941.
10-شيرو، محمد شخا، العادات والأخلاق، بحث منشور ضمن كتاب خطط الشام لمحمد كرد علي، دمشق، 1925.
11-صبرة، عفاف، المدارس في العصر الأيوبي بحث ضمن كتاب المدارس في مصر الإسلامية، إعداد عبد العظيم رمضان، القاهرة، 2000م
12-طراونة، طه، المرأة الصليبية ، مجلة مؤتة، العدد1، المجلد: 8، 1993.
13-عاشور، سعيد عبد الفتاح ، المرأة الأوربية على مسرح الحروب الصليبية، مجلة العربي، الكويت، العدد 371، أكتوبر 1989م.
ـــــــــــ المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، المؤتمر الدولي لتاريخ الشام، الجامعة الأردية، ط 1، الدار المتحدة للنشر، عمان، الأردن، 1974.
ـــــــــــ ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام، المستقبل العربي، ع102 ، 1978 م.
14ـــــــــــ عليوه، حسين، قطر الندى مقالة في كتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، القاهرة 1970م.

15- علي، السيد علي، وثائق الحرم القدسي الشريف مصدر لدراسة بعض جوانب التاريخ الاجتماعي للقدس في العهدين الأيوبي والمملوكي " : مجلة الدرعية السنة الثانية – العددان: 6، 7 ربيع الآخر- رجب 1420هـ أغسطس- نوفمبر 1999م .

16-أبو المجد، زينب، أوقاف النساء، المرأة، المعرفة، السلطة، مقالات المرأة والحضارة، 2005م.

17-المزيني، إبراهيم، دور المرأة في العلم والتعليم عبر العصور التاريخية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 530، تاريخ العدد: 3-9- 2010م.

- الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، بحث نشر ضمن ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العر بية السعودية، د. ت.

ABSTRAC

This study examines the role and status of women at the time of the Islamic-Frankish conflict, from the Franks' coming to the east 1098 until their final evacuation from The Levant 1291.

The study discusses the role and the political participation of the Arab women in managing governance affairs. They politicized the state affairs so wisely, were highly vigorous, widely influential, charismatic, and diplomatic. Besides, the Arab women participated in fighting. They accompanied men to the battlefield to heal the wounded and urge men to keep fighting by motivating the spirit of enthusiasm and Jihad against the Crusaders.

On the other hand, the study clarifies the political and military role of the crusade women. They were among the first crowds accompanying the crusade campaigns to the east. The researcher talked about how women took over the government in the east and participated in fighting at the battlefield by entertaining the soldiers.

This study explains the scientific and religious role of the Muslim women. Those women eagerly went to religious and scientific councils in accordance to the Islamic guidelines, of course. Lots of them consistently moved between Egypt and The Levant to hear from the scholars of Islam. This study is distinctive due to the fact that it mentions the names of women who worked and dealt with Fiqh (doctrine), Hadith, literature, and preaching. They are actually countless. The Muslim women, also, participated in establishing religious and scientific centers as well as funding them to maintain the continuity of working.

Furthermore, the study discusses the Arab women's position in the Islamic community. They verily assumed a prominent status in the

sense that they gained a lot of titles which express high esteem. They also took care of their dressing and adornments by visiting public baths. The researcher signaled at women's role in the social and public life through talking about some professions in which they worked and the dominant customs and traditions of that era.

This paper, on the other hand, clarifies how far the crusade women were affected by the eastern lifestyle through some Islamic traditions such as: visiting public baths, learning how to cook, and wedding parties.

The study, moreover, shows aspects of degradation and corruption in both of the two societies such as: the spread of immortality, adultery, and drinking wine.

The study examines women's social and reforming role through advising and guiding women, spreading religious awareness, correcting misconceptions, and building shelters to harbor the divorced and widowed so that they don't fall in the trap of corruption and deviation.

Finally, the paper closes with a conclusion that includes the most important results of the study.